

دفاعًا عن الحراك

تفكيك نظرية المؤامرة المضادة للثورة

من تأليف مجموعة من الباحثين الجزائريين

ترجمة د. رشيد زياني-شريف

تصدير د. منصف المرزوقي



دفاعا عن الحراك

تفكيك نظرية المؤامرة المضادة للثورة

من تأليف مجموعة من الباحثين الجزائريين

ترجمة د. رشيد زياتي-شريف

تصدير د. منصف المرزوقي



الهفار

دفاعًا عن الحراك:

تفكيك نظرية المؤامرة المضادة للثورة

من تأليف مجموعة من الباحثين الجزائريين

ترجمة د. رشيد زياي-شريف

تصدير د. منصف المرزوقي

© الهفّار 2021

www.hoggar.org

ردمك ISBN 978-2-940130-37-5

صورة الغلاف: حراك 22 فبراير 2020، الجزائر العاصمة

تصميم الغلاف: Movi-Design

المحتويات

تصدير منتصف المرزوقي، 5

1. مقدمة، 9

الفصل الأول

2. العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

يوسف بجاوي، 29

3. زيغان لوني

يوسف بجاوي، 69

4. اللاعنّف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

عباس عروة، 113

الفصل الثاني

5. الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

محمد دوغة، 139

6. تشبيك أيديولوجي وسياسي

موسى بن محمد، 167

7. "سيقبا": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

صدوقية بن عكنون، 229

الفصل الثالث

8. صناعة اليد الخارجية: مثقف في خدمة الحراك المضاد
مخلوف لعريوي، 245

الفصل الرابع

9. القذف في ظل الحماية الشخصية
سفيان تلمساني، 277

10. سارفع شكوى ضد المؤلف ودار النشر
الهوري عدي، 287

11. لا حق لأحد في قياس وطنية الجزائريين
زبيدة عسول، 295

12. منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب
الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة، 299

13. رشاد ضمن الحراك
أمانة حركة رشاد، 351

تصدير

منصف المرزوقي

يوم انشخب محمد مرسي رئيسًا للجمهورية (شهر يونيو 2013) قلتُ في نفسي هذا الرجل سيواجه صعوبات جمة ولست متأكدًا أنه سيتم عهده.

كانت الستة أشهر التي قضيتها في قصر قرطاج حيث انتخبْتُ في ديسمبر 2012 قد وضعتني وجهًا لوجه مع الحقائق القاسية للوضع الدولي.

كنتُ شبه متيقن أن المنظومة التي كانت تتحكم في الشرق الأوسط، أي السعودية والإمارات وإسرائيل تحت كفالة الولايات المتحدة، لا يمكن أن تسمح لمصر بالخروج من محور الاستسلام الذي فرض عليها منذ معاهدات كامب دافيد سنة 1978. فخرج مصر من هذا المحور ودعمها لغزة المحاصرة كان سيقرب كل التوازن للإقليم وهو أمرٌ غير وارد. ما لم أتوقعه هو السرعة التي سيصفى بها الرجل وهو أول رئيس منتخب شرعيًا من قبل شعب حرّ وذلك منذ خمسة آلاف سنة. وقعت التصفية عبر المال الإماراتي والسعودي بدعم وتخطيط إسرائيلي وتحت حياء مفتعل من قبل الأنظمة الديمقراطية الغربية.

اتضح لي طبيعة هذا الحياء المفتعل عند الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند لتونس بضعة أيام بعد الانقلاب في مصر. قلتُ له ما موقف فرنسا من انقلابٍ على رئيس شرعي، فراوغ ورفض إدانة العملية وكان ذلك موقف أغلب البلدان الغربية.

منصف المرزوقي

هذا الموقف المتحفظ للأنظمة الغربية والعداء المفصوح الذي أظهره النظام السعودي والإماراتي ومن ورائها إسرائيل هو الذي واجهته كل الثورات العربية.

الحقيقة أنّ الأنظمة الغربية التي دعمت الثورات البرتقالية في أوروبا الشرقية فوجئت بالثورات العربية التي لم تتوقعها يوماً ووقفت منها موقفاً محترزاً يُخفي عداءً مبطناً لأنّ الديمقراطية جاءت بالإسلاميين لا بالعلمانيين ولأنّها بخصوص مصر كانت قادرة على إنهاء فترة الصفاء التي كانت تنعم بها إسرائيل.

يأتي بعد هذا كمشة من الأدعياء ليقولوا بوقاحة منقطعة النظر أنّ الثورات العربية هي ثورات ملوثة، بل يصفون الربيع العربي بالعبري في عملية كاريكاتورية لقلب الحقائق.

بالطبع من العبث الدخول في نقاش مع هؤلاء الناس وإنما يجب فهم المصدر والوظيفة لهذه الفرية الكبرى.

أمّا المصدر فمكوّن بالأساس من بعض القوميين واليساريين الذين فاجأهم ثورة شعبية لم يتوقعوها ولم يقودوها، بل ارتكبت "جريمة" عدم التفريق بين الأنظمة الاستبدادية التابعة كالنظام المصري أو التونسي وبين الأنظمة الاستبدادية "الوطنية" التي ترفعها صرخة مدوية لا للصهيونية والإمبريالية.

فالشعوب الثائرة لم تر في سوريا، وتونس، واليمن، ومصر، إلا نفس الأنظمة القمعية الفاسدة المورثة للسلطة والتي تتشدّق بشعارات لم تعد تنطلي على أحد. وما فاقم حقد هؤلاء البقايا من قوى سياسية شريفة في الستينيات والسبعينيات غير مرضية من الإسلاميين الذين احتلوا مكان "البطل" الذي بقي شاعراً بعد أن أصبح القوميون واليساريون في معظمهم جزءاً من منظومة الفساد والقمع. وهم كرهوا أيضاً هذه الديمقراطية التي أتت بها الثورة ليس فقط لأنها أتت (ويمكن أن ترحل) بالإسلاميين ولكنهم كانوا ولا يزالون في معظمهم أصلاً غير ديمقراطيين. هنا يقع التواصل مع فلول الأنظمة التي قامت ضدها الثورة وهم استبداديون دون عقد ودون تبريرات الصرخة

المدوية ضد الصهيونية والإمبريالية، ولهم هم أيضاً مصلحة بديوية في تشويه وترذيل الثورة التي أطاحت بسلاطنتهم القمعية وامتيازاتهم الخسيسة وفسادهم المخزي.

أما الوظيفة البديوية. لقد أشهرت الثورة المضادة بقيادة الحلف الإماراتي السعودي الإسرائيلي الحرب ضد الربيع العربي واستعملت كل الوسائل لأفشالها ومنع تمددها، أساساً الإعلام الفاسد والأحزاب السياسية الفاسدة والإرهاب والتدخل في الانتخابات. من هذه الوسائل الحرب النفسية بالتركيز على توتحين: الأول التشكيك في وطنية الثورة عبر عملية معروفة وهي تغيير الآخر بالعيوب الذاتية ومن ثمة خرافة الربيع العربي.

الثانية وهي الأخطر: تحميل الثورة وزر معاناة شعوبنا والحال أن معاناتها أصلها سياسات النظم القمعية الفاسدة التي أجبرتها على الثورة وسياسات الثورة المضادة التي لم تتورّع عن أي جريمة لعقاب الشعوب الثائرة وتأديبها وحثها على الرجوع لبيت الطاعة ولسان الحال يقول: أليس من الأفضل أن تعيشوا رعايا في كنف سلطتنا الساهرة على أمنكم بدل التمرد علينا والدخول في هذه العمليات العنيفة للتحرّر وأتم ترون كلفتها؟

طبعاً لا الحرب النفسية، ولا الإعلام الفاسد، ولا الإرهاب حسب الطلب، ولا الحرب الأهلية ولا أي شيء آخر قادر على إرجاع عقارب التاريخ إلى الوراء.

والدليل على ذلك: بعد الموجة الأولى للربيع العربي في تونس وليبيا واليمن ومصر وسوريا ورغم النكسات وما تصوّرها البعض "دروساً"، خرجت الموجة الثانية في السودان، والجزائر، والعراق، ولبنان. انتظروا الموجة الثالثة من أكثر من مكان لم تتم فيه الإصلاحات الحقيقية.

لقد اتسع الخرق على الراقق ومنظرو الثورة المضادة مثل الممولين والمخططين سيكتشفون عاجلاً أو آجلاً عبث التصدي لمسار التاريخ.

منصف المرزوقي

كما صُنِّي الاستعباد بعد آلاف السنين من المعاناة وكما صُنِّي الاستعمار ولو بالثمن
الرهييب الذي دفعه بلد كالجزائر، فإنّ تصفية الاستبداد عملية لن يوقفها شيء أو أحد.
ولا بد لليل أن ينجلي.

مقدمة

أدّت حركة المقاومة السلمية الوطنية التي شهدت النور يوم 22 فبراير 2019، وأصبحت تعرف باسم الحراك، إلى استقالة بوتفليقة، واعتقال أكثر من مائة من القادة السياسيين والمسؤولين الأمنيين وأقطاب الأوليغارشية. ونجم عن الحراك أيضًا تحركات تمرّد عابرة – لكنها تبشّر بجزائر جديدة في طور التحوّل – وسط قطاعات واسعة في سلك القضاء والمنظومة الصحفية، وتأجيل الانتخابات الرئاسية مرتين، ثم مقاطعتها الواسعة في 12 ديسمبر 2019، مما قوّض بشكل حاسم شرعية رئيس الدولة الذي فرضته القيادة العسكرية. لقد أحييت جوانب عديدة من الحراك الأمل في النفوس وزرعت بذور التفاؤل، في بلد شهد انتشارًا واسعًا لليأس والضجر وسط المواطنين، منها الانخراط الهائل للمواطنين والمواطنات، وتجمّع أجيال عديدة، وطبقات اجتماعية ومهنية شتى، من مختلف مناطق البلاد ومن مشارب سياسية متنوعة، وأيديولوجيات مختلفة. وارتقى الحراك بانضباطه اللاعنفي في وجه كل الاستفزازات، ومظاهره المضيفة للقيم المدنية والإبداع، وثباته في الدفاع عن الوحدة الوطنية، ورفضه القاطع لأي شكل من أشكال التدخل الأجنبي، وكذلك عزمه على الاستمرار في النضال دون توقّف إلى غاية تحقيق تغيير جذري في منظومة الحكم. وقد ألهم حراك الجزائر الشباب والمواطنين في بلاد المهجر للتفكير سويًا في مستقبلهم، في جزائر يتعيّن إعادة بناء كلّ شيء فيها.

هذا التحوّل في مسار التاريخ لم يحدث من دون أن يثير ردود أفعال. فبدلًا من الاعتراف بالتغيرات العميقة الحاصلة في البلاد وتطلعات المجتمع، وابتهاز هذه اللحظة التاريخية للتعويض عن تسبّبهم في إجماع كارثي للانتقال الديمقراطي السابق (1989-1991)، لم تستخلص للأسف قيادة الجيش الطاعنة في السن – المتحالفة مع طبقة

سياسية واجتماعية مناهضة للديمقراطية ومنتفعة من نظام المحسوية الذي يتغذى من الربيع والمزايا غير المستحقة - الدروس بل آثرت بعناد مواصلة السير ضد تيار التاريخ للحفاظ على الوضع الراهن، وإحباط هذه الفرصة الجديدة للانتقال إلى الحكم الديمقراطي. تتلخّص استراتيجية القيادة العسكرية النرجسية في خارطة طريق تجدد النظام القديم، تغلفه هذه المرة بخطاب يزيّف مطالب وشعارات الحراك، وتحاول فرضه من خلال مجموعة واسعة من الأساليب المألوفة بغية تقسيم الحراك وفك عراه وإنهائه. ويشمل ذلك حملات دعائية لتعميق الانقسامات القديمة المتجددة حول الهوية الأمازيغية أو الانقسامات الأيديولوجية، أو لإثارة الشك والارتباك وسط الحراكين، من خلال وصمهم بأنهم أعداء للوطن أو دمي "للخارج"، كما يشمل ذلك نصب حواجز في الطرق حول المدن الكبيرة للحد من توافد المتظاهرين، فضلاً عن نشر قوات الأمن بكثافة لمحاصرة المتظاهرين وتوقيفهم وقمعهم أحياناً. وتشمل الترسنة أيضاً عمليات الاعتقال والسجن والمضايقة والابتزاز القضائي للمتظاهرين وللشخصيات المؤثرة داخل الحراك والصحفيين المستقلين وحتى المواطنين العاديين المنتقدين للنظام على الشبكات الاجتماعية، إلى جانب الفصل التعسفي من العمل أو مساعي استقالة وشراء ذم أعضاء نشطين في الحراك.

كان بالإمكان أن تشكل محنة جائحة كوفيد-19 فرصة لتعزيز الوحدة الوطنية وإعادة النظر في خارطة الطريق غير الواقعية التي يتشبث بها النظام، أو على الأقل تخفيف حالة التوتر القائم بإجراءات تهدئة، خاصة وأن الحراك قد تحمّل مسؤوليته الوطنية من خلال إعلانه من جانب واحد عن هدنة صحية، لكن، على العكس من ذلك، فضّل النظام، مثله مثل الديكتاتوريات الأخرى في العالم، استغلال الوضع الصحي للقضاء على شعلة الحراك، من خلال استيلائه على سلطات جديدة تقيد الحريات المدنية والسياسية الأساسية، وكذلك مضاعفة طرق مراقبة الشعب، مع استمرار المحاكمات والاعتقالات التي طالت نشطاء الحراك والصحفيين، والقيام في الوقت نفسه بتعديل قانون العقوبات الجزائي لتقييد حرية التعبير بحجة ضمان أمن الدولة والنظام العام، كما

تمّ حظر وسائل الإعلام الالكترونية المناصرة للحراك. وبالتوازي مع موجة الاعتقالات والمضايقات وكنتم الأصوات الناقدة، كثّف النظام من حملاته الدعائية الهادفة إلى تشتيت صفوف الحراك وإضعاف معنوياته والتشويش عليه واستنزافه، من خلال عمليات تضليل وتشهير متكررة ضد حركة المواطنين المناضلين من أجل التغيير وتشويه سمعة الشخصيات المؤثرة فيه. في هذا السياق المتميّز بالتهجّم السياسي واسع النطاق ضد الحراك، تمّ نشر كتاب أحمد بن سعادة بعنوان "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟".

إن هذا الكتاب الذي شارك في تأليفه مجموعة من الباحثين، هو مساهمة تحليلية تندرج في إطار جهد أكبر يروم الدفاع عن الحراك ضد حملة التشويه الشرسة والطعن المنسقة التي يتعرّض لها. يقال إنه أثناء الثورة يجب التركيز وتجنّب تشتيت الانتباه، واختيار المعارك بدلاً من الرد على جميع الاستفزازات والهجمات، فلا بد إذن من اختيار المعارك الهامة لتحقيق الهدف المتوخى، والمحدودة لكي يكون لها تأثير. وهذا أول سبب لاختيارنا القيام بتحليل أكاديمي لتفكيك ما جاء به كتاب بن سعادة، الذي قدمته الكتاب الإعلامية للنظام كإنتاج بحثي أكاديمي في حملتها الدعائية ضد الحراك. السبب الثاني هو أن المقالات القليلة التي تطرّقت إلى الكتاب بشكل نقدي لم تقدّم دحضاً موضوعياً مباشراً للادعاءات الرئيسية التي تضمنها الكتاب. والسبب الثالث هو أنّ معظم الأشخاص والكيانات المستهدفة من الادعاءات الواردة في هذا الكتاب، كان ردّهم إما بالتزام الصمت، أو بموقف التحفظ تحسباً لرفع دعوى تشهير ضد صاحبه بالنسبة لبعض المعنّين، أو ربما بدافع الترفع عن الخوض في الموضوع بالنسبة لآخرين. لكن إذا كان يمكن اعتبار هذا الصمت كعلامة على التعفف والنأي بالنفس، وبمثابة الرد الأسلم على من يستخدم القذف، فما لا شك فيه أنّ المروجين للكتاب يعتبرون ذلك اعترافاً ضمنياً ونصراً محققاً، في حين أنّ السماح بأيّ ذرة انتصار للدعاية العدائية للنظام يتناقض جوهرياً مع روح المقاومة اللاعنفية المنتهجة من قبل الحراك.

إنّ الدفاع عن الحراك ضد اتهامات بن سعادة لا يعني بأيّ حال من الأحوال، كما يدّعي هذا المؤلف، أننا نتبنّى تصوّرًا "تأليهيًا" له. إنّ الدفاع عن الحراك يتوافق مع تصوّر واقعي لنقاط قوته وضعفه، والدليل أنّ داخل الحراك نفسه، يُنتقد ضعف نجاعته، وانسياقه إلى تكرار مظاهرات الجمعة والثلاثاء، وعدم قدرته على تخيّل أو تطبيق أشكال احتجاجية استراتيجية جديدة من شأنها أن تكثّف، بشكل سلمي وتدرجي، الضغط على نواة النظام لإرغامها على التفاوض بشأن انتقال ديمقراطي حقيقي.

وفي قلب الحراك نفسه يجري نقاش نقدي مستمر آخر، بين من يرفض أي شكل من أشكال التفويض أو التمثيل خوفًا من احتواء أصحابه، واستمالتهم من قبل جهاز البوليس السياسي، المتمرس في مثل هذه الأساليب والمناورات، وبين من يطالب بإبراز ممثلين عن مختلف شرائح الحراك لتوجيه طاقته وتركيزها في عمل منظم وبالتالي الإسراع في اتجاه حلّ الأزمة التي يسبّب طول أمدّها تعريض البلاد لمخاطر كبيرة، من الانسداد الاقتصادي إلى شتى أساليب التلاعب، ومن الانجراف غير المحمودة عواقبه إلى الانهيار. وبين هذين الطرفين، ثمة طرف ثالث يدافع عن حلّ وسط، يقضي بتحقيق أشكال من التمثيل التي تستجيب لمخاوف كلا الطرفين.

وداخل الحراك هناك أيضًا نقاش حاسم ونقدي بين الذين يدافعون عن الحوار الأفقي الشامل قبل المفاوضات الرأسيّة، وبين الذين يدعون إلى العكس، وطرف ثالث يدعو إلى طريق وسط.

وبالتالي يتّضح أنّ الدفاع عن الحراك في هذا الكتاب لا يفترض تقديس الحراك، بل يستند إلى فهم واقعي لمشاكل الجزائر السياسية وإلى ضرورة الرد على الظلم الذي يشوه هذه الهبة الوطنية الكبيرة بتصويرها على أنها حركة تتلاعب بها أيادٍ أجنبية.

يضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات المستقلة تبحث وتحلل كتيب بن سعادة من زوايا مختلفة، وجميع المساهمين بهذه المقالات أكاديميون جزائريون منخرطون في الحراك.

ينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء. يتألف الأول من ثلاثة مقالات مخصّصة للنقد الجوهري لمحتوى كتيب بن سعادة.

المقال الأول "العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ"، بقلم يوسف بجاوي، يتناول كتيب بن سعادة من منظور معرفي ومنهجي. تهتم كل من نظرية المعرفة وفلسفة العلوم بنظريات المؤامرة منذ عقود من الزمن لتحديد عيوبها المعرفية والهفوات المنهجية التي تميّزها. تستند هذه الورقة إلى هذا الخزان المعرفي لتعقب العيوب المعرفية والأخطاء المنهجية في النصوص التأميرية لبن سعادة. وتجدر الإشارة أن كتاب بن سعادة ليس الأول من نوعه وليس مستغرباً، فكلنا يتذكّر بداية الحراك عندما ادعى الشاعر محمد جربوعة أنّ الحراك كان يقوده البربريست، والدولة العميقة وفرنسا. في الحقيقة، تشكّل نظريات المؤامرة جزءاً لا يتجزأ من الثقافة السياسية السائدة في منطقتنا وبلدنا. وبعد شرح هذا الجانب من الموضوع، يحلّل المقال نظرية المؤامرة لدى بن سعادة كتعبير سياسي، ويبيّن أنّ خطابه يندرج ضمن حملة دعاية تسعى إلى إضفاء الشرعية على السياسة الحالية لصناع القرار العسكريين ضد الحراك.

في الورقة الثانية، "زيغان لوني"، يضع نفس المؤلف جانباً الحجج والبناء التأميري لدى بن سعادة ليفحص أساس الأطروحة التي تزعم بأنّ ثورات "الربيع العربي" والحراك الجزائري ليسوا أكثر من ثورات ملوّنة، وذلك في ضوء ما يمكن استخلاصه من دروس العلوم السياسية حول الظواهر الثورية ومقارنتها. وبعد التذكير بالثورات الملوّنة، لتصحيح الروايات المشوّهة التي ينسجها بن سعادة عنها، تطرح هذه المقالة مقارنة لأوجه الشبه والاختلاف - في عدة جوانب منها أشكال الاحتجاج - بين مجموعتي الأحداث، ثم تسلط الضوء على وجود مجموعة من الاختلافات البارزة والمهمة التي تستبعد أيّ تطابق بين مجموعتي الثورات. وثبتت المقالة أيضاً أن بن سعادة يستخدم بشكل خاطئ مفاهيم الاستمرارية أو الامتداد - لربط "الربيع العربي" والحراك الجزائري بالثورات الملوّنة - من خلال تقديم حقيقة بسيطة، تتمثل في

تباعدهما المكاني والزمني. يدّعي بن سعادة أن الانتفاضات العربية والحراك الجزائري هم نتاج أفكار احتجاجية - منها نهج اللاعنف - مهندسوها مرتزة دوليون مختصون في مجال تغيير الأنظمة، يعملون لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، في حين يكفي إلقاء نظرة عامة على العمليات المعقدة لانتشار الأفكار والممارسات الاحتجاجية وتكييفها محلياً أو توطئتها، وكذلك تاريخ النضالات السياسية والاجتماعية لشعوب منطقتنا، ليتبين أن هذه المزاعم ليست أكثر من صورة كاريكاتورية مخيفة عن الواقع.

"اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟"، المقالة الثالثة لعباس عروة، تتصدّى لهذه المزاعم من زاوية مختلفة، ثقافية هذه المرة. هذه المقالة تسلّط الضوء على التطوّر في مجال الأفكار والممارسات اللاعنفية التي ميّزت الاحتجاجات في منطقتنا، وتحيلها إلى ثلاثة أسباب. أولاً، عامل ثقافي أساسي، يتمثّل في تجذّر اللاعنف في ثقافتنا، تشجّع في ذلك التعاليم الإسلامية وممارسته عبر تاريخنا الإسلامي. ثم التجربة المؤلمة للحرب القذرة في الجزائر التي أثّرت في المنطقة بأسرها وساعدت على تبني المقاربة السلمية للانتفاضات خلال "الربيع العربي". إنّ نجاح اللاعنف في تونس ومصر من جهة، والتكاليف الكارثية للعنف السائد في ليبيا وسوريا واليمن، من جهة أخرى، ساهم بدوره في ترسيخ داخل الوعي الجماعي ضرورة نبذ العنف والتدخل الأجنبي. لم تعد أسطورة الثورات المسلّحة وبريقها تجتذب كثيراً الأجيال الجديدة التي لا تقيّم مسار العنف فقط من حيث شرعيته ومشروعيته، لكن أيضاً من حيث تكلفته البشرية والاقتصادية، فضلاً عن مساءلة مدى فعاليته في إحداث التغيير. ثالثاً، في سياق العولمة الثقافية المتسارعة بفعل انتشار وسائل الاتصال، أصبحت النضالات السياسية والاجتماعية في منطقتنا تؤثر وتتأثر بالأفكار والممارسات المعارضة في بقية العالم.

يضم الجزء الثاني من الكتاب مجموعة من المقالات المخصصة لتسليط الضوء على شخص بن سعادة وكذلك على ماجد نعمة وريشار لايفيار، الأول كتب تصديراً للكتاب، والثاني خاتمة.

مقالة "الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية"، لمحمد دوجة، تشمل جانين، الأول يبحث فيه المؤلف كيف يمكن لنعمة ولايفيار إضفاء تركية فكرية لأطروحة بن سعادة، وتعزيز مكانته الفكرية من خلال سمعتها، وما يكتشفه دوجة هو أنها بدلاً من تعزيز هذه المكانة، فهما يسهمان في واقع الأمر في سحبها إلى الأسفل. إنّ ما يجمع بين مجموعة الثلاثة هي عضويتهم جميعاً في المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية (CIGPA). علاوة على ذلك، يبيّن المؤلف أن نعمة، الذي يدير مجلة Afrique-Asie التي يمولها نظام الجنرالات، هو المثال النموذجي للمثقف المرتزق، الذي يتبنّى أي قضية يكون صاحبها مستعداً لدفع المقابل، أما لايفيار، ضابط الاحتياط في الجيش الفرنسي، فهو يعمل ببساطة لمصالح بلاده. لا يخفي الثلاثة انتقادهم العلن للإمبريالية الأمريكية، لكنهم يشتركون جميعاً في غض الطرف عن التدخل الفرنسي في منطقة الساحل، على وجه الخصوص، أو في ما يخص علاقة ما يُعرف بـ "فرنسأفريقيا" (Françafrique) بشكل عام. ثم يدرج دوجة عملية تسويق كتيب بن سعادة التأمري في إطار أوسع، ويشرح كيف يمول النظام الجزائري خبراء مرتزقة وصحفيين وعلماء سياسيين ومشاهير ورياضيين وفنانين من الخارج لخدمته والدعاية له. وفي الجزء الثاني، يقوم دوجة بتسريح جوهر أطروحة بن سعادة التي تزعم بأن الولايات المتحدة الأمريكية تخطط لثورة ملوّنة في الجزائر لاستبدال النظام القائم بإسلاميين. ولا تترك مراجعته الشاملة والمدققة للعلاقات الجزائرية الأمريكية أي مجال للشك حول تهاوة وزيف ما يدّعيه بن سعادة وداعماء المثقفان.

المقالة الثانية من هذه الثلاثية، بعنوان "تشبيك أيديولوجي وسياسي" للمؤلف موسى بن محمد، تحاول رسم بعض ملامح البيئة الأيديولوجية والسياسية لبن سعادة.

وفي هذا الإطار يفحص ثلاثة مجالات. في الشق الأول، يشير بن محمد أولاً إلى أحد تفاصيل السيرة الذاتية لبن سعادة، الناشئ عن "الحرب القذرة" الجزائرية ويعلّق على أنشطته داخل كوكبه التأمري في كندا. ثمّ يتفحص العلاقة العضوية الأولى، التي تربط بن سعادة، بصفته عضواً في "فريق بحثي" بالمركز الفرنسي للأبحاث في مجال الاستعلامات (CF2R)، الذي يديره إريك دينيسي (Eric Denecé)، وهي نفس الهيئة شبه التجسسية التي تعاونت معها سعيدة بن حبيلس منذ سنوات. وثّمت الإشارة أيضاً إلى بعض أوجه التعاون بين بن سعادة وبن حبيلس داخل مركز CF2R.

في المجال الثاني، يسلّط بن محمد الضوء على مركز CIGPA حيث يتولّى بن سعادة العضوية في هيئاته التحريرية ويمثّل المركز في مونتريال. ويقع مركز الأبحاث هذا، الذي يرأسه التونسي المازري حداد، أحد أقطاب المناهضين للثورة، علاقات مع كبار المسؤولين السياسيين والأمنيين الفرنسيين والأجانب. أما في فرنسا، فيروّج هذا المركز لسياسة أمنية يمينية متشدّدة، تنتهك حقوق المواطنين المسلمين المستهدفين أصلاً من سياسة التمييز ضدهم. إلى جانب ذلك ينشر هذا المركز البحثي، بقوة وإصرار، الأفكار المناهضة للتغيير في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، من خلال أيديولوجية "التحالف الإسلامي الأطلسي" التي تتناغم تماماً مع نظرية المؤامرة لبن سعادة ضد الربيع العربي والحراك الجزائري. وتشنّ العديد من الأعمال والندوات التي ينظمها هذا المركز الفكري هجوماً ضد النفوذ التركي في الشرق الأوسط. كما تعكس توجهات مركز CIGPA وأنشطته، التقاطع الواضح بين أيديولوجية مؤسسه ومخاوف فرنسا الرسمية المدعورة من انبعاث جديد للشعوب المغاربية والعربية والأفريقية وتنامي القوة التركية. وتجد توجهات هذا المركز الفكري دعماً من خلال قربه من مركز دراسات إماراتي تابع لمحمد دحلان، الملقب بـ"بيتبول" شيخ البترول محمد بن زايد، الراعي جزئياً لمركز CIGPA.

يبحث المجال الثالث في بعض جوانب التأثير الإماراتي، ليس على بن سعادة مباشرة، بما أنه لا يوجد على ما يبدو أيّ رابط مباشر يوحى بذلك، ولكن تأثير فعلي

على شبكات العلاقات التي يدخل في إطارها كل من CF2R و CIGPA، دائماً بهدف تسليط الضوء على الجوانب غير المكتشفة للحاضنة الأيديولوجية والسياسية التي ينتمي إليها بن سعادة.

تحقيق بن محمد يكشف عن جانب غير معروف لبن سعادة، يمكننا من خلاله نسج رواية جديدة مضادة لنظريته التأميرية، هزلية إلى حدّ ما، جانب يشبه كثيراً قصة "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها"، فكلّ الحجارة التي ألقتها بن سعادة على غيره ترتدّ إليه، بما يفرض عليه تقديم توضيح لجمهوره ومجموعة المفتونين به الذين احتفوا به، وروّجوا له صورة المثقّف الكبير. غير أنّ دور المثقّف، بحسب إدوارد سعيد، هو قول الحقيقة للسلطة، الأمر الذي يقتضي منه أن يكون متحرراً عنها وبعيداً عن تأثيرها وأن ينأى بنفسه عن جماعات وشبكات النفوذ.¹ كما أنّ مهمة المثقّف، فضلاً عن دور الحارس لأُمته، وفقاً لتوصيف الشيخ محمد بشير الإبراهيمي، تتمثّل حسب الفيلسوف ميشيل فوكو في "محاربة جميع أشكال السلطة حيثما كان [المثقّف] غرضها وأداتها: في سياق المعرفة والحقيقة والضمير والخطاب".²

المقال الأخير في هذا القسم "سيقبا: مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية" بقلم صدوقية بن عكنون، يكمل المقالة السابقة بتركيزه حصرياً على مركز الأبحاث CIGPA. مؤلفة المقال تحلّل بعناية البيانات المتعلقة بمهام المركز وأهدافه وقيمه، بالإضافة إلى مقالاته وتقاريره ومؤتمراته. وعلى عكس الادعاءات المعلنة، يعمل هذا المركز كشركة اتصال أكثر من كونه مركزاً لإنتاج الأفكار والتفكير الموضوعي، حيث تُنشر إصداراته غالباً عن طريق المؤتمرات، من قبيل "خبراء" ينتمون في معظم الأحيان إلى عالم السياسة والأمن الفرنسي، من سفراء سابقين ووزراء سابقين ومسؤولين سابقين في المخابرات ونواب. توضح بن عكنون عن طريق الأمثلة المسافة الشاسعة بين الادعاءات الأخلاقية لمركز CIGPA وأخلاقياته المتقلّبة بحسب الظروف، وتختتم المؤلفة مقالها بطرح سؤال على بن سعادة:

مقدمة

هل يُمكننا أن نتم حركة شعبية أو منظمة بأنها أداة للأمريكيين، عندما يكون "توجّسنا" تجاه حركات الاحتجاج ضد الديكتاتوريات العربية مشابهاً تماماً ومتطابقاً مع توجّس مؤسسة فكرية موجهة أيديولوجياً وسياسياً لخدمة السياسة الخارجية الفرنسية؟

يقتصر الجزء الثالث من هذا الكتاب على مقال واحد يتناول كتيب بن سعادة من منظور إعلامي. يرسم المقال بعنوان "صناعة اليد الأجنبية، مثقّف في خدمة الحراك المضاد" لخلوف لعريوي، السياق السياسي والإعلامي المقيد للحريات الذي صدر في إطاره هذا المنشور. تُذكر المقالة أولاً ببعض أساسيات الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام في الدولة والترسنة القانونية التي تحكمها، قبل أن تصف بالتفصيل كيف تمّ إطلاق هذا المنشور والترويج له في وسائل الإعلام. وتُظهر مقالة لعروي القصيرة بشكل وافٍ أن التغطية الإعلامية لكتيب بن سعادة ليست أكثر من مناورة محبوكة للإسناد الأكاديمي لأسطوانة "اليد الأجنبية" المشروخة.

أما الجزء الرابع والأخير من هذا الكتاب، فيتناول ردود الفعل على الادعاءات المحدّدة، التي أطلقها بن سعادة لدعم أطروحته التأميرية. ويجمع هذا الجزء خمسة نصوص. "القذف في ظل الحماية الشخصية"، عبارة عن استشارة قانونية موجزة للمحامي سفيان تلمساني، يناقش فيها كيف يمكن أن تشكّل تصريحات بن سعادة جرائم قذف، بموجب قانون العقوبات الجزائري. ويعزو مؤلف المقال عدم أكثر من سعادة ودار النشر "أييك" (APIC) لخطر التعرّض للمقاضاة بتهمة التشهير إلى يقينها من ضمان الإفلات من العقاب الذي توقّره لها السلطة القائمة، المستفيدة الرئيسية من هذا المنشور.

البقية عبارة عن مجموعة من أربعة نصوص، سبق نشرها من قبل أصحابها، سواء كانوا أشخاصاً أم منظمات، في شكل ردود على اتّهامهم من قبل بن سعادة، عند كتابة قصته التأميرية التشهيرية. وكانت هذه النصوص هي الوحيدة المتاحة للجمهور، سواء في

الصحف أو على مواقع الأنترنت، التي تمكّنا من إحصائها حتى الآن، مع الإشارة إلى أننا لم نهتمّ في إطار هذا العمل بالمواقف التي ربّما عبّر عنها البعض بهذا الشأن، على وسائل التواصل الاجتماعي. وكان بوّدنا التواصل مع الأشخاص والمنظمات الجزائرية المتّهمة في هذا الكتاب بالتآمر، لنقل مشاعرهم ومواقفهم وربما ردود أفعالهم، لكن المواعيد النهائية للنشر التي تمّ تحديدها حالت دون ذلك.

"سأرفع شكوى ضد المؤلف ودار النشر" هو عنوان مقابلة مع لهواري عدّي، تمّ نشرها على موقع Reporters.dz، يرد فيها عدّي على فحوى الادعاءات الموجهة ضده. ويفتدّ عدّي بتصريحات بن سعادة بشأنه ويفكّك بعض الجوانب السياسية في أطروحة الكاتب، ويعلن كذلك نيته مقاضاة المؤلف ودار النشر.

نفس الصحيفة الالكترونية نشرت مقابلة مع زبيدة عسول بعنوان "لا حق لأحد في قياس وطنية الجزائريين" ونحن بدورنا نعيد نشر المقابلة. وتفسّر عسول الإعلان عن الكتاب في الإذاعة العمومية، قبل ستة أشهر من صدوره في السوق، على أنه "تكليف بمهمة" من أجل "أغراض خفية". وتردّ عسول بإيجاز على لقب "القادة" الذي يشملها به بن سعادة في كتيبه وعلى بعض المزاعم المتعلقة بها، وهي أيضًا تحتفظ بحقها في رفع دعوى قضائية ضد مؤلف الكتاب.

سبق أن نشرت منظمة الكرامة الحقوقية نصّا على موقعها بعنوان "منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب" تناولت فيه بالتفصيل الاتهامات الموجهة إليها في الكتيب. ويشرح منشورها من هي الكرامة، وما يلصق بها كذبًا وبهتانًا، ثم تبحث بشكل مباشر في الوصمة التي يستخدمها الكاتب تهكمًا ضدها عندما ينعتها بالمنظمة "المرتدية رداء الدفاع عن حقوق الإنسان" وكذلك مزاعمه حول التمويل والإرهاب وعلاقتها بحركة رشاد. كما يشير نص المقال إلى أنّ خطاب بن سعادة يتناغم مع خطاب المنظرين الشعبويين والدول الشمولية الذين يشوّهون سمعة المدافعين عن حقوق الإنسان،

مقدمة

ويقوِّضون بذلك الجهود التي يبذلها هؤلاء لتنوعية الناس حول احترام الحقوق والحريات الأساسية.

ويختتم الجزء الأخير من هذا الكتاب بإعادة نشر مقالة "رشاد ضمن الحراك" لأمانة حركة رشاد المنشور على الصفحة الإلكترونية لهذه الحركة. تقدّم رشاد - التي تتعرّض منذ مايو الماضي لحملة إعلامية شرسة بدون هوادة، بتنسيق من جهاز البوليس السياسي - في هذا المنشور طبيعة مهامها ورؤيتها وقيمتها، قبل أن تعرض مواقفها من اللاعنّف، والإسلام والإسلاموية، والجهة الإسلامية للإنقاذ، والهوية الوطنية والعلمانية، وتصورها للسيادة، وعن تمويلها، مع التوضيح أن هذا المنشور من حركة رشاد لم يصدر كردّ مباشر بأنّ معنى الكلمة، على هجمات بن سعادة، لكنه يتناولها كونها تشكّل جزءاً من الموضوعات الرئيسية لحملة التضليل التي تتعرّض لها من قبل السلطة.

حتى وإن كانت هذه الأجزاء الأربعة من الكتاب تغطي عدداً من المنظورات المكمّلة لبعضها البعض، إلا أنها غير شاملة ولا تغطيها جميعاً بأيّ حال من الأحوال.

كان بإمكان تسليط الضوء على ما جاء في كتيب بن سعادة، من منظور نفسي، أن يفيد ويقدم إسهاماً ثميناً، يضاف إلى الجوانب الأخرى التي تناولتها هذه المقالات، لكن المواعيد النهائية المحددة للنشر فرضت التخلي عن هذه المساهمة في الطبعة الحالية. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الأشخاص الذين تجتذبهم نظريات المؤامرة يشتركون فيما بينهم في مجموعة محدّدة من السمات النفسية،³ وبالتالي فإنه من المثير للاهتمام تحليل نصوص بن سعادة من هذه الزاوية.

تعرض نصوص بن سعادة على أيّ حال نظاماً عقائدياً نهائياً مفصّلاً فيه لا يقبل أيّ نقاش، حيث تتجمّع الأفكار دون تجانس منطقي يربطها، ومكثال على ذلك، نجد أنّ نصوصه تنزع الشرعية عن الحراك من خلال تصويره على أنه "ثورة ملوّنة" تتلاعب بها الولايات المتحدة الأمريكية، لتنصيب الإسلاميين في السلطة، لكنه في الوقت نفسه يقول إنه "يسانّد الحراك بشكل أساسي".⁴ ولا يشك أحدٌ في أنّ نصوصه السياسية

حول الانتفاضات في المنطقة مكرّسة لإطرح نظريته حول المؤامرة - وإذا أخذنا في الاعتبار أننا لم نر له نصوّصًا تدرس أو توثّق، على سبيل المثال، انتهاكات حقوق الإنسان، والانقلابات، والطابع العسكري / المخابراتي للديكتاتورية في الجزائر أو في أيّ مكان آخر في العالم العربي، ولا عن تبعية العدالة ووسائل الإعلام لنظام الحكم، أو ببساطة فساد الدولة العارم، وهي كلها قضايا تتصدّر اهتمامات الحراك - فلا يمكن للمرء أن يرى في بعض جملة المنتشرة والغريبة التي تزعم دعم الحراك، وسط أمواج متلاطمة من نسيج خطابه التأمري، أكثر من كونها أقوال ممّقة، ونوع من التهرّب و"إبراء الذمة من المسؤولية" لتبرير رسالته بشكل أفضل.

مثال آخر: يبدو أن بن سعادة يدرك أنه من غير المقبول أخلاقياً الحديث عن طابو، الذي كان مسجوعاً وقت نشر الكتيب، عندما يقول إنه "من غير اللائق تناول قضيته في هذا السياق"⁵. لكنه من ناحية أخرى، يذكر طابو سبع مرات على الأقل، بين المجرمين المفترضين الذين يزعم أنهم تآمروا مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد بلدهم.⁶

المثال الأخير: نجد من ناحية أنّ نصوصه تذكر على وجه التحديد عدداً من الشخصيات والجمعيات السياسية باعتبارهم عملاء يتآمرون مع الإدارة الأمريكية ضد الجزائر، أيّ خونة، لكنه في نفس الوقت يدّعي أن كتابه "لم يكن يهدف إلى اتهام هذا الشخص أو ذاك"،⁷ وأنه "لا يقصد بأيّ حال من الأحوال أن يكون كتابه عبارة عن لائحة اتهام ضد أشخاص"،⁸ حتى وإن صرّح على أمواج الإذاعة الوطنية بقوله "أنا لا أهاجم إلا من يقود الحراك في اتجاه تريده أجندة خارجية".⁹

في مجال السلوكيات، تشبه هذه المناورات إلى حدّ كبير عملية التلاعب النفسي (التحويل المعرفي) حيث يعمل المناورون على إدخال الريب في نفوس ضحاياهم وجعلهم يشكّون في ذاكرتهم وإدراكهم وعقلهم.

من المهم أيضاً تحليل نزعة التشكيك العدمي التي ينطلق منها بن سعادة لرسم صورة مستهدفيه، وكيف يوفّق بين النقيضين، بين من جهة، شكواه من أنّ نصوصه تتعرّض

للحصار والتجاهل، ومن جهة أخرى ادعاءاته بأنّ منتقدي أطروحته مدفوعون بالشعور بالذنب كونهم متورّطون في المؤامرة المزعومة، أو عدم قدرته على الاستماع إلى أيّ انتقادات له، وإحالتها تلقائياً إلى الهجمات الموجهة إليه شخصياً، التي يستخدمها هو نفسه أحياناً، بحسب المرتبة التي يشغلها المستهدف لديه في سلم الإنسانية.¹⁰

من المفيد أيضاً تحليل استخداماته لأسلوب المأزق المزدوج (double bind)، بحيث يجعل من مستهدفيه مذنبين في كل الحالات، مذنبين إن التزموا الصمت ومذنبين أيضاً إذا ردّوا على اتهاماته. فهو من ناحية، يّتهم وسائل الإعلام التي لم تولّ كتيبه اهتماماً ولم تعلق عليه، بأنها تسعى من بين أمور أخرى إلى "حماية أشخاص محدّدين"، لكنه من ناحية أخرى يعتبر أنّ منتقديه هم "أشخاص أو جماعات يشعرون أنهم مستهدفون" من تصريحاته، أو "أنهم متورّطون حقاً في أجندات ليست [...] في مصلحة البلد"، انتقادات يرسمها أيضاً في صورة "سمك سردين مبهور بضوء سفينة صيد"، في إشارة إلى كتيبه.¹¹

وفي سجل التسميم، لجوء بن سعادة إلى انتحال هوية شقيقه، الذي قُتل أثناء الحرب القذرة في التسعينيات، في ردّه على أحد منتقديه، قد تحتاج إلى شيء من البحث والتدقيق. وقد شبّه ساطور هذا الأسلوب لبن سعادة بالسحر الأسود!¹²

أخيراً، هناك منظور آخر، بأبعاد ثقافية، كان يمكن الاستفادة منه لتسريح مفردات نصوصه التي تطنّي عليها العقلية التأميرية بشأن الثورات. هنا أيضاً توجد ثنائيات وتباينات مذهلة تتطلّب الاستكشاف. من جهة يستخدم بن سعادة خطاباً وجيهاً حول الاستعمار الجديد والاعتراب الثقافي الذي يميّز أقلية فكرية في الجزائر معادية للإسلام ومُتصهينة، لكنه، من جهة أخرى، يبدو غير قادر تماماً على إدراك الأنماط الثقافية التي تشكّل أسس نظريته للمؤامرة. هل تمثيل مجتمعاتنا الكامنة في نظريته للمؤامرة يعكس الأعماق الثقافية لمنطقتنا؟ وفي أيّ سياقات تاريخية وثقافية تمتدّ جنور خطابه حقاً؟

سبق للعديد من الدراسات لما بعد الاستعمار أن تناولت هذا الموضوع،¹³ مع العلم أن ما يُطلق عليه هنا، لأغراض هذه المقدّمة، اسم نظرية مؤامرة لبن سعادة، هو تجاوز في استخدام اللغة، أو بالأحرى سوء استخدام للمصطلحات، لأنّ جوهر هذه النظرية سبق أن طرحه الصحفيون الغربيون منذ بداية "الربيع العربي".¹⁴ ولا يزال سرد الرواية الغربية للعالم العربي مشبّعاً بنظرة المستشرقين وتصوّره لعالم شرقي يئنّ في براثن استبداد سلطاني خطير، فوضوي وعنيف، هذا عندما لا يصوّرونه في حالة ركود وخمول سلبي عديم الفعالية، ينتظر المساعدات الغربية التي تمكّنه من التغيير الذي ينقله إلى ضفة التقدّم والحداثة.¹⁵

عندما اندلعت الانتفاضات في دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط، سرعان ما عاد الخطاب الغربي لينهل كعادته من هذه الصياغة (framing) الاستشراقية ويعيد إنتاجها. بدأ الصحفيون وكتاب الأعمدة التلويح بأنّ اللاعنّف في الثورتين التونسية والمصرية يقف وراءه أشخاص تدرّبوا على أساليب العمل اللاعنفي في الولايات المتحدة الأمريكية وتشبّعوا بأفكار جين شارب.¹⁶ وذهب البعض منهم إلى التذكير بأنّ قوة التكنولوجيا الغربية (الإنترنت، وتكنولوجيا الإعلام الفضائي، والشبكات الاجتماعية) هي التي لعبت الدور المركزي في هذه الثورات، بينما أحال آخرون الفضل في هذه التحديّات إلى المُثل الديمقراطية ومبادئ الحداثة الغربية التي عملت بعمق داخل المجتمعات العربية. وحسب فنتورا، فإنّ عامة الجمهور الغربي اعتبر هذه الثورات ليس "محاولات للتحديث فحسب، بل أيضاً للقفز إلى منظومة المعايير والقيّم الغربية".¹⁷

وقد أصاب شحادة كبد الحقيقة عندما أشار إلى أنّ:

مثل هذه التصورات الاستشراقية وجدت أصداءً أيضاً في نفوس بعض العرب والمسلمين أنفسهم، المسكونين بنوع بالاستشراف الذاتي، الذين [...] لا يؤمنون بقوة الشعوب العربية في رسم تاريخهم بأنفسهم، ويعتقدون أنّ تاريخهم يجب أن يصنعه الآخرون، وذلك بسبب ضعفهم، أو بسبب قوة الغرب وتقنياته. وبالتالي، فإنّ

مقدّمة

الثورات في العالم العربي، من وجهة النظر هذه، ليست سوى صنعة الغرب (الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وإسرائيل).

ويمكن أن نرى هنا كيف يعكس هذا الاستشراق وذاك الاستشراق الناقى، نظرية المؤامرة، خاصة عندما لا تشكك نظرية المؤامرة في الرواية الرسمية، بل تؤكدها وتدعمها. إنّ ما تبرزه نظرية مؤامرة كهذه، التي تشبه الاستشراق بالنسبة إليّ، شيئان: غياب دليل واضح يسند مثل هذه الاستدلالات من جهة، وإهمال الأدلة المناقضة لها، من جهة أخرى، بحيث تتجاهل مثل هذه النظريات الأمثلة العديدة في التاريخ، التي تظهر فاعلية العرب وقدراتهم على تحديّ الهيمنة الأجنبية ووكلاءها المحليين، كما حدث في فلسطين ولبنان ومصر والجزائر والعراق وفي أماكن أخرى.¹⁸

يُظهر نقد ما بعد الاستعمار في الخطاب الغربي حول "الربيع العربي" بوضوح أن نظرية المؤامرة التي يتبنّاها بن سعادة هي في الواقع نسخة طبق الأصل من خطاب المستشرقين الذي يجرّد مواطني منطقتنا، ومنهم الجزائريون، من فاعليتهم، ليعيد تحويلهم إلى أشياء (أدوات جامدة) في التاريخ الغربي. إذا تمردوا بالقوة ضدّ الأنظمة التابعة للإمبريالية الغربية، فهم إرهابيون عنيفون غير قادرين على التحضّر، وإذا انتفضوا ضد الاستبداد من خلال اللاعنف، فهم مقلّدون لغيرهم أو دُمى يجرّكها الغرب، وأخيرًا، إذا لم يتفاعلوا مع الوضع واستمروا في سلبيتهم، فإنهم يظلّون النسخة طبق الأصل للشرقيين غير المبالين الخامدين، وغير القادرين على المبادرة التاريخية، والتأهين في خلفية فضاء يواصل فيه تاريخ الغرب تقدّمه.

إنّ الاضطهاد لا يجسّد نبوءة ذاتية التحقق للعجز إلا إذا استسلم له المرء، أمّا الشعب الجزائري فهو يرفض الاستسلام للاستعمار الجديد التاريخي والذهني الذي يودّ أن يقبره تحت ركام دوامات العجز واليأس.

إنّ الحراك الذي انطلق في عام 2019 هبّة وطنية ضدّ "مجموعة المستغلّين الملونين الذين ينهبون ثروات البلاد على حساب بلد بائس" أصبح مجرد "قشّة بين أيدي

قيادات الجيش المتلاعب به بمهارة من قبل خبراء أجنب"19. هذه الحركة، غير المسبوقة منذ الاستقلال، من حيث سعة نطاقها وقدرتها على الجمع بين الجزائريين، تطمح إلى استكمال تحرير الأراضي الجزائرية بتحرير المواطن الجزائري، وتتطلّع إلى إعادة تأسيس الجمهورية في إطار دولة قانون حقيقية.

إلى أولئك الذين يدّعون دعم الحراك ولكنهم "غير قادرين على التناغم مع الشعب"20 الذي يعتبرونه أقل ذكاءً منهم، سبق أن عبّر الحراكيون وأجابوهم بأنّ اللاعنّف هو من أجل الحفاظ على دماء إخوانهم وحماية بلادهم وجيشهم أيضًا من أيّ تدخّل أجنبي. هذا اللاعنّف هو الذي عزّز أيضًا الصورة الدولية للجزائر، على عكس ما تسبّبت فيه السلطة في العقود الأخيرة التي جعلت من الجزائر "شبحًا جيوسياسيًا" وتريد أن تجعله اليوم شرطياً خادماً للقوى الغربية في منطقة الساحل.

أما الذين "يسكنهم الرعب كلّما خطى الشعب خطوة، أو أعرب عن شكّ وريب، وعند كل اقتراح يقدّمه"،21 فقد أجابهم الحراكيون بالفعل، بأنهم لا يرغبون في استبدال التبعية لديكتاتورية بالتبعية والارتقاء في أحضان "منقذ" أجنبي. إنهم يعرفون أنّ الحرية والديمقراطية ليستا هدايا يمكن أن تنزلها قوى خارجية بمهبطات، لكنهما يتحقّقان بتوفّر شروط ذاتية في أنفسهم، ويعرفون أنّ ما يحجّر المضطّهد داخليًا هو العملية التحويلية الكامنة في نضالهم.

"دولة مدنية، ماشي عسكرية"

"عيب عليكم الاستقواء بالخارج"

الإحالات

- ¹ إدوارد سعيد، تمثيلات المثقف: محاضرات ريث 1993، Vintage، لندن 1996.
- ² ميشال فوكو، Dits et Écrits، (مقولات وكتابات) باريس، Gallimard 1994. المجلد الثاني، ص. 306.
- ³ كارين م. دوغلاس، روبي م. ساتون، وألكساندرا سيشوكا، "سيكولوجيا نظريات المؤامرة"، الاتجاهات الحالية في العلوم النفسية، المجلد. 26 (2017) ص. 538-542؛ دوغلاس ج. أ. أوسينسكي، ر. م. ساتون، أ. سيشوكا، ت. نيفيس، س. س. أنج وف. ديرافي، "فهم نظريات المؤامرة"، التطورات في علم النفس السياسي، المجلد. 40 (2019) ص 35-3.
- ⁴ حسين نفّاح، الدكتور أحمد بن سعادة في L'Expression: "الأمريكيون مؤلّوا المنظمات غير الحكومية الجزائرية"، صحيفة لكسبرسيون، 2 يناير 2020.
- ⁵ المرجع 1 نفسه، ص. 55.
- ⁶ المرجع 1 نفسه، ص. 57، 61، 63، 64، 66.
- ⁷ حسين نفّاح، دكتور أحمد بن سعادة في L'Expression: "هناك طائفة تسير هذا الحراك"، صحيفة لكسبرسيون، 21 يونيو 2020.
- ⁸ لينا كينوش، مقابلة مع أحمد بن سعادة، الأخبار، 4 يوليو 2020.
- ⁹ إمين أ.، أحمد بن سعادة: "بعض المنظمات الأجنبية تريد حرف الحراك عن مساره"، Algérie Eco، 7 يونيو 2020.
- ¹⁰ لينا كينوش، مرجع سابق. حسين نفّاح، "هناك طائفة تسير هذا الحراك"؛ مرجع سابق. حسين نفّاح، "دكتور أحمد بن سعادة في L'Expression: "الأمريكيون مؤلّوا المنظمات غير الحكومية الجزائرية"، http://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=516:2020-06-16-03-01-22&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119 أنظر الشتائم الشخصية من بن سعادة إلى مراد دهبينة في الرسالة الموجهة باسم شقيقه.

¹¹ حسين نفاح، دكتور أحمد بن سعادة L'Expression: "الأمريكيون مؤلّوا المنظمات غير الحكومية الجزائرية"، مرجع سابق؛ أحمد بن سعادة، حرية التعبير في زمان الحراك المبارك، 15 يونيو 2020.

¹² خالد ساطور، هسّرة النقاش حول الحراك: بخصوص "اكتشافات" أحمد بن سعادة، 25 يونيو 2020.

<https://blogs.mediapart.fr/khaled-satour/blog/250620/l-hysterisation-du-debat-sur-le-hirak-propos-des-revelations-dahmed-bensaada>

¹³ ماجد شحادة، كريستينا فليشر فومينايا ولورانس كوكس، "موسم الثورة: الربيع العربي والتعبئة الأوروبية"، Interface، المجلد. 4 (2012) ص 1-16؛ جوفاند خالد عزيز، "المفاهيم الغربية للثورات الشرق أوسطية"، في برنتون كلارك، عادل عبد الغفار، أ. وجيسي مورتيز (دار نشر)، الشرق الأوسط المعاصر: ثورة أم إصلاح، مطبعة جامعة ملبورن، ملبورن 2014؛ جوفاند خالد عزيز، "The Thingified Subject' Resistance"، Middle East Critique، in the Middle East، المجلد. 24 (2015) ص 119-135؛ جوفاند خالد عزيز، "المترّد الشرقي في التاريخ الغربي"، فصلية الدراسات العربية، المجلد. 18 (2015) ص 244-263؛ محمد محمود ولد محمّدو، "الاستشراق الجديد والثورة الإلكترونية: التمثيل الذاتي وما بعد الربيع العربي"، قانون الشرق الأوسط والحكم، المجلد. 7 (2015) ص 120-131؛ ستيفان بورغ، "الانتفاضات العربية، الرواية المتحضرة الليبرالية ومشكلة الاستشراق"، Middle East Critique، المجلد. 25 (2016) ص 211-227؛ بيلى جان براولي ومازار غياي، "سلبى، صامت وثوري: الربيع العربي، رؤية جديّة"، Middle East Critique، Vol. 25 (2016) 299-316؛ لوريلا فينتورا، "الربيع العربي" والصور النمطية الاستشراقية: دور الاستشراق في سرد الثورات في العالم العربي، Interventions، المجلد. 19 (2017) ص 282-297؛ عماد بن العبيدي، "حول تسمية الثورات العربية والروايات الإعلامية المعارضة"، International Journal of Cultural Studies، المجلد. 22 (2018) الصفحات 450-464؛ حنين كيسكس وألكساندر ب.مارتن، الاستشراق والتمثيل الخطابي الثنائي لدمقرطة تونس: الحاجة إلى نموذج "الاستمرارية والتغيير"، المجلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، 2018، 1-20.

<https://doi.org/10.1080/13530194.2018.1544481>

¹⁴ رولا خلف، "مركز اللاعنف الأمريكي درب نشطاء مصريين"، Financial Times، 15 فبراير 2011؛ شيريل جاي ستولبيرج، "Shy U.S. Intellectual Created Playbook Used in a Revolution"، نيويورك تايمز، 16 فبراير 2011؛ تينا روزنبرغ، "ما تعلمته مصر من الطلاب الذين أطاحوا بميلوسيفيتش"، Foreign Policy، 17 فبراير 2011؛ غابرييل كارلايل "Peace, Revolutionary Homework"، News Info، العدد 2534، يونيو 2011.

مقدّمة

- بطبيعة الحال يوجد مقالات كثيرة منذ 2011 حول التدخّل الأمريكي في الثورات الملوّنة في أوروبا وآسيا.
- ¹⁵ إدوارد سعيد، الاستشراق، Penguin Books، لندن 2003 – مرجع فنتورا نفسه؛ ستيفن سلايتا، "تغطية المنظومة الإعلامية الأمريكية للثورات العربية: الرسالة المتناقضة للحدث"، Interface، المجلد. 4 (2012) ص 145-131.
- ¹⁶ المرجع نفسه 14.
- ¹⁷ مرجع فنتورا نفسه.
- ¹⁸ ماجد شحادة، "حول الصعوبة في توقع وفهم الربيع العربي: الاستشراق والمركزية الأوروبية والحدث"، المجلة الدولية لدراسات السلام، المجلد. 17 (2012) ص 70-57.
- ¹⁹ فرانتس فانون، المعذبون في الأرض، طبعة ENAG، الجزائر 1987.
- ²⁰ باولو فريري. بيداغوجيا المستضعفين. Penguin، لندن 2017.
- ²¹ المرجع نفسه.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

فك شفرة كتيب بن سعادة عن الحراك

يوسف بجاوي

-
1. المؤامرة ونظرية المؤامرة والعقلية التأميرية 30
 2. عينة من ضروب الخلل في التفكير في نصوص بن سعادة 32
 - 2.1. التناقض 33
 - 2.2. تعديل المعطيات لتأكيد النظرية 38
 - 3.2. الاستسقاط والحتمية التأميرية 47
 - 4.2. شظايا من الخداع 50
 3. التآمر كدعاية ضد الحراك 53
-

انتهيتُ للتوّ من قراءة كتيب "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"¹ لأحمد بن سعادة. لم أجد شيئاً مثيراً للدهشة، فقد سبق لي أن قرأت بعض "رواياته البوليسية" الباهتة، التي تخوم حول الانتفاضات الشعبية في العالم العربي خلال العقد الماضي. لكن ما يبدو مهمّاً استخلاصه من قراءة كتيبه الأخير، هو أنه يتيح فرصة لعرض لشباب الحراك كيف تفكر العقلية التأميرية.

ولهذا الغرض أرى من الضرورة قبل كل شيء توضيح الفرق بين المؤامرة ونظرية المؤامرة والعقلية التأميرية، ثم سأوضح كيف تتجلى في كتيب بن سعادة أوجه الخلل المألوفة في التفكير الخاص بالعقلية التأميرية، ثم سأذكر بشيء من الإيجاز مكانة العقلية التأميرية في ثقافتنا السياسية، وأخيراً سأقدم قراءة في خطاب بن سعادة المهووس بالعقلية التأميرية، كنوع من أنواع الدعاية الهادفة إلى إضفاء الشرعية على السياسة الحالية لصناع القرار العسكريين ضد الحراك.

1. المؤامرة ونظرية المؤامرة والعقلية التأميرية

لم يكشف بن سعادة عن مؤامرة، بل كلّ ما قام به هو نسج واحدة من نظرياته العديدة للمؤامرة.²¹ ولا بد من التنبيه أن هناك فرق بين المؤامرة ونظرية المؤامرة. المؤامرة أو الدسيسة هي ترتيب سري بين مجموعة من الأشخاص الأقوياء ذوي النفوذ للاستحواذ على سلطة اقتصادية أو سياسية. المؤامرات موجودة حقاً وتحدث باستمرار، نذكر منها على سبيل المثال عندنا في الجزائر اغتيال الرئيس بوضياف أو قضية استيراد أكثر من 700 كيلوغرام من الكوكايين، أو قضية ووترغيت في الولايات المتحدة. غالباً ما يكشف عن المؤامرات الحقيقية الصحفيون الاستقصائيون، بفضل المعلومات المسربة إليهم من قبل المسؤولين أو المبلغين عن المخالفات، أو عن طريق اعترافات المسؤولين السابقين بفعل تأنيب الضمير، أو من خلال التجسس، أو القرصنة المعلوماتية، أو الحصول على مستندات الأرشفة أو الوثائق التي رُفعت عنها السرية، وما إلى ذلك.

²¹ بالمعنى الدقيق للكلمة، إنه مجرد مقلّد، بما أنّ صحفيين أمريكيين قد نسجوا هذه النظريات قبله بوقت طويل. انظر على سبيل المثال شيريل جاي ستولبرغ "Shy U.S. Intellectual Created Playbook Used in a Revolution"، نيويورك تايمز، 16 فبراير 2011؛ تينا روزنبرغ "ما تعلمته مصر من الطلاب الذين أطاحوا بمبلسيفيتش" فورين بوليسي، 17 فبراير 2011؛ غابرييل كارلايل "Revolutionary Homework"، Peace News Info، العدد 2534، يونيو 2011.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

بالمقابل، نظرية المؤامرة هي فرضية تبينية لحدث ما، تقوم - خلافاً للمنطق والتفكير الرصين - بربط حدث معين بتحالف سري مكوّن من مجموعة قوية، باعتبارها السبب والمخطط لذلك الحدث. إنه أمرٌ مألوفٌ وشائعٌ على نطاق واسع في العالم العربي، تداول نظريات المؤامرة التي تربط كل ما يعانيه العالم من مآسي وأزمات بالمحافل الماسونية. ونشهد أيضاً في العالم الغربي انتشار نظريات المؤامرة التي تزعم أنه لا يوجد في حقيقة الأمر أيّ احتباس حراري، وأن اللقاح الفلاني من شأنه أن يسبّب هذا المرض أو ذاك، وأن العلماء يجربون الحقيقة بالتواطؤ مع كبريات شركات الأدوية.

في الاستخدام الشائع، يكمن الفرق بين المؤامرة ونظرية المؤامرة في كون أن المصطلح الأول يشير إلى حقيقة مؤكدة بينما الثاني يشير إلى فرضية حول وجود مؤامرة، وهي فرضية يمكن إثباتها أو دحضها. لكن في العلوم الإنسانية، تعتبر "نظرية المؤامرة" مفهوماً سلبياً ينتقص من قيمة صاحبه، ويشير إلى أن التخمين بوجود مؤامرة يتم على أساس غير عقلاني،^{3,4} وهذا التوجه اللاعقلاني يتضمّن، من بين أمور أخرى، مغالطة منطقية غالباً ما تكون دائرية، تشكيكٌ غير مبرّر في المصادر التي تقوِّض النظرية، مقروناً بوثوق ساذج ومخدّر في المصادر التي تعزّزها، وعدم تقبّل تلقائياً لأيّ دليل مضاد مصحوبٌ بإفراط في تفسير الأدلة لصالح هذه النظرية، وتناقض ذاتي، واستسقاطاً (paréidolie) سياسي يحيل العلاقات والسببيات الوهمية والمشبوهة إلى الأحداث دون فسخ المجال لاحتالية ارتباط من دون سببية أو الصدفة أو التزامن.⁵

وبالتالي، فإنّ العقلية التأميرية هي ذهنية تنطوي على هذه الخلل في التفكير، وعلى أساسها يعتقد صاحبها أو يروج لما يعتقد أنه الأحداث السياسية الكبرى تنجم عن مؤامرة بين الأطراف المعنية القوية. أخيراً، تجدر الإشارة إلى أن المهووس بالعقلية

^أ توهم خاص سببه خلل في الإدراك بحيث يستنبط الإنسان أنماط وقائعية أو صورية أو صوتية في سياق أو خلفية عشوائية تماماً. هناك من يترجمه بالاستسقاط.

التأمريّة غالبًا ما يشعر بأنه ضحية للمؤامرة التي يعتقد أنه يراها، ويرى نفسه في الوقت نفسه بطلًا، يتعقّب المتآمرين الأشرار الذين كشفهم نظريته.⁶

التفكير الطبيعي	التفكير التأمري
تشكيك معقول	اشتباه مهيمن
تقبّل الأدلة	تفسير مفرط للأدلة
البحث عن التجانس	تناقض
↓	↓
مؤامرة حقيقية	مؤامرة وهمية

2. عيّنة من ضروب الخلل في التفكير في نصوص بن سعادة

تختزل العقلية التأمريّة التاريخ في سلسلة من المؤامرات، تمامًا مثلما يفعل بن سعادة عندما يقول في كتيبه أن "النضال اللاعنفي الجاري حاليًا في شوارع بلادنا لا يمثل سوى حلقة من الحلقات المتصلة التي بدأت مع 'الثورات الملونة' واستمرت مع 'الربيع العربي'، يتعلّق الأمر بما أسميته 'ربيع الجزائر'.⁷

باختصار، تدّعي نظرية المؤامرة لبن سعادة، كما هي مبينة في كتيبه، أن الهواري عدي ومصطفى بوشاشي، وزبيدة عسول، وكريم طابو، وقادة في حركة رشاد كانوا في الجبهة الإسلامية للإنقاذ سابقًا، الذين "نصبوا أنفسهم قادة" لحراك منحرف عن نهجه الأولي، هم في الواقع جزء من مؤامرة تحبّكها الإدارة الأمريكية ضد الجزائر، وتتمثّل في محاولة تنصيب الإسلاميين على رأس البلاد.⁸ وهي نظرية مختلفة شيئًا ما عن تلك التي نسجها في مقاله "ثماني سنوات بعد 'ربيع الجزائر'"،⁹ باعتبارها آخر حلقة من سلسلة حلقات محبوكة تماشيًا مع العقلية التأمريّة، التي أنتجها في خضم الثورات الشعبية في منطقتنا منذ 2011.¹⁰

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

لا يدّخر بن سعادة، الذي تلقى تكوينًا في الفيزياء، أيّ جهد لتقديم نظرياته كنظريات تقوم على أسس موضوعية، مدعومة بتفاصيل واقعية، وتسندها مصادر محدّدة بدقة، وحجج بلغة محسوبة لجعلها تبدو قدر الإمكان معقولة ومقنعة. وكما سنرى لاحقًا، المشكلة هنا لا تكمن في الأدوات العقلانية التي يمتلكها بن سعادة بالتأيد، وإنما في النفسية أو الأيديولوجية أو كليهما - نوع من "التفكير السحري" وفقًا لفرانكس وآخرين¹¹ - التي تُدخل تحيزات معرفية واستدلالية.

دعونا نتفحص، واحدًا تلو الآخر، الأمثلة التي تكشف ما ينطوي عليه كتيب بن سعادة من تناقض ذاتي، وتفسير مفرط للأدلة، واستسقاط، ومختلف العيوب في التفكير.

2.1. التهافت

غالبًا ما يُظهر المهووسون بالعقلية التأميرية اهتمامًا فكريًا غير متنسق، من حيث عدم تطبيقه على احتمالية أن يكون تفكيرهم متحيزًا أو معيّنًا. ونكتفي بالإشارة هنا إلى مثالين من مجموعة هائلة من الأمثلة التي يزخر بها الكتيب.

تقوم نظرية المؤامرة على إسناد قوة مبالغ فيها إلى مجموعة من المتآمرين. وسواء تعلّق الأمر بنظريته حول "ربيع 2011 المجهض"¹² أو المتعلقة بالحراك الحالي، يشير بن سعادة إلى تواطؤ بين جزائريين، يذكرهم بالاسم، من ناحية، وطرف أمريكي يعمل من خلال منظمة NED (الصندوق الوطني للديمقراطية) من ناحية أخرى، لكنه دون أن يحدّد هذا الطرف أبدًا، لأسباب لا يعرفها سواه.

في نظريته عن "ربيع 2011 المجهض"، فإن المتآمرين الأشرار هم أعضاء في التنسيق الوطنية للتغيير والديمقراطية (CNDC) التي تضم كل من الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان (LADHD)، والنقابة الوطنية المستقلة لمستخدمي الإدارة العمومية (SNAPAP)، وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (RCD) بزعامة سعيد

سعدي، وفضيل بومالة وجمعية "نجدة المختفين قسرًا" (SOS Disparus)، و"تجمع عائلات المفقودين"، وحركة "تجمع عمل شبكية" (RAJ).¹³ يسرد بن سعادة معلومات ضحلة ومتفرقة حول تمويل من منظمات أمريكية، متاحة على شبكة الإنترنت، أو برقيات عادية من موقع ويكيليكس، باعتبارها دليلًا يكشف تصرفات الأمريكيين بواسطة هؤلاء المتآمرين لزعة استقرار الجزائر.

في كتيبه عن الحراك لعام 2019، الذي لم يذكر فيه شيئًا عن الجهة داخل إدارة ترامب التي تتآمر ضد الجزائر، يكلف بن سعادة نفسه عناء تغيير تشكيلة فريق الجزائريين المتآمرين الأشرار. هذه المرة، البعيع في نظر بن سعادة هو الهواري عدي ومصطفى بوشاشي وزبيدة عسول وكريم طابو ومحمد العربي زيتوت ومراد دهيينة. ويقدم مجموعة من المعلومات المتاحة على شبكة الإنترنت كدليل يدين عدي وبوشاشي وعسول، في حين يتهم الآخرين، عن طريق "الجرم بالارتباط"، عبر قناة المغاربية أو منظمة الكرامة.

دعونا أولاً نلاحظ أنّ عنوان الكتيب مضلل لأنّ أيًا من هؤلاء الذين وردت أسماؤهم في قائمة بن سعادة، ضمن فريقه الثاني من المتآمرين المزعومين، لم يدّع أنه زعيم أو يمثل الحراك، ولم يقدم بن سعادة أيّ تصريح أو اقتباس لإثبات ذلك.

كما أنه ليس خافيًا أن المواقف التي تبناها كل من عدي وبوشاشي وطابو وزيتوت ودهيينة في عام 2011 هي نفس المواقف التي يتبنونها منذ بداية حراك 2019.¹⁴ من جانب آخر، فريق المتآمرين المزعومين في 2011 كان حاضرًا هو أيضًا في بداية حراك 2019. وهنا لا يشرح بن سعادة السبب الذي جعله هو، والأميركيين على ما يبدو، يغيرون طاقم فرق المتآمرين الجزائريين. لماذا لم يكن عدي وبوشاشي وطابو ودهيينة وزيتوت في مؤامرة 2011؟ لماذا سعيد سعدي وبومالة ونقابة SNAPAP، وعائلات المفقودين، على سبيل المثال، ليسوا جزءًا من مؤامرة 2019؟

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

في كتيبه، يشكك بن سعادة في ذمة سفيان جيلالي بسبب حصوله على جائزة POMED التي مُنحت له أثناء مظاهرات الحراك ومشاركته في لقاء على قناة المغاربية قبل الحراك.¹⁵ لكن الملفت للنظر أنه في ختام الكتيب، تم إسقاط اسم سفيان جيلالي من القائمة النهائية للمتآمرين المزعومين.¹⁶ هل سبب ذلك انخراط جيلالي في خريطة الطريق التي فرضها النظام العسكري على الحراك قبل أسابيع قليلة من نشر الكتيب؟

من الواضح أنّ بن سعادة لا يُتقن حُبك سيناريوهات الخاصة بالمتآمرين، لكن دعونا ننتقل إلى التناقض الثاني، الأكثر خطورة.

كما رأينا أعلاه، يعتبر بن سعادة أن الحراك اللاعنفي الذي يجري حاليًا يندرج ضمن "سلسلة متصلة" مرتبطة بـ "الربيع العربي" الممتد بدوره إلى "الثورات الملوّنة".¹⁷ وهي قناعة يكررها مرارًا، على غرار تصريحه في هذه المقابلة مع جريدة L'Expression:

حركة الاحتجاج التي تشهدها الجزائر حاليًا لا تختلف عن تلك التي شهدتها بعض الدول العربية بين 2010-2011. يتعلّق الأمر ببساطة باستمرار الآفة التي أطلق عليها اسم "الربيع العربي" الذي أحدث الفوضى في العديد من الدول العربية كما أوضحته في العديد من المقالات والمقابلات.¹⁸

المثير للاستغراب أن كتيبه يفتتح بصفحة تبدو وكأنها تمدح الحراك،¹⁹ لكن هذه الصفحة هي بمثابة نوع من المداينة والتنصل من المسؤولية، مرصعة بكلمات منمّقة ليبدو صاحبها في مظهر جيّد، بما أنه يبدل في بقية أجزاء الكتاب جهدًا كبيرًا ليقنع قراءه بأنّ الحراك مجرّد عيّنة من الثورات الملوّنة، وهو نفس الموضوع الذي كرره طيلة العقد الماضي حول الثورات العربية، بدلًا من أن يكلف نفسه جهد البحث الرصين في مساراتها ومسبباتها، وتوثيقها وتحليلها، من حيث كونها قوى اجتماعية تسعى إلى تحرير نفسها من قبضة الديكتاتوريات.

وما كان يبدو في كتيبه نوعًا من "المداينة"، تحوّل إلى انحراف أو تعديل للنظرية التأميرية مؤخرًا، حيث يقول الآن على سبيل المثال إنّ "بعض الهيئات الأجنبية تريد أن

تحرف الحراك عن مساره"،²⁰ وهو ما يفترض وجود حراك أصلي محمود لكن من الجدير التذكير بأنّ بن سعادة قال في مايو 2019 أن الاحتجاجات لم تكن عفوية، وأنّ اللاعنفة الذي ميّز الحراك مستورد، وأنه ليس من الطبيعي أن يقدم الجزائريون الزهور لقوات الشرطة، وأنّ ينظفوا الشوارع بعد المسيرات ويستخدموا الفكاهة والسخرية وأنّ شعاراتهم مستوردة،²¹ ويختم حتى بالقول أنّ:

طريقة عمل هذه المظاهرات التي تتماشى مع المبادئ الأساسية للنضال اللاعنفي المعتمد لدى تنظيم CANVAS (مركز العمل والاستراتيجيات اللاعنفية التطبيقية "كانفاس") تظهر أنه بعد 19 عامًا من مظاهرات صربيا و 8 سنوات بعد بدء "الربيع العربي"، تشهد الجزائر بدورها ثورة ملوّنة. وتبرهن طريقة العمل هذه على وجود مجموعة من النشاط على شبكة الانترنت، المكوّنين في مخبر "تصدير الديمقراطية"، تنشط على أرض الواقع والفضاء الإلكتروني على حد سواء.²²

نلاحظ إذن أن نظرية بن سعادة قد تطوّرت من مؤامرة ثورة ملوّنة إلى نظرية مزدوجة تتحدّث عن حراكين، حراك أصيل والآخر مزيف. ويوضح بن سعادة أكثر موضوع تعديل نظريته في مقابلته الأخيرة مع صحيفة الأخبار اللبنانية:

شهدت مطالب الحراك تصاعدًا بشكل كبير مع توالي أيام الجمعة، وذلك حتى بعد الإطاحة بالرئيس بوتفليقة، الذي كان يشكّل المطلب الأولي. وهنا ظهر مساران: المسار الدستوري المؤدّي إلى الانتخابات (الذي دعت إليه المؤسسة العسكرية) ومسار المرحلة الانتقالية الذي يطالب به بعض المتظاهرين. [...] لكن ما لفت انتباهي هو أنّ المنظمات غير الحكومية التي تتولّى مجاهات أمريكية والتي كانت ظاهرة بشكل بارز في الحراك منذ البداية، كانت جميعها تناضل من أجل المرحلة الانتقالية.²³

نلاحظ إذن أنّ نظرية بن سعادة المنقّحة تتداخل مع نظرية عمار بلحيمر، وزير الاتصال، الذي لا يتوقّف عن ممارسة تضليل إعلامي منظم يزعم بروز "حراك جديد" انحرف عن "الحراك الأصلي"، المتميّز "بتطلّعاته المواطانية، الوطنية، الديمقراطية والتعددية".²⁴ دعاية بلحيمر، التي تردّد فحوى خطب الراحل قايد صالح، ليست أكثر

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

من تطبيق لتوجيهات المديرية العامة للأمن الداخلي (DGSI) الداعية إلى ترديد دون انقطاع المزاعم المضللة حول وجود "حراك مبارك"، جئد لأنه أزاح بوتفليقة من الحكم، والإشادة بالخيارات السياسية للجنرالات، يقابله حراك المغرر بهم، المرتزقة، الموظّفين من قبل قوى أجنبية، تسعى إلى فرض مرحلة انتقالية عن طريق التفاوض مع الجيش، لإقامة جمهورية جديدة، يخضع فيها الجنرالات للرقابة الديمقراطية. وكلّنا يتذكّر في هذا المقام كيف أنّ وزيراً للداخلية، صاحب قدرة تفكيرية محدودة، صلاح دحمون، ترجم هذه التوجيهات من خلال وصم أهل الحراك المناهض لخطة عمل قايد صلاح بأنهم "خونة، منحرفون، مرتزقة وشواذ جنسياً يتعاونون مع المستعمرين".²⁵

الواقع يثبت أن غالبية الشعب الجزائري عارضت خارطة الطريق التي فرضتها القيادة العسكرية، كما برهنت عليه نسبة المشاركة في الانتخابات الرئاسية في 12 ديسمبر 2019 والتظاهرات العارمة ضد تنظيمها. لا يدّعي أحد أن الحراك كتلة واحدة، ولا ينكر أحد أنّ بعض المتظاهرين توقّفوا عن النشاط بمجرد إزاحة بوتفليقة، لكنّ الحراك أظهر استمرارية قوية في المشاركة، وفي أشكال الاحتجاج اللاعنيفة، ونوعية المطالب التي تدحض الادّعاء بأنه كان هناك في البداية حراك مبارك لكنه انحرف لاحقاً وتحول إلى ثورة ملوّنة يتحكّم فيها الأمريكان. وحتى أطروحة بن سعادة الأولى تتعارض مع هذا التسلسل، بما أنّ الحراك بدأ، في نظره، في شكل ثورة ملوّنة، على غرار ما جرى في أيّ مكان آخر في العالم العربي.

لا تزال طريقة توفيق بن سعادة بين مواقفه المتناقضة لغزاً حتى الآن، قد نجد تفسيراً لذلك في نوع من التفكير المزدوج الذي يتحدث عنه جورج أورويل، التفكير الأيديولوجي المزدوج الذي يجعل من الممكن قبول معتقدات متناقضة في آن واحد. يبدو أن بن سعادة لم يكلف نفسه عناء التفكير في ما يشكل هوية الثورة أو هوية أيّ شيء ببساطة. على أي حال، إنّ مواقفه تنتهك مبدأ الاتساق الذي بدونه لا يمكنه ادّعاء إثبات أيّ شيء.

2.2. تعديل المعطيات لتأكيد النظرية

العالم الكفاء لا تغيب عنه مسألة تقييم البيانات التي بحوزته، ومعرفة ما إذا كانت متناسقة مع نظريته، بحيث يتأكد أولاً من أن بياناته كاملة وموثوقة، ثم يحدّد النظريات البديلة التي يمكن أن تتماشى مع هذه البيانات، فيُسقط النظريات التي تتعارض مع البيانات، ليختار في النهاية النظرية المناسبة، الاختيار الذي قد يتّخذ على أساس المعايير الكمية أو المعرفية أو الجمالية، في حالة بقاء أكثر من نظرية واحدة أمام البيانات المتوفرة. وحتى في حالة تفضيله لنظرية معينة على منافساتها الأخرى، يظل مع ذلك مستعداً لخفض درجة اعتقاده بصحة نظريته المفضّلة، بل ومستعداً حتى لرفضها إذا بلغت معطيات تناقضها.

أما المسكون بالعقلية التآمرية، فيتصرّف وفق منطق مناقض. ينطلق بإيمان راسخ بنظريته، ثم يجمع بياناته و"يصحّحها" حتى تتفق معها تماماً - في ذهنه - لذلك فهو يلتقط البيانات بشكل انتقائي حتى تتناسب مع نظريته. ويتميّز منهجه في الاستدلال بجنوحه إلى رفض أيّ إثبات يناقض نظريته، مرفقاً بإفراط في تفسير الأدلة لصالحها.

دعونا أولاً توضّح ببضعة أمثلة طريقة جمع البيانات من قبل بن سعادة. ونعني بتجميع المعطيات عملية الانتقاء المتعمّدة للبيانات التي تضفي المصداقية على المؤامرة، مع تجاهلها كلّ ما يدعم ما يناقضها.

يتعمّد بن سعادة تشويه المسار الأكاديمي للهواري عدي لجعل منه، عن طريق الاستدلال المزيف القائم على مغالطة الذنب بالارتباط، خائناً في خدمة أهداف أميركية تخريبية ضد بلاده،²⁶ وذلك رغم وجود العديد من تصريحات الهواري عدي على شبكة الإنترنت تدعو إلى "حماية البلاد من الأهداف الاستعمارية والإمبريالية الجديدة"،²⁷ و ضد "الإمبريالية الغربية"،²⁸ وكذلك المساندة للقضية الفلسطينية.²⁹ بن سعادة يتكتم على مثل هذه البيانات التي تسير عكس الاتجاه الذي يتبنّاه.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

ومن خلال حزمة من المعلومات غير المكتملة وتلميحات شتى، ينسج بن سعادة أيضًا حول مشاركة مصطفى بوشاشي وزبيدة عسول في مؤتمرات في الخارج، قصة تجعل منها خونة بالتواطؤ مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تغيير النظام في الجزائر،³⁰ وهنا أيضًا لا يكلف بن سعادة نفسه نقل مواقف بوشاشي الذي تحدّث مرارًا وتكرارًا ضد التدخل الأجنبي في شؤوننا.³¹ في تعليقه على الجمعية 41 من الحراك قال بوشاشي على سبيل المثال:

إنها مسألة جزائرية داخلية سنحلها في ما بيننا. [...] لم يسبق أبدًا لدولة أجنبية أن ساعدت شعبًا من أجل انتقال ديمقراطي حقيقي. [...] كان النظام هو من حاول تقديم التقارير إلى الدول الأجنبية وهو الذي بدأ في عرض الوضع الجزائري في الخارج. [...] إنها مسألة مبدأ. لماذا؟ لأنني لا أعتقد أنّ التدخل الأجنبي يساعد في التوجه نحو الديمقراطية، بل على العكس من ذلك، لقد رأينا أنّ التدخل الأجنبي في كثير من بلدان المنطقة قد أحبط الثورات.³²

وقد أدلت عسول هي أيضًا بتصريح علني قالت فيه إنّ "الحل جزائري-جزائري"³³ وإنّ "النظام هو من قام بتدويل القضايا الداخلية".³⁴

وقد اتهم بن سعادة كريم طابو بالتواطؤ مع الإدارة الأمريكية لإسقاط النظام، بناءً فقط على لقاء أجراه مع المتأمرين المزعومين خلال مناقشات جرت على قناة المغاربية، ومستخدمًا مغالطة التجريم بالتراطب مع عدّي، وزيتوت، ومنظمة الكرامة، وحركة رشاد.³⁵ وهنا أيضًا يجمع بن سعادة فقط البيانات التي يعتقد أنها تسير في اتجاه نظريته، بما أنه يتجاهل حقيقة تثبت أنّ طابو كان دائمًا ضد التدخل الأجنبي، معتبرًا أنّ "السلطة هي اليد الخارجية الوحيدة في الجزائر".³⁶

يتكتم بن سعادة عن محتوى مرافعة طابو التي انتشرت على نطاق واسع في مارس الماضي، حيث قارن وضعه بـ "رهينة فلسطيني"، قال فيها "عندما يتهمنا قائد الأركان بالضياع وبأننا عملاء القوى الأجنبية، أجد نفسي مجبرًا أن أواجهه وأردّ عليه! فأنا أجعل

من عدم تدخّل الجيش في الشؤون السياسية مبدأً أساسياً في مسار نضالي السياسي.³⁷

على عكس المتآمرين المزعومين الآخرين في نظريته، لا يبذل بن سعادة أيّ جهد في تقديم بيانات تجرّم منظمة الكرامة وحركة رشاد في قضية خيانة للجزائر بالتواطؤ مع الولايات المتحدة، ربما لأنّ محصول تنقيبه في البيانات لم ينتج أيّ شيء ذي قيمة يعزّز نظرية مؤامره، أو ربما ببساطة لأنه استبطن كل ما له صلة بالإسلام السياسي لدرجة تجعله يعتقد أنّ قراءه يشاركونه أفكاره المسبقة. ولذلك يتهم الكرامة ورشاد بالتورّط في المخطط الأمريكي لتغيير النظام في الجزائر فقط بناءً على مغالطة الارتباط بالآخرين. يكفي إجراء بحث سريع على شبكة الإنترنت للتأكد بجلاء من أنّ الإدارات الأمريكية المختلفة المتعاقبة لا تكنّ أدنى ودّ أو تعاطف أو حتى تفهّم لمنظمة الكرامة، وسبب ذلك الموقف الأمريكي هو تقارير الكرامة المتعلّقة، على سبيل المثال، بملف التعذيب في غوانتانامو³⁸ والعراق³⁹، وبسبب تقريرها المرسل إلى الأمم المتحدة حول قتل الولايات المتحدة للمدنيين بطائرات بدون طيار في اليمن.⁴⁰ وكذلك توجيه الكرامة إداناتها لانتهاكات حقوق الإنسان من قبل حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة يشير إلى نفس الاتجاه.⁴¹ أمّا بالنسبة لحركة رشاد، فإنّ قاداتها لم تطأ أقدامهم الولايات المتحدة منذ أكثر من عشرين عاماً، ومنذ إنشاء الحركة عام 2007 أدلوا بتصريحات عديدة ضد التغيير بالعنف أو عن طريق التدخل الأجنبي ضد الوجود العسكري الأمريكي في بلادنا أو بدول الجوار، ودعم الحركة الواضح للقضية الفلسطينية علانية.⁴²

نرى جيّداً، من خلال هذا المثال، أنّ بن سعادة لا يتصرّف كأكاديمي باحث يجمع البيانات بنزاهة في محاولة لشرحها، أو كمحقق يُسقط عن طريق الخطأ جزءاً من البيانات، بل يتصرّف وفق العقلية التآمرية الكلاسيكية، التي "تنقي" بعناية البيانات، فيحتفظ بالجزء الذي يعزّز اعتقاده ويلقي في سلّة المهملات البيانات التي تفنّده. كان بإمكانه أن يوازن نصّه، بإدراج هذه البيانات التي تتعارض مع أطروحته، ثم يشرح

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

أسباب رفضه اعتمادها في تطوير نظريته، لكن الذي تطغى عليه العقلية التأميرية يتصرف مثله مثل المتعصب الذي يخدع غيره ويخدع نفسه عمداً.

دعونا الآن نلقي نظرة على حالة أخرى من نماذج الانتقائية وتغيير البيانات لجعلها تدعم نظريته، من خلال قضية تمويل المنظمات غير الحكومية، على سبيل المثال. فإثناء سعيه إلى فحص مصادر التمويل الأجنبي للمنظمات غير الحكومية الجزائرية، هو في واقع الأمر يمارس حقاً من حقوقه وواجبه المدني للمساعدة في ضمان الشفافية ومساءلة تمويل المجتمع المدني. إلى جانب ذلك، أتفق تماماً مع المبدأ الذي يدعو إلى ضرورة تحرير مجتمعا المدني من التمويل الأجنبي وحتى من التمويل العمومي، لكن طريقة طرحه لهذا الموضوع تطرح ثلاث إشكاليات.

الإشكالية الأولى، كما أشار إليها خالد ساطور، تكمن في الطريقة المحبوة التي يقدم بها معلومات عادية متاحة للجمهور وكأنها "اكتشافات مفحمة".⁴³ فيما يتعلق بالتبرعات الأجنبية للمنظمات غير الحكومية الجزائرية خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، يجب أن نعرف بأنها كانت محكومة بالقانون 90-31 الذي نص في مادته 28 على أنه "لا تُقبل التبرعات والهبات من جمعيات أو هيئات أجنبية إلا بعد أن توافق عليها السلطة العمومية المختصة التي تتحقق من مصدرها ومبلغها وتوافقها مع الهدف المسطر في القانون الأساسي للجمعية ومن الضغوط التي قد تنجم عن ذلك".⁴⁴ وتنص المادة 18 من نفس القانون على أنه "يجب على الجمعيات تقديم كل المعلومات المتعلقة بعدد المنخرطين فيها، وكذا مصادر أموالها ووضعها المالي، بصفة منتظمة إلى السلطة العمومية المختصة وفقاً للكيفيات التي يحددها التنظيم".⁴⁵ وبناءً عليه، من المستبعد إلى حد كبير أن تكون السلطة العمومية ومديرية الاستعلام والأمن - التي تخترق جميع الأحزاب والجمعيات الحساسة - جاهلة بهذا التمويل. وكما يقول ساطور، كان هذا التمويل معروف لدى الجميع، ويذكر كمثال على ذلك رسائل الشكر العلنية التي تقدمت بها تجمع عائلات المختفين قسراً، أو الجمعيات النسوية، إلى منظمة NED على تمويل

أنشطتهم.⁴⁶ إنّ التفاوض عن هذه البيانات الواقعية الدالة على الترابط الشبكي داخل المجتمع، ثم التلميح بأن تمويل NED للمنظمات غير الحكومية التي يذكرها بالاسم قد تمّ دون علم السلطات، يوضح مرة أخرى انتقائيته للبيانات لتكييفها مع ما يتماشى مع نظريته.

الملاحظة الثانية التي تفرض نفسها تبين لنا أنّ الأمريكيان يمولون منظمات غير حكومية أخرى، غير تلك التي يُقحمها بن سعادة في مؤامره المزعومة. على سبيل المثال، يذكر هو نفسه ولو عرضياً تمويل جمعية "جزائري" من قبل NED عندما يستدلّ بتصريح من رئيسها، شريفة خضار، ضد مصطفى بوشاشي والإسلاموية.⁴⁷

فضلاً عن ذلك، يقدّم الموقع الإلكتروني لسفارة الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر معلومات مستفيضة حول كيفية الحصول على منح الدعم، في إطار مبادرة الشراكة الشرق أوسطية (MEPI)، الخاصة بـ "المشاريع التي تبني الجسور بين المواطنين والمجتمع المدني والحكومة والقطاع الخاص"؛⁴⁸ أي المشاريع التي "تتماشى مع أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة وتعزز المصالح الأمريكية في المنطقة، وتحسّن الاستقرار وتتمّي الازدهار في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا".⁴⁹ حيث يمكن قراءة على موقع حكومة الولايات المتحدة الآتي:

دعمت مبادرة الشراكة الشرق أوسطية الخاصة (MEPI) عمل المجتمع المدني الجزائري من خلال برنامج يوفّر التدريب للصحفيين ورجال الأعمال ورائدات الأعمال والبرلمانيات، والمهنيين القانونيين وقادة المنظمات غير الحكومية الرئيسية.⁵⁰

ويشير الموقع إلى أن أكثر من 5000 شخص قد استفادوا من هذه المبادرة الأمريكية في إطار MEPI. وبالتالي، فإنّ التدقيق في سجلّ أرشيف التمويل الأمريكي يقتضي على الانتقائية المغرضة التي قدّم بها بن سعادة "اكتشافاته المفحمة" عن الأسرار المزعومة.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

المأزق الثالث هو أنه لا يقدم أي بيانات عن التمويل الأمريكي للمنظمات غير الحكومية التي يتهمها منذ 2011، وسبب ذلك ببساطة أنه صدر قانون في 2012، القانون 06-12 المتعلق بتنظيم عمل الجمعيات في الجزائر، الذي ينص في المادة 36 على أنه "باستثناء علاقات التعاون المقررة على النحو الواجب، يحظر على الجمعية تلقي أموال من المندوبيات والمنظمات الأجنبية غير الحكومية ويخضع هذا التمويل لموافقة السلطة المختصة".⁵¹ بن سعادة لا يتفوه بكلمة واحدة عن ذلك، ولا يرى أي ضرورة لتبرير هذه الفجوة الممتدة على مدار عشر سنوات، في استدلاله، بما ينسف العلاقة السببية الضعيفة التي يعتقد أنه استطاع ربطها بين المروجين الأمريكيين المزعومين لـ "تغيير النظام" في الجزائر والمتأمرين المزعومين.

لاختتام هذا القسم الخاص بالمنهج التأميري، دعونا نوضح منهج بن سعادة في ربط بياناته بنظريته، وأدلتها باستنتاجه. يلخص بن سعادة في الصفحة الأخيرة من كتيبه:

إن "زعماء" الحراك قرييون جدًا من المصالح الأمريكية، بما يحول دون ضمان الاستقلال الحقيقي لجزائر جديدة. إنّ الروابط الوثيقة بين الهواري عدي ومصطفى بوشاشي وزبيدة عسول وكريم طابو وبعض ممثلي الجبهة الإسلامية للإقناذ المنحلة، هي روابط حقيقية وليست وليدة اليوم على الإطلاق، ولم تظهر فقط بمناسبة الحراك. العلاقة المزدوجة مع هؤلاء الإسلاميين ومع الإدارة الأمريكية تذكر بالسياسة الأمريكية التي تفضّل تنصيب الإسلاميين على رأس دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.⁵²

يتعلّق الأمر إذن بـ "تغيير النظام" (regime change)، كما جاء في تصدير كتيبه، على غرار الثورات الملوّنة، لتنصيب الإسلاميين في السلطة.⁵³ هذه النظرية تبدو له "محددة بشكل فردي" بـ "البراهين" المعروضة في نص كتيبه وعلى موقعه منذ سنوات، بما أنه لا يبدل أي جهد لاستكشاف النظريات المنافسة التي من شأنها أن تعلّل ببياناته، أو على الأقلّ بجزء منها. يبدو بن سعادة مقتنعًا جدًا بنظريته لدرجة أنه لا يرى

أي ضرورة للخوض في هوية الطرف الأمريكي الذي سيقود هذا التغيير في النظام، ولا ضرورة اختبار ما إذا كانت نظريته تتوافق مع بيانات أخرى، غير تلك المستخدمة لبناء نظريته، على سبيل المثال البيانات المتعلقة بالسياسة الخارجية الأمريكية في الجزائر. دعونا نقدم مثالين لتبسيط الضوء على التحيز التأكدي في التفكير التأمري لدى بن سعادة.

أولاً، لنأخذ جزءاً من البيانات، على سبيل المثال البيانات الواقعية (القائمة على وقائع ثابتة)، بعد تنظيفها من المفردات الشريرة التي يستخدمها بن سعادة لتغليف هذه البيانات، حول اللقاءات بين عدي وبوشاشي وعسول وطابو من جهة، ودهينة وزيتوت من جهة أخرى، أو حول أنشطة قناة المغاربية.

البديل عن نظريته – الكفيل بتفسير بكل بساطة ما قدمه من معطيات – هو تزايد عدد الفاعلين السياسيين والصحفيين الجزائريين ممن استوعبوا أخطاء الماضي، ويريدون إنهاء العداوات الأيديولوجية التي تتغذى منها الدكتاتورية وتوظفها، وذلك من أجل بناء معاً جزائر ديمقراطية وتعددية، وتوجد بالفعل سوابق لهذه الرغبة في تجاوز الانقسامات (بين علمانيين وإسلاميين وقوميين) على غرار ما أنجز في سانت إجيديو في 1994 و1995، وفي جنيف في 2000 و2008، وفي لقاء مازافران في 2014 و2016.

ثانياً، النظرية القائلة بأن الإدارة الأمريكية دبرت ثورة ملونة في الجزائر في عام 2019 لوضع الإسلاميين في السلطة تتناقض مع أساسيات ما هو معروف عن السياسة الأمريكية الجزائرية. دعونا ننظر إلى ما قبل 22 فبراير 2019. يكون الأمر أكثر مصداقية وقبولاً للعقل لو تحدّثنا عن المحافظين الجدد الأمريكيين الذين يسعون منذ فترة إلى تغيير النظام في طهران، للإطاحة بالإسلاميين من السلطة بدلاً من وضعهم هناك، ربما بتمارين أكثر دهاء وتكتم، وملتمين بمستجدات الساحة، مقارنة بالحرس القديم من الثرثارين مثل منظمة CANVAS.⁵⁴ أمّا فيما يتعلق بأيّ مكان آخر في منطقة الشرق

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

الأوسط وشمال أفريقيا، يميل دونالد ترامب منذ بداية ولايته إلى الانعزالية، فهو ضد التدخل تحت أي ذريعة ديمقراطية أو إنسانية، ويحرص على إجلاء تدريجي لأكبر عدد من قواته، كما رأينا ذلك في أفغانستان والعراق وسوريا.⁵⁵

لو أنّ الجزائر في عهد بوتفليقة كانت قد عادت بصرامة وثبات لقيم السيادة الوطنية والاستقلالية الاقتصادية، أو أنها طوّرت سياسة خارجية ديناميكية تهدف إلى الحد من نفوذ القوى الغربية في منطقتنا، أو تعزيز دعمها للقضية الفلسطينية أو بناء القطب الطبيعي المفقود حاليًا في هذا العالم متعدّد الأقطاب، كان بالإمكان للمرء أن يتخيّل إلى حدٍ ما تأمر ترامب لإحداث "تغيير النظام" في الجزائر، لكن دعونا نلقي نظرة واقعية إلى العلاقات الجزائرية الأمريكية في عهد بوتفليقة. في عام 2001 أبرمت اتفاقية إطارية مكّنت كبريات الشركات متعدّدة الجنسيات من الحصول على موارد النفط والغاز، ومكّنت الشركات الأمريكية من زيادة حصتها في السوق الجزائرية. وبين عامي 2001 و2018، بلغ حجم التبادل التجاري بين الجزائر والولايات المتحدة 182.9 مليار دولار، منها 25.6 مليار في الواردات و 157.3 مليار في الصادرات، لاسيما في مجال المحروقات.⁵⁶ إذا كان النظام الجزائري سبق له أن تعاون قبل 2001 مع وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي ومكتب التحقيقات الفيدرالي في إطار الحرب على الإرهاب، فإننا اعتبارًا من سبتمبر 2001 نشهد انخراط النظام في التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة والاندفاع عميقًا في اتفاقيات ثنائية مع الولايات المتحدة في تبعية عسكرية وأمنية مؤكّدة. وهنا غرق اسم الجزائر في الوحل باعتبارها مصدر منتدب للتعذيب في إطار برنامج "التسليم الاستثنائي" الذي يوكل الأمريكيون بموجبه ممارسة التعذيب إلى دول تخضع لهيمنتها،⁵⁷ ثم تتسرّب الأخبار في 2005 عن إقامة مكتب استخبارات أمريكي وفرنسي (قاعدة التحالف) على الأراضي الجزائرية منذ 2002 على الأرجح.⁵⁸ إلى جانب ذلك، فإنّ موقف الجزائريين المنتقد لدور الناتو في حرب التحرير لم يمنع بوتفليقة من زيارة مقرّ الناتو في عامي 2001 و2002، وإدراج الجزائر ضمن هيكله الناتو الأمنية المعروفة باسم "الحوار المتوسطي"،⁵⁹ يلي ذلك

اجتماعات وتدريبات عسكرية مشتركة مع الشركاء الآخرين في هذا الهيكل، تشمل مصر وإسرائيل والأردن، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل قام النظام بتوريث البلاد في هيكل أمني أمريكي ثانٍ، هذه المرة في الجنوب في منطقة الساحل.⁶⁰ حيث تقيم القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا (أفريكوم) تعاون عسكري وأمني وثيق الصلة مع النظام يشمل، حسب بعض المصادر، عمليات التحليق في سماء المنطقة والنقاط الصور الجوية وفي مجال الاستخبارات والتدريب، وربما حتى الوجود المتقطع للقوات الأمريكية على التراب الجزائري.⁶¹ أمّا على المستوى الدبلوماسي، فقد شهدت فترة الربيع العربي، على وجه الخصوص، انحدار الدبلوماسية الجزائرية إلى أدنى مستوياتها، تميّزت بانعدام الكفاءة وانسحابها السلي من ملف الأزمة الليبية على سبيل المثال، فضلاً عن عقدتها تحالفات مع الديكتاتوريات الإقليمية لدعم بعضها البعض وسحق التطلّعات الديمقراطية لشعوب المنطقة. لم يسبق أن هَوّت مكانة الجزائر الدولية وسطوتها كقوة إقليمية، مثلاً عرفته البلاد خلال العقد الماضي.

ما الذي يجعل إذن إدارة ترامب ترغب في تغيير نظام غير شرعي، وفوق ذلك طيّع يتعاون تعاوناً كاملاً، نظام تعرف أنه أصبح بعد السكتة الدماغية التي أصابت بوتفليقة بين أيدي أوليغارشية المافيا جزءاً منها في السجن، أي باختصار نظام هَشّ غير قادر على مقاومة الضغوط وعمليات الابتزاز؟ لماذا تستبدل هذا النمط من الحكم الذي يفتح شهية القوى العظمى، بنظام إسلامي أو ديمقراطي؟ عن هذا الأمر لا ينبس بن سعادة بنت شفة، تماماً مثل غيره من المسكونين بالعقلية التأميرية، الذين لا يكلّفون أنفسهم عناء اختبار نظريتهم مقابل بيانات أخرى، غير التي يستخدمونها في بناء نظريتهم الخاصة.

على عكس ما يدّعيه بن سعادة، الحراك الجزائري ليس ثورة ملوّنة تصبو إلى تنصيب في السلطة دمي تعمل لإيعاز من إدارة ترامب، بل هي حركة لاعنفية لبناء دولة القانون، دولة قوية بمؤسساتها الشرعية، وقادرة على الدفاع بقوة عن مصالح الأمة.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

وحتى في ذروة حملات النظام القمعية، حافظ الحراك على انضباط صارم في طريق اللاعنف لضمان سلامة البلد والجيش من أي تدخل أجنبي، كما رفض رفضاً قاطعاً كل أشكال التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر.

3.2. الاستسقاط والحتمية التأمرية

في الكوكب الذي يأوي أصحاب العقلية التأمرية، لا توجد مصادفات. كل شيء يحدث دائماً لسبب ما، وكل شيء مرتبط حتماً، بطريقة أو بأخرى، بما يعزز ما يُراد تقديمه كدليل على المؤامرة.⁶²

الاستسقاط ليس خطأ منطقيًا؛ إنه إدراك خاطئ، هو عبارة عن تخيل أنماط محدّدة في خلفية عشوائية، حيث لا يوجد أي من هذه الأنماط المتخيلة، تمامًا مثلما قد يرى مسلمٌ شديد التدين زخرفة تحمل اسم الجلالة في سحابة عابرة، أو يرى يساري طائفي أيادٍ إمبريالية في تراجع إنتاج الصلب أو البطيخ.

إن أصحاب العقلية التأمرية يندفعون ويخدعون الغير بفعل الاستسقاط، بحيث يوهمون الناس بوجود أنماط حيث لا توجد.⁶³ وكتيّب بن سعادة مليء بمفردات الاستسقاط. من خلال القراءة المرئية، نحصى ما لا يقل عن 17 تعبيرًا في الصفحات الـ 57 من كتبه. فهو يتحدث عن الصدف وعكس الاعتبار أو الأحداث العرضية ثمان مرات،⁶⁴ وعن السمات أو النقاط أو القواسم المشتركة أو الصفات الأساسية ستّ مرات⁶⁵ وعن الغموض ثلاث مرات.⁶⁶

دعونا نوضح من خلال مثال نموذجي فكرة الصدف عند بن سعادة. عندما يقول: "فيما يخص الصدف، فإننا نحصى عددًا هائلًا!"⁶⁷ هو يقصد بذلك تلازم خمسة أحداث: أ) منح جائزة من مركز الكواكي للانتقال الديمقراطي في 2007 إلى علي جري - الصحفي الذي دافع عن النظام العسكري أثناء أبشع انحرافاته الإجرامية - في حفل حضره مصطفى بوشاشي؛ ب) منح نفس الجائزة لسعد الدين إبراهيم - عالم الاجتماع

المصري ومؤسس مركز ابن خلدون لدراسات التنمية بتمويل جزئي من الاتحاد الأوروبي ومنظمة NED – خلال نفس الحفل؛ ج) كون مركز الكواكبي ممول من قبل مجموعة واسعة من الرعاة، من بينهم منظمات أمريكية؛ د) الاجتماع بين عبد الوهاب فرساوي من جمعية "راج" وأمين غالي، خلال الجمعية العالمية للحركة العالمية من أجل الديمقراطية – وهي شبكة دولية تضمّ نشطاء وأكاديميين ومنظمات غير حكومية، بقيادة لجنة مُسيرة دولية، لها سكرتارية في منظمة NED – في ذاكار في ماي 2018 ؛ هـ) تكرار هذا الاجتماع في مؤتمر حول الجزائر، انعقد في تونس العاصمة في يونيو 2019، بعد أربعة أشهر من بدء الحراك.⁶⁸ وعلى الرغم من التباعد الزمني بين هذه الأحداث وارتباطاتها السببية التي لا يمكن إثباتها، وفي جميع الأحوال بعيدة الاحتمال بين العديد منها، فإنّ بن سعادة يرى في ذلك نمطًا مهمًا يمكن إضافته إلى "براهينه". بالنسبة للعقلية التآمرية التي يحملها بن سعادة، فإنّ الصدف ليست أحداثًا مترامنة بدون علاقة سببية، وإنما إشارات نابعة من عالم سحري تقوده إلى نظريته.

بن سعادة يعتبر أيضًا أن اجتماع عسّول وجيلالي وطابو، بدعوة من قناة المغاربية، في باريس خمسة أيام قبل 22 فبراير، أمرٌ تلقّاه الصدف المشبوهة رغم أن أرشيفات الفيديو المتاحة للجمهور تبين أنّ القناة التلفزيونية كانت قد دعتهم بالفعل في عدة مناسبات، واستقبلت تدخلاتهم عبر مختلف وسائل الاتصال عن بعد، قبل ذلك التاريخ وبعده.⁶⁹ ويتصوّر أيضًا أنه تزامن مشبوه يدين أصحابه ("وهل هي مجرد صدفة" وفق تساؤله)⁷⁰ كون أحد قدامى منظمة أوتبور تحدّث عن حركة مواطنة، على الرغم من أنّ أيّ بحث بسيط على شبكة الانترنت سيظهر أنّ هذا العضو في أوتبور يعلّق بانتظام على الانتفاضات في العالم (على سبيل المثال، في جزر المالديف وهونغ كونغ والسودان مؤخرًا⁷¹) وأنّ أعمال مواطنة الاحتجاجية قد حظيت بتغطية إعلامية على نطاق واسع من قبل الصحافة الدولية.⁷²

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

لننظر الآن في فئة أخرى من تصوّرات الاستسقاط لدى بن سعادة. فهو يبدأ حديثه بإخبارنا:

الجميع قد لاحظ بطبيعة الحال أن هذه الأسماء [عسّول، بوشاشي، طابو] قد برزت - بقدرة قادر - في وقت مبكر جدًا وسط الحراك، لكن أن "بشير" الهواري عدّي إلى هؤلاء الأشخاص تحديدًا ليس بالأمر العبي. في الواقع، يتطلّب البحث عن قواسم مشتركة بينهم، العودة إلى الماضي، ومراقبة الأحداث الأخيرة على حد سواء.⁷³

ويكرّر في خلاصته أنّ "اقتراح الهواري عدّي بشكل خاص لهؤلاء الأشخاص الثلاثة من الحراك، الذين، حسب قوله، يجب أن يشكّلوا رئاسة جماعية، لا يبدو مجرد مصادفة".⁷⁴ لا ندري كيف يعرف بن سعادة أنّ العالم يشاركه ملاحظته، لكن ما هو بادٍ للعيان بجلاء هو أنه لا يرسم تفاصيل الخطة المحبوكّة في سرية تامة إلا ليرز قدرته الفائقة على كشف ملاساتها. تخيّل الفريد في مجال الاستسقاط يجعله يستنتج أنه "ليس من قبيل الصدفة" أن يذكر الهواري عدّي اسم بوشاشي "أولاً".⁷⁵ لكن يبدو أن تمسكه المتشنج بأنماطه الخاصة حال دون تفتّنه وإدراك سخافة مثل هذا الاكتشاف.

ثم يكشف بن سعادة، ذلك المحقق الفذّ العبقري، القواسم المشتركة الأساسية التي ترفع الغطاء عن هذا اللغز، أي مجموعتين من "السمات المشتركة"، من جهة الروابط بين "الزعماء" الذين حدّد هويتهم، وهيئة أمريكية مهيمنة مجهولة الهوية، وعلاقاتهم بالإسلاموية من ناحية أخرى.

هذه السمات المشتركة كثيفة في ذهن بن سعادة لدرجة أنه لا يرى لها أدلّة علائقية واضحة، مثل عامل تشارك القاربة الفكرية بين كل من عدّي وبوشاشي وطابو واتّماهم لجهة القوى الاشتراكية، وأنّ هؤلاء الثلاثة مع عسّول ينتمون إلى التيار الديمقراطي ضمن الطيف السياسي في البلاد. وفي هذا الباب يشرح لنا عدّي بعقلانية وهذوء ما أثار حنق بن سعادة، في حوالي ثلاثين صفحة:

في أي حركة احتجاجية شعبية، يبرز القادة على أساس خطابهم الذي هو بمثابة عرض سياسي. إذا كان هذا العرض يتوافق مع مطلب سياسي لجمهور من الناس، فإنهم يصبحون شخصيات شعبية. فئات عريضة من الجزائريين، ليس كلهم بالطبع، وجدوا انسجامًا بين ما يريدونه ويطمحون إليه والعرض السياسي الذي يطرحه كل من كريم طابو ومصطفى بوشاشي وزبيدة عسّول ومحسن بلعباس وقدر شويشة وفضيل بومالة وآخرين. [...] قد لا يتفق معهم المرء على هذا الموقف أو ذاك، لكن لا يمكن إنكار أن طابو يحظى بشعبية في جميع أنحاء البلاد، ولهذا السبب هو الآن في السجن. إن التهجم على بوشاشي وعسّول وطابو... هو تهجم على خطابهم الذي يركّز على المطالبة بالتحوّل الديمقراطي.⁷⁶

أما ما يُحوّل، في نظر بن سعادة، كل اتصال بين "الديمقراطيين" و"الإسلاميين" ويجعل منه مؤامرة، هو بالأحرى تكّس تصوّره الذي تغذّيه المواقف الأيديولوجية للحرب الأهلية، ورهابه الأيديولوجي من كلّ ما له علاقة بالإسلام السياسي.⁷⁷ فمن وجهة نظره، الشخصيات السياسية التي تسعى إلى بناء جبهة سياسية وطنية، تتجاوز الانقسامات الموروثة عن العقود الماضية، لمدّ اليد إلى الجيش وجعله يوافق على إصلاح النظام السياسي، هي موضع توجّس وريبة. وقد أظهرت العديد من الدراسات حول نظريات المؤامرة أنّ ثمة جنوح أكثر واستسهال نحو وصم الطرف من التيار السياسي المقابل بالخبث وشتى أنواع الشرور.⁷⁸

4.2. شظايا من الخداع

تشير الدراسات التي بحثت في الأساليب اللغوية والإقناعية ووسائل الاتصال التي يستخدمها أنصار نظريات المؤامرة، إلى أنهم يحرصون في الغالب على الظهور بمظهر عقلائي.⁷⁹

كتيب بن سعادة ثري بالتفاصيل حول بعض النقاط، التي يدعمها بالمراجع والملاحق، مما يعطي للمبتدئين انطباعًا يوحي بالمنهج العلمي، لكن المشكلة هي أنه يتجاهل

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

مجموعات كاملة من الحقائق والأدلة والأنماط التي بدونها لا يمكن للمرء أن يقبل ادعاءاته بجديّة. على سبيل المثال، ينشر على طول ثمان صفحات في ملاحق البيانات، التي يمكن العثور عليها على الانترنت، ليوثق مشاركة حكيم عداد ومصطفى بوشاشي في ورشة عمل حول التحوّلات الديمقراطية، التي نشّطها أحد قدامى منظمة أوتبور خلال مؤتمر خاص بأسلحة الدمار الشامل انعقد في البرازيل في عام 2000، لكنه لا يرى أنه من المهم أن يشرح للقارئ، ولو في صفحة واحدة على الأقل، السلسلة السببية التي تربط هذا الحدث بالحراك بعد تسعة عشر عامًا.

ثم يوثق في 25 صفحة في الملحقات نُسخًا من برقيات ويكيليكس، التي لا تكشف عن أي شيء يضيف إلى ما قاله بوشاشي هو نفسه وفي العلن،⁸⁰ وهنا أيضًا لا يرى أي ضرورة ليقول، في بضع جمل أو بضع صفحات، من هو الطرف الأمريكي الذي كان يقود "الثورة الملونة" الجارية في البلاد، وما هي المصالح الاقتصادية أو الأمنية أو الجيوسياسية التي كان ينبغي تحقيقها من خلال ذلك. ثمة سمة مشتركة نجدها في كل نظريات المؤامرة ألا وهي الانتقائية أو حذف جزء من الوقائع والحقائق، وترك للقارئ ترف تخيل كيفية ربط النقاط وملء الفراغ، وهو ما يضيف للتأميرية ميزة خاصة بها، لتثبيط أي محاولة لتقديم حجة مضادة، أو على الأقل جعلها شائكة.⁸¹

دائمًا في مجال العقلانية المزيّقة، يستخدم بن سعادة المراجع بطريقة غير مشروعة. إنّ عملية استخدام المراجع تميّز بالنسبة للمبتدئ المقال الصحفي عن المقال الأكاديمي. وتسيء العقلية التأميرية استخدام هذه الطريقة لإضفاء مصداقية على ادعاءاتها، من خلال استغلالها كون القليل من الناس يكلفون أنفسهم البحث في هذه المصادر والتحقّق منها.

بن سعادة يبالغ أيضًا في استخدام المرجعية الذاتية (الاستدلال بمقالاته ومراجعته الشخصية)؛ أحصينا أكثر من 12 مرة في عملية حسابية سريعة، نذكر منها على سبيل المثال، عندما يزعم أن "سعد الدين إبراهيم متورّط جدًّا في الربيع المصري"، يعتقد

القارئ غير المطلع أن ما يقوله بن سعادة حقيقة ثابتة موثقة، لكن المصدر (22) هو في حقيقة الأمر من مقالاته الشخصية، وعندما يوضح بأن "راج هي واحدة من أكثر المنظمات تمويلًا من قبل NED"، فإن المصدر (40) يُحيل إلى نصوصه الشخصية المدرجة تحت المرجعين 10 و 35.

عندما نلقي نظرة إلى المرجع 35 "بلالوفي، راج واستيراد الديمقراطية"، لا نجد أي بيانات لتدعم ما يدّعيه، أو حتى تشير إلى أن "راج" هي "واحدة من أكثر المنظمات تمويلًا من قبل NED". أمّا فيما يخصّ المرجع 10، "ثلاثي سنوات بعد 'ربيع' الجزائر"، فقد ورد أن "راج تلقت تمويلًا قدره 25000 دولارًا من NED في عام 2011"، لكن لا يوجد أي أثر لبيانات المقارنة بين "راج" والمنظمات غير الحكومية الأجنبية الأخرى التي تُظهر أن "راج هي واحدة من أكثر المنظمات تمويلًا من قبل NED". هناك نوع آخر من سوء استخدام البيانات، عندما يذكر بن سعادة "رشاد"، فإنه يستمدّ تعريف الحركة ليس من موقع رشاد نفسها، كما يُفترض، وإنما من موقع Maghreb Intelligence (الإحالة 121)، وهو موقع وثيق الصلة بأجهزة المخابرات المغربية.

إذا كانت صفة الدقة والصرامة الأكاديمية لدى بن سعادة تنهاوى عند أدنى فحص دقيق، فكذلك الأمر بالنسبة لمهزلة تظاهره بالإنصاف والنزاهة. ومثال على ذلك، فمن ناحية، يبدو أنه يقرّ بأنه أمرٌ غير أخلاقي مهاجمة سجين غير قادر على الدفاع عن نفسه، عندما يقول "بالنظر إلى الوضع الحالي لكريم طابو (المسجون وينتظر المحاكمة)، سيكون من غير اللائق إدراج قضيته في هذا السياق. ولن نذكر سوى الحقائق المعروفة عنه لدى الجميع"،⁸² لكنه من ناحية أخرى، يذكر طابو في ست صفحات من شبكته التأميرية⁸³ وكذلك في الخاتمة حيث يذكر اسمه بين الخونة المزعومين الذين تآمروا مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد بلدهم. هل طابو المتآمر المزعوم، يدخل في إطار الحقائق الثابتة "المعروفة لدى الجميع" كما يدّعي؟ من حيث المكر المغلف برداء الشهامة، لا يمكننا أن نجد ما هو أسوأ.

العقلية التآمرية في حالة هذيان صارخ

كلّ أسوأ له ما هو "أسوأ منه" وفي الكوكب التآمري، "الأسوأ منه" هو عملية إسقاط النوايا الخبيثة. يتّضح من تحليل عدد كبير من نظريات المؤامرة أنها تنسب دائماً الدوافع الذميمة إلى المتآمرين المزعومين.⁸⁴ يدمغ هذا الطابع المميز للعقلية التآمرية جوهر نصوص بن سعادة. فبدلاً من تقديم وثائق إثباتية أو أدلة مفحمة، توضّح أنماط تتعلق بأحداث وأفعال وعملاء ونوايا تدعم مزاعمه بأنّ عدّي كان متورّطاً في مؤامرة ضد الدولة الجزائرية، يفضّل بن سعادة تعويض افتقاره إلى الأدلة بحيلة الجرم بالارتباط. وبهذا الشأن يدج فقرات كاملة عن وولفويزر أو هنتنغتون أو هورويتز، مع نقل أفكارهم المألوفة، كما لو أنّ عدّي مسؤول عن أفعالهم.⁸⁵ ويتعمّد الخلط بين منشورات عدّي في مجلة الديمقراطية *Journal of Democracy* ومآسي العشرية الدامية، وكذلك بين أبحاث عدّي والسياسة الأمريكية ضد العالم العربي في أعقاب أحداث 11 سبتمبر.⁸⁶

يمكن تلخيص جملة السحيق حول العمل الأكاديمي للهوري عدّي في كلمتين: "الانحدار المتمر". فعندما يتعلّق الأمر بإثبات ادّعائه بأنّ عدّي متورّط في تكوين الشباب العرب في الأنشطة السيبرانية، يلجأ إلى أسلوب محاكم التفتيش: التسترّ على جملة الإثباتي من خلال نشر الشكوك حول المتهم. يسأل "هل الهواري عدّي ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر؟"⁸⁷ ويستخدم حيل مماثلة ضد بوشاشي.⁸⁸ ثمة مثلٌ يقول بأنّ الرغبة الجامحة في ضبط شيطان متخفّ وراء ما هو طبيعي، تنتهي بالتآمر إلى اختلاق أضعاف منه.

3. التآمر كدعاية ضد الحراك

ينقسم التفكير الأكاديمي حول نظريات المؤامرة إلى أربعة محاور عموماً. أوّلها، المحور المعرفي، الذي تطرّقنا إليه بعجالة فيما سبق، والذي يهتم بمنطقها ومناهجها وكيفية تمييز محتوياتها بين الزيف والحقيقة.⁸⁹

ويتطرق المحور الثاني إليها باعتبارها مظاهر تتمّ عن إشكالية نفسية؛⁹⁰ بينما يفحص المحور الثالث نظريات المؤامرة بصفتها تعبيرات عن مسارات اجتماعية وسياسية؛⁹¹ أمّا المحور الأخير فيسعى إلى تحليلها كنتاج للثقافة المعاصرة، مثلها مثل غيرها من منتوجات الثقافة كالسينما أو الأدب.⁹²

لإكمال هذا المقال، دعونا نضع أنفسنا في المنظور الثالث: ما الذي يمكن أن نتعلمه من نظرية المؤامرة لدى بن سعادة، كتعبير سياسي؟

بن سعادة وكتيبه المثير لا يشكّلان قضية استثنائية شاذة. نظريات المؤامرة تشكل جزءاً من ثقافتنا السياسية وثقافة منطقتنا. محادثتنا الاجتماعية وتبادلنا على وسائل التواصل الاجتماعي، تشمل وفقاً لتصنيف والكر⁹³ تصريحات تطغى عليها العقلية التآمرية، تستهدف متآمراً خارجياً (مثل الماسونية، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، الصهيونية، المغرب، الإمارات، قطر، الإخوان المسلمون، تركيا وغيرها)، وادعاءات أخرى تستهدف متآمراً داخلياً (مثل القبائل، البعثيين العرب، العلانيين المتواطئين مع الغرب، الإسلاميين المرتبطين بالشرق، إلخ.). نجد أيضاً نظريات المؤامرة التي تشير إلى المتآمر في الطبقات العليا (مثل الجنرالات والسياسيين وأفراد الأوليغارشية)، ونظريات أخرى تركز على المتآمر في الطبقات السفلى وسط الشعب (على سبيل المثال، الحراك، الشخصيات أو القوى المعارضة). وكما هو الحال في أيّ بلد آخر في المنطقة، فإنّ الخطاب التآمري غزير، ومقبول ويتمّ تغذيته، بل وتشجيعه من قبل الأنظمة.⁹⁴

نظريات المؤامرة التي تستهدف القمة تنتشر عادة في الديكتاتوريات لأنها، مثل الأساطير والشائعات ضد السلطة، تسمح بحشد صفوف الضعفاء ضدها. وفي هذه الحالة، تسهم أزمة الثقة في نظام الحكم وأقطابه وتهميش الشعوب، والسخط وسط فئات الشعب المستضعفة واستبعادهم من المشاركة السياسية، في توفير الأرضية الخصبة لنمو العقلية التآمرية التي تستهدف الأنظمة.⁹⁵ نظريات المؤامرة هذه تشكل

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

طريقة آمنة نسبيًا لانتقاد السلطة، وإدانة ممارساتها في تكريس عدم المساواة بين فئات الشعب والفساد والبيروقراطية، الأمر الذي يضفي شعورًا بالتمكين^{٩٨} بالنسبة لمن ينسج هذه النظريات وينقلها. إنها "الملجأ الأخير للمستضعفين". ويرى بعض علماء السياسة أنه حتى وإن كانت هذه الروايات التأميرية سلبية، كونها وهمية وغالبًا ما تكون سخيفة، فإنها تقوم مع ذلك بدور إيجابي في مجال كبح جماح السلطة.^{٩٩}

أما بالنسبة لنظريات المؤامرة التي تستهدف الطبقة السفلى، فغالبًا ما تصدر عن "الدولة المسكونة بالعقلية التأميرية".^{٩٨} وتتفنن الأنظمة الاستبدادية في المنطقة جيدًا عملية فبركة نظريات المؤامرة. إن هذه النظريات ليست معتقدات صادقة لكنها خاطئة، بل تُنسج بنايات وهمية متعمدة يتم تضخيمها لأغراض استراتيجية وسياسية.^{٩٩} وتستخدمها هذه الأنظمة لبناء أو تعزيز الشعور القومي والهوية الوطنية، ولكن أيضًا "للتشويه" أو شيطنة شخصيات أو حركات المعارضة التي تحاول تحدي هيمنتها.^{١٠٠} ولنا أن نتذكر كيف ثروى لنا خرافة "اليد الأجنبية" مرارًا وتكرارًا منذ نعومة أظافرنا إلى شيخوختنا.

من الواضح أنّ نظرية المؤامرة التي يتبنّاها بن سعادة تندرج ضمن نوع العقلية التأميرية التي تستهدف الطبقة السفلى. وبدلاً من الارتقاء والتحلي بالفضيلة الوظيفية لخدمة ونصرة الضعفاء ضد هيمنة الأقوياء، فإنّ هذا النوع من النظرية التأميرية يوجه كل انتقاداته وتهجمات ضد الضعفاء الذين يسعون إلى تحرير أنفسهم، وبالتالي فهو بذلك يدعم تأميرية الدولة. ومما لا شك فيه أنّ النظام العسكري يستغل ذلك بشكل شامل، من خلال الترويج للمؤلف وكتيبه بشتى الطرق والوسائل.

روّجت وكالة الأنباء الجزائرية ونظيرتها صحيفة المجاهد التي تنتمي إلى عهد بائد، لكتيب بن سعادة المثير.^{١٠١} واستضافت الإذاعة الوطنية وقناة الجزائر المؤلف، وهو أمر ليس

^{٩٨} ترجمة لفظ empowerment الإنجليزية، تشير إلى عملية إسناد المزيد من السلطة إلى الأشخاص أو الجماعات مما يسمح لهم بالاستقلال الذاتي في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي.

بالهين في بلد ظلت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تبتّ على مدى شهور برامج طهي "البغير" أو حصصاً عن الطبيعة، في وقت كان مئات الآلاف من المواطنين يتظاهرون في الشوارع.¹⁰² تمّ كل ذلك في سياق إعلامي متميّز أيضاً باعتقال خمسة صحفيين (عبد الحلي عبد السميع، بلقاسم جبر، خالد درارني، جمال طوبال وعبد الكريم زغليش)، وحجب الصحف الإلكترونية (RadioM، Maghreb Emergent)، فضلاً عن احتكار الإعلانات العامة وتوظيفها وفق قاعدة "العصا والجزرة" لإخضاع الصحفيين.

مجلة *Afrique-Asie*، الممولة جزئياً من السلطات الجزائرية، والتي يديرها صاحب تصدير الكتيّب نفسه، قامت هي أيضاً بتغطية واسعة له،¹⁰³ إلى جانب العديد من الصحف والمواقع الإخبارية التي روّجت له، بينما احتفت مجموعة من الأعلام الاستثنائية، التي تدور في فلك الموقع الإلكتروني لنجل الجنرال نزار، بالكتيّب ومؤلفه، وأعدت عليه بسيل من التعليقات الممجّدة وقدمته كتحفة قلّ نظيرها¹⁰⁴.

استفادت عملية نشر نظرية المؤامرة لبن سعادة من سياق مؤاتٍ آخر، تتمثل في تزامن توجيه تهمتين بالتآمر موجهتين ضد الحراك، حظيتا بحملة إعلامية صاخبة، واحدة في 25 ماي 2020 من قبل الكاتب محمد لخضر موقال، يزعم فيها أنّ الحراك قد انطلق برعاية قناة المغاربية قبل 22 فبراير 2019 بقليل،¹⁰⁵ والثانية بعد ذلك بيومين، من قبل "أستاذ الفلسفة" محمد بوحيمدي زاعماً أنّ الحراك "غير وجهته"، ويُرجع تاريخ تحوّل وجهة الحراك إلى بداية موجة "الاعتقالات التي طالت عدداً من كبار المسؤولين في الدولة" مما أدّى إلى "تراجع حاد للغاية" في صفوف المشاركين في الحراك، الذي أصبح منذ ذلك الحين رهينة "المنظمات غير الحكومية الدولية [التي] تحاول توجيهه لإحداث الفوضى".¹⁰⁶ خطاب "اليد الأجنبية" هذا يعكس توجيهات وزير الاتصال الذي يمارس باستماتة تضليلاً إعلامياً حول "الحراك الجديد" الذي انخرّف عن "الحراك"

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

الأول، أو ما يمكن اعتباره النسخة الناعمة لخطاب قايد صالح حول حراك مبارك حتى سقوط بوتفليقة وحراك تابع للخارج منذ ذلك الحين.¹⁰⁷

إنّ الدوافع السياسية والأمنية لخطاب اليد الأجنبية جد مألوفة، إذ يسعى إلى تحويل الانتباه عن جوهر الرهانات وهو إفلاس نظام الحكم العسكري، وتوجيهه إلى العدو الخارجي، الوهمي أو المضخم عن قصد، وتوجيه أصابع الاتهام باتجاه "كباش فداء" داخل الحراك - يتصرفون حسب زعمه بالتواطؤ مع البعع الخارجي - مما يساعد في إرباك الحراكين، وتحجيم قدرتهم على العمل من خلال حشرهم في مواقف اعتذارية للدفاع عن النفس. إنّ الادعاء بوجود خونة وسط الحراك يتصرفون بالتنسيق مع العدو يشكل جزءاً لا يتجزأ من المنطق الأمني البحت، لأنّ التلويح بالتهديد الذي تشكّله حملات التخريب الأجنبي يجعل الناس أكثر استعداداً لتقبل التشديد الأمني وتقييد الحريات، ويُستخدم كمبرر أخلاقي يهيئ النفوس لاحتمالية قمع الحراك.

إنّ بن سعادة المهووس بالعقلية التأميرية، دون أن يبدو مدركاً لحاله، لم يفكر في العلاقة القائمة بين نظريات المؤامرة والعنف. فعدة دراسات تؤكد وجود علاقة ثابتة بين العقلية التأميرية والعنف.¹⁰⁸ في كندا أو في أوروبا، قد لا يشكل كتيبه المثير أي مشكلة، إذا استثنينا كون محتواه يتضمن تهماً وتشهيراً ضد من ينعتهم بالمتآمرين المزعومين، لكن في الجزائر، حيث يتفشى التطرف السياسي، تضم الشرطة السياسية العديد من العملاء المتدربين على المهام القذرة، والضربات الملتوية، فكل من وصفهم بن سعادة بأنهم خونة مشتبّه بهم يواجهون خطراً أمنياً حقيقياً. ويبقى الأمل معقوداً في أن يستمرّ نهر الحراك في مساره اللاعنفي، هذا اللاعنفي الذي ينظر إليه بن سعادة بعين الريبة، ويستمرّ هذا الحراك على هذا النهج، إلى أن تقوم دولة القانون التي يتطلّع إليها شعبٌ بأكمله.

عندها سيتعين على بن سعادة أن يملأ أمام محكمة عدل، هوّة الأدلة التي يتعيّن عليه تقديمها، مقابل البيانات الهزيلة التي يقدمها في كتابه والاتهامات الخطيرة التي يوجهها

جزافًا، وآلا فعلية أن يتحمّل قضائيا الضرر الذي تسبّب فيه دون حساب أو أدنى
أكثراث ضد مواطنيه.¹⁰⁹

شكر وتقدير: أودّ أن أعبر عن خالص امتناني لـ فضيلة ب، التي اشترت كتاب بن
سعادة وأرسلته لي بالبريد السريع، بمعاشها الشهري الزهيد، كمساهمة منها في الدفاع عن
الحراك.

الإحالات

¹ أحمد بن سعادة، من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟، إصدارات Apic، الجزائر
2020.

² انظر موقعه على الإنترنت www.ahmedbensaada.com

³ على سبيل المثال: K. Harris, 'What's Epistemically Wrong with Conspiracy Theorising', Royal Institute of Philosophy Supplement, المجلد 84 (2018) ص 235-257؛ انظر أيضًا العدد الخاص من المجلة الفلسفية Argumenta، العدد 6 (2018)، المخصص لنظريات المؤامرة؛ C.S Ang، T. Nefes، A. Cichocka، R.M Sutton، J.E Uscinski، K.M Douglas، "Advances in Political Understanding Conspiracy Theories", and F. Deravi، Psychology Vol. 40 (2019) ص 3-35؛ P. Underwood و S. Radnitz، "هل الإيمان بنظريات المؤامرة حالة مرضية؟ تجربة مسح حول الجذور المعرفية للشك الشديد"، المجلة البريطانية للعلوم السياسية، المجلد 47 (2015) ص 113-129.

⁴ للحصول على مقدمة بسيطة ومختصرة للموضوع، انظر S. Lewandowsky and J. Cook، Conspiracy Handbook، جامعة بريستول & جامعة غرب استراليا، مارس 2000.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

<https://skepticalscience.com/conspiracy-theory-handbook-downloads-translations.html>

⁵ انظر المرجعين 3 و 4.

⁶ المرجع نفسه.

⁷ بن سعادة، "اللوبي الصهيوني نشط جدا في الجزائر"، *Algérie Patriotique*، 28 مايو 2019.

⁸ أحمد بن سعادة، من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري، مرجع سابق ذكره، ص. 66.

⁹ https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=475:2019-04-04-22-50-13&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119

¹⁰ انظر الإحالة 2.

¹¹ A. Bangerter et M.W Bauer ، B. Franks ، "نظريات المؤامرة كعقلية شبه دينية: تقرير متكامل من العلوم المعرفية، نظرية التمثيلات الاجتماعية ، ونظرية الإطار" ، *Frontiers in Psychology* ، المجلد. 4 (2013) ص 1-12.

¹² انظر الإحالة 9.

¹³ المرجع نفسه.

¹⁴ "اجتماع منتدى القوى الاشتراكية أمس في الجزائر العاصمة، كريم طابو: "الشعب سيصنع التغيير"، *Algérie360*، 5 مارس 2011؛ دريدي، "الأستاذ مصطفى بوشاشي، CNCD ومفاهيم التغيير في الجزائر، *Maghreb Emergent*، 9 مارس 2011؛ M. Verdier، "لهواري عدي: النظام الجزائري مدان"، *La Croix*، 11 فبراير 2011؛ "رشاد تدعو إلى مواصلة الاحتجاج السلمي وتوسيع رقعته"، بيان 17 فبراير 2011، [hhttps://rachad.org/fr/?p=116](https://rachad.org/fr/?p=116)

¹⁵ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 27، 46، 47، 61.

¹⁶ أحمد بن سعادة، من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟ مرجع سبق ذكره، ص 66.

- ¹⁷ بن سعادة، "اللوبي الصهيوني نشط جدا في الجزائر"، مرجع سبق ذكره.
- ¹⁸ ح. نفاع، "الأمريكيون مؤلّوا المنظمات الجزائرية غير الحكومية"، L'Expression، 2 يناير 2020.
- ¹⁹ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 19.
- ²⁰ إيمان أ، أحمد بن سعادة: "بعض المنظمات الأجنبية تريد حرف الحراك عن مساره"، Algérie-Eco، 7 يونيو 2020.
- ²¹ انظر الإحالة 9.
- ²² المرجع نفسه.
- ²³ لينا كنوش، مقابلة مع أحمد بن سعادة، الأخبار، 4 يوليو 2020.
- ²⁴ عمار بلحيمر، الحراك، حركة "مخترفة من تيارات سياسية معينة"، وكالة الأنباء الجزائرية، 16 مارس 2020.
- ²⁵ الجزائر: وزير الداخلية يصف معارضي الانتخابات الرئاسية بـ"الخونة" و"المتلين جنسيًا"، Jeune Afrique، 4 ديسمبر 2019.
- ²⁶ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 22-29، 66-55.
- ²⁷ كامل لاخلضر الشاوش، مقابلة مع البروفيسور عدي الهواري: "المجتمع تطور والجيش أيضا"، L'Expression، 13 يونيو 2019.
- ²⁸ جمال زناقي ولهواري عدي يوجهون نداء إلى الجيش الوطني الشعبي، Le Soir d'Algérie، 14 أبريل 2014.
- ²⁹ لهواري عدي "على إسرائيل قبول دولة فلسطينية ذات سيادة، Libération، 24 أكتوبر 2000.
- ³⁰ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 29-45، 54-46.

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

³¹ على سبيل المثال، نسيم ب" التدخل الأجنبي: بوشاشي ينتقد النظام الجزائري، zair Daily، 30 نوفمبر 2019.

³² أرزقي بن علي: الأستاذ بوشاشي "سلوك النظام سمح لدول أجنبية بالتدخل في شؤوننا الداخلية"، Algérie Eco، 30 نوفمبر 2019.

³³ أوعمران محني، "زبيدة عسول: الحل جزائري- جزائري" Algérie Eco، 3 ديسمبر 2019.

³⁴ علي بوخلف، زبيدة السول: "النظام هو المسؤول عن تدويل القضايا الداخلية" Liberté، 1 ديسمبر 2019.

³⁵ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 61-66.

³⁶ مقابلة مع كريم طابو: "من الواضح اليوم أن النظام هو اليد الخارجية الوحيدة في الجزائر" Afrique du Nord News، 22 مارس 2019.

³⁷ حسن والي، دعم شعبي قوي لكريم طابو، El Watan، 5 مارس 2020.

³⁸ <https://www.alkarama.org/en/articles/yemen-alkarama-and-hood-condemn-death-yemeni-detainee-guantanamo>

³⁹ <https://www.alkarama.org/en/articles/iraq-usa-abdenasser-hassan-tortured-us-forces-iraq>

⁴⁰ <https://www.alkarama.org/en/articles/drones-war-yemen-report-presented-un-experts>

⁴¹ <https://www.alkarama.org/>

⁴² Rachad Facebook، www.rachad.org ورشاد على يوتيوب.

⁴³ خالد ساطور "هسترة النقاش حول الحراك: بخصوص" اكتشافات " أحمد بن سعادة
blogs.mediapart.fr/khaled-satour/blog

⁴⁴ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 53، 5 ديسمبر 1990.

⁴⁵ المرجع نفسه.

⁴⁶ ساطور، مرجع سبق ذكره، ص 43.

⁴⁷ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 56.

⁴⁸ <https://dz.usembassy.gov/embassy/algiers/sections-offices/mepi/>

⁴⁹ المرجع نفسه.

⁵⁰ <https://www.state.gov/u-s-relations-with-algeria/>

⁵¹ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 82، 12 يناير 2012.

⁵² أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 66.

⁵³ أحمد بن سعادة، من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟ مرجع سبق ذكره، ص 11.

⁵⁴ سكوت موديل "يجب على الولايات المتحدة أن تتبنى استراتيجية لتغيير النظام في إيران" (Ccott)
Modell, 'The U.S. Should Adopt a Regime Change Strategy for Iran', Newsweek,
7 janvier 2020)، نيوزويك، 7 يناير 2020.

<https://www.newsweek.com/us-should-adopt-regime-change-strategy-iran-opinion-1514824>

⁵⁵ Lisa Watanabe "سياسة ترامب في الشرق الأوسط"، تحليلات CSS في سياسة الأمن، العدد
233، أكتوبر 2018؛ John Brinkley، "ما يسميه ترامب قومية هي أقرب إلى الانفصالية"، فوربس، 21
مارس 2018؛ Meghnad Desai، "ترامب: العودة إلى الانفصالية الأمريكية (الكلاسيكية)" The

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

Globalist، 26 أكتوبر 2019؛ روبرت فيسك، "كشف خطاب ترامب في دافوس كيفية وصول الانعزالية الأمريكية إلى فصلها النرجسي الأخير"، The Independent، 23 يناير 2020.

⁵⁶ <https://www.census.gov/foreign-trade/balance/c7210.html>

⁵⁷ <https://www.refworld.org/docid/44c614174.html>

<https://revolutionaryfrontlines.wordpress.com/2013/02/05/a-staggering-map-of-the-54-countries-that-reportedly-participated-in-the-cias-rendition-program/>

⁵⁸ عدلان مددي، "وكالة المخابرات المركزية لديها قاعدة تحالف في الجزائر"، El Watan، 6 يوليو 2005؛ جيريمي كينان، "الأمن وانعدام الأمن في شمال إفريقيا"، Review of African Political Economy، المجلد 33 (2006) ص. 269-296.

⁵⁹ يحيى زبير، "الولايات المتحدة والجزائر: شراكة إستراتيجية جديدة؟"، مجلة دراسات الشرق الأوسط والإسلام، المجلد 5 (2011) ص 1-27.

https://www.nato.int/cps/en/natohq/topics_60021.htm

⁶⁰ المرجع نفسه.

⁶¹ انظر برقيات ويكيليكس المتعلقة بالجنرال قنايزية، وجيريمي كينان The Dying Sahara: "الإمبريالية الأمريكية والإرهاب في إفريقيا"، Pluto Press، لندن 2009؛ جيريمي كينان، The Dark Sahara: حرب أمريكا على الإرهاب في إفريقيا، Pluto Press، لندن 2013؛ Nick Turse، جيش الولايات المتحدة يقول إن له "أثر خفيف" في إفريقيا. تظهر هذه الوثائق شبكة واسعة من القواعد، The Intercept، 1 ديسمبر 2018.

⁶² انظر الإحالتان 3 و 4.

⁶³ Jan-Willem van Prooijen، Karen M. Douglas، Clara De Inocencio "ربط النقاط: تصور النمط الوهمي يهيئ للاعتقاد بالمؤامرات والحوار"، المجلة الأوروبية لعلم النفس الاجتماعي، المجلد 48 (2018) ص 320 - 335.

⁶⁴ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 23، 29، 35، 38، 47، 61، 66.

⁶⁵ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 23، 30، 35.

⁶⁶ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 35، 39، 41.

⁶⁷ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 38.

⁶⁸ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 37-38.

⁶⁹ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 61.

⁷⁰ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 47.

⁷¹ راجع أرشيف www.slate.com للحصول على تصريحات سلوبودان دينوفيتش أو سرديا بوبوفيتش.

⁷² Ruth Michaelson، "المتظاهرون الجزائريون يخططون لمزيد من العمل ويدعون لتغيير النظام"، The Guardian، 28 فبراير 2019؛ عומר والي، احتجاجات في الجزائر ضد ترشح الرئيس لولاية خامسة، Associated Press، 22 فبراير 2019.

⁷³ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 23.

⁷⁴ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 66.

⁷⁵ أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 29.

⁷⁶ سليم قديل، لهواري عدي: "سأقدم شكوى ضد المؤلف ودار النشر"، Reporters Dz، 22 يونيو 2020.

⁷⁷ انظر كتاباته على موقعه وأنشطته داخل مركز الأبحاث المعادية للإسلام www.cigpa.org (CIGPA).

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

78 "فهم نظريات المؤامرة"، التطورات في علم النفس السياسي، المجلد 40 (2019) ص 3-35. K. M. Douglas, J. E. Uscinski, R. M. Sutton, A. Cichocka, T. Nefes, C. S. Ang et F. Deravi

79 المرجع نفسه.

80 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 41-44.

81 Matthew Gray نظريات المؤامرة في العالم العربي، Routledge، لندن 2010، ص. 134.

82 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 55.

83 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 57، 61، 63، 64، 66.

84 Lewandowsky و Cook مرجع سبق ذكره.

85 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 24-26.

86 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 28.

87 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 29.

88 أحمد بن سعادة، "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" مرجع سبق ذكره، ص 30، 35، 40-41.

89 انظر الملاحظة 3؛ إمري لأكاتوس، منهجية برامج البحث العلمي، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 1989؛ ماثيو دينت، فلسفة نظريات المؤامرة، Palgrave Macmillan, Basingstoke 2014؛ قاسم قسام، "The Monist، Vice Epistemology"، المجلد. 99 (2016) ص 159 - 180؛ Ole Bjerg وThomas Presskorn-Thygesen، "نظرية المؤامرة: ادعاء الحقيقة أو لعبة اللغة"، النظرية، الثقافة والمجتمع، المجلد. 34 (2017) ص 137-159، Michael J. Wood, Karen M. Douglas، و Robbie

M. Sutton "الموتى والأحياء: المعتقدات في نظريات المؤامرة المتناقضة"، علم النفس الاجتماعي وعلوم الشخصية، المجلد 3 (2012) ص 773-767.

⁹⁰ Michael Butter and Peter Knight "تاريخ الأبحاث في نظرية المؤامرة: مراجعة وتعليق" منشورات Joseph E. Uscinski؛ نظريات المؤامرة والأشخاص الذين يؤمنون بها، مطبعة جامعة أكسفورد، Oxford 2018؛ Karen M. Douglas, Robbie M. Sutton, Aleksandra Cichocka؛ "سيكولوجيا نظريات المؤامرة"، الاتجاهات الحالية في علم النفس، المجلد 26 (2017) 542-538؛ منشورات Michal Bilewicz, Aleksandra Cichocka, Wiktor Soral، نيويورك، Routledge، سيكولوجية المؤامرة، 2014؛ Aleksandra Cichocka, Marta Marchlewska and Agnieszka Golec de Zavala، "هل حب الذات أو كره الذات يبينان لمعتقدات المؤامرة؟ الترجسية واحترام الذات وتأييد نظريات المؤامرة، علم النفس الاجتماعي وعلم الشخصية، المجلد 7 (2018) ص 157 - 166.

⁹¹ Gray، المرجع سبق ذكره ص 134، Joseph E. Uscinski نظريات المؤامرة والأشخاص الذين يؤمنون بها، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2018؛ Aleksandra Cichocka, Marta Marchlewska and Agnieszka Golec de Zavala, and Mateusz Olechowski "لن يتحكموا فينا": إيجابية المجموعة المتجانسة والإيمان بالمؤامرات بين المجموعات، المجلة البريطانية لعلم النفس، المجلد 107 (2016) ص 576-556؛ Ryan L. Claassen and Michael J. Ensley "المنطق المحفز وأضرار سرقة إشارات الفناء: منطقي شقي ومحبوب، منطقك، إجرامي منحط، السلوكيات السياسية، المجلد 38 (2016) ص 335-317؛ Sean Richey "A birther and a truther تأثير الشخصية السلطوية على معتقدات المؤامرة، Politics & Policy، المجلد 45 (2017) ص 485-465؛ منشورات J.-W. van Prooijen and P. A. M. van Lange، "السلطة والسياسة والبارانويا: لماذا يشك الناس في قادتهم" مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 2014؛ Jan-Willem van Prooijen, Andre P. M. Krouwel, and Thomas V. Pollet؛ "التطرف السياسي يهيئ النفس للإيمان بنظريات المؤامرة، علم النفس الاجتماعي وعلم الشخصية، المجلد 6 (2015) ص 578-570؛ Jeffrey M. Bale، "جنون الارتباب السياسي مقابل الواقعية السياسية: حول التمييز بين نظريات المؤامرة الزائفة والسياسات التآمرية الحقيقية"، أنماط التحيز، المجلد 41 (2007) ص 45-60.

⁹² Jodi Dean، الأجنبي في أمريكا: ثقافات المؤامرة من الفضاء الخارجي إلى الفضاء الإلكتروني، مطبعة جامعة كورنيل، Ithaca 19؛ Luc Boltanski، الألغاز والمؤامرات: القصص البوليسية، روايات التجسس وصناعة المجتمعات الحديثة، Polity Press، كامبريدج 2014؛ منشورات Harry G. West and Todd Sanders، الشفافية والتآمر: إثنوغرافيات الشك في النظام العالمي الجديد، مطبعة جامعة ديوك، دورهام

العقلية التأميرية في حالة هذيان صارخ

2003؛ Stef Aupers، "لا تتفق بأحد": ثقافة التحديث والبارانويا والتآمر، المجلة الأوروبية للاتصالات، المجلد 27 (2012) ص 22 - 34؛ Gordon B. Arnold، نظرية المؤامرة في السينما والتلفزيون والسياسة، 2008؛ Alfred Moore؛ Praeger، Westport، نظريات المؤامرة والديمقراطية، Political Studies Review، المجلد 16 (2018) ص 2-12.

⁹³ Jesse Walker، الولايات المتحدة للبارانويا: نظرية المؤامرة، Harper Collins، نيويورك 2013.

⁹⁴ Gray مرجع سبق ذكره ص 40.

⁹⁵ Gray مرجع سبق ذكره ص 88-117، أنظر أيضا الإحالات 78 و 91.

⁹⁶ Gray مرجع سبق ذكره ص 39، 99، 149، 168؛ Jan-Willem van Prooijen، التمكين كأداة لتقليل الإيمان بنظريات المؤامرة، في منشورات Joseph E. Uscinski، نظريات المؤامرة والأشخاص الذين يؤمنون بها، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2018.

⁹⁷ Joseph E. Uscinski "دراسة نظريات المؤامرة"، Argumenta، العدد 6 (2018) ص 1-13.

⁹⁸ Gray مرجع سبق ذكره ص 118-140.

⁹⁹ Lewandowsky و Cook، مرجع سبق ذكره.

¹⁰⁰ المرجع نفسه.

¹⁰¹ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" كتاب استقصائي بقلم أحمد بن سعادة، المجاهد، 2 يونيو 2020؛

"من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" كتاب استقصائي بقلم أحمد بن سعادة، وكالة الأنباء الجزائرية، 7 يونيو 2020.

¹⁰² قناة الجزائر، 26 مايو 2020؛ القناة الإذاعية الثالثة، 6 يونيو، 2020.

¹⁰³ نُشر مؤخراً "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" بقلم أحمد بن سعادة، Afrique-Asie، 5 يونيو 2020.

- ¹⁰⁴ انظر على سبيل المثال Courier'Algérie 9 يونيو 2020؛ ExpressDz، 23 يونيو 2020؛ ReporterDz، 22 يونيو 2020، L'Expression، 7 و 9 و 16 و 21 يونيو 2020.
- ¹⁰⁵ الشهادة المثيرة للجدل للأكاديمي موقال عن الحراك، Dernières Infos d'Algérie، 26 مايو 2020. <https://www.youtube.com/watch?v=YnxAyn7CKkE>
- ¹⁰⁶ محمد بوحيمدي، أستاذ الفلسفة: "المنظمات غير الحكومية الدولية تحاول توجيه الحراك لإحداث الفوضى"، المجاهد، 27 مايو 2020.
- ¹⁰⁷ انظر الملاحظة 14؛ سيرين عطية، الجزائر: ما هي "الأطراف الخارجية" التي يتهمها قايد صالح بـ "زعزعة استقرار البلاد"، Jeune Afrique، 11 أبريل 2019.
- ¹⁰⁸ Douglas et al، مصدر سبق ذكره، ص 3-35 والمراجع في مقالات بريفيك ومكني وداعش وعقيدة أهوال يوم الحساب، في منطقتنا تعكس العنف المرتكب تحت تأثير نظريات المؤامرة.
- ¹⁰⁹ قوديل، مرجع سابق. اليم قوديل، "زبيدة عسول": لا يحق لأحد قياس وطنية الجزائريين"، Reporters Dz، 8 يوليو 2020.

زَيغان لوني

دحض الفكرة التي تزعم بأن "الربيع العربي" وحراك الجزائر مجرد ثورات ملوثة

يوسف بجاوي

1. مقدمة.....	69
2. خليط الألوان لدى بن سعادة.....	72
3. الثورات الانتخابية المعروفة باسم الثورات الملوثة.....	73
4. الثورات الملوثة، "الربيع العربي" والحراك الجزائري: التباس الأنواع لدى بن سعادة.....	78
5. التسلسل الثوري وانتشاره، والمؤامرات: تحديد المفاهيم والتمييز بينها.....	88
6. الخلاصة.....	96

1. مقدمة

في المقالة السابقة "العقلية التآمرية في حالة هذيان صارخ"، تم تناول كتيّب بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"¹ وكتابات أخرى لنفس الكاتب، من زاوية معرفية ومنهجية. وفي هذه المقالة، سنعلّق تشكيكنا حول ما يدّعيه الكاتب من أعمال تآمرية، للتركيز فقط على طريقة رؤيته وفهمه للثورات الملوثة وعلى

سعيه الحثيث إلى تشبيهها بـ"الربيع العربي" والحراك الجزائري، التي سنتطرق إليها هنا من منظور العلوم السياسية.

تهتم العلوم السياسية، من جملة أمور أخرى، بالظواهر الثورية ومقارنتها.² فتاريخ القرنين الماضيين حافل بالثورات والموجات الثورية، وبوسع أي باحث الحصول على كم هائل من الأعمال والكتابات والدراسات التي تقارن بين هذه الثورات، إما في شكل ثورات منفردة أو على شكل موجات متسلسلة.³ وإذا كانت هذه الأعمال تتضمن بالفعل بعض المقارنات بين الثورات الملوّنة و"الربيع العربي"⁴ – مع الإشارة إلى أنّ أكثر هذه الدراسات تقارن الربيع العربي بالموجة الثورية لعام 1989 في أوروبا الشرقية⁵ – فلا توجد بالمقابل دراسة أكاديمية تساوي بين "الربيع العربي" (والحراك الجزائري) بالثورات الملوّنة، مثلما يفعل بن سعاة. فهو لا يكتفي فقط بتضييق مجال المقارنة، ويحصر مرجعية مقارنته في (الثورات الملوّنة)، بل كلّ ما يقوم به هو طرح علاقات تشابه أو تماثل بين "الربيع العربي" أو الحراك الجزائري ومرجعيته الملوّنة. في حين تقتضي عملية المقارنة علمياً إقامة علاقات تشابه واختلاف، بالإضافة إلى التدقيق في علاقات التشابه وأيضاً علاقات التباين⁶ وهو ما نسعى إلى تبينه في هذه المقالة تحديداً.

يقدم القسم الثاني من هذه المقالة ملخصاً موجزًا عن أطروحة بن سعاة، التي تزعم أن "الربيع العربي" والحراك الجزائري ثورتان ملونتان.

تم نصوص بن سعاة – وكوكبة الصحفيين الجزائريين الذين يعيدون نشرها – عن معرفة سطحية فاضحة، بالثورات الملوّنة، ويقدم القسم الثالث من المقال ملخصاً للعلوم السياسية حول هذه الثورات.

يلي في القسم الرابع، مقارنة بين ثورات "الربيع العربي" والحراك الجزائري من جهة والثورات الملوّنة من جهة ثانية. وسيوضح هذا الجزء من المقالة أنّ انتفاضات منطقة

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لعام 2011 لا يمكن مقارنتها بالثورات الملوّنة. وستفقد هذه الدراسة أيضًا بشكل حاسم، الخلط الذي يقع فيه بن سعادة عند مقارنته الحراك الجزائري بالثورات الملوّنة. ويشير عنوان المقالة "انحرافات لونية" على وجه التحديد، إلى هذه الأخطاء في تحديد طبيعة الثورات والخلط في تشبيهها.

إنّ التشابه القائم بين أشكال معيّنة من الاحتجاج الذي لوحظ خلال الثورات الملوّنة من ناحية، والانتفاضات العربية أو الحراك الجزائري من ناحية أخرى، ساهم جزئيًا في تشكيل نظرة بن سعادة في دمج الفئة الثانية بالأولى. في حين يمكن بسهولة العثور على تفسيرات بديلة لأوجه التشابه بين الفئتين. وستتمّ في القسم الخامس مناقشة عدّة جوانب كفاهيم التسلسل أو الانتشار الثوري، والآليات الكامنة وراءها، وعمليات نشر الأفكار الاحتجاجية، وتقديم تفسيرات مقنعة، للانتقال عبر الوطني لأفكار وممارسات الاحتجاج.

يدّعي بن سعادة أنّ الإدارة الأمريكية هي التي أطلقت شرارة "الربيع العربي" في 2011 لإحداث الفوضى. وفي ما يخصّ الجزائر عام 2019، يزعم أنّ الولايات المتحدة تأمرت مع الحراك لتنصيب الإسلاميين في السلطة. هذه الادعاءات العرجاء، التي لم يكلف الكاتب نفسه عناء توثيقها أو إسنادها بأدلة، لن يتمّ تناولها هنا، لأنّ الشق الخاص بالجزائر من هذه الغائية الفظة، قد تمّ دحضه في القسم 2.2 من "العقلية التأمريّة في حالة هذيان صارخ"، أما بالنسبة للشق الخاص بـ"الربيع العربي" فسيتمّ نقضه في القسم الرابع من هذه المقالة.

بالإضافة إلى ملخص موجز للحجج الرئيسية الواردة في هذا النص، توضّح الخاتمة كيف تندرج مقارنة الحراك بالثورات الملوّنة ضمن خطاب مُعد لنزع الشرعية عن الحراك.

2. خليط الألوان لدى بن سعادة

يعتقد بن سعادة أنّ الحراك السلمي في الجزائر جزءٌ من "سلسلة متصلة" مرتبطة بـ "الربيع العربي"، وهذا الأخير نفسه امتداد لـ "الثورات الملوّنة".⁷ موقفه هذا ناشئ عن عملية متعدّية بين مقدمتين اثنتين. في الأولى، يربط الحراك الجزائري بـ "الربيع العربي" من خلال استخدام صيغ لفظية مشتقة من كلمة ربيع، فهو يقول، على سبيل المثال، إنه في عام 2011 "لم تسلم الجزائر من موجة الربيع"،⁸ وأنّ الحراك الحالي يمثل دخول الجزائر "في مرحلة ربيعية".⁹ وفي مقابلة أجراها هذا العام مع صحيفة L'Expression، قال أيضاً:

حركة الاحتجاج التي تحتاج الجزائر حاليًا لا تختلف عن تلك التي شهدتها بعض الدول العربية في 2010-2011. إنها امتداد للآفة التي أُطلق عليها اسم "الربيع العربي" وأحدثت الفوضى في العديد من الدول العربية كما أوضحته في العديد من المقالات والمقابلات.¹⁰

في المقدمة الثانية، يربط "الربيع العربي" بالثورات الملوّنة، مدّعياً وجود

استمرارية لتغيير الأنظمة (regime change) بطرق ناعمة، باستخدام أيديولوجية اللاعنّف، التي عصفت بعدد من البلدان لانتشالها من دائرة النفوذ الروسي، لتنتشر بعد ذلك إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا [...] لأغراض جيوسياسية أخرى.¹¹

"تغيير النظام" المراد تحقيقه من خلال إدامة "الثورات الملوّنة"، الذي تحبكه الإدارة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يتمثّل بحسب بن سعادة في تنصيب الإسلاميين على رأس دول المنطقة.¹²

في مقالة "العقلية التآمرية في حالة هذيان صارخ"، بيّن أنّ بن سعادة يدعم نظريته بمزيج من الحجج غير المقبولة، والبيانات، بعضها وهمية والبعض الآخر واقعية، لكنها غير

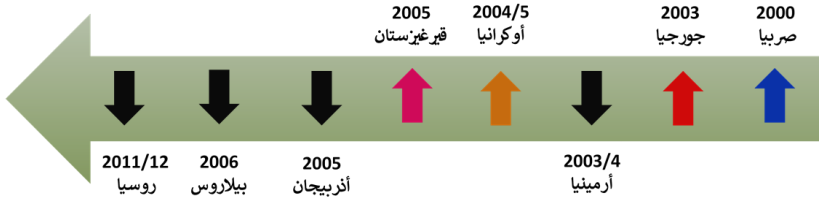
مكتملة وغير متسقة. وهذه البيانات هي التي يمكنها، بعد تنقيتها من الغلاف التأمري الذي صيغت فيه، أن تمنح بالنسبة للبعض قدرًا من المعقولة المهمة لهذه النظرية. في حالة الجزائر تنقسم هذه البيانات إلى ثلاث مجموعات. الفئة الأولى تتعلق بأوجه التشابه ذات الصلة بأشكال الاحتجاج بين الحراك الجزائري والثورات الملوّنة. يذكر بن سعادة على وجه التحديد منهج اللاعنّف، والفكاهة، والتآخي مع قوات الأمن، وتنظيف الشوارع بعد الاحتجاجات، واستخدام رسوم تجسّد قبضة أوتبور.¹³ المجموعة الثانية تتعلّق بالعلاقات المزعومة في تدريب نشطاء جزائريين من قبل قدامى منظمة أوتبور.¹⁴ والثالثة تتعلّق بالتمويل من الصندوق الوطني للديمقراطية (NED)،¹⁵ وقد سبق تناول هذه الحجة في موضوع "العقلية التأمريّة في حالة هذيان صارخ"، وبالتالي لن نتطرق إليها هنا.

سنبيّن تباعا أنّ نظرية بن سعادة ومبرراته تنطلق من فهم خاطئ للثورات الملوّنة، وقبل البرهنة على ذلك، من الضروري التعرّف عن قرب على هذه الثورات وتقديم بعض المعلومات الواقعية عنها.

3. الثورات الانتخابية المعروفة باسم الثورات الملوّنة

بعد مرور عشر سنوات على سقوط جدار برلين وثورات 1989-1991 التي هزت أركان الكتلة الشيوعية، تحوّلت أوراسيا (المنطقة الأوروبية الآسيوية) ما بعد الاشتراكية إلى مسرح لسلسلة من التحوّلات ومحاولات التحوّل، وكان الدافع الرئيسي وراءها الانتخابات المزوّرة المحبّكة من قبل الأنظمة القائمة، فردّت عليها شعوب المنطقة باحتجاجات عارمة غير عنيفة، لقيت دعماً من الغرب، سعت إلى استبدال الأنظمة الاستبدادية القائمة بالنخب السياسية التي تعارضها.¹⁶ نجحت هذه المحاولات القائمة على تناوب النخب في الحكم، في صربيا وجورجيا وأوكرانيا وقيرغيزستان بينما فشلت في أرمينيا وأذربيجان وبيلاروسيا وروسيا، كما هو موضح في الجدول الزمني المتسلسل

الرسم 1. وأصبحت هذه السلسلة من التحولات الانتقالية، الفعلية أو المجهضة، تسمى الثورات "الانتخابية" أو "الملوّنة".¹⁷



الرسم 1: تسلسل الثورات الملوّنة. المصدر: جوليا غيرلاخ، الثورات الملوّنة في أوراسيا.¹⁸ تشير الأسهم نحو الأعلى (الأسفل) إلى الثورات المكتملة (المجهضة).

تمثّل السياق السياسي المشترك بين هذه الثورات، أو محاولات الثورة، في نظام سياسي محوره رئاسة قوية، تدور في فلكه جماعات غير رسمية نافذة ومتنافسة، تقوم على المحسوبية والأوليغارشية أو الجهوية.¹⁹ وبالنسبة للبلدان التي خرجت للتوّ من حروب أهلية، كانت هذه الجماعات المنظمة ذات طابع عسكري وأمني. وبينما شهدت هذه البلدان درجات متفاوتة من القمع – السيطرة على وسائل الإعلام والفضاء العام، مع تفاوت في مستوى المضايقة التي يتعرّض لها المعارضون، منها الاعتقال وحتى الاغتيال – لكن بالمقابل اشتركت جميع هذه الأنظمة في نفس نمط الاستبداد: التسلط التنافسي الذي انتشر بعد نهاية الحرب الباردة.²⁰ في ظلّ هذا النوع من الأنظمة التسلطية، تكون القوانين والإجراءات الانتخابية منحازة لصالح النظام القائم، لكن تُجرى مع ذلك انتخابات وطنية تنافسية بشكل منتظم، يترك النظام من خلالها مجالاً للمعارضة للتعبير عن مواقفها وتعبئة مؤيديها. وهناك إمكانية، وإن كانت غير محتملة، أن ينجح مرشحو المعارضة، على عكس الأنظمة الاستبدادية غير التنافسية التي تمنع الانتخابات أو تسمح بها على المستوى المحلي فقط أو على المستوى الوطني لكن دون خيار أو مع الاختيار بين مرشحين ينتمون كلّهم للنظام القائم.²¹ إضافة إلى هذا القصور الديمقراطي، تميّز السياق الاجتماعي والاقتصادي بحالة من التردّي في العديد من هذه

البلدان: تدهور اقتصادي أو ركود، بطالة، فقر، فساد مستشري، عجز الدولة تدريجيًا عن تزويد المواطنين بالخدمات الأساسية.²²

يمكن القول أنّ نموذج الثورات الانتخابية أو الملوّنة أصبح كلاسيكيًا الآن، بحيث تستهدف الاستراتيجية المعدّة للإطاحة بالنظام التسلسلي التنافسي، حلقة الأضعف: التأثير في الانتخابات، من خلال تحويل الانتخابات المنحازة عادة، التي يستخدمها النظام الهجين دوريًا لإضفاء الشرعية على نفسه، وقلبها ضده. وتحقيقًا لهذا الهدف تتعاون المعارضة البرلمانية وغير البرلمانية المنقسمة غالبًا، وتتحد و/أو تتفق على مرشّح واحد. وقد نُظمت ورشات تدريب لفائدة حركات الشباب - على غرار أوتبور Otpor في صربيا، كمارا Kmara في جورجيا، بورا Pora في أوكرانيا، كيلكل Kelkel في قيرغيزستان، يوكس Yox في أذربيجان وزوبر Zubr في بيلاروسيا - أدارها نشطاء متمرّسين من الثورات الانتخابية السابقة، ومنظمات مرتبطة بالحكومة الأمريكية.²³ اتخذت هذه الحركات عادة لونًا معيّنًا أو زهرة محدّدة أو علامة مميزة كرمز لها، ومن هنا جاءت تسمية الثورات الملوّنة.

وبالتنسّق مع المعارضة، ركّز الشباب جهودهم تحقيقًا لمشروعين كبيرين. أولاً، التدرّب على تنظيم حملة وطنية لإقناع الناخبين - الذين غلب عليهم عدم الاكتراث واللامبالاة أو الاستسلام، بسبب التحيّز الانتخابي أو التزوير، أو غياب البدائل الحقيقية، أو ببساطة الخوف من القمع - لحثّهم على الذهاب إلى صناديق الاقتراع والتصويت للمعارضة. ثانيًا، التحضير لاحتجاجات سلمية في حالة رفض الرئيس أو الحزب الحاكم المهزوم في الانتخابات الاعتراف بالهزيمة. في الوقت نفسه، ويتم تدريب منظمات غير حكومية ومجموعات من المجتمع المدني على مراقبة الانتخابات من قبل الهيئات الحكومية وغير الحكومية الأمريكية والأوروبية، مع إعلان السياسيين الغربيين مساندتهم لانتخابات حرة ونزيهة في البلد المعين. وخلال الانتخابات، يصبح التحيّز أو التزوير الانتخابي - الموثق من قبل مراقبي الانتخابات المحليين، والمُدان من قبل المجتمع

المدني المحلي والمراقبين الدوليين ووسائل الإعلام الغربية – أداة للتعبئة الجماهيرية والمحجّر لانطلاقة الاحتجاجات الشعبية الواسعة اللاعنافية في البلاد. وهكذا، تتوقّف نتيجة المواجهة على ثلاثة عوامل: (1) مدى شعبية السلطة القائمة قبل الانتخابات، وتماسكها النسبي ومدى تحلّي النخب عنها؛ (2) مدى سعة نطاق الاحتجاجات واستمراريتها وقرار الحكومة على قمعها وقدرتها على ذلك؛ (3) حجم التأثير الأمريكي أو الأوروبي في دوائر صنع القرار العسكري والأمني.²⁴

في حالة الثورات الانتخابية الناجحة، كانت السلطات القائمة مطعون فيها وذات سمعة ملطّخة بشكل غير قابل للإصلاح قبل الانتخابات، وكان جزء من النخب قد تحلّى عنها وانظم إلى المعارضة. وباستثناء حالة قيرغيزستان، كانت الأنظمة المتحكّمة في المنطقة متردّدة أو غير قادرة على استخدام القمع الشديد ضدّ الاحتجاجات السلمية الواسعة والمستمرة، بعد رفض الشرطة وقوات الأمن الامتثال للأوامر في اللحظة الحاسمة، عندما تمّ الاستيلاء من قبل الجماهير على المباني العمومية.²⁵ أما بالنسبة للثورات الفاشلة، فكان يُنظر إلى الأنظمة القائمة إمّا نظرة إيجابية (روسيا وبيلاروسيا) أو ناقصة للشرعية، لكنها لم تتعرّض لاستنزاف من قبل نخبها التي لم تتخلّ عنها إلا القلّة، ولم تتحمّس للانضمام إلى معارضة متنافرة، وغير فعّالة نسبياً في تعبئة النخب الاحتجاجية والمواطنين عموماً في مشروع التغيير.²⁶ في كل هذه الحالات، تمّ إدخال عراقيل قانونية أمام المشاركة الانتخابية والحقّ في الاحتجاج، كما تمّ التضيق على الحركات الشبابية، وعرقلة مساعيها لإقناع السكان بالتصويت للمعارضة والاستعداد للاحتجاجات، فضلاً عن استخدام سلاح المراقبة والاحتجاز (قبل وأثناء وبعد الانتخابات). وباستثناء روسيا، قامت الشرطة وقوات الأمن دون تردّد بقمع المحتجّين ضدّ نتائج الانتخابات.²⁷

كما هو مبين في الجدول الآتي، ساهمت الثورات الانتخابية أو الملوّنة الناجحة في تنصيب في السلطة معارضات و"نخب مضادة" حسب غير لاه،²⁸ لم تكن ديمقراطية

زيغان لوني

بالضرورة في الأنظمة الهجينة. ولم يتغيّر نط الحكم في هذه البلدان بشكل كبير، وقد تراجعت القوى الاجتماعية (حركات الشباب والمجتمع المدني) المشاركة في الانتخابات وانسحبت من الحياة السياسية.²⁹

يمكن القول إذن أنّ هذه التحوّلات هي أقرب لتغيير أنظمة منها لثورات حقيقية، حيث تقوم النخب المضادة، بمساعدة "الغرب"، بتحويل مسار الانتخابات المنحازة أو المزوّرة، ضد السلطات القائمة، من خلال تعبئة الاحتجاجات الجماهيرية غير العنيفة للإطاحة بها.

الدولة	السنة	الانتخابات	النتيجة
صربيا	2000	رئاسية	التناوب
جورجيا	2003	برلمانية	التناوب
أوكرانيا	2004/5	رئاسية	التناوب
قيرغيزستان	2005	برلمانية	التناوب
أرمينيا	2003/4	رئاسية	الوضع الراهن
أذربيجان	2005	برلمانية	الوضع الراهن
بيلاروسيا	2006	رئاسية	الوضع الراهن
روسيا	2011/12	برلمانية رئاسية	الوضع الراهن

سهّلت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية في إنجاح هذه الثورات الانتخابية، في إطار "تعزيز الديمقراطية"، عن طريق التمويل أو التدريب أو المشورة الاستراتيجية لفائدة الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، لاسيما مجموعات المراقبة الانتخابية وحركات الشباب، من خلال الضغط الإعلامي الدولي الذي ندّد

بالتعسف أو التزوير الانتخابي، وعن طريق العمل الدبلوماسي وكذلك من خلال التأثير على دوائر صنع القرار العسكري والأمني.³⁰

هذا "النموذج الانتخابي" لتغيير النظام لم يولد مع ثورة البلدوزر في صربيا. في الواقع، تعود نشأته إلى تغيير النظام في الفلبين في 1986 وفي تشيلي في 1988، تمامًا كما تم استخدامه في نيكاراغوا في 1990 ضد الساندينistas.³¹ لقد تم تنقيحه وتكييفه ليتماشى مع أوضاع أوروبا، في انتخابات محورية في بلغاريا ورومانيا وسلوفاكيا وكرواتيا بين عامي 1997 و 2000، قبل تطبيقه في أوراسيا.³²

يعود آخر "نجاح" لهذا النموذج إلى عام 2005. بالإضافة إلى الدول المدرجة في الجدول، مُني هذا النموذج بهزيمة في انتخابات 2009 الرئاسية في إيران.³³ وأصبحت الأنظمة الهجينة تتقن بشكل متزايد الاستراتيجيات الوقائية والهجومية والقمعية لإفشال "النموذج الانتخابي" لتغيير النظام.³⁴

4. الثورات الملونة، "الربيع العربي" والحراك الجزائري: التباس الأمور لدى بن سعادة

تسمح المقارنة في العلوم الاجتماعية بتحديد أوجه الانتظام العامة المشتركة بين المواضيع محلّ التحليل، لكنها تسمح أيضًا بتحديد السمات الخاصة التي تميز كلّ منها. إنها عملية فحص دقيق لأوجه التشابه والاختلاف، تتطلب عناية خاصة في التنفيذ، لتجنّب الوقوع في فخ الاختزالية وتجنّب كذلك خطر أن يكون معيار المقارنة الذي اختاره المقارن، خيارًا معياريًا ينطوي على حكم مسبق على موضوع المقارنة، أو الأسوأ من ذلك، أن ينزع عنه الشرعية.

مقارنة بن سعادة بين الثورات الملونة من جهة و"الربيع العربي" والحراك الجزائري من جهة ثانية، تطرح إشكاليتين، إنها مقارنة وحيدة الساق، من حيث حصر بحثها في أوجه

زيغان لوني

التماثل فحسب، كما هي متحيّزة سياسيًا من خلال اختيار الثورات الملوّنة حصريًا، دون التوقف عند الأمثلة الثورية الأخرى، كـمعيار للمقارنة. إذا كان هذا الجانب الأخير من الموضوع سيناقش في الخاتمة، دعنا نفترض هنا أنه من المبرّر منهجيًا اختيار الثورات الانتخابية كـمعيار للمقارنة، وسنحاول إجراء المقارنة وفقًا لعدة متغيّرات، مثل الإطار الزمني، والسياق، والعوامل المحفّزة على اندلاع الأحداث، وبعض الجوانب الأخرى المتعلقة بالجهات الفاعلة والعمليات. ما تقدّمه ليس تمرينًا منهجيًا شاملاً، لأنّ الأمر قد يحتاج إلى كتاب كامل ليوفيه حقه، لكن ستكون المقارنة مع ذلك كافية إلى حدّ بعيد، لدحض التشبيه التبسيطي، الذي قدّمه بن سعادة بين "الربيع العربي" والحراك الجزائري من جهة والثورات الملوّنة من جهة ثانية.

أول فحوة ملفّقة للنظر بين الثورات الملوّنة وانتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تكمن في النطاق الزمني. من خلال مقارنة الجدول في القسم السابق بالجدول الآتي:

البلد	تاريخ الاحتجاجات	نجاح
تونس	19 ديسمبر 2010	نعم
الجزائر	3 يناير 2011	لا
الأردن	15 يناير 2011	لا
مصر	17 يناير 2011	نعم
عمان	17 يناير 2011	لا
اليمن	23 يناير 2011	لا
لبنان	25 يناير 2011	لا
العربية السعودية	28 يناير 2011	لا
السودان	30 يناير 2011	لا
البحرين	14 فبراير 2011	لا

يوسف بجاوي

لا	14 فبراير 2011	إيران
لا	16 فبراير 2011	ليبيا
لا	20 فبراير 2011	المغرب
لا	25 فبراير 2011	العراق
لا	18 مارس 2011	سوريا

نلاحظ أن الثورات الملوّنة امتدّت عبر فترة زمنية تقارب عشر سنوات بينما "الربيع العربي" انتشرت رقعته في بضعة أشهر، مميّزًا بعفوية واضحة، مجسّدًا نوعًا من نظرية الدومينو أو تفاعل تسلسلي، أو في أيّ حال، ظاهرة ذات طبيعة مختلفة. ومن الصعب تصوّر وزارة الخارجية الأمريكية تخطّط لإجراء 15 تغييرًا في نظم الحكم في غضون بضعة أشهر.

هناك أوجه تشابه واختلافات في الظروف السياسية والاقتصادية التي سبقت هاتين الفتنتين من الأحداث. شهدت منطقة أوراسيا أنظمة رئاسية تدور حولها مجموعات غير رسمية، متنقّدة ومتنافسة، تقوم على المحسوبية والأوليغارشية والانتماء الجهوي، بعضها عسكرية وأخرى أمنية، ووضعا اجتماعيًا واقتصاديًا مترديًا. هذا النمط نجده في بعض وليس كل دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي تشمل الملكيات الكلاسيكية، والأنظمة الملكية الدستورية شكليًا، ونظام إسلامي وعدد قليل من الأنظمة البرلمانية المتباينة، لكن هناك فرق واحد لافت للنظر: تسلّط الأنظمة التي اجتاحتها موجة الثورات الملوّنة كانت من النوع التنافسي، بينما استبدادية الأنظمة السائدة في كل دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كانت من نوع لا يقبل أيّ تنافس.³⁵ نتائج الانتخابات في تونس ومصر وسوريا واليمن، على سبيل المثال، كانت على النمط السوفيتي على الرغم من الواجهة الديمقراطية. أمّا الركود الاجتماعي والاقتصادي، مع ارتفاع معدل البطالة بين الشباب، فقد كان مشتركًا بين هذه

الأقطار، لكن تجدر الإشارة إلى أنّ الانتفاضات التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حدثت في دول ريعية، كانت مداخل النفط تضمن قدرًا من الأريحية الاجتماعية. أخيرًا، تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان الدين واللغة يمثلان نوعًا من القواسم المشتركة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فلا يمكن القول أنّ نفس الأمر ينطبق على البلدان التي مرّت بثورات ملوّنة.

إنّ أبرز أوجه الاختلاف وأهمها، بين الثورات الملوّنة وانتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يتمثل في طبيعة العنصر الباعث على الثورة. فبالنسبة للثورات الملوّنة، رأينا أن الدافع الأساسي شكلته الانتخابات، ممتثلًا في عامل تحييز السلطة أو تزويرها الانتخابي بشكل أكثر دقة. أما بالنسبة لـ"الربيع العربي"، فكان حرق البوعزيزي نفسه شرارة انطلاق الثورة في تونس، ثم كان سقوط بن علي وهروبه بمثابة حافز "مُعِدّ" انتشر إلى بقية البلدان. ولم تكن أيّ من بلدان المنطقة على موعد مع تنظيم انتخابات أثناء انطلاق الانتفاضات المتسلسلة. وبالنسبة للحراك الجزائري لعام 2019، يمكن اعتباره نقيض الثورة الانتخابية تمامًا لأنّه انطلق أصلًا رفضًا لإجراء انتخابات رئاسية كان فيها بوتفليقة مرشحًا لولاية خامسة. وقد عارض الحراك إجراء الانتخابات بدلًا من محاولة قلبها ضد النظام، وهذا الحراك نفسه رفض أيضًا انتخابات 12 ديسمبر 2019، بدلًا من محاولة استغلالها لقلب النظام القائم وفرض بديل له. علاوة على ذلك، فإنّ أيّ معارض سياسي، حتى المبتدئ فيهم، لا يمكنه التفكير والانخراط في أيّ استراتيجية تقوم على الإطاحة بالنظام في الجزائر عن طريق الانتخابات، خاصة وأنّ تاريخها الحديث حافل بالعبر والأمثلة ممّا يستبعد كليًا مثل هذا الاحتمال. ومن باب التذكير، كانت الجزائر باشرت أول تحوّل ديمقراطي لها حتى قبل سقوط جدار برلين والثورات في أوروبا الشرقية، قبل أن يرفض الجيش تغيير السلطة التشريعية المنبثقة عن نتائج الانتخابات الحرة في ديسمبر 1991، فيطيح بالرئيس، ويغرق البلاد في حرب أهلية.

على مستوى الجهات الفاعلة، شارك في إعداد وتنظيم الثورات الملوّنة، المعارضة المحلية بالتنسيق مع حركات الشباب ومنظمات المجتمع المدني، عكس انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، التي لم تنسجم مع هذا النمط من التنظيم، وتشبه بالأحرى انتفاضات النشطاء والعمال وعامة الناس من الرجال والنساء العادين، دون توجيه من قادة معروفين، حيث كانت الاحتجاجات مدفوعة في البداية عن طريق شبكات شبابية لامركزية.³⁶ المعارضة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تخضع عمومًا للعساكر أو الملوك وتوظف كأداة للاستقطاب، والمحسوبة، وتستعمل في الداخل لتشتيت صفوف الشعب وفق قاعدة فرق تسد، وكواجهة تعددية في الخارج. هذه المعارضة قد تجاوزتها الأحداث ولم تكثر لها الانتفاضات الشعبية، بل أدانت دورها المتواطئ، مثلها مثل الأنظمة نفسها، أمّا الحراك الجزائري فقد أخرج هذه المعارضة الرسمية من مظاهراته وطردها من صفوفه، واعتبرها جزءًا من المشكلة وليس من الحل، ويرفض أيّ تمثيل رأسي للأحزاب السياسية أو منظمات المجتمع المدني. كما لا نجد أيّ أثر، قبل انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لأيّ حركة شبابية، تسعى وتعمل على إقناع الناس على التصويت لصالح أيّ تشكيلة سياسية معارضة، أو لتحضيرهم على ممارسات الاحتجاج السلمي والجماعي ضد التزوير الانتخابي. كانت حركة كفاية المصرية على سبيل المثال، التي تأسست عام 2004، ويتناغم اسمها مع أسماء منظمات شباب الثورات الملوّنة، بمثابة منصّة متواضعة للاحتجاج على رئاسة حسني مبارك (وإمكانية انتقالها إلى نجله)، تناضل من أجل مقاطعة الانتخابات الرئاسية لعام 2005 وليس لتحويل المسار وتوجيهه ضد النظام. قبل "الربيع العربي"، كانت حركة 6 أبريل المصرية، التي تأسست عام 2008، والتي كان لبعض أعضائها علاقات مع قدامى منظمة أوتبور، تنشط في المجال النقابي وحقوق الإنسان، وناضلت أيضًا في التحفيز على تكريس الديمقراطية، لكن لم يكن معروفًا عنها الدعوة إلى إسقاط نظام مبارك بالانتخابات.³⁷ باستثناء حالة لبنان، لا نعرف أيّ مجموعات من المجتمعات

المدينة العربية سبق لها قبل عام 2001 أن تلقت تدريبات على مراقبة الانتخابات من قبل منظمات غير حكومية أو منظمات حكومية أمريكية أو أوروبية.

إذا توقفنا الآن عند بعض متغيرات العملية، نلاحظ أنّ بن سعادة يعتبر أنّ اللاعنّف، والفكاهة، والتآخي مع قوات الشرطة، واستخدام صورة قبضة أوتبور، مبررات كافية لمقارنة "الربيع العربي" والحراك الجزائري بالثورات الملوّنة. صحيح أنّ هذه العناصر تنتمي إلى نفس المجموعة من أنماط النشاط التي لوحظت في هاتين الفئتين من الأحداث، لكن هذا التشابه ليس خاصًا بهما، لأنّ هذه الأعمال المشتركة ليست حكرًا على الثورات الانتخابية وحدها (انظر القسم الآتي)، ويبقى عامل التشابه، المتمثّل في نهج اللاعنّف، المشترك بين مجموعتي التمرد، هو تشابه محدود نوعًا ما لأنّ العنف قد صاحب عددًا كبيرًا من انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (مصر وليبيا وسوريا واليمن)، أما حراك 2019 الجزائري فلا يزال حتى يومنا هذا متمسكًا بتنظيم لا عنفي مثالي ومحافظًا عليه.

تشكّل الثورات لحظات فنية مزدهرة، ولم تكن انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والحراك الجزائري استثناءً، لقد صاحبها طفرة فنية هائلة، استقت إلهامها من التراث الثقافي والجمالي لكل بلد منها، ومن التراث المشترك بين دول المنطقة، مع استفادتها أيضًا من منابع الثقافة الغربية والعولمة الثقافية، والأمر ينطبق على مجال الموسيقى والمسرح والرسم والكتابة على الجدران، وبدرجة أقلّ على الشعر الثوري الذي يستلهم روحه من الشعر العربي الكلاسيكي.³⁸ شكّل سقوط النظام ومطالب الحرية والعدالة والمساواة والحبز والكرامة والوحدة في التنوع، المواضيع الأكثر استخدامًا وتناولًا، في حين لم يكن موضوع التناوب على الحكم والتزوير الانتخابي اللذان ميّزا الثورات الملوّنة ضمن الأولويات الفنية للشارع في منطقتنا.³⁹ بالنسبة للحراك الجزائري، شكّل موضوع وضع حدّ لعسكرة الدولة أيضًا أولوية قصوى، وهو مطلب يميّزه بوضوح عن مطالب الثورات الملوّنة و"الربيع العربي".

حظيت الثورات الملوّنة بدعم وتخفيز من خلال تغطية إعلامية غربية مكثّفة ومجّدة لها في نفس الوقت. بالمقابل تميّزت التغطية الإعلامية بالنسبة لانتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بتحقّظ لافت للنظر ومتضارب إلى حدّ ما، وكانت قناة الجزيرة هي التي سهّلت هذه الانتفاضات وسرّعت وتيرة،⁴⁰ أمّا الحراك الجزائري منذ 2019 لم يستفد لا من هذه ولا تلك. وتمّ استخدام النشاط على شبكة الإنترنت كأداة تعبئة خلال الثورات الانتخابية، لكن لم يكن فيسبوك وتويتر متاحين آنذاك أو نادرًا خلال الثورات الملوّنة الناجحة، بينما خلال "الربيع العربي" والحراك الجزائري، لجأ النشطاء وصنّاع الرأي بشكل كبير إلى هذه المنصات كوسيلة للتعبئة أو لإنتاج محتوى نقدي للأنظمة.⁴¹ وشكّلت شبكات التواصل الاجتماعي أدوات تعبئة بارزة، لكن قناة الجزيرة هي التي قامت بلا شك بالدور الرئيسي في تيسير التعبئة والاحتجاج في الشارع⁴² من خلال إعلام غالبية مواطني المنطقة حول سلسلة الانتفاضات، أمّا فيما يخصّ الحراك الجزائري، فقد تميّزت تغطية الجزيرة بقدر من البرودة، لكن كانت متوازنة إلى حدّ ما، إلى غاية تاريخ استقالة بوتفليقة، ثم تحوّلت تغطيتها للأحداث وأصبحت منحازة صراحةً للنظام منذ ذلك الحين.

وإذا قارنّا الآن المتغيّر الخاص بالموقف الغربي إزاء فتّي الأحداث، نجد هنا أنّ التباين أكثر وضوحًا. فبالنسبة للفتّة الأولى، كان الدعم الدبلوماسي الأمريكي والأوروبي، في إطار "تعزيز الديمقراطية"، للثورات الملوّنة التي ساعدوا في تنظيمها، حازمًا وصارخًا، أمّا في حالة "الربيع العربي"، على عكس هذين بن سعادة في مزاعمه، لم يتوقع لا مكتب أوباما ولا الخبراء الأكاديميين أو وكالات المخابرات أو الدبلوماسيين المعيّنين في المنطقة انتفاضات الربيع العربي.⁴³ وحسب جيزون براونلي، كان الموقف الأوّلي للإدارة الأمريكية:

يحثّ على التزام الهدوء – والمطالبة ضمّنًا إلى عودة الوضع القائم غير الديمقراطي – ولكن إذا أطاحت قوى المعارضة بالزعيم في تلك الدول، يسرع المسؤولون

زيغان لوني

الأمريكيون إلى التباهي بالنصر كما لو أنهم كانوا يسعون دائماً إلى التغيير الديمقراطي. وكانت واشنطن، طول الوقت وإلى غاية ميل الأحداث لصالح هذا الطرف أو ذاك، في هذا الاتجاه وذلك، تعمل على تثبيط مساعي المحتجين وإنهاء نضالهم والعمل على عودة استقرار أنظمة الحلفاء.⁴⁴

قبل وقت قصير من انهيار نظام بن علي، عرضت ميشيل أليو ماري، وزيرة الخارجية الفرنسية، "الخبرة" الأمنية الفرنسية، "المعترف بها في جميع أنحاء العالم" لمساعدة النظام التونسي لإخماد المظاهرات.⁴⁵ وقبل أسبوعين من سقوط مبارك، اعتبرت هيلاري كلينتون أن "الحكومة المصرية مستقرة"، وقالت في مارس 2011، إن بشار الأسد "مصلح محتمل".⁴⁶ وتميّزت السياسة الأمريكية (والأوروبية) قبل "الربيع العربي" بما يسمى بالسياسة "الواقعية" لتعزيز "الوضع الاستبدادي الراهن"، أي "دعم المستبدين المحليين والامتناع عن انتقادهم أو فعل أي شيء علناً من شأنه تقويض حكمهم وإضعاف صورتهم".⁴⁷ ليس سرّاً أنّ ميزان السياسة الأمريكية في المنطقة كان يميل دائماً لتكريس المصالح الأمريكية على حساب القيم. وكان الحصول على النفط والغاز، و"الدفاع على إسرائيل وضمان أمنها"، و"مكافحة الإرهاب"، وعدم انتشار الأسلحة النووية، والتدقيق الحرّ للتجارة، وأمن الدول العميلة لها، على الدوام ضمن الأولويات الأمريكية، ومقدمة على حساب مزاعم نشر الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، دون أن ننسى أنّ الديمقراطية الحقيقية تحرّر من جمّة أخرى القوى السياسية الإسلامية والوطنية، المقاومة للإملاءات الأمريكية.⁴⁸ بالفعل تدخلت الإدارة الأمريكية في ليبيا، بسبب حقولها النفطية الكبيرة ومحاولة استمالة الثورات والتأثير عليها لصالحها، لكنها في الوقت نفسه أوكلت إلى العربية السعودية مهمّة قمع الانتفاضة في البحرين، وعهدت أيضاً إلى هذا النظام الملكي وإلى الحكم في الإمارات العربية مهمّة تخريب الثورات في اليمن وفي المنطقة.⁴⁹ وخلال حكم الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي الوجيز، رفضت إدارة أوباما ممارسة ضغوط وقائية على المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولم تصف الإطاحة بالرئيس المنتخب مرسي انقلاباً، ولم تُدّن الانتهاكات الخطيرة والجسيمة لحقوق

الإنسان في عهد المشير عبد الفتاح السيسي، فضلاً عن استئناف دعمها المالي للنظام العسكري.⁵⁰ لقد كان واضحاً أنّ التدخل الأمريكي في سوريا، إلى جانب حلفائها وعملائها في المنطقة، وفي مواجهة روسيا وخصومها الإقليميين، تمّ من أجل مصالح لا علاقة لها بـ"تعزيز الديمقراطية".⁵¹ وفي عهد أوباما تقلّصت ميزانية "الترويج للديمقراطية" بنسبة 28%.⁵² تتقاطع مواقف الدول الأوروبية والاتحاد الأوروبي إلى حد كبير مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية، وفي ما يتعلق بألوية المصالح على القيم، أي تعزيز الوضع الراهن الاستبدادي، المغلف بخطاب يزعم العمل من أجل ديمقراطية المنطقة والدفاع عن حقوق الإنسان.

أما الحراك الجزائري، فلم ينل حظاً حتى من الخطاب الحقوقي الأمريكي المزعوم أو الأوروبي خلال تعرّض أفراده لأسوأ الانتهاكات الأمنية، منذ بدايته. وكانت هذه القوى الدولية نفسها قد ساهمت في إجماع أول محاولة للانتقال الديمقراطي في البلاد، من خلال دعمها للانقلاب العسكري في يناير 1992 الذي أشعل فتيل حرب أهلية وأودى بحياة ما يقرب من ربع مليون شخص. لماذا إذن يسحبون الآن دعمهم لنظام عسكري يعرفونه جيداً - نظام غير شرعي وهشّ، قابل للابتزاز، نظام خدمهم وقدم لهم موارد الطاقة بأثمان زهيدة، وحول البلد إلى سوق تجاري استعماري كبير، يحمي عمليات تهريب عشرات المليارات من الدولارات سنوياً إلى بنوك الدول الغربية، ويتصرّف كشرطي أمني طيّع، وبجاسة كبيرة، وراض عن نفسه بالانسحاب الدبلوماسي الإقليمي للجزائر - لماذا يستبدلون ذلك، بمرافقة الحراك والمرور بمرحلة انتقالية، غير معروفة المضامين بعد، ويحتمل أن تأتي إلى سدة الحكم بحكام شرعيين قادرين على الدفاع عن مصالح الجزائر؟ هذا الوضع يتطابق مع ما قاله باندو بشأن الانتفاضات العربية لعام 2019: "يجب أن تتوخّى واشنطن الحذر حول ما تريده: قد تكون الأنظمة الديمقراطية والوطنية الجديدة أقلّ استعداداً لتقبل التدخل الأمريكي في المستقبل"،⁵³ وهو تحذير غير ضروري أصلاً، في ضوء تصريحات دونالد ترامب

المعجبة بالديكتاتوريين العرب الدمويين، على غرار عبد الفتاح السيسي وبشار الأسد وصادق حسين ومعمار القذافي.⁵⁴

لا يمكن إنهاء هذا التمرين المقارن دون إلقاء نظرة إلى المتغير "المنتج للثورات". لقد رأينا في الثورات الملوّنة في أوراسيا أن النتيجة كانت إمّا تغيير النظام، أي عملية تناوب على السلطة، تُنصّب نخباً مضادة ليست بالضرورة ديمقراطية، أو استمرارية الاستبداد. كانت هذه الثورات، التي واجهت أنظمة استبدادية تنافسية، عبارة عن حلقات انتخابية حافلة بالأحداث، لكنها لحظات انتخابية مع ذلك. أما بالنسبة إلى انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فقد أطاحت بعضها بديكتاتوريات راسخة وشرعت في تحولات ديمقراطية، وبعضها الآخر تعرّض للقمع وتم إخمادها بقسوة شديدة، بينما انجرفت أخرى نحو أعمال عنف أغرقت هذه البلدان في حروب أهلية. لقد اتضح أنّ التنازلات التي قدّمتها الملكيتان المغربية والأردنية كانت تجميلية ليس إلا، وكانت تونس وحدها هي التي استطاعت إحراز تقدّم في تحوّلها الديمقراطي الذي ما زال حتى يومنا هذا يشقّ طريقه ويعزّز وضعه، على الرغم من المحاولات المتكرّرة الساعية إلى حرف مساره ونسفه من قبل المحور العربي المضاد للثورة. لم تنج أنظمة الاستبداد في المنطقة من "الربيع العربي" فحسب، بل ازدادت قوة في كل مكان لم تحلّ محله الحرب الأهلية.

في الختام، يتبيّن بوضوح من عملية التقييم العامة المتمخّضة عن هذه المقارنة لأوجه الشبه والاختلاف - بين الثورات الملوّنة من جهة، و"الربيع العربي" والحراك الجزائري من جهة أخرى - أنّ تشبيه الفئة الثانية بالأولى، مثلاً يفعل بن سعادة، يتناقض ببساطة مع حقيقة الوقائع.

5. التسلسل الثوري وانتشاره، والمؤامرات: تحديد المفاهيم والتمييز بينها

أصاب خالد ساطور في ملاحظته عندما قال أنّ "إسدال بن سعادة رداء الثورة الملوّنة على أيّ حركة شعبية نابغٌ بشكل شبه حصري من ملاحظات تدرج ضمن النهج السيمائي الأكثر تبسيطًا. يكفي بالنسبة إليه بأن تلجأ حركة احتجاجية إلى وسائل النضال السلمي لينسب أبويتها إلى كوكبة المنظمات غير الحكومية والمجموعات الصغيرة الأخرى التي تعمل لحساب الآلية التخريبية الأمريكية"⁵⁵ لا يجهل بن سعادة أسس الآليات التي تنتشر من خلالها الأفكار والممارسات بين الثورات فحسب، بل إنه عندما يزعم أنّ الحراك اللاعنفي في الجزائر هو مجرد جزء من "سلسلة متصلة" تشمل "الربيع العربي" - الذي يعتبره "امتدادًا" لـ "الثورات الملوّنة"⁵⁶ - فهو يُرهّن عن جمل خطير في فهمه للبعد الزمني والمكاني للثورات. لهذا الغرض، يقترح هذا القسم من المقالة، تقديم لمحة عامة وكذلك عرض رسم مختصر للآليات المستخدمة لنشر الانتفاضات في العالم والعمليات التي من خلالها تنتشر أفكار الاحتجاج.

إذا استثنينا المعنى البسيط لـ "الاستمرارية"، باعتبارها سلسلة من الأحداث الزمنية المتجاورة أو مرور الوقت بكل بساطة، وحسب هذا الفهم يمكننا أن ندرج هذه الثورات ضمن سلسلة متصلة تمتد حتى إلى التطور البيولوجي الذي ميّز ظهور الثدييات الإنسانية ذات القدمين، إذا استثنينا هذا المعنى المبسط، فمن المستحيل العثور على هذه "الاستمرارية" التي يتصوّرها بن سعادة. لا توجد دراسة سياسية أو تاريخية جادة تصنف الثورات الملوّنة و"الربيع العربي" من حيث العامل الزمني، على أنها تنتمي إلى نفس الموجة أو سلسلة الثورات. تقع هاتان المجموعتان من الأحداث ضمن مساحات جغرافية متباينة، لم تلتق زمنياً، بل تبعتا بعضهما البعض، جرت المجموعة الأولى في العقد الأول من الألفية الثالثة والثانية في العقد الثاني. وبينما امتدّت الثورات الانتخابية على مدى عقد من الزمن، اندلعت انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بوتيرة

مذهلة، وتتابع في غضون بضعة أشهر، بما يدلّ على عفويتها أو نوع من التفاعل التسلسلي.

سجّل العديد من المؤرخين وعلماء السياسة أن الكثير من التغيرات السياسية تميل عادة إلى التكدّس في الزمان والمكان؛ يتحدثون في هذه الحالة عن موجات من الثورات (عن التحوّلات أو الاحتجاجات أيضًا)، أي سلسلة من الثورات تحدث في نفس الفترة الزمنية وأحيانًا في مساحة جغرافية محدودة. من زاوية التسارع التاريخي، فإن موجة الانتفاضات التي انطلقت من تونس وانتشرت في ربوع منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط في غضون أسابيع قليلة، هي أقلّ شبيهاً بالثورات الملوّنة منها بالموجة الثورية التي بدأت بعد سقوط جدار برلين مباشرة، والتي هزّت أوروبا الشرقية وأوراسيا في غضون سنة تقريبًا.⁵⁷ وهناك مؤلفات كثيرة مخصّصة للمقارنة بين هاتين الموجتين من الاضطرابات السياسية.⁵⁸

وُصفت ثورات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بـ"الربيع العربي" في إشارة إلى "ربيع الشعوب" الذي يحيل إلى التسونامي الثوري الذي اجتاحت أوروبا عام 1848. فقد اندلعت ثورة باريسية موحّمة ضد نخوية الملك لويس فيليب، وأطاحت به في فبراير 1848، الأمر الذي أطلق شرارة سلسلة من ردود الفعل عمّت جميع أنحاء أوروبا. في غضون شهر واحد، عاشت كل أوروبا، من البرتغال إلى فنلندا، ومن الجبل الأسود إلى الدانمرك، على إيقاع الانتفاضات وأعمال الشغب، ممّا أجبر القوى العظمى آنذاك، مثل بروسيا والنمسا والعديد من دول أوروبا الوسطى والشرقية، على الرضوخ لمطالب الاحتجاجات العنيفة، وإدخال تغييرات غير مسبوقة في تاريخ حكمها.⁵⁹ ونجت بأعجوبة الدول الإسكندنافية وهولندا وبلجيكا من هذا المصير بفضل تقديمها تنازلات استباقية.⁶⁰ ونظرًا لتعدد الاحتجاجات في فترة زمنية قصيرة وفي نفس المنطقة، يمكن تشبيه هذه الموجة الثورية إلى حد كبير بـ"الربيع العربي" مما أفضى أيضًا إلى طرح عدد من المقارنات بينهما.⁶¹ يوجد بطبيعة الحال موجات أخرى من الثورات قبل وبعد

1848 لا نرى جدوى في مناقشتها هنا نظرًا لضعف تقاطعها إلى حد كبير مع موضوع إشكالتنا المطروحة.⁶²

تطلق مختلف الكتابات والأبحاث على الديناميكية التي ينتقل عن طريقها التغيير السياسي في بلد ما بسرعة وبشكل غير متوقع إلى بلدان أخرى اسم "العدوى" أو "الحوية" أو "المحاكاة" أو "السلسلة" أو "الامتداد" أو ببساطة "الانتشار".⁶³

وتقدم التبينات الهيكلية لسلسلة الاحتجاجات ضد الأنظمة أسبابًا ترتبط بالظروف السياسية والحقوقية المتردية، أو أسبابًا اقتصادية واجتماعية و/أو ثقافية، أو ذات جذور جيوسياسية. تم إرجاع أسباب "ربيع الشعوب" على سبيل المثال إلى الكساد الاقتصادي وتفاقم البطالة في المدن، وإحالة سبب انتفاضات منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى الأزمة المالية العالمية في 2007-2008.⁶⁴ كما تم تفسير الصنف الأول أيضًا بتعاظم ديموغرافي مفاجئ لا توافقه وتيرة تطور البنية التحتية الاقتصادية، ممدّد لاستقرار المؤسسات القائمة، أما "الربيع العربي" فربطوه بتدفق أفواج "الخرجين من الجامعات والمعاهد بلا مستقبل"، وارتفاع عدد الشباب المتقصى من العملية السياسية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية.⁶⁵ هناك أيضًا تفسيرات تحيل هذه الانتفاضات إلى الاضطرابات الثقافية الناتجة عن التحديث والتشابه الثقافي للبلدان المنخرطة في السلسلة الثورية.⁶⁶ وفي المثال الأخير، تم تبين موجة ثورات عام 1989 في أوروبا بالانتقال المفاجئ في المجال المهيمنة بين قطبي العالم، أي سقوط الاتحاد السوفيتي.⁶⁷

ومع ذلك، يظل مستوى الإقناع بالتبين البنيوي محدودًا، لأن الأسباب الداخلية تختلف، في طبيعتها ودرجتها، من دولة إلى أخرى، بينما يفرض الوضع تقديم تبين مقنع للانفجار السياسي في العديد من البلدان في وقت قصير، ولا يبدو أنّ عدوى الاحتجاج تنطلق من نفس الهياكل، في كل بلد من البلدان المعنية، حتى وإن كان من

المحتمل أن تؤثر هذه الهياكل في توزيع انتشار الاحتجاجات وأشكالها في كل بلد من تلك البلدان.

هناك تبينات مختلفة للانتشار الثوري من خلال عامل الوكالة (agency) - وهي قدرة الفرد أن يتصرّف بحض إرادته الحرة رغم تأثير البناء الاجتماعي - وانطلاقاً من الملاحظة أنّ العدوى الثورية تشبه هجمات المضاربة بالعملة، قامت دراسة فريدة من نوعها بنمذجة، عن طريق نظرية اللعبة، هذه الأحداث النادرة التي تنشأ في شكل موجات، باستعمال سلسلة معلوماتية، تحوّل المعتقدات حول ما هو ممكن، فيصبح المواطنون أكثر حزمًا والنخب الحاكمة راضخة لحتمية التغيير.⁶⁸ لكن التفسير الأكثر استعمالاً لفهم التسلسل الثوري طبقاً لهذه المقاربة، هو "التأثير الاستعراضي"، الذي من خلاله تؤدي الأحداث الدرامية الجارية، ونجاح الانتفاضة في بلد محوري، إلى تغيير جذري في التصوّرات في بلدان المنطقة، ويقنع الناس أن "التغيير قابل للتحقيق" وأن "اللحظة الراهنة مواتية والطريقة صحيحة"، بما يحفّزهم على محاكاة ثورة الدولة المحورية.⁶⁹ إنها عملية نفسية تتجاوز التحليل وآلية صنع القرار العقلاني، حيث تتمّ الاستنتاجات والتوقعات، انطلاقاً من البلد المحور، وتنفذ على عجل، استناداً إلى معلومات غير مؤكّدة، واختراعات وأحكام مسبقة وبيانات جزئية.⁷⁰

إن التبنيّ العقلاني لاستراتيجية الإطاحة بنظام دكتاتوري في بلد آخر، وتكييفها المدروس والحذر، الذي يأخذ في الاعتبار الظروف المحلية، يشكل نقلاً للمعرفة والدراية السياسية التي تتطلب موارد بشرية خبيرة وتشبيك قوي مرتبط بالمهندسين والجهات الفاعلة في الإطاحة بنظام الحكم في البلد الذي يراد محاكاة ثورته. وإنّ تطوير المهارات والأدوات التنظيمية الضرورية لتنفيذ هذه الاستراتيجية، يتطلّب أيضاً موارد بشرية ومالية كبيرة، بالإضافة إلى الكثير من الوقت. هذا النمط من الانتشار المكلف والمستهلك للوقت يناسب أكثر الثورات الملوّنة التي انتشرت بتمهل، أكثر من تناسقها مع موجة الثورات التي اجتاحت المناطق في فترة زمنية قصيرة جداً (1848، 1989 أو

انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا).⁷¹ رأينا في القسم 3 كيف أنّ المنظمات الحكومية وغير الحكومية الأمريكية والأوروبية تساهم، في إطار "تعزيز الديمقراطية" - بواسطة خبرتها وشبكاتها ومواردها التنظيمية والمالية - في النشر المدعم "للمنموذج الانتخابي" في تغيير النظام.

بين عفوية "التأثير الاستعراضي" وتخطيط هذه الشبكات العابرة للحدود، هناك مجموعة واسعة من أساليب نقل الأفكار والقيم ومعايير الحوكمة، بالإضافة إلى الاستراتيجيات والتكتيكات وأساليب الاحتجاج، التي تساهم في انتشار الثورات. ليس من قبيل المصادفة أنّ "ربيع الشعوب" ارتبط بتطور آلة الطباعة والتلغراف، وثورات 1989 بتكنولوجية الاتصالات والتصوير طبق الأصل (ساميزدات)، وانتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بوسائل التواصل الاجتماعي.⁷² في دراسة إحصائية حديثة حول الاحتجاجات اللاعنفية التي غطتها وسائل الإعلام في 207 دولة على مدار عشرين عامًا منذ سنة 2000، تشير النتائج إلى أنّ الاحتجاجات الأجنبية تمتدّ أو تنتشر بشكل كبير نحو الاحتجاجات الوطنية، ويعود سبب ذلك إلى الدور المهم الذي تقوم به شبكات التواصل الاجتماعي.⁷³

إنّ انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ليست نتاج تدفق انتشار الأفكار الاحتجاجية الناشئة حصريًا من مركز CANVAS، عكس الصورة الكاريكاتورية المختزلة التي يقدّمها بن سعادة، بل كانت مشبعة بأفكار وممارسات وتجارب احتجاجية عمّت مختلف الحركات في كل بلد، وداخل العالم العربي وحول العالم، وذلك منذ عقود. فلنأخذ اللاعنّف على سبيل المثال. نرى أنه يرتبط بنضالات مختلفة بحسب الأجيال. بالنسبة لجيلي، فإنه مرتبط بالثورة الخملية في تشيكوسلوفاكيا، وثورة الأغاني في دول البلطيق، أو كفاح غاندي في الهند، لكن في واقع الأمر، اللاعنّف قديم قدم البشرية، وموثق بالصورة والكلمة المكتوبة في الاحتجاجات وبعض حركات التحرّر والثورات منذ القرن التاسع عشر، في جميع القارات، وفي جميع الثقافات.⁷⁴ إنّ انتشار هذه الفكرة

لا ينبع من الولايات المتحدة، واتجاه تدفقها لا يسير من المركز إلى الهامش. نلاحظ على سبيل المثال أنّ مجموعة أعمال حركات الحقوق المدنية في الولايات المتحدة مستوحاة إلى حد كبير من أشكال المقاومة اللاعنفية لدى غاندي.⁷⁵ وجين شارب لم يخترع اللاعنف، حتى وإن كان له وزنه وفوقه ضمن المنظرين لاستخدامه. ففي منطقتنا من العالم، هناك العديد من ورشات التفكير السياسي والأخلاقي والتاريخي واللاهوتي، باللغة العربية، حول النضال اللاعنفى منذ عقود.⁷⁶ إنّ المجتمعات تراكم أيضًا الحكمة الجماعية من خلال تجاربها وتجارب جيرانها والعالم بأسره. وقد كان لعشرية الحرب الأهلية الدموية في الجزائر في التسعينيات دورًا ملحوظًا في التحذير من خطر العنف السياسي بين الفاعلين السياسيين والاجتماعيين في العالم العربي. ولا يزال حراك 2019 الجزائري يحافظ حتى يومنا هذا على انضباط غير عنيف نموذجي، يستقي ذكاه من الجراح التي لم تندمل بعدُ من "الحرب القذرة" وكذلك من الدرس الذي لا يزال حيًا المستخلص من الانتفاضات العربية التي انحرفت عن مسارها وانحرفت نحو العنف. إذن إذا أردنا الحديث عن أوجه التشابه، نعم لا يمكن أن ننفي أن هناك نشطاء عرب تشربوا أفكار الثورات الملونة، من خلال الاتصال الشخصي أو من خلال الإنتاج الفكري، لكن حتى يومنا هذا لا يوجد أي أثر لخطة ترمي إلى الإطاحة بنظام عربي عن طريق الانتخابات، ودرجة تأثيرهم على الانتفاضات لم يثبت أحد، تمامًا كما هو الحال بالنسبة للنشطاء الذين اهتموا بالنضالات اللاعنفية الأخرى، ومن التجارب وطرق تفكير أخرى داخل العالم العربي وخارجه. ومن ثمّ فإنّ ربط اللاعنف في "الربيع العربي" (على الأقل بداياته) بتنظيم CANVAS هو تشويه للحقائق ولا يعدو كونه صورة كاريكاتورية مفضوحة. إنّ تيارات نشر الأفكار الاحتجاجية أكثر عددًا وتعقيدًا من أن تحصى.

دعونا نأخذ مثالين آخرين، ركّز عليهما بن سعادة إلى حدّ الهوس: استخدام الفكاهة وقبضة أوتبور التي، بالإضافة إلى رمزيّتها اللاعنفية، تبرّر بالنسبة له، تشبيه "الربيع العربي" والحراك الجزائري بالثورات الملونة. يحيل التأريخ الغربي استخدام السخرية

السياسية إلى عهد أريستوفان، لكن استخدام الفكاهة في النضال السياسي في الحقيقة قديم قدم الحكم البشري الأول، وليس مجرد ميزة خاصة حصريًا بالثورات الانتخابية. وليس شعار القبضة المرفوعة شعارًا خاصًا أو حكراً على تنظيم أوتبور (Otpor)، كما يدّعيه بن سعادة، فهذه القبضة المرفوعة ترمز إلى الثورة أو القوة أو التضامن - وقد يجدها كل شاب يبحث عن رموز يضعها على لافتته، عند نقره على لوحة مفاتيح الحاسوب، كلمة "السلطة، الشعب"، عن طريق محرّك البحث عن الصور في Google - وقد استخدمها الماركسيون والفوضيون والفاشيون ودعاة السلام والقوميون السود والنقائيون في جميع أنحاء العالم وحتى المنظمات النسوية. ويحيل البعض أصل هذا الرمز إلى لوحة رسمها أونوريه دومبي في عام 1848، بينما يرجع آخرون مصدرها إلى مجلة Mother Earth في 1914 كرمز للثورة الاجتماعية.⁷⁷ وهنا أيضًا، يتم تصوير كاريكاتوري ومنحرف لمسارات الانتشار المعقدة، خدمة لقضية العقلية التآمرية.

لا يجب أن ننسى أيضًا أنّ هناك تدفقات لنشر الأفكار الاحتجاجية المستلهمة من "الربيع العربي". لقد حفزت هذه اللحظة الثورية العربية وأثرت بشكل كبير في الكثير من الحركات، منها على وجه الخصوص حركة "بلغ السيل الزبي" (Y-en-a-marre) في السنغال، وحركة "المكنسة المواطنة" (Le balai citoyen) في بوركينا فاسو، وحركة "تسقط الرسوم" (Fees must fall) في جنوب أفريقيا، و"الساخطون" (Los Indignados) في إسبانيا، وحركة "احتلوا وول ستريت" (Occupy Wall Street) في بلدان مختلفة و"حياة السود مهمة" (Black lives matter).⁷⁸ إنّ الدراسات القليلة التي اهتمت بتدقيق الانتشار الثوري من العالم العربي إلى بقية العالم تحصى على سبيل المثال، التغيير الجذري وليس تغيير التمثيل، و"الخبز والحرية والعدالة" في الأهداف، والعمل الأفقي وإنشاء هياكل طوعية لمساعدة السكان في أشكال التنظيم والكرامة، والاحترام ورفض الانقسامات القائمة على الهوية والتعبئة من

خلال شبكات التواصل والعلاقات الشخصية ووسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك احتلال واستعادة الأحقية في الفضاء العام لممارسة مختلف أشكال النشاط.⁷⁹

إنّ الحراك الجزائري لعام 2019 والحركات الاحتجاجية الجارية في لبنان والعراق، التي تتبنى اللاعنف والتمسك بالقيم المدنية، مشبعة ببعض هذه الأفكار (التغيير الجذري وليس التمثيل، الأفقية، ورفض الانقسامات الحزبية أو الأيديولوجية أو الهوية مثلاً) وتنشرها بدورها. فوجد على سبيل المثال، أنّ النشاط الجزائري ليوم الجمعة انتقل إلى مالي، وشعار "يتنحّالو قاع" تمّ اعتماده وتكييفه من قبل المتظاهرين في لبنان "كلكن يعني كلكن" (كلكم يعني كلكم) ومن قبل المتظاهرين في نيويورك المطالبين بعزل ترامب "أزيلوهم جميعاً" (Remove them all) في الشتاء الماضي.⁸⁰ وفي مجال الفكاهة والسخرية، في بعض مدن الولايات المتحدة التي اجتازتها موجة الاحتجاجات التي هزّت البلد على إثر وفاة جورج فلويد، قام المتظاهرون بتقديم حبال إلى رجال الشرطة، ربطت في مؤخرتها كعكة، في صورة تحاكي ممارسة سبق أن استخدمتها مجموعات فيسبوك جزائرية مخصّصة في الميات، نقلوها عن الحراكين الذين كانوا يتظاهرون في شوارع الجزائر العاصمة وهم يحملون ثنائق (الكاشير) مثبتة في نهايات قضبان الصيد.⁸¹

ومع ذلك، فإنّ الخطاب المركز على العلامة المميّزة في هذه الأفكار الاحتجاجية لا يقوم على أسس راسخة حقاً، لأنّ انتشار أفكار الاحتجاج ليس مجرد تدفق للمعلومات بين المنتج والمستهلك. إنّ النشاط السياسيين والاجتماعيين، المهتمين بتحسين مصير بلادهم، يبذلون جهداً مستمراً في التفكير والبحث عن الاستراتيجيات والتكتيكات وأشكال التنظيم والاحتجاج والممارسات والمهارات، والمعلومات والشعارات وكلّ ما من شأنه أن يحسّن كفاءتهم وكفاءة حركاتهم. ولا يمكن اختزال هذا الجهد المبذول لاكتساب الحنكة السياسية، انطلاقاً من الفضاءات المحلية (داخل الوطن) والإقليمية والعالمية، إلى مجرد استهلاك منتج جديد، لأنه يشكّل في الواقع عملية ثقافية معقّدة تتطلّب

التدقيق وتمييز السياقات الثقافية والقانونية والمؤسسية والسياسية المحلية، ورسم خرائط للمنطق القائم على المصالح الكامنة، والقدرة على تكييف وتعديل وإضفاء الشرعية على الأفكار والممارسات المعنية.⁸² هذا العمل الثقافي والفكري والسياسي، الذي يسميه بعض علماء الاجتماع بعملية التوطين أو التكييف مع الأوضاع المحلية، هو عمل إبداعي ومبتكر في حد ذاته. (انظر رسم عملية التوزيع في الملحق).

في ضوء ما سبق ذكره، تبدو هشاشة الربط العشوائي الذي يقيمه بن سعادة بين الأفكار الاحتجاجية للثورات الملونة وتلك الخاصة بـ "الربيع العربي" والحراك الجزائري أكثر وضوحًا.

6. الخلاصة

استفاد هذا المقال من بعض الدروس المستخلصة من العلوم السياسية التي بحثت في الظواهر الثورية، من أجل فحص أطروحة بن سعادة التي يدّعي فيها أنّ "الربيع العربي" والحراك الجزائري مجرد امتدادات للثورات الملونة.

تمّ التذكير بالثورات الانتخابية أو الملونة وتوضيح حقيقتها بإيجاز لتصحيح التقارير المبتورة والمحتزلة عن هذه الأحداث الواردة في نصوص بن سعادة؛ وتجاهله الدور المركزي للانتخابات في هذه الثورات، يشكل أخطر عامل لتشويه الوقائع. ثمّ تناول مقارنته بين هذه الثورات من جهة، و"الربيع العربي" والحراك الجزائري من جهة أخرى، لكن بالتخلص من الغمات التي تفرضها العقلية التأميرية. بعبارة أخرى، قمنا بتسليط الضوء على أوجه التشابه بينها ولكن أيضًا على أوجه الاختلاف. وأظهر هذا التمرين المقارن أنه إذا كانت هناك بالفعل أوجه تشابه واختلاف في السياقات السياسية والاقتصادية التي سبقت هذه الأحداث وكذلك في أشكال الاحتجاج، فهناك أيضًا مجموعة من الاختلافات المذهلة والمهمة التي تستبعد أي إمكانية للتأثر بين المجموعتين من الثورات. نذكر هنا الاختلافات الثلاثة الأكثر وضوحًا. (1) العامل الدافع (الحرك

الرئيسي: الاحتجاج الانتخابي بالنسبة للثورات الملوّنة، وإحراق البوعزيزي نفسه، الذي تبعه سقوط حكم بن علي في حالة "الربيع العربي"، أما الحراك الجزائري، فقد كان نقيضاً للثورة الملوّنة حيث أنه انطلق في جو يستعدّ لتنظيم انتخابات هو رافض لها، بدلاً من محاولته قلبها ضد النظام كما هو الحال كلاسيكياً في الثورات الملوّنة؛ (2) الثورات الملوّنة أعدتها وقادتها المعارضة بينما انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كانت مهيكلّة أفقياً، وكانت الاحتجاجات مدفوعة بشبكات الشباب اللامركزية؛ (3) كان الدعم الغربي متعدّد الأبعاد كثيفاً وحازماً وصارماً لفائدة الثورات الملوّنة، عكس موقف الغرب الساعي إلى تعزيز الوضع الاستبدادي القائم دون تغيير، وتوكل مهمّ الثورة المضادة إلى العربية السعودية والإمارات في المنطقة، باستثناء تدخله في ليبيا نظراً لحولها النفطية.

ثم حلل هذا المقال الاستخدام المخادع لمفاهيم الاستمرارية أو الامتداد التي قدّمها بن سعادة لربط "الربيع العربي" والحراك الجزائري بالثورات الملوّنة. لقد أثبتنا أنّ الثورات الانتخابية و"الربيع العربي" ينتميان إلى فضاءات مكانية وزمنية متفرقة، وموجات ثورية مختلفة، وأنّ انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من حيث عامل الزمن، هي أقرب إلى ثورات 1989 أو 1848.

أخيراً، ولكشف النقاب عن عقم تأكيدات بن سعادة، التي يزعم فيها أنّ انتفاضات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هي نتاج أفكار احتجاجية ناشئة عن منظمة كنفاستمّ رسم مخطط موجز للآليات الكامنة وراء موجات الثورات وكذلك العمليات المعقّدة لنشر الأفكار وممارسات الاحتجاج. كما تمّت البرهنة على أنّ تاريخ أشكال الاحتجاج التي أسندل بها بن سعادة يتناقض مع تأكيداته. إنّ تقييم أطروحاته، في ضوء نظرة عامة للعمليات المعقّدة لنشر الأفكار والممارسات الاحتجاجية وتعميمها، يظهرها على حقيقتها، أي مجرد رسم كاريكاتوري فاضح عن الواقع.

اللافت للنظر في نصوص بن سعادة ليس مجرد بحثه الحصري عن العلاقات – الحقيقية والخيالية – التي تظهر التماثل بين ما يحدث في منطقتنا والثورات الملوّنة، بل يتعدّى ذلك إلى حد الهوس، في تركيزه على هذه الثورات الملوّنة على وجه خاص دون غيرها، كمرجع للمقارنة. ويمكن للمرء أن يتساءل لماذا لا ينتقي بن سعادة إلا تلك الثورات الانتخائية من الطفرة التاريخية الأوروآسيوية، ليجعل منها معيارًا للمقارنة؟ يمكن استخلاص إجابة محتملة عن هذا السؤال، من ملاحظة طرحها هيورتو (Heurtaux) حول ميل الأكاديميين التونسيين إلى مقارنة ثورتهم والانتفاضات العربية بثورات 1848 أو 1989 في أوروبا، بينما الثورة الإيرانية عام 1979، والانتقال الديمقراطي الجزائري (1988-1991) أو الانتفاضة اللبنانية السلمية عام 2005، التي وقعت بالقرب منهم، قادرة على أن تلقي مزيدًا من الضوء على الموضوع.⁸³ يمكن أن تكون المقارنة فعلاً معيارياً بحيث يحكم المرء ضمناً على موضوع البحث، فيتم تحليل حدث جارٍ "ليس بناء على ما هو عليه ولكن على لما نريده أن يكون عليه"، ويعتبر هيورتو أنّ هؤلاء الأكاديميين التونسيين ينفرون من هذه المعايير المقارنة بسبب نتائجها المخيبة للآمال، لذلك فهم يفضلون المقارنات مع الثورات الناجحة.⁸⁴

إنّ استخدام الثورات الملوّنة كمعيار مقارن أمر مثير للاشمئزاز بالنسبة إلى الحراكين الجزائريين، بسبب نظرهم إليها، باعتبارها مؤامرة، وعملية مدبرة من الإدارة الأمريكية، صاحبة السجل الطويل في دعم الديكتاتوريات في المنطقة، وفشلها في إنتاج ديمقراطيات حقيقية، أما بن سعادة، فيجعل منها هوايته ويركّز عليها حصرياً، بحيث يعطي انطباعاً لدى الكثيرين بأنه يريد تشويه الحراك من خلال إلصاق عيوب الثورات الملوّنة به.

يمكن للمقارنة مع أيّ ثورة أو موجة من الثورات، بما في ذلك الثورات الملوّنة، أن توفر معرفة مفيدة عندما تتم بطريقة متوازنة، دون اختزالية، أخذاً في الحسبان خطر التحيزات المعيارية التي تنطوي عليها التحليلات، ويبقى أمام بن سعادة طريق طويل،

زيغان لوني

إذا أراد تبديد الانطباع الذي تشكّل حول "معرفته المقارنة"، التي ينظر إليها كمجرد خطاب تبريري، الغرض منه نزع الشرعية عن الحراك وتفجيّره، والطريقة التي تمّ بها استغلال كتيّبه المثير، في حملة السلطة ضد الحراك، لا تترك مجالاً للشك بهذا الصدد.



تأثير برهاني، فبراير 2011

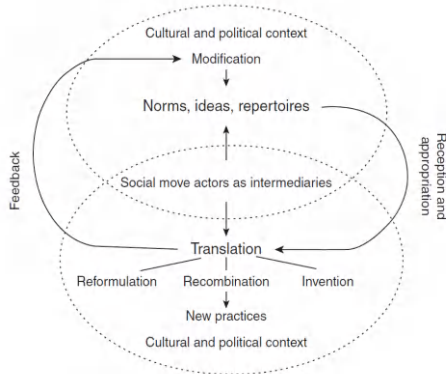


شعار لبناني



مظاهرة للمطالبة بعزل ترامب، 17 ديسمبر 2019 في نيويورك.

© SIPA USA / PA images



الفاعلون الاجتماعيون كترجمين في مخططات التوزيع.

المصدر: Ibid Malets et Zajak.

الإحالات

¹ أحمد بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟ إصدارات Apic، الجزائر 2020.

² انظر على سبيل المثال Mark N.Katz، *Revolutions and Revolutionary Waves*، (ثورات وأمواج ثورية) Palgrave Macmillan، London 1999؛ كولين جيه بيك، "الأصول الثقافية العالمية للأمواج الثورية: خمسة قرون من التنافس الأوروبي"، *تاريخ العلوم الاجتماعية*، المجلد 35 (2011) ص 167-207؛ كولين جيه بيك، *الجذور الأيديولوجية لموجات الثورة*، بيليو بازار، 2011؛ لورانس كوكس، "موجات الاحتجاج والثورة: عناصر التحليل الماركسي"، في مؤتمر المستقبل البديل والاحتجاج الشعبي، 14-16 أبريل 2014، جامعة مانشستر متروبوليتان، المملكة المتحدة؛ سيفا جونتسكي، "الموجات الديمقراطية في المنظور التاريخي" وجهات نظر حول السياسة، المجلد 16 (2018) ص 634-651؛ هولجر ألبريشت وكيفين كوهلر، *الانتفاضات الجماهيرية الثورية في الأنظمة الاستبدادية*، مراجعة دراسات المنطقة الدولية، المجلد 23 (2020) ص 1-25.

³ في حالة "الربيع العربي" انظر مارك لنتش *The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East*، (الانتفاضة العربية: الثورات غير المكتملة في الشرق الأوسط الجديد، الشؤون العامة، نيويورك 2013؛ كولين جيه بيك، "تأملات في الموجة الثورية في 2011"، *النظرية والمجتمع*، المجلد 43 (2014) ص 197-223؛ ديفيد باتيل، فاليري بونس، وشارون إل ولتشيك، "الانتشار والتظاهر، في إم لينش (دار نشر)، *الانتفاضات العربية المفسرة: السياسة الخلافية الجديدة في الشرق الأوسط*، مطبعة جامعة كولومبيا، نيويورك 2014، ص. 57-75؛ آدم روبرتس، "مصير الربيع العربي: عشرة اقتراحات"، *المجلة الآسيوية للدراسات الشرق أوسطية والإسلامية*، المجلد 12 (2018) ص. 273-289.

⁴ لورا ك. لاندولتا وبول كوبيشك، "الفرص والقيود: مقارنة تونس ومصر بالثورات الملونة"، *الدمقرطة*، المجلد 21 (2014) ص 984 - 1006؛ راجع بعض المقالات في العدد الخاص "التعبئة الجماعية في منظور مقارن"، *Demokratizatsiya*، المجلد 26 (2018) ص. 111 - 283.

⁵ مارك موري هوارد، "أوجه التشابه والاختلاف بين أوروبا الشرقية في 1989 والشرق الأوسط في 2011"، *Washington Monthly*، 1 يونيو 2011؛ مايكل زانتوفسكي، 1989 و 2011: قارن وخالف، *الشؤون العالمية*، المجلد 174 (2011) ص. 13-24؛ إريك مايرسون وأندرس أولوفسجارد وجيسبر روين، هل حالات لانتقال في كل مكان؟ دروس من تجربة بلدان ما بعد الشيوعية لبلدان الربيع العربي، IEMed،

برشلونة 2011؛ Lucan Way، "مقارنة الثورات العربية: دروس 1989"، Journal of Democracy، المجلد 22 (2011) ص. 13-23؛ دوناتيل ديللا بورتا، التعبئة من أجل الديمقراطية: مقارنة 1989 و 2011، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2014؛ مارلين بوث، "25 عامًا من الثورة مقارنة بين الثورة والانتقال من أوروبا 1989 إلى العالم العربي 2014"، مجلة أوروبا الوسطى والشرقية المعاصرة، المجلد 23 (2015) ص. 99-103؛ نيد ريتشاردسون - ليتل، "حقوق الإنسان كخرافة وتاريخ: بين ثورات 1989 والربيع العربي"، مجلة أوروبا الوسطى والشرقية المعاصرة، المجلد 23 (2015) ص. 151-166؛ ماريك دابروفسكي، "التحولات العربية وما بعد الشيوعية: أوجه التشابه، والاختلافات، والدروس المشتركة"، أكتا أوكونوميكا، المجلد 66 (2016) ص. 181 - 212.

⁶ جيوفاني سارتوري، "قارن لماذا وكيف: المقارنة، المقارنة غير الصحيحة والطريقة المقارنة، منشورات Dogan و A. Kazancigi مقارنة بين الأمم، بازيل بلاكول، أكسفورد 1994، ص. 34-14.

⁷ كريم ب. ومحمد الغازي، "مقابلة مع أحمد بن سعادة: اللوي الصهيوني جد نشط في الجزائر"، Algérie Patriotique، 28 مايو 2019.

⁸ أحمد بن سعادة، 8 سنوات بعد "ربيع" الجزائر، 4 أبريل 2019

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=475:2019-04-04-22-50-13&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119

⁹ المرجع نفسه.

¹⁰ حسين نفاح، "الأمريكيون مؤلوا المنظمات غير الحكومية الجزائرية"، ليكسبرسيون، 2 يناير 2020.

¹¹ المرجع نفسه.

¹² أحمد بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، مرجع سابق ذكره، ص 66.

¹³ انظر الملاحظات 7 و 8 و 10.

¹⁴ المرجع نفسه.

¹⁵ المرجع نفسه. حسين نفاح، مقابلة مع أحمد بن سعادة "هناك طائفة تسيّر هذا الحراك"، ليكسبرسيون، 21 يونيو 2020.

زيغان لوني

¹⁶ دوناتشا أ وبيتشاين وأبل بوليس (دار نشر) الثورات الملونة في الجمهوريات السوفيتية السابقة: النجاحات والفشل، روتليدج، لندن 2010؛ فاليري جيه بونس وشارون ل وولشيك، "هزيمة القادة الاستبداديين في بلدان ما بعد الشيوعية" مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 2011؛ لينكولن أ. ميتشل، الثورات الملونة، مطبعة جامعة بنسلفانيا، فيلادلفيا 2012.

¹⁷ المرجع نفسه.

¹⁸ جوليا جيرلاش "الثورات الملونة في أوراسيا"، سبرينغر، هايدلبر 2014، ص 1-56.

¹⁹ انظر الملاحظات 16 و 18.

²⁰ ستيفن ليفيتسكي ولوكان أ واي "الاستبداد التنافسي: أنظمة هجينة بعد الحرب الباردة" مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 2010.

²¹ المرجع نفسه.

²² انظر الملاحظات 16 و 18.

²³ انظر الملاحظة 16؛ أولينا نيكولاينكو، "حركات الشباب والانتخابات في أوروبا الشرقية"، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 2017؛ تريستان لاندري، "الثورات الملونة في المرأة الخلفية: أقرب مما تبدو عليه"، Canadian Slavonic Papers، المجلد 53. (2011) ص 1-24.

²⁴ جيرلاش، مرجع سابق. انظر أيضًا الأفلام الوثائقية التي أنتجها ستيف يورك، A Force More Powerful، (قوة أكثر فعالية)، المركز الدولي للنزاع اللاعنفي (1999 انظر حلقة تشيلي) وإسقاط دكتاتور، ICNC، 2002.

²⁵ انظر الملاحظات 16 و 18.

²⁶ المرجع نفسه.

²⁷ المرجع نفسه.

²⁸ جيرلاش، مرجع سابق، ص 3، 15، 29.

²⁹ كاتيا كالاندازي، "الاحتجاجات الانتخابية والدمقرطة"، دراسات المقارنة السياسية، المجلد 42. (2009) ص. 1403-1424، Grigore Pop-Eleches و Graeme Robertson، "بعد الثورة"، مشاكل ما بعد الشيوعية، المجلد 61. (2014) ص 3-22.

³⁰ انظر الملاحظات 16 و 18 و 24؛ أوري فريدمان "اختر مقارنتك التاريخية في الشرق الأوسط، 1989، 1968 أم 1848؟"، The Atlantic، 22 فبراير 2011؛ Gunitsky، مرجع سابق ص 634-651؛ فاليري بونس وشارون ل ولشيك، "مقدمة: التعبئة الجماعية من منظور مقارن"، Demokratizatsiya، المجلد 26 (2018) ص 111-148

³¹ فاليري ج بونس وشارون ل ولشيك، "الانتشار الدولي والثورات الانتخابية ما بعد الشيوعية"، دراسات شيوعية وما بعد الشيوعية، المجلد 39 (2006) ص 283-304؛ فاليري بونس وشارون ل ولشيك، "الشبكات عبر الوطنية، وديناميكيات الانتشار، والثورات الانتخابية في عالم ما بعد الشيوعية"، Physica، المجلد 2007 A378 ص. 92-99.

³² المرجع نفسه.

³³ إيان بلاك، "هزيمة مدمرة للثورة الخضراء في إيران"، الجارديان، 14 يونيو 2009؛ Güneş Murat Tezcür، "تعزيز الديمقراطية، المرونة الاستبدادية، والاضطرابات السياسية في إيران"، الديمقراطية، المجلد 19 (2012) ص. 120-140؛ اشرفي مرتضى، "دراسة أسباب العميقة وإمكانية ثورة الألوان في جمهورية إيران الإسلامية"، دراسات الثورة الإسلامية، المجلد 12 (2015) ص 93 إلى 111.

³⁴ Abel Polese et Donnacha Ó Beacháin "فيروس الثورة الملونة والمضادات الاستبدادية ضد الاحتجاج السياسي وهجمات النظام المضادة في فضاء ما بعد الشيوعية"، Demokratizatsiya، المجلد 19، (2011)، ص 111-132؛ Karrie J. Koesel et Valerie J. Bunce، "منع الانتشار: ردود الفعل الروسية والصينية على موجات التعبئة الشعبية ضد الحكام الاستبدادين، وجهات نظر حول السياسة" المجلد 11 ص 753-768؛ Yitzhak M. Brudny و Evgeny Finkel "لا لون بعد الآن! الأنظمة الاستبدادية والثورات الملونة في أوراسيا"، الديمقراطية، المجلد 19 (2012) ص 1-14؛ Yitzhak M. Brudny، "روسيا والثورات الملونة"، الديمقراطية، المجلد 19، (2012) ص 15 - 36؛ فيتالي سيليتسكي، "ردع العدوى"، في فاليري بونس، ومايكل ماكفول وكاثارين ستونر فايس (محرر)، الديمقراطية والاستبداد في عالم ما بعد الشيوعية، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج 2012؛ نيكولا بوشيه، "عسكرة" روسيا للثورات الملونة، وجهات نظر سياسية، المجلد. 4 (2016) ص 1-4.

زيغان لوني

³⁵ فاليري بونس وشارون وولشييك، "أنماط التعبئة الشعبية ضد الحكام الاستبداديين: مقارنة 1989، الثورات الملونة، وانتفاضات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، Demokratizatsiya، المجلد 26 (2018) ص 172-149.

³⁶ العربي صديقي (محرر)، دليل روتليدج للربيع العربي، روتليدج، نيويورك 2015.

³⁷ تينا روزنبرغ، "Revolution U: ما تعلمته مصر من الطلاب الذين أطاحوا بميلوسوفيتش"، فورين بوليسي، 16 فبراير 2011.

³⁸ مارك ليفين، "الثورة لا تنتهي أبداً: الموسيقى والاحتجاج وولادة من جديد في العالم العربي"، في العربي صاقي (محرر)، دليل روتليدج للربيع العربي، روتليدج، نيويورك 2015، ص 365-354؛ شارلوت شريوبر، "فن الكتابة على الجدران والربيع العربي"، صاقي، مرجع سابق ص 391-376؛ عاطف الشاعر، "الشعر والربيع العربي: منظور تاريخي"، صاقي، مرجع سابق. ص 407-392.

³⁹ المرجع نفسه.

⁴⁰ عز الدين عبد المولى، الجزيرة والثورة التلفزيونية: حالة تونس، في العربي صديقي (محرر)، دليل روتليدج للربيع العربي، روتليدج، نيويورك 2015، ص 375-366.

⁴¹ أرماندو سالفاتور، "ثورة في الفضاء العام؟ وسائل التواصل الاجتماعي مقابل الأنظمة الاستبدادية، في العربي صديقي (محرر)، دليل روتليدج للربيع العربي، روتليدج، نيويورك 2015، ص 353-343؛ ماريا بلانكو بالنسيا، "الشباب والتكنولوجيا في صراع من أسفل إلى أعلى من أجل التمكين"، مرجع سابق نفسه، ص 432-420.

⁴² هايدي أ. كامبل وديانا هوك، "تأثير الجزيرة لوسائل التواصل الاجتماعي خلال الربيع العربي"، CyberOrient، المجلد 6 (2012) ص 51 - 34؛ ديانا بوسيو، "كيف نقلت الجزيرة أحداث الربيع العربي: تحليل أولي مقارنة"، ميديا آسيا، المجلد 40 (2013) 333-343؛ ديانا بوسيو، "الصحافة خلال الربيع العربي: التفاعلات والتحديات"، في سابا بباوي وديانا بوسيو (محرران)، وسائل التواصل الاجتماعي وسياسة الريبورتاج: الربيع العربي"، بالجريرف ماكيلان، لندن 2014، ص 32-11؛ عز الدين عبد المولى، الجزيرة والدمقرطة: صعود الفضاء العام العربي، روتليدج، لندن 2015؛ سام شريبي، جمعة الغضب: الجزيرة والربيع العربي والإسلام السياسي، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2017.

⁴³ جمال محمد سليم، "الولايات المتحدة والربيع العربي: ديناميات الهندسة السياسية"، الدراسات العربية الفصلية، المجلد 35 (2013)، ص 255-272؛ إليوت أبرامز، الواقعية والديمقراطية: السياسة الخارجية الأمريكية بعد الربيع العربي، صحافة جامعة كامبرج، كامبردج 2017 ص. 173.

⁴⁴ جيسون براونلي، الوقاية من الديمقراطية: سياسة التحالف الأمريكي المصري، مطبعة جامعة كامبريدج، نيويورك 2012، ص. 170.

⁴⁵ وكالة الأخبار الفرنسية AFP "ردا على موقفها بعد تصريحها بشأن تونس، أليو ماري تدافع عن نفسها وتتلقي دعماً من فيون، برنامج 20 دقيقة، 18 يناير 2011.

⁴⁶ أبرامز، مرجع سابق، ص 173 - 174.

⁴⁷ فواز جرجس، أوباما والشرق الأوسط: نهاية لحظة أمريكا؟ بالجريف ماكيلان، نيويورك 2012، ص 9، 103-104، 158.

⁴⁸ كايلى باكستر وشهرام أكبر زاده، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: جذور معاداة أمريكا، روتليدج، لندن 2008؛ بيير إم أطلس، "السياسة الخارجية للولايات المتحدة والربيع العربي: موازنة القيم والمصالح"، ملخص دراسات الشرق الأوسط، المجلد 21 (2012) ص 353-385؛ جيمس أ لروكو ووليام ل قوديار، "الربيع العربي: حماية المصالح الأمريكية على المدى الطويل"، Prism، المجلد 4 (2015) ص 3-16؛ بليدار بريتي، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: حالة الاستقرار، بالجريف ماكيلان، شام 2017؛ لويز فوسيت، العلاقات الدولية للشرق الأوسط، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2019.

⁴⁹ إيثان برونر ومايكل سلاكمان، "القوات السعودية تدخل البحرين للمساعدة في إخماد الاضطرابات"، نيويورك تايمز، 14 مارس 2011؛ مهران كامراف، "الربيع العربي والثورة المضادة بقيادة السعودية"، Orbis، المجلد 56 (2012) ص 96-104؛ جيدو شتاينبرغ، "قيادة الثورة المضادة: المملكة العربية السعودية والربيع العربي"، ورقة بحثية لمؤسسة العلوم والسياسة، رقم 7، برلين، جوان 2014؛ جيمس م دورسي، "إعادة تشكيل الشرق الأوسط: الإمارات العربية المتحدة تقود الثورة المضادة"، RSIS Commentary، العدد 200، 14 أكتوبر 2014؛ شادي حميد، "الإسلاموية، الربيع العربي، وفشل سياسة "لا تفعل شيئاً" المنتهجة من قبل أمريكا في الشرق الأوسط"، The Atlantic، 9 أكتوبر 2015؛ م. جونز، "التدخل السعودي والطائفية ومكافحة الديمقراطية في انتفاضة البحرين"، البحث في الحركات الاجتماعية والصراعات والتغير، المجلد. 39 (2016) ص 251-279؛ أسعد أبو خليل، "الثورة المضادة الإماراتية والعربية"، New Age، 9 مايو

زيغان لوني

2019؛ "محور الثورة المضادة في العالم العربي"، داخل الجزيرة العربية، 20 يونيو 2019؛ فرانسوا بورغات، "أزمة ليبيا: هل الثورة المضادة العربية والغربية في طريق الفشل؟"، Middle East Eye، 31 مايو 2019؛ جيمي أليسون، "الثورة المضادة كظاهرة دولية: حالة مصر"، مراجعة الدراسات الدولية (2019) ص 1-25.

⁵⁰ انظر الملاحظات 38 و 42؛ دان روبرتس، "الولايات المتحدة في مأزق في مصر بعد دعم مرسى لكنها تشجع المتظاهرين"، The Guardian، 3 يوليو 2013.

⁵¹ كريم شاهين، بول توربي، بابلو جوتييريز وكاث ليفيت، "مَنْ يدعم مَنْ في الصراع السوري"، The Guardian ديسمبر 2015؛ فريدريك ديليو كاجان، كيمبرلي كاجان، جينيفر كافاريللا، هارلين جامير، كريستوفر كوزاك هوغو سبولينج، وكاثرين زيمرمان، "الرؤى المتنافسة لسوريا والعراق: أسطورة التحالف الكبير ضد داعش"، معهد دراسة الحرب، يناير 2016؛ فيصل عيتاني ونيت روزنبلات، "سياسة الولايات المتحدة في سوريا: حساب مدته سبع سنوات"، Atlantic Council، إصدار موجز، سبتمبر 2018.

https://en.wikipedia.org/wiki/American-led_intervention_in_the_Syrian_Civil_War

⁵² توماس كارورثز "لماذا تقصر الولايات المتحدة في التزامها بالديمقراطية؟"، واشنطن بوست، 22 ديسمبر 2014.

⁵³ دوج باندو، "الربيع العربي 2.0: لا تحصل على أي أفكار"، واشنطن، المحافظون الأمريكيون، 21 نوفمبر 2019.

⁵⁴ فيل هورنشو، "10 ديكتاتورين، قال عنهم دونالد ترامب أشياء لطيفة"، The Wrap، مايو 2017؛ كريشنا ديف كالامور، "تسعة ديكتاتورين سيئون السمعة، تسعة صيحات من دونالد ترامب"، The Atlantic، مارس 2018.

⁵⁵ خالد ساطور، "تمهيج النقاش حول الحراك: بخصوص" اكتشافات" أحمد بن سعادة، blogs.mediapart.fr/khaled-satour/blog.

⁵⁶ كريم ب. والغازي، مرجع سابق.

⁵⁷ بولندا: 4 يونيو 1989؛ تركمانيا: 7 يناير 1990؛ أوزبكستان: 18 فبراير 1990؛ ليتوانيا: 24 فبراير 1990؛ مولدوفا: 25 فبراير 1990؛ قيرغيزستان: 25 فبراير 1990؛ طاجيكستان: 25 فبراير 1990؛ بيلاروسيا: 4

يوسف بجاوي

مارس 1990؛ روسيا: 4 مارس 1990؛ أوكرانيا: 4 مارس 1990؛ ألمانيا الشرقية: 18 مارس 1990؛ استونيا: 18 مارس 1990؛ لاتفيا: 18 مارس 1990؛ المجر: 25 مارس 1990؛ كازاخستان: 25 مارس 1990؛ سلوفينيا: 8 أبريل 1990؛ كرواتيا: 22 أبريل 1990؛ رومانيا: 20 مايو 1990؛ أرمينيا: 20 مايو 1990؛ تشيكوسلوفاكيا: 8 يونيو 1990؛ بلغاريا: 10 يونيو 1990؛ منغوليا: 22 يونيو 1990؛ أذربيجان: 30 سبتمبر 1990؛ جورجيا: 28 أكتوبر 1990؛ مقدونيا: 11 نوفمبر 1990؛ البوسنة: الهرسك: 18 نوفمبر 1990؛ صربيا: 9 ديسمبر 1990؛ الجبل الأسود: 9 ديسمبر 1990؛ ألبانيا: 31 مارس 1991.

⁵⁸ انظر الملاحظة 5.

⁵⁹ كيرت ويلاند، "انتشار معارضة النظام في الديمقراطية الأوروبية، 1830-1940"، الدراسات السياسية المقارنة، المجلد. 43 (2010) ص. 1148-1176؛ كيرت ويلاند، "انتشار الثورة: 1848" في أوروبا وأمريكا اللاتينية، المنظمة الدولية، المجلد 63 (2009)، ص. 391-423.

⁶⁰ المرجع نفسه.

⁶¹ انظر على سبيل المثال، روبرت سبرينغبورغ "إلى أين الربيع العربي؟ 1989 أو 1848؟"، The International Spectator، المجلد 46 (2011) ص. 5-12؛ كيرت ويلاند، "الربيع العربي: لماذا هذا التشابه المفاجئ مع الموجة الثورية لعام 1848"، Perspectives on Politics، المجلد 10 (2012) ص 917-934؛ هنري إ هيل "سلسلة تغيير النظام: ماذا تعلمناه من ثورات 1848 إلى الانتفاضات العربية 2011"، المراجعة السنوية للعلوم السياسية، المجلد. 16 (2013) ص 331-353؛ Gunitsky، مرجع سابق. المرجع نفسه، ص 634-665.

⁶² كاتز، مرجع سابق.

⁶³ انظر الملاحظة 5؛ Gunitsky، مرجع سابق. ص. 634-665؛ جيانلوكا سوليرا، "عدوى ثورية"، في جيانلوكا سوليرا (محرر)، نشاط المواطن والهوية المتوسطة: ما وراء المركزية الأوروبية، بالجريف ماكيلان، لندن 2017، ص 1-27؛ هنري إي هيل، "مسلسل تغيير النظام: ماذا تعلمناه من ثورات 1848 إلى الانتفاضات العربية 2011"، المراجعة السنوية للعلوم السياسية، المجلد. 16 (2013) ص 331-353.

⁶⁴ هيلج بيرجر ومارك سبويرر "الأزمات الاقتصادية والثورات الأوروبية لعام 1848"، مجلة التاريخ الاقتصادي، المجلد 61 (2001)، ص 293-326؛ كيفين أدامسون ومايك ريبورت، "ثورات دومينو: 1848، 1989، 2011"، History Workshop (المملكة المتحدة)، 12 يناير 2012.

زيغان لوني

⁶⁵ جويل كوتز، "1848 في أوروبا: ربيع الشعوب"، Le Temps، فبراير 2011؛ بول ماسون، "من الربيع العربي إلى الثورة العالمية" The Guardian، فبراير 2013؛ ألسندا مانويل هونونا، "تضالات الشباب: من الربيع العربي إلى حياة السود مهمة وما بعدها"، مراجعة الدراسات الأفريقية، المجلد. 62 (2019) ص. 21-8.

⁶⁶ أدامسون وتقارير، المرجع سابق.

⁶⁷ جونتسكي، مرجع سابق، ص 634-665.

⁶⁸ هنغ تشن ووينج سوين، "سقوط الدومينو: نظرية الأحداث النادرة وعدوى الأزمة"، المجلة الاقتصادية الأمريكية: الاقتصاد الجزئي، المجلد. 8 (2016) ص 228 - 255.

⁶⁹ لأدمسون وتقارير، المرجع السابق؛ إميلي سون، "هل الثورات معدية؟"، NBC، 17 فبراير 2011؛ ستيفن إم سايدمان، "عندما ينتشر الصراع: الربيع العربي وحدود الانتشار"، التفاعلات الدولية، المجلد. 38 (2012) ص 713-722؛ فابريزيو جيلاردي، "الانتشار العابر للحدود: المعايير والأفكار والسياسات"، في والتر كارلسنايس، توماس ريس، وآخرون بيث أ سيمونز (محرران)، دليل العلاقات الدولية، منشورات سيج، لندن 2013، ص 453-477؛ هيل، مرجع سابق ذكره؛ بونس وولشيك، 2018، مرجع سابق.

⁷⁰ وايلاند، 2009 2012 et.. مرجع سابق؛ يوستوس باميرت، فابريزيو جيلاردي وفابيو فاسرفالين، "التعلم ونشر خلاف النظام في الربيع العربي"، البحوث والسياسة، المجلد. 2 (2015) الصفحات من 1 إلى 9.

⁷¹ ديفيد باتيل وفاليري جيه بونس، "قاط التحول والانتشار عبر الوطني للاحتجاج الشعبي"، الدمقرطة المقارنة، المجلد. 10 (2012) ص 1-13؛ بونس وولتشيكي، 2018، مرجع سابق.

⁷² سون، مرجع سابق؛ ديلا بورتا، مرجع سابق؛ هوارد، مرجع سابق؛ هولجر لوتز كيرن، "الإعلام الأجنبي وانتشار الاحتجاجات في الأنظمة الاستبدادية: حالة ثورة 1989 في ألمانيا الشرقية"، الدراسات السياسية المقارنة، المجلد 44 (2011) ص 1179-1205؛ فليب هوارد، أيدن دافي، دين فريلون، زميل حسين، ويل ماري ومروة مزيد، "فتح الأنظمة المغلقة: ماذا كان دور وسائل الإعلام الاجتماعية خلال الربيع العربي؟"، شبكة أبحاث العلوم الاجتماعية، 17 أبريل 2015؛ أكسل برونز، تيم هايفيلد وجان بورغيس، "الربيع العربي وجهاتير وسائل التواصل الاجتماعي: مستخدمو تويتر باللغة الإنجليزية والعربية وشبكاتهم"، عالم السلوك الأمريكي، المجلد 57 (2013) ص 871 - 898.

⁷³ رباح أرزقي، ألو أديسي داما، سميون دجانكوف وها نجوين، "الاحتجاجات المعدية"، ورقة عمل خاصة ببحوث السياسات لمجموعة البنك الدولي، رقم 9321، يوليو / تموز 2020.

⁷⁴ بيتر بروك، تاريخ موجز للعمل السلمي من يسوع إلى تولستوي، مطبعة جامعة سيراكوز، سيراكوز 1992؛ روبرت كوني وهيلين ميشالوسكي (محرران)، قوة الشعب: اللاعنف النشط في الولايات المتحدة، New Society Publishers، فيلادلفيا 1987؛ هنري ديفيد ثورو والدين وكتابات أخرى، المكتبة الحديثة، نيويورك، 1950؛ ليو تولستوي، كتابات عن العصيان المدني واللاعنف، بيرجان للنشر، نيويورك 1967؛ أبراهام جون موست، اللاعنف في عالم عدواني، هاربر، نيويورك 1972؛ الكتابات الأساسية للمهاتما غاندي، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 1991؛ آدم روبرتس وتيموثي جارتون آش (محرران)، المقاومة المدنية وسياسة السلطة: تجربة العمل اللاعنفي من غاندي حتى الوقت الحاضر، مطبعة جامعة أكسفورد، أكسفورد 2009؛ مارك كورلانسكي، اللاعنف: تاريخ فكرة خطرة، Vintage Books، لندن 2007؛ كيت كريستنسن، اللاعنف والسلام والعدالة: مقدمة فلسفية، مطبعة برودفيو، أونتاريو 2009؛ أندرو فيالا، دليل روتليدج للسلام واللاعنف، روتليدج، لندن 2018؛ مايكل نجلر، دليل اللاعنف: دليل للعمل العملي، Berrett-Koehler Publishers، سان فرانسيسكو 2014؛ جوديث بتلر "قوة اللاعنف: ارتباط أخلاقي-سياسي" Verso، نيويورك 2020؛ ديفيد ت. ديلينجر، اللاعنف الثوري، Anchor Books، نيويورك 1971؛ جين شارب، سياسة العمل اللاعنفي (3 مجلدات)، ب. P. Sargent Publisher، بوسطن 1973؛ والتر وينك، يسوع واللاعنف: طريق ثالث (أوجه)، Fortress Press، مينسوتا 2003؛ جيمس ميلفن واشنطن (محرر)، عهد الأمل: الكتابات الأساسية لمارتن لوثر كينج، هاربر ورو، سان فرانسيسكو 1986؛ بول ر. فليشمان، بوذا علم اللاعنف وليس السلم، Pariyatti Publishing، واشنطن 2002؛ روبرت إل سيرج (محرر)، Thich Nhat Hanh:: كتابات أساسية، Orbis Books، نيويورك، 2001؛ بيج، جلين، شايوات سافا-أناند، سارة جيليات (محررون)، الإسلام واللاعنف، مطبعة جامعة هاواي، هونولولو 1993؛ محمد أبو نمر، اللاعنف وبناء السلام في الإسلام: النظرية والتطبيق، مطبعة جامعة فلوريدا، غينزفيل 2003؛ جيفري ر. هالفرون، البحث عن ملك: اللاعنف في الإسلام ومستقبل الإسلام، بوتوماك، واشنطن 2012؛ صديق. أهلواليا، العنف واللاعنف في أفريقيا، دراسات روتليدج في العلاقات الدولية والسياسة العالمية، لندن 2007.

⁷⁵ شون شابوت، "الاتشار العابر للحدود وإعادة اختراع الأمريكيين من أصل أفريقي لمرجعية غاندي"، التعبئة: يوميات دولية، المجلد 5 (2000) ص 201 - 216؛ شون شابوت وجان فيلام ديوفنداك "العولة والاتشار عبر الوطني بين الحركات الاجتماعية: إعادة تصور نشر الخزون الغاندي وروتين "الخروج" النظرية والمجتمع، Theory and Society، المجلد 31 (2002) ص 697-740.

زيغان لوني

⁷⁶ راجع بلبوغرافيا المتضمنة في المقالة التالية من هذا الكتاب لعباس عروة، "اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟".

⁷⁷ ألكسندر بيركمان، "انفجار ليكسينغتون"، Mother Earth IX، يوليو 1914، ص 155؛ فرانيسكا سيرافال، صور القبضة: حول تعدد المعاني للقبضة اليدوية "The Fist Photos: On the Polysemy of the Fist"، متحف التصوير الفوتوغرافي للإنسانية، 2017.

⁷⁸ هونونا، مرجع سابق، ص. 8-21؛ سوليرا، مرجع سابق.

⁷⁹ المرجع نفسه. جيانلوكا سوليرا، "العدوى الثورية: الحركات الاجتماعية حول البحر الأبيض المتوسط"، العربي صديقي (محرر)، دليل روتليدج للربيع العربي، روتليدج، نيويورك 2015، ص 331-340.

⁸⁰ وفاء عواد، أحد في سجل انتفاضة كلون يعني كلون، البيان، 10 ديسمبر 2019؛ مارلين لينتاج، "تحيات الحياة! عشرات الآلاف يحتشدون في احتجاجات في جميع أنحاء البلاد لدعم عزل دونالد ترامب عشية التصويت التاريخي لمجلس النواب، ديلي ميل، 18 ديسمبر 2019. بالنسبة لمالي، انظر احتجاجات 2020 على ويكيبيديا.

⁸¹ طارق حفيظ، "الجزائر: موجة من الميمات على الإنترنت حول الولايات المتحدة"، سبوتنيك نيوز، 9 يونيو 2020.

⁸² بيجي ليفيت وسالي ميري، "اللغة التعميم على أرض الواقع: الاستخدامات المحلية لحقوق المرأة العالمية في بيرو والهند والصين والولايات المتحدة"، Global Networks، المجلد 9 (2009) ص 441-461؛ أولغا مالتيس وسابرينا زاجاك، "الثقافة المتحركة: منظمات الحركة الاجتماعية عبر الوطنية كترجمين في دورة الانتشار"، في بريتا بومغارتن، بريسكا دافي وبيتر أولريش (محرران)، تصور الثقافة في أبحاث الحركة الاجتماعية، بالجريف ماكميلان، لندن 2014، ص 251-274.

⁸³ جيروم هورتو، "قارن" التحولات "ما بعد الشيوعية والثورات العربية. وجهة نظر شبه متشككة، ملفات CERI، يناير 2016.

⁸⁴ المرجع نفسه.

يوسف بجاي

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

عباس عروة

114.....	1. مقدمة
118.....	2. تجذر اللاعنفي في الإسلام
119.....	1.1. الدفع الحسن
120.....	2.2. عملية تغيير الذات وتحويل الغير
122.....	3.2. مفهوم الرفق واللين
123.....	4.2. مذهب ابن آدم الأول
124.....	5.2. مثال عبد الغفار خان
126.....	3. اللاعنفي في العالم العربي
126.....	1.3. اللاعنفي في المصطلح العربي
127.....	2.3. اللاعنفي في المكتبة العربية
127.....	3.3. الانتفاضات اللاعنفية في العالم العربي قبل 2011
129.....	4.3. "الربيع العربي"
131.....	4. الخلاصة

"لا يحتاج المسلمون إلى غاندي أو إلى الغربيين ليعلموهم اللاعنفة المتجذّر أصلاً في الإسلام"¹ البروفيسور يوهان غالتونغ، مؤسس دراسات السلم.

1. مقدّمة

بعد انطلاقة الانتفاضات الشعبية اللاعنفية في العالم العربي عام 2011، والموجة الثانية من "الربيع العربي" في 2019 التي مسّت السودان والعراق ولبنان والجزائر، ارتفعت بعض الأصوات، منها التابع لأنظمة تسلّطية، تندّد بتعرّض العالم العربي إلى موجة جديدة من "الثورات الملوّنة" التي، حسب زعمهم، تُديرها في الخفاء الإدارة الأمريكية، وتدعمها بعض المراكز الأجنبية - غالباً ما تُذكر منظمة "أوتبور" الصربية كمثال على ذلك - ويعمل على تنفيذها في الدول العربية إمّا خونة مأجورون من طرف "الإمبريالية الأمريكية"، أو مواطنون سدّج، غير مطلّعين على الخطط التآمرية العالمية التي تُحاك في الظلام، ويمكن التلاعب بعقولهم بسهولة من طرف قوى الشرّ التي تهدف إلى تفكيك دولنا وتدمير مجتمعاتنا.

ومن الأمثلة عن هذه الأصوات التي تريد التشكيك في الطابع الجزائري الأصيل للحراك، من خلال ربط بعض رموزه بقوى خفية في الخارج تتآمر ضد الجزائر، أحمد بن سعادة، الذي نشر مؤخّراً "مَن هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"،² وهو كتيّب روّجت له بعض وسائل الإعلام الرسمية، بما في ذلك وكالة الأنباء الجزائرية التي قدّمت المنشور على أنه "كتاب بمثابة تحقيق"،³ والقناة 3 للإذاعة الوطنية.⁴

إنه ليس الكتاب الأول أحمد بن سعادة حول هذا الموضوع. فقد نشر في ربيع 2011 "الأرابيسك الأمريكي: دور الولايات المتحدة في ثورات الشارع العربي"،⁵ ونشر عشية إطلاق الحراك في الجزائر "أرابيسك\$: تحقيق في دور الولايات المتحدة في الثورات

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

العربية"،⁶ ثم في أبريل 2019 "ثلاثي سنوات من بعد: ربيع الجزائر"،⁷ وفي ديسمبر 2019 "هل ستمكن الجزائر من إحباط فُخْ الثورات الملوثة؟".⁸

يرى أحمد بن سعادة في مقالته في أبريل 2019 عن "ربيع" الجزائر، أنه من المفيد الدعوة إلى الحذر من "هذه الصور المثالية للاحتجاج"، لأنه

تبادر إلى الذهن أسئلة عديدة عن هذه الاحتجاجات الشعبية. هل هي عفوية؟ كيف يتم تنظيمها بشكل جيد؟ هل من الطبيعي إعطاء الزهور لقوات الأمن في بلد لا يُستخدم فيه هذا التقليد حتى داخل العائلات؟ كيف ينظف الشباب الشوارع بعد المسيرات بينما تمتلئ هذه الشوارع في الأيام الأخرى بالنفايات؟ كيف تُصمّم الشعارات ومن ينقل عبر وسائل التواصل الاجتماعي إشعارات المظاهرات أو الإضرابات الطلابية في جميع أنحاء التراب الوطني وحتى في الخارج؟ لماذا يتم استخدام الفكاهة والسخرية على نطاق واسع كسلاح للمطالبة؟⁹

وفي نهاية استدلاله، استنتج المؤلف الذي يؤكد أن الانتفاضات الشعبية التي طالت البلدان العربية "ما هي إلا امتداد للثورات الملوثة"¹⁰ استنتاجاً بشأن الحراك الجزائري:

إن طريقة عمل هذه المظاهرات وفقاً للمبادئ الأساسية للنضال اللاعنف لـ CANVAS تُظهر أنه بعد 19 عامًا من صربيا و 8 سنوات بعد بداية "الربيع" العربي، تشهد الجزائر بدورها ثورة ملوثة. وهكذا يشهد أسلوب العمل هذا على وجود مجموعة من النشطاء السيرانيين تشكّلت من مخابر "تصدير الديمقراطية" ينشطون على الأرض وفي الفضاء الإلكتروني.¹¹

يذهب أحمد بن سعادة إلى حد اتهام الحراك بخدمة مصالح أجنبية، ومن ثمّ وسمهم بالخيانة للأمة. ويضيف في استنتاجه: "هذه المجموعة [من النشطاء السيرانيين]، وكذلك بعض المنظمات غير الحكومية الجزائرية، يجب أن تفهم أن العمل لمصالح أخرى غير مصالح بلدك لا يمكن أن يؤدي إلا إلى الفوضى وهناك العديد من الأمثلة على ذلك".¹²

ولفهم انطلاقة الحراك الجزائري وطبيعته اللاعنفية، هناك بديل آخر أقرب إلى الواقع الاجتماعي للجزائر في عام 2020 من أطروحات المؤامرة، يستدعي عناصر التفسير المستمدة من التاريخ الحديث للبلاد وثقافتها العميقة واندماجها في عالم معولم ومتربط.

إنّ التاريخ الحديث للجزائر، وبالتحديد ما حدث في العقد الأخير من القرن العشرين، علم الشعب الجزائري أنّ العمل العنيف ليس الخيار الأفضل لمواجهة نظام تسلّطي. فلا ينبغي الحكم على الفعل العنيف من خلال شرعيته وقانونيته فقط، بل أيضًا من خلال فعاليتها، أي قدرته على تحقيق النتيجة المرجوة بأقل تكلفة بشرية ومادية. إنّ "العنف الأول" الذي مثله انقلاب يناير 1992، كما وصفه عبد العزيز بوتفليقة عندما عُيّن رئيسًا للجمهورية في عام 1999، والقمع الذي أعقب ذلك دفع الشباب الجزائري إلى العنف المضاد، وبالتالي الوقوع في الفخ الذي نصبه الانقلابيون، لأنّ العمل المسلّح ضد نظام عسكري مدجج بالسلاح، له شبكة متطورة من المحاربات على جميع مستويات المجتمع، وقدرة كبيرة على الاختراق والتلاعب، حتمًا معركة خاسرة. العنف هو المجال المفضّل للأنظمة العسكرية التي تبذل كل ما في وسعها لجذب خصومها السياسيين إليه. لذلك فإنّ الاستسلام لجاذبية المواجهة المسلّحة هو انتحار سياسي. إنّ الجزائريين ليسوا وحدهم الذين تعلّموا من تجاربهم الماضية. فالعراقيون واللبنانيون عاشوا تجارب مؤلمة من العنف السياسي كادت تقضي على النسيج الاجتماعي للبلدين. لذلك تنخرط الأجيال الجديدة في العمل اللاعنفي لإحداث التغيير السياسي والاجتماعي.

علاوة على ذلك، فإنّ الشعب الجزائري لا يعيش في عزلة عن بقية العالم. وهو يعيش، مثل الشعوب الأخرى، في عالم معولم، خاصة منذ انتشار شبكات التواصل الاجتماعي. ويستعير شبابنا مصطلحات ورموزًا وشعارات معيّنة من حركة اللاعنف العالمية. هذا بالتأكيد لا يجعل منهم "خيول طروادة" يسهّلون سيطرة الإمبريالية العالمية على موارد العالم الإسلامي. إنّ الأفكار تروج اليوم وتنتشر حول العالم بسرعة إشارات

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

الأقمار الصناعية والألياف الضوئية. وهذا ما أطلق عليه الباحثون رباح أرزقي وزملاؤه "المظاهرات المعدية"¹³ بعد دراسة الاحتجاجات اللاعنفية والعفوية في 200 دولة بين عامي 2000 و 2020، الدراسة التي حدّدت الدور التحفيزي لوسائل الإعلام الاجتماعية.

وبناءً عليه، فكما استلهم شباب العالم العربي ممّا يحدث في أماكن أخرى، فقد أظهروا في عام 2011 أنهم قادرون أيضًا على إلهام شباب العالم الذي تهاهى مع "الربيع العربي" في أوروبا من الجنوب إلى أوكرانيا، وفي دول أخرى حول العالم،¹⁴ من خلال احتجاجات أعادت إنتاج نموذج "فضاءات الحرية" (ميادين/ساحات التحرير) مثل "حركة الساخطين" (Indignados) في إسبانيا واليونان، وحركة "احتلّوا" (Occupy) في المملكة المتحدة والولايات المتحدة. لقد رأينا أيضًا هذا التأثير المتبادل في عام 2020 خلال حملة "حياة السود مهمة" (Black Lives Matter) في الولايات المتحدة، حيث هتفت الحشود "أزيلوهم جميعًا" (Remove them all)، حيث استنسخت حرفيًا شعار "يتنحّوا قاع" الجزائري.

أخيرًا، ليس العامل الثقافي غريبًا عن تبني الشعب الجزائري أسلوب اللاعنف في حراكه. وإنّ الغرض من هذه المساهمة هو تبيين أنّ النهج اللاعنفي للتغيير السياسي والاجتماعي، الذي هو ليس حكرًا على أمة أو ديانة بل يتقاسمها جميع أفراد الأسرة البشرية، متجذّر بشكل خاص في التقاليد الإسلامية ومارسه المسلمون في الماضي.

¹ إذا تم تصنيف الإنترنت كمحفز للاحتجاجات اللاعنفية في العالم في الألفية الثالثة، وخاصة الربيع العربي، فقد حدّد مؤرخو الثورات، على سبيل المثال، انتشار الصحافة في أوروبا كمحفز لـ "ربيع الثورات"، أي مجموعة الثورات التي شهدتها أوروبا عام 1848 والتي أثّرت على إيطاليا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر ورومانيا وبولندا وسويسرا. كما حدّدوا الدور المحفز لوسائل الاتصالات في الثورات اللاعنفية في أوروبا الشرقية وسقوط الإمبراطورية السوفيتية.

2. تجذّر اللاعنّف في الإسلام

إنّ التّأويل الذي ينسب إلى القوى الغربيّة كامل السيطرة على أيّ موقف أو سلوك، لا سيما النهج اللاعنفي في التّغيير، الذي تبنته الشعوب العربيّة والإسلاميّة في انتفاضاتها المشروعة، يدعم الأطروحات التي تقوم بنشرها العديد من الدوائر الفكرية والسياسية الغربيّة والتي تنسب إلى المسلمين الطبع الجوهري العنيف.

لا توجد ديانة أو ثقافة أو عرق أو قومية مسالمة أو عنيفة في جوهرها. وقد ارتبطت في السابق مثلاً المسيحية والإسلام في الخطاب العام بالعنف والبوذية بالسلام. لكن الأحداث الدموية في سريلانكا والتبت وميانمار واضطهاد الأقليات الدينية، خاصة المسلمين، من طرف البوذيين، أظهرت تلك الأحداث أنّ البوذية ليست أقلّ ولا أكثر عنفاً من الديانات الأخرى. فجميع الأديان تدعو إلى السلام وتسمح، في نفس الوقت، باستخدام العنف عندما يكون له ما يبرّره وبضوابط صارمة. لكن أتباع الأديان، والمجتمعات المرتبطة بها، هم بشر، أيّ كيانات معقّدة تتداخل فيها النزعة إلى العنف والتطلّع إلى السلام.

صحيح أنّ اللاعنّف الاستراتيجي تمّ التنظير له في العقود الخمسة الماضية من قبل غربيين، خاصة من طرف العالم السياسي الأمريكي جين إلر شارب الذي خصّص مجلّلات لهذا الموضوع.¹⁵ لكن أفكار شارب لم تأت من فراغ، بل تغذّت من استكشاف تجارب النضالات اللاعنافية التي عرفتها البشرية على مرّ القرون، بما في ذلك في العالم العربي الإسلامي.

حاول العديد من المفكرين المسلمين تسليط الضوء على التأسيس الإسلامي لمفهوم اللاعنّف، إمّا من خلال تحديد المبادئ الإسلامية الداعية إلى اللاعنّف، أو من خلال عرض أمثلة عملية عن مواقف وسلوكيات الأنبياء في سعيهم لتحويل خصومهم ونماذج لاعنفية من التاريخ الإسلامي.

1.2. الدفع الحسن

يستحضر القرآن الكريم الجدلية بين إرادة التعدي على حقوق الغير وإرادة المقاومة لهذا التعدي ويعتبرها مواجهة أبدية بين الخير والشر. والمصطلح المستعمل للتعبير عن إرادة التعدي على الحقوق هو النزاع أو النزاع الذي يشير إلى الرغبة في انتزاع حقوق الآخرين والاختراط في خلاف ذي هدف غير مشروع. أما المصطلح المستعمل للتعبير عن مقاومة التعدي على الحقوق فهو الدفع أو الدفاع الذي يشير إلى صدّ العدوان وحماية الحقوق الذاتية وحقوق الغير. وذلك سلوك دفاعي مشروع.

إنّ النزاع مذمومٌ في الإسلام طبقاً للآية الكريمة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹⁶ بينما الدفاع محمودٌ كما تشير إليه الآيتان: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾،¹⁷ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ، وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾،¹⁸ مع التأكيد على الإحسان في الدفع: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾،¹⁹ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾،²⁰ وتشير نهاية الآية الأخيرة إلى فضيلة "الدفع الحسن"، بما في ذلك الشكل اللاعنفي، وقدرته التحويلية للخصم.

يحرّم الإسلام بشدة كافة أشكال الظلم، لا سيما العدوان والبغي والطغيان، ويدعو إلى مقاومة هذه الأشكال من الظلم بالتي هي أحسن. وفي السياق الحالي للعالم العربي والإسلامي، تعيش غالبية المجتمعات تحت قمع أنظمة غير شرعية وتسلطية وفاسدة، أقامتها وتدعمها قوى أجنبية. وعندما تنتفض الشعوب العربية والإسلامية، بما فيها الشعب الجزائري، من أجل تغيير أوضاعهم باستخدام أساليب لاعنفية، فإنهم لا يقومون سوى بممارسة الدفع الحسن تماشيًا مع تعاليم دينهم.

2.2. عملية تغيير الذات وتحويل الغير

يُعتبر المفكران الجزائريان مالك بن نبي ومحمود بوزوزو من بين الشخصيات التي كان لها تأثيرٌ في الحركة الوطنية، فقد ساهما لعدة عقود في إيقاظ وتوعية الجزائريين القابعين تحت وطأة الاحتلال الفرنسي. ويشترك كلاهما في المعرفة العميقة والواسعة بالثقافتين الإسلامية والأوروبية، وكان كلاهما مهتمًا بالتغيير الاجتماعي.

مالك بن نبي من مواليد 1 يناير 1905 بقسنطينة، توفي في 31 أكتوبر 1973 بالجزائر العاصمة. هو الذي اقترح مفهوم "القابلية للاستعمار"، مما يعني أنه عندما يكون ثمة استعمار، فهناك بالضرورة استعداد في المجتمع لقبول المستعمر، والخطوة الأولى في عملية إنهاء الاستعمار هي إدراك هذا الوضع ومحاولة تغييره. كما تعرّض بالتفصيل للآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.²¹ كان مالك بن نبي الذي تلقى تكوينًا في الهندسة الكهربائية دائمًا يقارن دور المسلم بدور المحوّل الاجتماعي،²² وكان يُلحّ على الحاجة إلى التركيز على الواجبات أكثر من الحقوق، فالحقوق في نظره هي النتيجة المنطقية والحتمية للواجبات. كما كان معجبًا بعمل غاندي الذي التقى به خلال زيارة المهاتما إلى باريس عام 1932، وكانت تربطه علاقة بأبي الكلام آزاد،²³ عالم الدين المسلم والمناضل، صديق غاندي، وكان قد سبق هذا الأخير كرئيس للمؤتمر الوطني الهندي، وأول وزير للتربية في الهند المستقلة. وفي عام 1953، أي قبل عام من اندلاع حرب الاستقلال الجزائرية (فاتح نوفمبر 1954)، أصدر بن نبي ثلاث افتتاحيات عن اللاعنّف والتجربة الهندية: "إجلالٌ لرسول اللاعنّف"،²⁴ "رومان رولاند ورسالة الهند"،²⁵ "عالمية اللاعنّف".²⁶ وفي عام 1972 كتب تصديرًا لمساهمة من تأليف جودت سعيد، أحد أهمّ منظري اللاعنّف في العالم العربي، بعنوان "حتى يغيّروا ما بأنفسهم".

محمود بوزوزو، من مواليد 22 فبراير 1918 ببجاية، توفي في 27 سبتمبر 2007 بجنيف. كان مدرّسًا ومديرًا في أوائل الخمسينيات لمجلة المنار، ورئيسًا ومرشدًا عالمًا

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

للكشفة الإسلامية الجزائرية (1947-1954). فكّر بإسهاب في مسألة التحويل، أي كيفية كسب قلب الخصم، في وقت كان فيه الاتجاه العام في الجزائر نحو المقاومة المسلحة. اضطر محمد بوزوزو من قبل الشرطة الفرنسية التي اعتبرته قائدًا روحياً للثورة، فمعظم الذين أطلقوها قضوا تدرّبوا في إطار الكشفة الإسلامية الجزائرية. غادر محمد بوزوزو الجزائر عام 1955 وانضم إلى حركة "إعادة التسلح الأخلاقي" (Réarmement moral) في مدينة كوسويسرية، المعروفة الآن باسم "مبادرات التغيير" (Initiatives de changement)، وكان لهذه التجربة بالغ الأثر في نفسه. ففي عام 1958، كتب ما يلي:

"يمكننا أن نناضل من أجل الحق بدون حقد. وفي حالتنا، فهمت أنّ علاج الحقد هو حلّ نصف المشكلة. أمّا النصف الآخر، الذي له صلة بأصل الحقد، فيمكن في روح الهيمنة التي لا تقلّ قابلية للعلاج. وبعد أن رأيت أن غريبًا متحرّرًا من روح الهيمنة وأفريقيًا متحرّرًا من الحقد يمكن أن يصل إلى الوحدة، اكتشفت أنّ نضال أحدهما من أجل الآخر أكثر فائدة للإنسانية من نضال أحدهما ضد الآخر، وأنّ تحويل الأعداء إلى أصدقاء هو أسمى عمل أخلاقي في العلاقات الإنسانية."²⁷

بالنسبة لمحمد بوزوزو، تكمن مهمّة الأنبياء ومن يقتدي بهم في تحويل الخصم وليس هزيمته، في كسب القلوب وليس الاستعباد. أمّا في ما يتعلّق بنضاله من أجل تحرير الجزائر، فيتساءل محمد بوزوزو:

"كيف يمكننا أن نحقق حرية حقيقية للجزائر؟ إنّ عبيد روح الهيمنة والاستغلال والاستعلاء لا يمكن أن يمنحوها إياها. كما أنّ عبيد الطموحات والخواف والضغائن لا يستطيعون منحها إياها. فقط الأحرار حقًا، ذوو القلوب النقية والأيدي الطاهرة،

²⁷ تأثّف محمد بوزوزو، على سبيل المثال، لكون الشعب الجزائري لم يستطع تحويل الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر لمدة 132 سنة، كما فعل مسلمو بلاد ما بين النهرين مع المغول. (محادثة شخصية، 2005).

يمكنهم جلب هذه الحرية الحقيقية إلى بلادهم وإلى العالم. من أجل هذه الحرية قررت النضال.²⁸

على الرغم من التزامهم باللاعنف، دعم مالك بن نبي ومحمود بوزوزو الكفاح المسلح خلال حرب الاستقلال الجزائرية، لأنهم أدركوا أنه الوسيلة الوحيدة التي بقيت للشعب الجزائري للتخلص من الاستعمار الفرنسي بعد عقود من النضال السياسي الذي لم يأت بنتيجة. في الواقع، بعد عدوان القوات الفرنسية واحتلال الجزائر وأكثر من نصف قرن من حملات "التهدئة" الدموية، أظهر الاستعمار الفرنسي وجهه البشع لنصف قرن آخر من خلال قمعه للشعب الجزائري إضافة إلى الاضطهاد الثقافي والديني.²⁹ لقد اعتبرت باريس الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا ولم يكن الفرنسيون مستعدين لمغادرة هذا البلد. وفي إشارة إلى غاندي بته مالك بن نبي في إحدى محاضراته إلى الفرق بين الاستعمار البريطاني والفرنسي، وقال إنَّ غاندي لم يكن ليُستقبل في باريس كما تمَّ استقباله في لندن.³⁰ أمّا محمود بوزوزو فعبر عن أسفه لكون الاستعمار الفرنسي لم يتجاوب مع النضال السلمي، السياسي والنقابي، للحركة الوطنية الجزائرية وكتب في الفاتح من فبراير 1952 قُبيل اندلاع ثورة التحرير الجزائرية: "والاستعمار لا يدعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت."³¹

تجدر الإشارة إلى أنه إذا تم الاعتراف بأفكار مالك بن نبي ومحمود بوزوزو بخصوص اللاعنّف، فإنّ مواقفها السياسية وبُعدها النقدي عن ممارسات النخب السياسية آنذاك لم يلق رضا البعض، وذلك لا ينتقص من قيمة مساهمتها في هذا الموضوع.

3.2. مفهوم الرفق واللين

ولد المفكر الإسلامي محمد الشيرازي في النجف الأشرف (العراق) عام 1928 وتوفي في قم (إيران) في 17 ديسمبر 2001. واستخدم الشيرازي مفهوم الرفق للإشارة إلى

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

اللاعنف. ووفقاً لأهم القواميس العربية، الرفق في اللغة هو نقيض العنف وضده: "الرَّفْقُ ضِدُّ العُنْفِ" (لسان العرب لابن منظور)، "الرَّفْقُ هو اللُّطْفُ وهو ضِدُّ العُنْفِ" (تاج العروس لمرتضى الزبيدي)، وبالتالي يمكن استخدام لفظ الرفق بدلاً من صيغة اللاعنّف السالبة (المرفقة بلا). وثمة العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على الرفق: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"؛³² "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"؛³³ "من يُحرم الرفق يُحرم الخير"؛³⁴ "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه"،³⁵ "اللهم من وُلِّي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن وُلِّي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به".³⁶

كما أنّ مفهوم اللين له نفس معنى الرفق تقريباً ويمكن استخدامه أيضاً كمكافئ لللاعنف. يجبرنا القرآن الكريم كيف أمر الله موسى وأخاه هارون بالذهاب إلى فرعون ومخاطبته: ﴿ادْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.³⁷ كما لفت القرآن الكريم انتباه النبي إلى حقيقة أنّ نجاحه في جمع أصحابه من حوله كان بسبب منهجه اللين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.³⁸

4.2. مذهب ابن آدم الأول

جودت سعيد هو أول مفكر مسلم حاول تطوير نظرية إسلامية عن اللاعنّف على أساس قصة ابني آدم قابيل وهابيل. ولد جودت سعيد عام 1931 في بئر عجم، وهي قرية في مرتفعات الجولان في سوريا. تابع دراسته الثانوية في الأزهر (القاهرة) وتخرّج من كلية اللغة العربية. تأثر جودت سعيد بفكر مالك بن نبي الذي قابله خلال إقامته في مصر، ولا سيما بنظريته في التغيير الاجتماعي. يروي القرآن الكريم قصة ابني آدم على النحو الآتي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ

لَتَشْتَلِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأُفْتَلِكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَيُرَوَّى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ".⁴⁰

جودت سعيد، الذي كان يرى أنَّ موقف وسلوك الابن الأول لآدم يجب أن يكون هو المعيار في أيِّ مجتمع متحضّر، قام بتطوير أطروحته في العديد من المساهمات، مثل "مذهب ابن آدم الأول" (1964)، "حتى يغيّروا ما بأنفسهم" (1972)، "كن كلبن آدم" (1996)، "رياح التغيير" (1998).

وأظهر جودت سعيد بعد انطلاق "الربيع العربي" ثباتًا في الموقف، فقد أدان في عام 2012 عسكرة الثورة السورية التي بدأت باحتجاجات سلمية لدرجة أنها وُصفت بـ"ثورة الإنشاد"، لكون الحشود السورية احتجّت لعدّة أشهر في الشوارع والساحات العامة منشدين توقعهم للحرية. لكن للأسف، دُفع بالثورة السورية إلى العسكرة من خلال الإفراج المكثف والمريب من سجن صيدنايا عن معتقلين أشرفوا وشاركوا في النزاعات المسلحة في أفغانستان والعراق، ومن جرّاء القمع العنيف الذي قام به النظام السوري، وكذلك من خلال التأثير الضار للتدخلات الأجنبية الصارخة. وصرّح جودت سعيد حينها علنًا أنه "إذا نجحت الثورة السورية بالسلاح، سنظلّ محكومين بالسلاح الذي نُحكم به منذ 1400 سنة".⁴¹

5.2. مثال عبد الغفار خان

من أحسن الأمثلة عن التغيير اللاعنفي في التاريخ الإسلامي الحديث هو مناهضة الاستعمار البريطاني في الهند بقيادة عبد الغفار خان، المسمى "غاندي الحدود"، فهو من الحدود الهندية الشمالية الغربية للهند (أصله باشتوني، وُلد في هاشتناغار في 6 فبراير 1890 وتوفي في بيشاور في 20 يناير 1988). أسّس عبد الغفار خان في عشرينيات القرن العشرين حركة "خوداي خدمتغار" (خدّام الله) اللاعنفية المناهضة للاستعمار البريطاني للهند التي تجاوز عدد أعضائها 100 ألف، ولعبت دورًا رئيسيًا في تحرير شبه القارة الهندية. وكما كان عليه حال صديقه مهندس غاندي، تبنّى عبد الغفار

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

خان اللاعنّف كوسيلة للنضال، وقال لمؤيديه "سأدلكم على سلاح لا تستطيع الشرطة ولا الجيش مواجهته. إنه سلاح النبي (ص)، لكنكم لستم على وعي به. هذا السلاح هو الصبر والاستقامة. لا يمكن لأيّ قوة على وجه الأرض أن تتصدّى له." ⁴²

إنّ قَسَم "خدّام الله"، الذي يُشترط أن يؤدّيه أيّ شخص يرغب في الانضمام إلى الحركة، وهو قَسَم أمام الله وليس تجاه رمز أو قائد أو هيئة ويتمّ القَسَم واليد موضوعة على المصحف الشريف، يعطي فكرة واضحة عن التزام "خدّام الله" باللاعنف:

- "- أنا خديم الله، ولأنّ الله لا يحتاج لأيّ خدمة فخدمة خلقه هي خدمته؛
- أتعهّد بخدمة الإنسانية في سبيل الله؛
- أتعهّد بنبذ العنف والانتقام؛
- أتعهّد بالعفو عمّن يضطهدين أو يعاملني بقسوة؛
- أتعهّد بالامتناع عن المشاجرات والمخاصمات وعن زرع العداوة؛
- أتعهّد بالتعامل مع كل بشتوني كأخ وصديق؛
- أتعهّد بالتخلي عن العادات والممارسات المعادية للمجتمع؛
- أتعهّد أن أعيش حياة بسيطة وأن أمارس الفضيلة وأمتنع عن الرذيلة؛
- أتعهّد بالتمسك بالأخلاق الحميدة والابتعاد عن الكسل؛
- أتعهّد بتخصيص ما لا يقل عن ساعتين يوميًا للعمل الاجتماعي؛
- إنني أعرض اسمي بأمانة وصدق لأصبح خادماً حقيقياً لله؛
- سأضحي بثروتي وحياتي وراحتي من أجل حرية أمّتي وشعبي؛
- لن أكون أبداً طرفاً في الفصائل أو الكراهية أو الغيرة ضد شعبي؛ وسأقف مع المظلوم ضد الظالم؛

- لن أنظّم لأيّ منظمة منافسة أخرى، ولن أنخرط في الجيش؛
- سأطيع بأمانة جميع الأوامر المشروعة الصادرة عن جميع قياداتي في كلّ وقت؛
- سأعيش وفق مبادئ اللاعنّف؛

– سأخدم كل مخلوقات الله على حدّ سواء؛ وسيكون هدفي تحقيق حرية بلدي وديني؛

– سأحرص دائماً على فعل الخير؛

– لن أرغب أبداً في الحصول على أيّ مكافأة مقابل خدمتي؛

– سيكون كلّ جهد أبذله لمرضاة الله، لا لسمعة أو غنية.⁴³

3. اللاعنّف في العالم العربي

1.3. اللاعنّف في المصطلح العربي

ثمّة العديد من الصيغ المستخدمة في المصطلح العربي الحديث لتسمية "اللاعنف" مركّبة من صفة وموصوف تحمل في طياتها بعداً دينياً أو لادينياً. أمّا الألفاظ المستعملة بخصوص الموصوف فهي: المقاومة والنضال والمغالبة والجهاد والاحتساب. وأمّا بخصوص الصفة فالألفاظ المستعملة هي: لاعنفي وسلمي ومدني، ممّا يؤدي إلى التركيبات الخمسة عشر الواردة في الجدول الآتي:

	مقاومة	نضال	مغالبة	جهاد	احتساب
لاعنفي	مقاومة لاعنفية	نضال لاعنفي	مغالبة لاعنفية	جهاد لاعنفي	احتساب لاعنفي
سلمي	مقاومة سلمية	نضال سلمي	مغالبة سلمية	جهاد سلمي	احتساب سلمي
مدني	مقاومة مدنية	نضال مدني	مغالبة مدنية	جهاد مدني	احتساب مدني

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

2.3. اللاعنّف في المكتبة العربية

منذ ستينيات القرن الماضي، ثمة اهتمام متزايد في العالم العربي باللاعنف كوسيلة للتغيير السياسي والاجتماعي، خاصة لإحياء النظرية الإسلامية لللاعنف. وتعرض العديد من الباحثين والمؤلفين والصحفيين والسياسيين للموضوع منهم على سبيل المثال: جودت سعيد، محمد الحسيني الشيرازي، خالص جلي، خالد القشطيني، بشار حميص، محمد مهدي شمس الدين، حسن الصفار، محمد محفوظ، محمد تقي باقر، منصف المرزوقي، طارق البشري، محمد أبو النمر، زينب ليث، كمال حبيب، أحمد فتحي، أسعد الإمارة. بالإضافة إلى ذلك، تحتوي المكتبة العربية على العديد من الأعمال⁴⁴ التي تتناول موضوع العنف واللاعنف بطريقة أصيلة، لا تقتصر على ترجمة الإنتاج الغربي حول هذا الموضوع.

3.3. الانتفاضات اللاعنفية في العالم العربي قبل 2011

في دراستهم الجغرافية للحركات الاجتماعية اللاعنفية⁴⁵ عبر العالم، صتّف الباحث ستيفن زونس وزملاؤه العديد من الانتفاضات في العالم العربي كتجارب لاعنفية، مثل انتفاضة 1919 في مصر، والمقاومة في الجولان المحتلّ في أوائل الثمانينيات، وانتفاضة 1985 في السودان، والانتفاضة الفلسطينية الأولى التي انطلقت في ديسمبر 1987، وانتفاضة أكتوبر 1988 في الجزائر.

تجدر الإشارة أيضًا إلى أنه في السياق الجزائري، كانت مظاهرات ديسمبر 1960، التي قمعتها قوات الاحتلال الفرنسية بشدة، مثالًا حيويًا على فعالية العمل اللاعنفي. لقد كانت نقطة تحوّل تاريخية في النضال من أجل الاستقلال في وقت بدأ فيه العمل العسكري المباشر يظهر حدوده وحين كان من المقرر مناقشة القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

خلافًا لدعاية بعض النخب السياسية والإعلامية في العالم العربي والإسلامي وفي الغرب، التي لا تقبل بالعمل السياسي ذي المرجعية الدينية، فإن الأحزاب السياسية التي تعلن انتماءها إلى الحركة الإسلامية وتطالب بالحق في المشاركة السياسية في بناء المجتمع وتشديد الدولة، تؤكد في بياناتها التأسيسية رفض العنف كوسيلة للعمل، ويوضح ذلك مثال "جماعة العدل والإحسان" في المغرب، الحركة الوحيدة التي تطالب علنًا بتغيير الشكل الحالي للملكية. تجعل الوثيقة التي تعرض أهداف ووسائل "جماعة العدل والإحسان" المغربية من الإحسان أحد أهم الأهداف بتداعياته العقدية والسياسية، فالجماعة تحرص على "الإحسان لتطمئن خطانا إلى الله وخطواتنا في مواجهة الحقائق المرعبة في المجتمع، وبوجوده لن ندعو أبدًا إلى الحل الصراعي العنيف".⁴⁶ وفي القسم المخصص للوسائل، تشير الوثيقة إلى رفض العنف: "تتجنب العنف في القول والعمل لاعتقادنا أن العنف والدعوة لا يجتمعان من جهة، وليقيننا أن ما ابني على العنف لا يُجني منه خير، ولا يمكن أن يدوم، وخسارته محققة وربحه بعيد الاحتمال من جهة، ولأننا أُمَرنا في زمن الفتنة - وهذا منطلقنا - بحقن الدماء والعفو عن المسلمين".⁴⁷

وقد سبق تبنى اللاعنف كاستراتيجية للتغيير قبل انطلاقة "الربيع العربي" في عدة دول، وظهرت عدة حركات في العقد الأول من هذا القرن تصرّح باعتماد اللاعنف كسبيل إلى التغيير السياسي. ومن بين هذه الحركات: "تيار المجتمع المدني" (لبنان، 2001)، "حركة كفاية" (مصر، 2004)، "هيئة 18 أكتوبر" (تونس، 2005)، "تجمع إعلان دمشق" (سوريا، 2005)، "جماعة لاعنف" (العراق، 2006)، "حركة رشاد" (الجزائر، 2007).

يجدر القول بأن إقناع الناس بفعالية اللاعنف الاستراتيجي في السياق العربي الإسلامي تستغرق الكثير من الوقت والجهد وتتطلب كثيرًا من البيداغوجية. فعلى سبيل المثال، حركة رشاد الجزائرية، التي تأسست في أبريل 2007، وحددت مهمتها في العمل على أن "تكون السلطة السياسية التي تحكم الجزائر شرعية، مدنية، ذات

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

سيادة، منصفة، اجتماعية، متبصرة، تقوم على الفعالية والشفافية والمساءلة أمام الشعب"،⁴⁸ معتمدةً "لتحقيق أهدافها كلّ الوسائل اللاعنافية للنضال السياسي"،⁴⁹ لَمَّا باشرت عملها منذ انطلاقتها في شرح فضائل اللاعنف وتبيين مزاياه النسبية مقارنة بطرق التغيير الأخرى (الثورة المسلحة والانتقال والتدخل الأجنبي)، وُصف مؤسسو الحركة من طرف البعض بالسذاجة، وبأنهم يتشبهون بغاندي في جزائر لا علاقة لها بالهند. وكانت حجة المشككين في نجاعة اللاعنف في الجزائر هي كون المزاج "الحار" الأمازيغي العربي للجزائريين يمثل عقبة حقيقية أمام العمل اللاعنفي. وشرعت رشاد في جهود توعوية طويلة لتفكيك هذه المسلّمات، من خلال كتابات عديدة، وسلسلة من الأفلام الوثائقية⁵⁰ التي بثتها الحركة على قناة رشاد التلفزيونية، وكذا عبر التدخلات المنتظمة لأعضاء الحركة في وسائل الإعلام.

4.3. "الربيع العربي"

مثال آخر يوضح كيف يمكن لللاعنف أن يُحدث التغيير في مجتمع عربي مسلم هو تجارب "الربيع العربي"، في نسختي 2011 و 2019.

ففي أواخر عام 2010، انطلقت شرارة محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في نفسه لتدشّن عهدًا جديدًا في المنطقة، تميّز بالانتفاضات السلمية لاستعادة الحرية والكرامة. وأظهر فاعلو هذه الانتفاضات، خاصة الشباب، عمليًا، أنّ اللاعنف الاستراتيجي يمكن أن ينجح أيضًا في العالم العربي الإسلامي. لكن وحشية الأنظمة، وترسخ "الدول العميقة" وقوى الثورة المضادة، وتدخل القوى العالمية والإقليمية، وقبل كل ذلك عدم كفاءة النخب السياسية الوطنية التي تولّت السلطة بعد الثورات، حال دون وصول الانتفاضات السلمية غايتها في بعض السياقات، وأدّى إمّا إلى عودة النظام القديم بصورة أشرس (مصر)، أو إلى حالة من الفوضى (الين وسوريا وليبيا).

جاءت الموجة الثانية من الانتفاضات في عام 2019، لا سيما في الجزائر، لتثبت مرّة أخرى، لمن لا زالت تراوده الشكوك، أنّ الشعوب العربية الإسلامية، ومنها الشعب

الجزائري، قادرون أيضًا على التطلع إلى الكرامة والخروج من دوامة "الحفرة/الحفرة"، والانخراط في حراك متحضر أهر العالم بطابعه اللاعنفي المستديم رغم كل استفزازات النظام العسكري الجزائري. واستمر الحراك منذ 22 فبراير 2019، حتى مع التعليق الطوعي للمسيرات الأسبوعية منذ شهر مارس 2020 بسبب جائحة كوفيد-19، لأنه يحترم عدّة مبادئ أساسية منها:⁵¹

1. الوحدة في إطار التنوع: لقد كسر الحراك جميع الحواجز: الأيديولوجية والمناطقية وبين الأجيال وبين الجنسين وبين الصحيح والعليل وبين الداخل والخارج، إلخ. وفي إطار تنوع هادئ، يعكف الجزائريون معًا على وضع حدّ للسلطوية والفساد، متطلّعين إلى مجتمع جامع ودولة قانون وحكم راشد تتسع للجميع ويتمتع فيها المواطن بالحرية والكرامة.

2. الرؤية المشتركة: في بداية الحراك هتف المتظاهرون "لا لولاية خامسة" لبوتفليقة، لكن بعد بضعة أسابيع، تقاربت المطالب لتنصهر في مطلب واحد واضح: أولوية السياسي على العسكري. فالشعارات الرئيسية التي نراها اليوم هي: "مدنية ماشي (ليست) عسكرية"، "جمهورية ماشي كازيرنا (ليست ثكنة)".

3. اللاعنف: لم تكن الانتفاضة لتستمر لولا التزامها وتمسكها بالمنهج اللاعنفي. فالنظام الذي يُتقن إدارة العنف واستخدامه لصالحه أخذه الحراك على حين غرة فهو يتخبّط في ميدان لا يُحسن السيطرة عليه.

4. الاستقلالية: لا يريد الجزائريون أيّ تدخّل في شؤونهم، فهم يؤمنون بأنهم وحدهم المخوّلون بإحداث التغيير الذي يصبون إليه. ولديهم رسالة واحدة إلى الحكومات الأجنبية: إنكم بدعمكم لنظام استبدادي وفاسد في الجزائر تنتهكون قيمكم ولا تخدمون مصالح بلدانكم.

4. الخلاصة

حاولت هذه الورقة أن تُظهر من خلال النصوص الإسلامية والأمثلة والتجارب من العالم العربي الإسلامي أنّ فكرة اللاعنّف كوسيلة للتغيير ليست غريبة عن هذه المنطقة من العالم. إنّ اللاعنّف ليس منتجًا تستورده الشعوب العربية والإسلامية بسذاجة، ويتم تصديره إليها من قبل المخابر الغربية التي تتآمر ضد مصالحها. إنه تقليد راسخ في ثقافتها، تحثّ عليه التعاليم الإسلامية وتمت ممارسته طوال التاريخ الإسلامي.

إنّ التفسير الذي ينسب أيّ مبادرة شعبية للتغيير السياسي والاجتماعي في العالم العربي والإسلامي إلى عامل خارجي، يُنكر النضج السياسي لمواطني هذه المنطقة ويسلبهم الرغبة المشروعة في التحرّر من الأنظمة التسلّطية ويتجاهل الإرادة الراسخة في الطبيعة البشرية للعيش بحرية وكرامة.

إن نشر فكرة أن التطلّعات العميقة لشعوبنا والرغبة العميقة في تحقيقها هي عمل "يد أجنبية" هو نهج يساهم بوعي أو بلا وعي في إطالة حكم الأنظمة التسلّطية والفاصلة في العالم العربي والإسلامي، بذريعة حماية دول المنطقة من المؤامرات التي تُحاك ضدهم في عواصم أجنبية في مقدمتها واشنطن. إنّ مثل هذا التصرف لا يعتبر فقط استصغارًا وقلة احترام لشعوبنا، وبالتالي إهانة لذكائهم الجماعي، لكنه يتجاهل حقيقة أنّ القوى الاستعمارية الجديدة لها كل المصلحة في الحفاظ على الأنظمة التسلّطية تحت تحكّمها، لتخدم مصالح هذه القوى غير المشروعة على حساب مصالح شعوب المنطقة. إنّ واشنطن، التي قدّمها البعض في عام 2011 على أنها المحرّض على "ثورة 25 يناير"، من خلال تلاعب افتراضي بالشباب المصري من قبل وكالات موالية لأمريكا بما في ذلك أوتبور، كانت، في ظل إدارة أوباما، أكبر داعم للمشير عبد الفتاح السيسي في انقلابه العسكري في 3 يوليو 2013 وعودة الديكتاتورية في مصر بعد عامين ونصف من استراحة ديمقراطية.

إنّ الحراك الجزائري تمّ تجاهله من الجميع وتعرّض لتعتيم في الإعلام الدولي، وهذا في الواقع أمرٌ جيد. فلا يمكن لأحد أن يتّهم الحراك بأنه تلقّى دعماً من حكومة أجنبية، كما كان الحال مع حركات احتجاج أخرى مثل الانتفاضة في هونغ كونغ. إنّ حكومات القوى العالمية والإقليمية كالولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى ودول غربية أخرى وروسيا والصين والسعودية والإمارات وقطر وتركيا، لم يُظهروا قط أدنى دعم للحراك الجزائري. لقد واصلوا جميعاً "البزنسة" مع النظام الجزائري على حساب مصالح الشعب الجزائري.

يمكن استخلاص عدة دروس من "الربيع العربي"، الذي أطلق في نهاية عام 2010 وما زال مستمراً، ومن الحراك الجزائري، وعلى وجه الخصوص: (1) يتطلّع كلّ البشر إلى الحرية والكرامة والحياة الكريمة؛ (2) لجميع الشعوب عتبة للانتفاض، أي قدر معين من الظلم يدفعهم إلى الانتفاض؛ والمسلمون من عرب وأمازيغ وأكراد وغيرهم، ليسوا استثناءً؛ (3) الشرارة التي تثير الانتفاضة يحددها السياق؛ (4) لا يوجد ديكتاتور لا يقهر. فالطغاة ليسوا أقوياء كما يبدو؛ (5) إن مفتاح الانتصار على الديكتاتورية هو الوحدة في التنوّع؛ (6) القائد الكاريزمي ليس شرطاً مسبقاً للنصر؛ (7) يمكن للشباب إحداث التغيير؛ (8) المقاومة المدنية اللاعنيفة فعّالة حتى في الدول العربية الإسلامية؛ (9) قد تكون الشبكات الاجتماعية والقنوات الفضائية عاملاً مساعداً، لكن النضال الحقيقي في الشوارع والساحات والتضحيات ضرورية لا مفرّ منها؛ (10) ليس لدى القوى العالمية أصدقاء دائمين ولا يمكنها التخطيط والتنبؤ بكل شيء.

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

الإحالات

¹ من تصدير كتاب "السعي إلى السلام في الإسلام" باللغة الإنجليزية، من تأليف عباس عروة (Abbas Aroua. *The Quest for Peace in the Islamic Tradition*. Kolofon. Oslo 2013).

² أحمد بن سعادة، من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟، إصدارات Apic، الجزائر 2020.

³ <http://www.aps.dz/culture/105902-qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-un-livre-enquete-signé-a-bensaada>

⁴ <https://www.youtube.com/watch?v=1xm-oKsAcp4&feature=share>

⁵ Michel Brulé, Montréal, avril 2011.

⁶ Investig'Action, Bruxelles, février 2019.

⁷ <https://bit.ly/39tRliK>

⁸ <https://bit.ly/32V0nDZ>

⁹ <https://bit.ly/39tRliK>

¹⁰ Ibid.

¹¹ Ibid.

¹² Ibid.

¹³ Arezki, Rabah; Dama, Alou Adesse; Djankov, Simeon; Nguyen, Ha. 2020. Contagious Protests. Policy Research Working Paper; No. 9321. World Bank, Washington, DC. (2020).

<https://openknowledge.worldbank.org/handle/10986/34130>

¹⁴ https://en.wikipedia.org/wiki/Impact_of_the_Arab_Spring

¹⁵ أنظر مثلاً:

The Politics of Nonviolent Action. Porter Sargent (1973). From Dictatorship to Democracy: A conceptual framework for liberation. The Albert Einstein Institution (1994). Social Power and Political Freedom. Porter Sargent (1980). Waging Nonviolent Struggle: 20th Century Practice and 21st Century Potential, avec Joshua Paulson. Extending Horizons Books (2005). Self-Liberation: A Guide to Strategic Planning for Action to End a Dictatorship or Other Oppression, avec l'assistance de Jamila Raqib. The Albert Einstein Institution (2009). Sharp's Dictionary of Power and Struggle. Oxford University Press.(2011)

¹⁶ الأنفال:46

¹⁷ البقرة:251

¹⁸ الحج:39-40

¹⁹ المؤمنون:96

²⁰ فصلت:34

²¹ الرعد:11

²² منقول عن مصطفى براهمي، محادثة خاصة 1995.

²³ منقول عن نور الدين بوكروج، أنظر:

Noureddine Boukrouh. « Pensée de Malek Bennabi : 5) L'Afro-Asiatisme ». *Le Soir d'Algérie* du 8 novembre 2015.

²⁴ Malek Bennabi. Hommage à l'Apôtre de la non-violence. *Le Jeune Musulman* du 30 janvier 1953.

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

²⁵ Malek Bennabi. Romain Rolland et le Message de l'Inde. En deux parties, dans *Le Jeune Musulman* du 26 juin 1953 et du 22 janvier 1954.

²⁶ Malek Bennabi. Universalité de la non-violence. *La République Algérienne* du 18 décembre 1953.

²⁷ In *Tribune Libre* No. 39. Un changement d'espérance : A la rencontre du réarmement moral. Des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, de l'Institut. Plon, Paris 1958.

²⁸ نفس المصدر.

²⁹ Abbas Aroua. "Reading Notes on Colonial Massacres in Algeria". In *An Inquiry into the Algerian Massacres*. Youcef Bedjaoui, Abbas Aroua and Meziane Ait-Larbi. Hoggar, Geneva 1999.

³⁰ منقول عن أنور هدام، محادثة خاصة 2013.

³¹ Mahmoud Bouzouzou. La Journée de Tunisie. *Almanar*. Première année, No. 15. 1er février 1952.

³² رواه مسلم والبخاري.

³³ رواه مسلم وابن ماجه.

³⁴ رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

³⁵ رواه مسلم.

³⁶ رواه مسلم.

³⁷ طه: 43-44.

³⁸ آل عمران: 159.

³⁹ المائدة: 27-28.

⁴⁰ رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان.

⁴¹ <https://www.youtube.com/watch?v=0QQQxXRR060>

⁴² David Cortright. *Peace: A History of Movements and Ideas*. Cambridge University Press (2008).

⁴³ <https://khudaikhidmatgar.wordpress.com/oath-of-a-khudai-khidmatgar/>

⁴⁴ أنظر مثلاً المساهمات الآتية: "مذهب ابن آدم الأول: مشكلة العنف في العمل الإسلامي"، جودت سعيد (1966)؛ "إلى حكم الإسلام"، محمد الحسيني الشيرازي (1984)؛ "الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية"، محمد الحسيني الشيرازي (1995)؛ "كن كبن آدم"، جودت سعيد (1997)؛ "نحو اللاعنّف: المقاومة المدنية عبر التاريخ" خالد القشطيني (1998)؛ "سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي"، خالص جلبي (1998)؛ "بناء ثقافة السلم"، خالص جلبي (1999)؛ "العنف والديمقراطية"، عبد الإله بلقزيز (2000)؛ "فقه العنف المسلح في الإسلام"، محمد مهدي شمس الدين (2001)؛ "ألف باء اللاعنّف: رؤية إسلامية أولية في ثقافة التسامح"، صالح الحسن (2001)؛ "الإسلام واللاعنف"، تحرير جليل باج، شايوات ساناآند (قادر محي الدين) وسارة جيليات (2001)؛ "العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي: بين المبدأ والخيار"، عبد الحميد أحمد أبو سليمان (2002)؛ "اللاعنف في الإسلام"، محمد الحسيني الشيرازي (2002)؛ "اللاعنف وإحلال السلم في الإسلام"، محمد أبو النمر (2003)؛ "نظرية اللاعنّف عند الإمام الشيرازي: دراسة مقارنة"، أسعد الإمارة (2003)؛ "السياسة النبوية ودولة اللاعنّف"، حسن موسى الصفار (2004)؛ "العنف واللاعنف في الحركات الإسلامية المعاصرة"، بشار حميض (2005)؛ "الإسلام والعنف"، أحمد أبو مطر بالاشتراك مع خالص جلبي وزهير المخ (2005)؛ "اللاعنف في نهضة الإمام الحسين"، محمود مراد الحائري (2006)؛ "اللاعنف في التاريخ العربي الإسلامي"، عدنان اسمندر (2006)؛ "حرب اللاعنّف: الخيار الثالث"، أحمد عبد الحكيم، هشام مرسي ووائل عادل (2007)؛ "اللاعنف في الإسلام: مفهومه، مجالاته، آلياته، أدواته"، علي حاشوش الزيدي (2008)؛ "اللاعنف: قراءة تحليلية في أنواعه وأفائه"، محمد ملا حسن آل باقر (2016).

⁴⁵ Stephen Zunes, Sarah Beth Asher, and Lester Kurtz (editors). *Nonviolent Social Movements: A Geographical Perspective*. Wiley-Blackwell (1999).

اللاعنف في الجزائر: مؤامرة إمبريالية أم ظاهرة ذاتية؟

⁴⁶ <https://bit.ly/3fltLuU>

⁴⁷ نفس المصدر.

⁴⁸ <https://rachad.org/fr/?p=506>.

⁴⁹ نفس المصدر.

⁵⁰ <https://bit.ly/38KSQIS>

⁵¹ عباس عروة، بعد أكثر من سبعة أشهر، يظل الحراك في الجزائر نابضًا بالحياة. 1 أكتوبر 2019. متوفّر على الرابط:

<https://bit.ly/32kkoDN>

عباس عروة

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

محمد دوغة

139.....	1. مقدمة
142.....	2. المثقفون المرتزقة ونصيحة مونغو بيتي
151.....	3. العمل بالوكالة لحساب واشنطن
156.....	4. ضربات تحت الحزام للقضية الفلسطينية

1. مقدمة

في زمنٍ قريب، كانت الجزائر قبلة تضامن تأوي إليها شعوب الجنوب وغيرها من مناطق العالم المسحوقة، ومركز إلهام للثائرين. كان كفاحها الفذ لانتزاع استقلالها بعد أكثر من قرن من الحكم الاستعماري الاستيطاني الفرنسي اجتذب المناضلين والمناهضين للاستعمار من مختلف بقع الأرض، من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا، وحتى من داخل فرنسا الاستعمارية السابقة نفسها. وقد اعتبر الجزائريون هؤلاء الوافدين إليهم، المناضلين من أجل الحرية أصدقاء مرحبٌ بهم في الجزائر. ولم ينحصر الوافدون إلى الجزائر في النشطاء السياسيين، بل شمل أيضا أطباء وممرضين وصحفيين ومحامين

ومعلمين وكتاب ومهندسين وفنيين من مختلف الخبرات. وكان البعض الآخر لاجئين سياسيين عاديّين وجدوا في الدولة الناشئة ملاذاً للسلام، تجمعهم قضية مشتركة مع الجزائر، لتحرير أنفسهم من أغلال الاستعمار. وشكلوا بذلك ما أصبح يعرف بجيل "الأقدام الحمراء" مثلاً وثقته كثيرين سايون.¹ كان تاريخ ملحمة استقلال الجزائر جد ملهم لشعوب العالم قاطبة، لدرجة أن سياسة الجزائر الخارجية النضالية حفزت قضايا الشعوب المضطهدة وشكلت حلقة في عملية تصفية الاستعمار، فضلاً عن تكريسها الاستقلال الاقتصادي وحركة عدم الانحياز.² في وقت مبكر، اهتم الأكاديميون بتاريخ البلاد ورسالته في الفترة الممتدة من الستينيات إلى الثمانينيات.³ في حين شهدت حقبة التسعينيات تجدد الاهتمام بالجزائر، داخل الأوساط الإعلامية الدولية والمجال الأكاديمي.

بشرت انتفاضة أكتوبر 1988 بربيع ديمقراطي، لكنه لم يدم طويلاً (1989-1991) أعاد تلميع المكانة الدولية لنظام الشاذلي. غير أن التدخل العسكري في يناير 1992 وعشرية الحرب الأهلية الدامية التي أعقبته جردت النظام من الهالة ورداء الاحترام والتبجيل التي أضفاها تاريخ التحرير والاستقلال على البلاد. هذا الوضع الحرج أرغم النظام على تشغيل آليته الدعائية خارج البلاد، لنشر روايته وإسكات جميع الانتقادات الموجهة له بسبب المأساة التي مزقت البلاد. أظهر أصدقاء النظام الجزائري الأجانب، المجندين بشكل أساسي من الأوساط الإعلامية والأكاديمية الأوروبية، حماسة مفرطة في وضع أنفسهم في خدمة أجندة النظام العسكري خلال العشرية الدموية وطيلة العقدين من حكم عبد العزيز بوتفليقة؛ الذي استفاد من ارتفاع مداخيل النفط التي شهدت أسعارها ارتفاعاً هائلاً بعد غزو العراق عام 2003.⁴ وقد برهن هؤلاء الأصدقاء الموظفين للنظام العسكري على استعدادهم التام لتقديم خدماتهم مقابل حفنة من الدولارات.

ومن روع الصدمة التي أصابتهم جراء التظاهرات السلمية الهائلة للحراك الذي أطاح بنظام بوتفليقة وجد بعض عناصر آلة الدعاية للنظام الجزائري صعوبات جمة لمواكبة

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

المسار والاستمرار في أداء مهامهم الدعائية في خدمة النظام العسكري، خاصة بعد فقدانهم كل مصداقية في أعين الجزائريين. وبمجرد أن أجمض الحراك عملية تجديد حكم بوتفليقة لولاية خامسة، وبدد آمال قيادة الجيش في استبدال سريع لبوتفليقة بواجهة مدنية أخرى في أبريل ويوليو 2019، انطلقت من جديد آلية الدعاية القديمة للجيش، واستأنفت بقوة مهامها المعتادة، عن طريق توجيه هجماتها الشرسة والمكررة ضد مختلف مكونات الحراك الجزائري. وكان الهدف المتوخى من هذه الحملات، تشويه سمعة الحراك وتقديمه على أنه مؤامرة من تدبير عملاء أجنب ومن مثيري القلاقل وأعداء الجزائر، يعملون ضد الجيش الوطني الذي يحمي سيادة الوطن من التدخل الأجنبي. وذهبت بعض أعلام هذه الآلة الدعائية إلى حد تصوير الحراك كأداة للإمبريالية الأمريكية التي تستهدف الجيش الجزائري بسبب استقلاله الراسخ ونضاله من أجل قضايا دول الجنوب وفلسطين.

الغرض من هذا المقال تسليط الضوء على كتيب أحمد بن سعادة الذي حظي بتغطية إعلامية مضخمة وملفتة للنظر، وتفكيك حججه الهشة التي تفتقر للأسس الموثقة الكفيلة بدعم ما يدعيه. كما يهدف هذا المقال أيضا إلى الدفاع عن الحراك الجزائري المتجذر في وطنيته التي يعتز بها، والتميز بروح المسؤولية وحامل الأمل في بناء جزائر مزدهرة ذات سيادة حقًا. لقد اختار ناشر كتيب بن سعادة، كلا من ماجد نعمة وریشار لايفيار لتحرير مقدمة الكتيب وخاتمه. ومثلما أوضحه بن محمد في فصل آخر من هذا الكتاب، فإن كل من بن سعادة ونعمة ولايفيار يعرفون بعضهم البعض جيدًا، كونهم جميعًا أعضاء في المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية (CIGPA) الكائن مقره في فرنسا. هذه العلاقة توحى بأن بن سعادة هو الذي ألح في طلبه من أصدقائه في مركز سيقبا CIGPA بتقديم كتيبه للقراء، حيث جرت العادة أن تكون المقدمات بمثابة تركيبة تضفي قدرا من المصداقية والهالة على المؤلف وإنتاجه. لكن السؤال المطروح، ما مدى المصداقية التي يحظى بها نعمه ولايفيار لدى الجزائريين عموما والحراك على وجه الخصوص؟

2. المثقفون المرتزقة ونصيحة مونغو بيتي

في مقدمته للكتيب، يصوّر لنا ماجد نعمة أحمد بن سعادة كخبير بارز في الثورات الملوّنة ومحذر من الدسائس الأمريكية للمحافظين الجدد الذين صدروا نموذج "تغيير النظام" من أوراسيا إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في عام 2011، والذين حاولوا اختبار نفس النموذج ميدانيا في الجزائر في 2012. ويؤكد لنا نعمة أن عين بن سعادة اليقظة قد أماطت اللثام عن نط مماثل من المؤامرات، تُعده بعض المنظمات غير الحكومية الجزائرية التي تحاول، بحسبه، تقويض الحراك، الأمر الذي دفعه إلى قرع جرس الإنذار، وإنتاج هذه "المساهمة الجبارة"⁵. لقد بيّن المقالان الأوليان من هذا الكتاب بوضوح، نقاط الضعف التي تعترى منطق بن سعادة المتضمن في كتيبه، أو بالأحرى افتقاره التام إلى المنطق وانعدام الصرامة العلمية لأطروحته بعد تمريرها عبر فحص نقدي معمق. ومن ثم سيقترن تركيزنا في هذه المقال على تصريحات نعمة نفسها. ومن هذا المنطلق، نعتبر أن اقتباس نعمة لـ "المادتين 107 و108" من الدستور الجزائري لعام 2016 سببه خطأ مطبعي، تعود مسؤوليته واللوم على الناشر، وليس ناتج عن جهله بالتعديل الرابع لدستور نظام دافع عنه، وبلد يدعي أنه خبير في شؤونه.⁶

يشرح نعمة في مقدمته للقراء أن ما أراده الشعب الجزائري عندما خرج إلى الشوارع في 2019 هو استعادة مصيره بين يديه وليس عقد "[ميثاق] مع أكثر الناس ظلامية، والأكثر تخلفاً، والأكثر عداءً للديمقراطية، والأكثر عنفاً، أولئك الذين مارسوا الإرهاب الجماعي ضد الشعب الجزائري نفسه"⁷. ثم يخلص إلى أن رفض الجزائريين لرغبات هؤلاء المتآمرين يفسر ما يعتبره هجوم على الجزائر الجديدة، سواء من جهات معينة في أوروبا أو حتى داخل الجزائر. عند تفكيك هذه المقدمة، نلاحظ أنها تتضمن ثغرة صارخة، وإغفال فاقع لكلمة نظام أو حكومة، بالإضافة إلى تعمد الالتباس والخلط من قبل نعمة (ولابيفيار في خاتمة الكتاب) بين "الجزائر كبلد" و"النظام الجزائري". يطرح ماجد نعمة نفس التفسير البالي والمستخدم إلى حد التخمّة، القائم على الاسطوانة

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

المبتدلة للهجوم المزعوم والمتعاضم على الجزائر الجديدة (جزائر عبد المجيد تبون)، المتمثلة في التدخل الأجنبي، والخطر الإقليمي في الفضاء المغاربي (ليبيا)، والعلاقات مع فرنسا والإرث الاستعماري.

لم يسبق لمعظم الجزائريين العاديين أن سمعوا بشخص اسمه نعمة، إلى أن نشرت صحيفة الخبر اليومية (الناطقة بالعربية) مقابلة صادمة مع المدير الحالي للوكالة الوطنية للنشر والتوزيع ANEP المسؤولة عن إدارة توزيع حصص إعلانات القطاع العام على الصحافة المكتوبة. كشف مدير وكالة اناب ANEP أن مجلة أفريكا-آزي *Afrique-Asie* التي يديرها ماجد نعمه استفادت من مساهمات سخية ودعم من النظام الجزائري، إلى جانب وكالات إخبارية أخرى في أوروبا مثل جون أفريك *Jeune Afrique*.⁸ وطيلة سنوات عديدة، بذلت مجلة أفريك آزي *Afrique-Asie* قصارى جهدها لدعم النظام الجزائري وتقويض نضال المجتمع المدني الجزائري من أجل التغيير والديمقراطية. ولا يستطيع نعمه تفسير دعم مجلته لنظام بوتفليقة الذي ينكر له سادة الجزائر الجدد الآن. ولهذا السبب جاءت مقدمته لكتيب بن سعادة في شكل إعلان ولائه لأسياذ الجزائر الجديدة. نعمة في تناغم تام مع مهمته المتمثلة في الخضوع لخدمة قيادة الجيش الجزائري، بصرف النظر عن الواجهة المدنية التي ستعينها هذه القيادة العسكرية على رأس الدولة. رحل بوتفليقة وحلّ محله عبد المجيد تبون، لكن تظل مهمة خدمة النظام العسكري ثابتة كما هي. ومن ثم فقد حان الوقت للانحناء بإجلال والتحية الخاضعة لشعار الجزائر الجديدة الذي يتبناه تبون.⁹

كتب لايفييار خاتمة كتيب بن سعادة مستخدما تقريبا نفس الخطاب الذي حرر به نعمة المقدمة، لكن بطريقة أكثر مرونة. يفتخر لايفييار بما يعتبره حبه العميق للجزائر، الأمر الذي يجبره بالتالي على تلبية نداء واجب التضامن مع هذا البلد، في وقت تستهدفه مؤامرات ودسائس الأجندة الإمبريالية الأمريكية لتقويض مكانة الجزائر الثورية. ولا يخفي لايفييار تمجيده للثورة الجزائرية لعام 1954 ووضعها على قدم

المساواة مع الثورة الفرنسية.¹⁰ لكنه يتفادى بشكل محسوب ذكر النظام الجزائري أو مجرد الهمس باتجاه الحكم الكارثي لبوتفليقة أو الإشارة إلى تلك الحقبة القائمة برمتها، ليقفز بأعجوبة إلى عام 2020 ويشرح للقراء أن الحراك مجرد أداة توظفها العولمة الأمريكية لإضعاف الجزائر الثورية، بسبب موقفها الراجح ضمن مجموعة عدم الانحياز ودبلوماسيتها الناشطة في خدمة القضايا العادلة في دول الجنوب وفلسطين. ويقتبس لايفيار من مرشده رضا مالك، المعروف لدى الجزائريين بالمروج لإستراتيجية مكافحة التمرد، مقولته الشنيعة ذات النبرة الاستئنافية "يجب على الخوف أن يغير معسكره" في بداية العقد الدموي في التسعينيات.¹¹ يمجّد لايفيار الثورة الجزائرية واستقلال البلاد من فرنسا الاستعمارية، لكنه يمجّد أيضًا الثورة الفرنسية والرؤية الديغولية للجزائر وإفريقيا ضد أمريكا الإمبريالية.

يحق لنا فعلا أن نتساءل ما هو السبب الذي جعل بن سعادة، الذي ظل طيلة عقد من الزمان يؤكد لنا مرارا وتكرار، يقظته وتفانيه في حماية السيادة الجزائرية ضد كل تدخل عدائي، سواء من طرف الأجانب أو من أبناء الوطن، كيف له إذا اختيار ضابط محترف في المؤسسة الفرنسية الحاكمة، لكتابة خاتمة كتيبه. من المعروف أن لايفيار تولى رئاسة تحرير إذاعة فرنسا الدولية RFI، المنارة الإعلامية بامتياز المروجة لسياسة فرنسا الإفريقية (Françafrique)،¹² وتولى أيضا لسنوات عديدة مهمة محرر متطوع لمجلة Défense (الدفاع)، التابعة لمعهد الدراسات العليا للدفاع الوطني (IHEDN).¹³ الملفت للنظر أن لايفيار، الذي يساهم بانتظام بمقالات شديدة الانتقاد للسياسة الأمريكية على موقع أفريك-آزي *Afrique-Asie* الذي يديره ماجد نعمة، نجده يغض الطرف تماما عن الدمار الذي تلحقه السياسة الفرنسية في إفريقيا، لاسيما في منطقة الساحل، حيث يوجد أكثر من 5000 جندي على الأرض في غرب إفريقيا في إطار عملية برخان.¹⁴ من غير المفهوم تماما، كيف يبحث بن سعادة (ودار النشر APIC) عن تعزيز مصداقية الكتيب من خلال إشراك شخصية إريك دينيسيه، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات العسكرية وأجهزة المخابرات الفرنسية مثل المركز

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

الفرنسي للأبحاث الخاصة بالاستخبارات (CF2R).¹⁵ التفسير الوحيد الممكن، هو أن بن سعادة لا يعتبر التدخل الفرنسي في الشؤون الجزائرية خطراً على السيادة الجزائرية، هذه السيادة التي يجعل الحفاظ عليها قضيته المقدسة ويحميها بفضل يقظته و"خبرته" في مجال التمويل الأجنبي للمنظمات غير الحكومية.

في الواقع ليس هناك أي شيء جديد، لا بالنسبة لماجد نعمة ولا لابيفيار ولا لمجلة أفريك - آزي *Afrique-Asie*. معروف عن الأول أنه يبيع خدماته لمن يدفع أكثر، وهو رهن إشارة السيد الجديد، بينما يخدم الثاني منظومة الحكم والمصالح الوطنية لبلده، فرنسا. أما مجلة جون أفريك *Jeune Afrique* فهي منشور آخر يخدم نفس الغرض على المستوى الإفريقي، ويخدم النظام الفرنسي الرسمي وامتداداته التي تتشكل من الأنظمة السلطوية الأفريقية التابعة له. وجون أفريك *Jeune Afrique* مثلها مثل مجلة أفريك آزي *Afrique Asie*، استفادت لعقود مديدة من الدعم المالي السخي للنظام الجزائري، مقابل تحسين صورته في أوروبا وفي العالم الناطق باللغة الإنجليزية عبر منشورها *The Africa Report* (التقرير الإفريقي) وقد شنت كل من *Jeune Afrique* و *The Africa Report* حملة شرسة لتقويض وحدة الحراك.¹⁶ قبل أربعة عقود كشف المؤلف الكاميروني مونغو بيتي (Mongo Beti) الدور الذي تضطلع به جون أفريك *Jeune Afrique* في سياسة إفريقيا الفرنسية (Françafrique).¹⁷ وكان بيتي قد نبه إلى أن إفريقيا تحتاج إلى صحافتها الحقيقية التي تخدم مصالحها الخاصة وتعزز نضالها من أجل الاستقلال.¹⁸

لا شك أن الجزائريين يتذكرون الفضيحة المدوية التي لطخت سمعة صحيفة *Le Monde* الفرنسية عندما أقدمت على نشر 16 صفحة من الإعلانات مدفوعة الأجر لتلميع صورة نظام بوتفليقة دون أن تنبه قرائها من أن الملحق لا يعدو كونه مادة ترويجية ترعاها الحكومة الجزائرية.¹⁹ ونعلم اليوم أن صحيفة لوموند *Le Monde* تقاضت مبلغ 1.5 مليون يورو مقابل تلك الخدمة.²⁰ قد يقول قائل أن صحيفة لوموند

أصدرت اعتذارًا عقب ذلك وأوضحت أن الأمر مجرد هفوة غير مقصودة. من الصعب جدا تصديق هذا التبرير. لكن رغم فضيحة لوموند، تظل أكثر الأعمال الدعائية إثارة للدهشة في مجال الحملات الترويجية لتلميع الصورة المتداعية لنظام بوتفليقة، تلك الحوارات السريالية مع بوتفليقة التي نشرتها مجموعة أكسفورد للأعمال (OBG) خلال السنوات الست الأخيرة من حكمه، في مرحلة حرجة كان بوتفليقة شبه غائب عن الشؤون العامة للدولة.²¹ تمامًا مثل الزيارات العديدة التي أجراها مسؤولون أوروبيون، بدء من الوزراء إلى رؤساء بلديات، كان من الصعب جدا آنذاك على النظام الجزائري إقناع الرأي العام الجزائري والدولي بأن بوتفليقة كان قادرًا على تولي مهامه، بما أنه لم يكن يستطيع إلقاء الخطب أو الظهور وإسماع صوته، منذ تجمع 8 مايو 2012 في مدينة سطيف.²² ومن ثم كان بمثابة إهانة ذاتية فاضحة وتدميرًا لمصادقية مجموعة أكسفورد للأعمال (OBG)، قبولها طوعية أن تؤلف من قبل النظام الجزائري وتساهم بإرادتها في الحملات الدعائية التي يقودها نظام بوتفليقة ضد تطلعات الجزائريين الطامحين في إقامة دولة القانون والحريات. قبل شهر واحد فقط من انطلاقة الحراك، أجرت مجموعة OBG مقابلة يمكن اعتبارها "سريالية"، مع بوتفليقة حول إستراتيجيته الاقتصادية، في الوقت الذي كان الجميع يعلم أنه مريض جدًا وغير قادر على أداء مهامه، أو حتى مجرد التحدث بطريقة مسموعة ومفهومة.²³ لقد شاركت مجموعة OBG طوعية وعمدا في هذه الدعاية المستمرة ومدفوعة الأجر حول الرفاهية المزعومة التي يتمتع بها الجزائريون بفضل رؤية بوتفليقة الاقتصادية، حسب قولهم.²⁴ هل ستعتذر مجموعة OBG للجزائريين يوماً ما؟²⁵ المؤكد هو أن الضرر الذي لحق بمصادقية مجموعة OBG وصورتها عميق جدا.

لم تقتصر جهود النظام الجزائري المتواصلة والملمحة لاستيراد الشرعية الغربية، على تقديمه دعما ماديا وسائل الإعلام والأكاديميين الغربيين، بل وسعت نطاق جهودها بتوزيع مبالغ كبيرة لمشاهير عالم الرياضة والموسيقى، في شكل رشوة سخية مقابل تنظيم حفل موسيقي هنا أو عرض فني هناك، أو ظهور إعلامي إلى جانب بوتفليقة. وهكذا،

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

شهدنا كيف توافد موكب من أساطير كرة القدم مثل بيليه،²⁶ ومارادونا،²⁷ وزيدان ونجوم السينما مثل جيرار ديبارديو وكاثرين دينوف، على مدى عقدين من حكم بوتفليقة؛ وحصلوا جميعاً على نصيبهم من الكعكة مقابل تقديم خدماتهم الترويجية.²⁸ وتكفلت وسائل الإعلام، سواء التابعة للنظام أو المملوكة للأقلية المهيمنة على قطاع المال، بمهمة إعادة نشر كافة المقالات المشيدة بنظام الحكم في وسائل الإعلام الغربية، فضلاً عن تغطية وقائع جميع الزيارات الممولة من طرف النظام التي أجراها هؤلاء المشاهير لبوتفليقة، وقدموها كدليل مفحم على دعم العواصم الأوروبية وواشنطن للواجهة المدنية للنظام العسكري في الجزائر.

ورغم كل ما سلف ذكره، يبدو وكأن النظام الجزائري يعاني من علاقة انفصالية مع الغرب. فمن جهة يدفع له مقابل الحصول على دعمه السياسي والإعلامي، ويقدم له امتيازات مجزية في شكل عقود اقتصادية مربحة أو اتفاقيات سياسية وأمنية. وبالمقابل، يشهر ورقة الغيرة والحرص على السيادة وخطر التدخل أو الأيدي الأجنبية، أو ببساطة، التحذير من مخاطر التآمر على الأمن والوحدة الوطنية، كلما أشار الاتحاد الأوروبي أو أي منظمة أخرى تنتمي لنفس "الغرب" إلى ضعف الأداء الاقتصادي للنظام العسكري. كذلك عندما ينقل أحد الصحفيين انتقادات المعارضة والجهات الفاعلة في المجتمع المدني حول وضع الحريات وحقوق الإنسان في الجزائر، على غرار مقالات روبرت فيسك أو جيل مونييه.²⁹ وبذلك نرى كيف تبتجج وسائل الإعلام الحكومية الجزائرية وتعرب عن بالغ سعادتها وإشاداتها كلما قدمت إحدى المطبوعات أو الصحف محدودة التوزيع تغطية ممجدة للنظام (مقابل مبالغ من المال في أغلب الأحيان). ولكنها تشن في الوقت نفسه حرباً ضروساً للتنديد بما تسميه المؤامرات عندما تدين المنظمات الدولية مثل مراسلون بلا حدود وفريدوم هاوس، ومنظمة العفو الدولية وغيرها، بالموضع السيئ للحريات في الجزائر.³⁰

قائمة مرتزقة الفكر، سواء وسط المثقفين أو مراكز الفكر والاستشاريين، الممولين من قبل النظام الجزائري لتشغيل آلة الدعاية في الغرب جد طويلة. وقد اقتصرنا في هذه الورقة فقط على الحالات التي اعتقد ناشر كتيب بن سعادة أنها تضيف مصداقية معينة لنص المؤلف. لذا قمنا بفحص العلاقات التي تقيمها هذه الكوكبة من المثقفين ومراكز التفكير مع بن سعادة نفسه، ومع النظام الجزائري ومراكز ومؤسسات بحثية فرنسية أخرى، بما في ذلك مع أجهزة الدفاع والاستخبارات الفرنسية. لقد أظهرنا تلك الازدواجية وكيف أن هذه الجهات والشخصيات تنتقد بشدة سياسة التدخل الأمريكية لكنها تلتزم بالصمت المطبق حيال التدخل الاستعماري الجديد لفرنسا في منطقة الساحل، على سبيل المثال.³¹ حتى إيمانويل ماكرون نفسه يجد قدرا من الحرج، في عدم رده على التقارير المفحمة الصادرة عن منظمات حقوق الإنسان بشأن تورط القوات الفرنسية في عمليات إعدام خارج نطاق القضاء وسط أهالي مجتمعات الفولاني، عبر مختلف مناطق الساحل.³² إن رفض عملية برخان وتنامي المشاعر "المعادية للفرنسيين" - في منطقة الساحل - مثلما عبر عن ذلك ماكرون نفسه، وخاصة في مالي، مثلما أظهرتها مظاهرات حركة 5 يونيو M5-RfP الاحتجاجية مؤخرًا، تشبه إلى حد كبير، ما شهدته القوات الأمريكية والبريطانية في العراق وأفغانستان. ورغم ذلك، لا يبدو أن بن سعادة وزملاءه في مركز سيقبا GICPA يرون أوجه التشابه بين سياستي التدخل تلك.³³

هنا يطرح السؤال، لماذا تولي المؤسسات الفكرية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالنظام الفرنسي الرسمي اهتماما كبيرا وملفتا بمنشورات بن سعادة وتبغيتها الإعلامية بما يتجاوز نطاق هدفها المباشر الخاص بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟ لماذا يهتم زملاء بن سعادة في المركز الفرنسي للأبحاث الخاصة بالاستخبارات CF2R - حيث يبرز اسمه كباحث على موقع المركز الذي يديره إريك دينيسيه - بالترويج لهذيانه بنظرية المؤامرة، في منطقة الساحل وأفريقيا جنوب الصحراء؟³⁴ إحدى النظريات الممكنة لتفسير ذلك هو أن روايته للأحداث تخدم إستراتيجية الهيمنة الاستعمارية الجديدة التي أصبح من

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

الصعب على باريس الحفاظ عليها في مستعمراتها السابقة، في وقت تتفاقم فيه المشاعر المعادية للفرنسيين، خاصة بين جيل الشباب، من مالي إلى بوركينا فاسو وحتى غينيا، على سبيل المثال لا الحصر. ألم يصرح الرئيس ماكرون لقادة دول مجموعة الخمسة الخاصة بمنطقة الساحل (G5 Sahel) أنه "لا يستطيع ولا يريد أن يكون له جنود فرنسيين في أي دولة في منطقة الساحل على الإطلاق، في وقت يستمر الغموض حول الحركات المعادية لفرنسا، التي يدعمها أحيانًا قادة سياسيون"، في ختام قمة الناتو التي عقدت في المملكة المتحدة في ديسمبر 2019.³⁵

أصبحت منطقة الساحل من جديد بمثابة مستنقع بالنسبة لفرنسا حيث تطارد قضية المجتمع الفولاني باريس بشكل مضطرب، مثلما أقضت مضجعها على الدوام خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.³⁶ وقد جاء خطاب ماكرون المطول والمعسول، في جامعة واغادوغو في 28 نوفمبر 2017 ليعكس حقيقة هذا المستنقع، قال فيه:

لأنني لم أحضر لأقول لكم أننا سنلقي خطابًا كبيرًا لفتح صفحة جديدة في العلاقة بين فرنسا وأفريقيا. أجل لم أحضر إلى هنا لأقول لكم ما هي سياسة فرنسا تجاه إفريقيا كما يدعي البعض. لأنه لم يعد هناك سياسة أفريقية لفرنسا!³⁷

يقول أحد الخبراء في العلاقات الأفريقية، ممن يرغبون عدم الكشف عن هويتهم، نظرا لواجب التحفظ الذي تفرضه عليه وظيفته:

لقد شهد الوضع اليوم في إفريقيا تغيرات كبيرة، حيث تنظر الأجيال الجديدة إلى فرنسا كمفترس شرس قبل كل شيء، يرفض التخلي عن فريسته. ومن فرط حرصها على التحكم في مصير الآخرين، من خلال الخداع السياسي والنفاق الأخلاقي، فقدت كل مصداقية في أعين الأفارقة. وما شهدته المنطقة من مظاهرات عارمة مناهضة لفرنسا في صيف 2019 خير وأقوى دليل على ذلك.

وقد أعرب هذا الخير على قناته بأن:

بروز ديناميكية جديدة لتحرير الشعوب الأفريقية، قائمة على الإدراك العميق لدى الجيل الجديد، بالحاجة الماسة إلى أخذ مصيره بيد، بمسؤولية تامة واستقلالية، من شأنه أن يُخضع فرنسا في نهاية المطاف. وهو ما يفسر هجماتها الشرسة ضد كل من يقف في وجه الأنظمة المتآكلة التي فرضتها فرنسا على شعوب إفريقيا، وبشكل الحراك إحدى التجليات الأكثر إثارة للقلق بالنسبة لها.

كان لانطلاقة الانتفاضات في شمال إفريقيا في عام 2011 صدى ملحوظًا في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، لدرجة أن إحدى دور النشر اليسارية المتبنية للأمية الإفريقية وصفت تلك الانتفاضات بالصحوّة الإفريقية.³⁸ ولنا أن نسأل أنفسنا إذا ألم يكن هذا الحراك الأفريقي هو تحديدًا ما يربع بريس، وتخشي أن يشكل برميل البارود الذي قد يشتعل وسط المجتمع الفولاني في إفريقيا بما يتجاوز حدود دول الساحل الخمس، حيث تشرف القوات الفرنسية المنخرطة في عملية برخان على المجازر ضد الفولان.

ما يلاحظ هو أن هذه اليقظة والانبعث للهوية الفولانية، "أحد آخر الشعوب الرحالة الكبرى على ظهر هذا الكوكب، [...] المستحوذ على اهتمام معظم الأخبار في منطقة الساحل، [شعب] يعشق الحرية ..."، بحسب وكالة فرانس برس، هي التي تهدد بتقويض سياسة فرنسا الإفريقية (Françafrique). هذا المتغير المتمثل في الشعب الفولاني، الذي يقرب عدد سكانه 25 مليون نسمة، موزعين بين أكثر من 17 دولة في الشريط الساحلي، يقض مضجع الساسة في الكي دورسي (مقر وزارة الخارجية الفرنسية) ومراكز التفكير الدائرة في فلكه. في عالم أصبح مُعوّم، حيث يستقي الشباب معلوماتهم على شبكات التواصل الاجتماعي، لقد وجدوا في حراك الجزائر، محفزًا شجعهم على تنظيم اعتصامات في ساحة الاستقلال في بامكو، بما أسفر عن تغيير الحكومة في ربيع 2019، ثم سقوط نظام إبراهيم بوبكر كيتا (IBK) في عام 2020. بالنسبة لقصر الإليزيه، من غير الوارد أن تسمح باريس بقيام قضية مشتركة وتضامن

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

بين جيل الشباب الأفريقي من الفضاء المغاربي إلى منطقة الساحل، أو أن يجذب هذا الجيل من الأفارقة للسير على درب إستراتيجية اللاعنف، مثلاً اعتمدها حراك 22 فبراير 2019 في الجزائر، أو حركة M5-RfP في 5 يونيو 2020 في مالي، أو سلفها في بوركينا فاسو، في انتفاضة 2014، التي أطاحت بحكم بليز كومباوري، أحد التوابع القوية لفرنسا الإفريقية منذ اغتيال توماس سانكارا في 1987.³⁹

دعونا الآن نتفحص مضمون مزاعم بن سعادة وزملائه المناهضة للحراك. هم لا يتوقفون عن ترديد بلا كلل أن النظام الجزائري مستهدف من المؤامرات الغربية، وخاصة الأمريكية لإحداث تغيير في النظام، لأن النظام الجزائري يظل، حسب رأيهم، أحد آخر الأنظمة التي لا تزال صامدة ومقاومة للهيمنة الأمريكية. لكن دعونا ننظر ماذا يكشف لنا سجل النظام الجزائري من التسعينيات حتى لحظة انطلاق الحراك عن علاقاته مع الولايات المتحدة وحول القضية الفلسطينية وقضايا دول الجنوب؟

3. العمل بالوكالة لحساب واشنطن

أصبح هذا المسعى المحموم للتعويض عن غياب الشرعية السياسية في الداخل بالبحث عن دعم غربي هدفاً مصيرياً من أجل البقاء بالنسبة النظام العسكري عقب انقلاب يناير 1992. انقسمت إدارة بيل كلينتون حول كيفية التعامل مع النظام العسكري الحاكم في الجزائر، بحيث كان من جهة طرف نصح بالتواصل التدريجي المشروط بتحسين سجل حقوق الإنسان وتنفيذ الإصلاحات في قطاعات رئيسية معينة، ومن ناحية أخرى، محللون رأوا بأن أي انخراط في مشاريع النظام العسكري، في وقت تتصدر المجازر في الجزائر عناوين الصحف الدولية، من شأنه أن يبعث رسالة خاطئة باتجاه مدبري الانقلاب.⁴⁰ في ظل هذا الوضع، اضطر النظام الجزائري لتقدم عقوداً مغربية لقطاع الطاقة الخاص، في هيوستن، كوسيلة للضغط على واشنطن.⁴¹ ومع اقتراب نهاية ولاية كلينتون الثانية، حلّ سفير أمريكي جديد إلى الجزائر في محاولة منه لتعزيز العلاقات بين الطرفين، على الرغم من تدهور الوضع الأمني وحجم المجازر

المهولة.⁴² وعندما عينت القيادة العسكرية بوتفليقة رئيساً للدولة، كان السفير الأمريكي كامرون هيوم لدى الجزائر، شاهداً على رغبة بوتفليقة القوية في تسريع وتيرة التعاون بين البلدين. وتنفيذاً لهذا التوجه، أسند بوتفليقة الحقائق الحكومية الرئيسية إلى أصدقائه القدامى، سبق لبعضهم أن أمضى سنوات عديدة في الولايات المتحدة مثل شكيب خليل.⁴³ واستذكراً لإنجازاته خلال مهمته التي استمرت عامين في الجزائر، سرد السفير هيوم ما حققه من نجاحات كبيرة، مثل لقائه بسلسلة من كبار ضباط الجيش الجزائريين، فضلاً عن مبادرة إيزنستات (التي تضمنت الدعم الفني، في تطوير سياسات الإصلاح في بعض القطاعات الرئيسية)، وكذلك الزيارة إلى الجزائر التي أجراها وزير الطاقة الأمريكي آنذاك بيل ريتشاردسون الذي "ساعد في تخفيف حدة الموقف الجزائري فيما يتعلق بمستوى إنتاج أوبك، وأظهر مستوى جديد من الاهتمام بالجزائر كشريك طاووي مهم".⁴⁴

وجاءت هجمات 11 سبتمبر لتعزيز العلاقات الجزائرية الأمريكية. في 2002 نشر بوتفليقة رسالة على صفحات جريدة واشنطن تايمز أكد فيها صداقته لإدارة جورج بوش.⁴⁵ وأكد النظام الجزائري للولايات المتحدة عزمه على زيادة إنتاج الطاقة من أجل تعزيز أمن الولايات المتحدة في مجال الطاقة:

سننتج قريباً ما يعادل خمسة ملايين برميل يومياً من الغاز الطبيعي والنفط، وهذا يجعلنا أكبر منتج نفط أفريقي [مع] القدرة على تزويد الولايات المتحدة بأمن طاووي متزايد، [...] في وقت تواجه فيه الولايات المتحدة عجزاً في الغاز الطبيعي مقارنة باحتياجاتها.⁴⁶

بالإضافة إلى ذلك، سخر النظام الجزائري طاقات البلاد لخدمة حرب بوش العالمية على الإرهاب:

كما يسعدنا أن قائد مديرية مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية قد وصف مؤخراً دور الجزائر في الحملة العالمية ضد الإرهاب بـ "الرائع".⁴⁷

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

إلى جانب ذلك اقترح بوتفليقة تقديم خدماته للعمل بالوكالة في مجال مكافحة الإرهاب في شمال إفريقيا "لحماية الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط من انتشار هذا الوباء في جميع أنحاء المنطقة وخارجها".⁴⁸ في 2009، حصلت الطائرات الحربية الأمريكية على إذن بالتحليق في الأجواء الجزائرية، في وقت كانت قوات من القيادة الأمريكية في إفريقيا (أفريكوم) متركزة في الجزائر منذ 2008، مثلما كشفت برقيات ويكيليكس،⁴⁹ ومكتب مسائلة الحكومة الأمريكية.⁵⁰ إلى جانب ذلك، كشفت عملية تهريب خارج الوطن، ضابط مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) أندرو وارين سنة 2009 المتمركز في الجزائر العاصمة، والمتورط في سلوك أخلاقي مشين يتعارض مع مهمة السلك الدبلوماسي، مدى عمق التعاون العسكري، وحجم تبادل المعلومات بين الطرفين في عهد نظام بوتفليقة.⁵¹ بالإضافة إلى ذلك، كشف إيريك دينيسيه، زميل بن سعادة ومدير المركز الفرنسي للأبحاث الخاصة بالاستخبارات (CF2R)، في منشور في يناير 2013 أن:

منذ أواخر العقد الأول من القرن الحالي، تركزت وحدة أمريكية قوامها حوالي 400 فرد بالقرب من تمرست حيث تجري أفواج نخبتها عمليات تدريبية، وتبادل التكتيكات والإجراءات القتالية مع العسكريين الجزائريين.⁵²

موضحاً أيضاً أن:

بين 18 و 20 سبتمبر 2012، زار السفير الأمريكي في الجزائر المدرسة التطبيقية للقوات الخاصة، حيث عقدت ندوة تلقي بالضوء على طبيعة وحجم التعاون بين الولايات المتحدة والجزائر في مجال الأمن.⁵³

لم يقتصر هذا الوضع على سنوات بوتفليقة بل استمر في ظل النظام المفروض على الشعب بحكم الأمر الواقع بقيادة الجنرال قايد صالح وواجهته المدنية الجديدة برئاسة تبون. يتذكر الجزائريون كيف سارع النظام العسكري إلى تمرير تعديل قانون المحروقات في ديسمبر 2019، تعديل اعتبره الخبير الدولي الجيوسياسي للطاقة، حسين مالطي

"بيع بئس بخس للنفط الجزائري" مقابل دعم دونالد ترامب للنظام العسكري.⁵⁴ وقبل نهاية العام، أمر النظام العسكري البرلمان الخاضع لأوامره، بتمرير قانون المالية لعام 2020 الذي ألغى البنود التي كانت تضع سقفا للاستثمار الأجنبي في حدود لا تتجاوز 49٪ من أسهم أي مشروع مشترك. بالنسبة للخبير الاقتصادي الجزائري عمر بن درة، فقد كانت الرسالة جد واضحة: كان النظام العسكري يأمل من خلال ذلك القرار، ضمان اعتراف الغرب، وخاصة الاتحاد الأوروبي، بنتيجة الانتخابات الرئاسية في ديسمبر 2019.⁵⁵

في أوائل أكتوبر 2020، نزل مارك إسبر، وزير الدفاع الأمريكي، ضيفا على الجزائر والتقى تبون وبعض الجنرالات في القيادة العسكرية. وبحسب ما سربه أحد الدبلوماسيين الغربيين، المقيم في الجزائر العاصمة، إلى وكالة رويترز، فإن زيارة الموفد الأمريكي كانت تهدف إلى حث الجيش الجزائري على انخراط أكبر في بعثات حفظ السلام تحت رعاية الأمم المتحدة أو الاتحاد الأفريقي، وخاصة في منطقة الساحل. وبالفعل نجد أن التعديل الدستوري، المقرر إجراؤه في أوائل نوفمبر 2020، ينص على ضمان توفير الإطار القانوني لتوكل النظام العسكري في الجزائر لحوض الحروب الأمريكية الأوروبية نيابة عنهم.⁵⁶ أليست هذه الزيارة أكبر نوع من الرعاية من إدارة ترامب للنظام الحاكم في الجزائر العاصمة؟

لماذا والحالة هذه يغامر النظام الأمريكي بتدبير ثورة ملوّنة لتغيير مثل هذا النظام الضعيف والخاضع لإرادته؟ لا يقدم بن سعادة وزملاؤه أي تفسير، ناهيك عن الأدلة الميدانية أو الحجج لدعم ما يرددونه من أسطوانة المؤامرة. وحتى قبل ثلاثة أسابيع من انطلاق الحركة، كان النظام الجزائري وواشنطن يصفون علاقتهما بالحوار الاستراتيجي.⁵⁷ الحقيقة هي أن واشنطن تعتبر النظام الجزائري نسخة أخرى من قادة "المنطقة الخضراء" العراقية التي أوكلت لها الحكومات الغربية مهمة خوض حربها على الإرهاب، وانتزعوا منهم عقودا مربحة لشركات البناء والتشييد والطاقة الأمريكية. في

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

مذكراتها حول السنوات التي قضتها كوزيرة للخارجية لم تذكر هيلاري كلينتون الجزائر إلا مرة واحدة وكان ذلك في جملة يتفخر فيها كيف أنها نجحت خلال اجتماع قصير في "إقناع" بوتفليقة بمنح عقد بناء محطة طاقة مريح بقيمة 2.5 مليار دولار لشركة جنرال إلكتريك.⁵⁸ لم تستغرق زيارة هيلاري كلينتون الخاطفة للجزائر سوى أربع ساعات. أجل، باله من حوار استراتيجي يُختصر في بضع جمل ضمن مذكرة تتجاوز 650 صفحة.⁵⁹

نجد نفس القدر من عدم الاهتمام لدى رئيس الوزراء البريطاني السابق، ديفيد كامرون، الذي لم يخصص هو الآخر، في مذكراته التي تزيد عن 750 صفحة، المنشورة في 2019، إلا ثلاث أو أربع جمل للحديث عن هجوم تيغنتورين في 2013.⁶⁰ مرة أخرى، مثل هذه المواقف لم تقتصر على سنوات بوتفليقة فحسب. بعد أشهر قليلة من تعيينه من قبل الفريق قايد صلاح رئيسا للدولة، اختار تبون مرتزقا آخر، على خطى سلفه، لتلميع صورة النظام الذي فضحته الانتخابات المزورة والإدارة الكارثية لوباء كورونا، والرفض الشعبي في احتجاجاته العارمة.⁶¹ اتضح لاحقا أن النظام دفع لديفيد أ. كين، أحد المرتزقة المدافعين عن النظام الجزائري، 30 ألف دولار شهرياً في واشنطن،⁶² وفقاً لما تؤكد وثائق قانون تسجيل الوكلاء الأجانب (FARA) التابعة لوزارة العدل الأمريكية.⁶³

من المناسب جدا إنهاء هذا القسم حول الحوار الاستراتيجي المزعوم بين النظام العسكري في الجزائر والإدارات الأمريكية المتعاقبة، بإلقاء نظرة على صورة الحكم العسكري في الإنتاج السينمائي لهوليوود. وفي هذا الباب، نشير إلى ثلاث مسلسلات شهيرة يعرفها معظم الشباب الجزائري: الموسم الأول من سلسلة Designated Survivor (الناجي المعين)،⁶⁴ والجزء الرابع من سلسلة العملاق الأمريكي Netflix لا كاذا دي بابل La casa de papel (البيت الورقي)،⁶⁵ وسلسلة Madame Secretary (السيدة الوزيرة).⁶⁶ في هذه الإنتاجات السينمائية الثلاثة، اخترنا أحدثها

فقط، يُصوّر بشكل منهجي النظام العسكري ومديرية الاستعلامات والأمن (DRS) التابعة له، من حيث الأوصاف والأدوار، على نحو يمس مساساً جسيماً بشرف الجزائر وكرامتها. من المعروف جيداً أن هذه الأعمال السينمائية تسخر ميزانيات هائلة، وتوظف أفضل صانعي الأفلام وتعتمد على مشورة المستشارين والخبراء المنخرطين في الدوائر السياسية في واشنطن، بل إننا نجد أن بعض الممثلين تم توظيفهم من قبل إدارة باراك أوباما مرتين، على غرار كالين سوريش مودي (كال بين) في *Designated Survivor*.⁶⁷ ألم يسأل جنرالات مقر وزارة الدفاع يوماً، سبب تلك النظرة المشينة التي يُنظر إليهم بها سواء في أمريكا أو أوروبا؟

4. ضربات تحت الحزام للقضية الفلسطينية

نختتم هذا المقال بعرض عينة من مواقف النظام الجزائري من القضية الفلسطينية، ونكتفي هنا بموقفين رمزيين. الأول، كان مصافحة بوتفليقة المفاجئة لرئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك أثناء جنازة الملك الحسن الثاني في يوليو 1999، بعد ثلاثة أشهر من وصول بوتفليقة إلى السلطة.⁶⁸ وأقل ما يمكن قوله بهذا الشأن، أن الجزائريين صدموا أيما صدمة من هذه المحاولة الفجة للتطبيع. وقد مهدت هذه المصافحة الطريق للخطوة الرمزية الثانية بعد عام فقط، عندما قام وفد مشكل من مجموعة من الصحفيين، من لوكسديان دورون Quotidien d'Oran وLiberté ليبرتي، و Le Matin لوماتان، ولوسوار دالجيري Le Soir d'Algérie والخبر، والوطن El Watan، فضلاً عن مجموعة من الجامعيين، بزيارة تل أبيب. وقد ذكرت صحيفة لوموند الفرنسية أن وفداً إسرائيلياً رفيع المستوى زار الجزائر في نهاية 1999.⁶⁹ عندما أعرب أنصار أحد الأندية الجزائرية لكرة القدم في 2017 عن رفضهم لقرار دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، فرفعوا خلال المباراة الكروية لافتة كبيرة تصور ملك المملكة العربية السعودية سلمان، ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في وجه واحد، سارع رئيس الوزراء أحمد أويحيى بتقديم اعتذار رسمياً من النظام الجزائري للملك سلمان.⁷⁰

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

بعد ثلاثة أسابيع من انطلاق الحراك، أوفد النظام العسكري اثنين من دبلوماسيه المحضرمين، رمضان لعامرة والأخضر الإبراهيمي، للقيام بجولة عبر العواصم الأوروبية الرئيسية،⁷¹ وإلى موسكو لحشد دعم هذه العواصم لنظام بوتفليقة المحتضر، ولمناهضة إرادة الشعب الجزائري.⁷² هذه الخطوات ضمن دبلوماسية النظام فاجأت الجزائريين الذين شاهدوا بذهول كيف أن النظام الذي استخدم على مر عقود من الزمن دعاية تصديه للتدخل الأجنبي، يلجأ على أرض الواقع إلى استجداء الدعم الأجنبي لإنقاذ صرحه السياسي المتهاك. وهذا ما دفع مولود حمروش بأن يعتبر "النظام معاد للوطن".⁷³ يا له من حكم مفحم، باعتباره صادر عن شخصية ترعرعت في أحضان النظام وتعرف حقيقته وخباياه أفضل بكثير من بن سعادة ورفاقه!

عكس افتراءات بن سعادة القائمة على نظرية المؤامرة، فإن الحراك أعاد للجزائر مكاتها التي تستحقها على الساحة الدولية، وأعاد إلى الجزائري فخره واعتزازه بماضيه الثوري.⁷⁴ وأثبت الحراك أنه متجذر بعمق في الواقع الأصيل لتاريخ الجزائر التحرري ومتضامن مع القضايا العادلة، مثلما يشهد عليه رفع الراية الفلسطينية عالية خلال مظاهراته العديدة.

الإحالات

¹ كاثرين سيمون، الجزائر، سنوات الأقدام الحمراء، (باريس: La Découverte، 2009).

² الاخضر غطاس، الجزائر والحرب الباردة: العلاقات الدولية والكفاح من أجل الاستقلالية، (لندن ونيويورك: بي تورييس، 2018)، الفصل 3؛ جيفري جيمس براين، مكة الثورة: الجزائر وتصفية الاستعمار والنظام العالمي الثالث (أكسفورد: OUP، 2016)؛ إيلين مخنفي، الجزائر العاصمة، عاصمة العالم الثالث (لندن: فيرسو، 2018).

³ أليستير هورن، حرب سلام وحشية: الجزائر 1954-1962 (نيويورك: NYRB Classics، 2006)، نُشر في الأصل في 1977، تحت عنوان: ؛ ويليام كوانت، الثورة والقيادة السياسية: الجزائر 1954-1968 (مطبعة معهد MIT، 1976).

⁴ ديفيد غاكوزي، عبد العزيز بوتفليقة: اختيار السلام (باريس: إصدارات هارماتان، 2003)؛ علي بن عطا الله، كلمات رجل سلام، بوتفليقة، (دار Le Lys Bleu، 2019).

⁵ أحمد بن سعادة "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري"، مقدمة.

⁶ المرجع نفسه، ص. 15.

⁷ المرجع نفسه.

⁸ أرقام فلكية، تواطؤ وحيل لا يمكن تصورها: المليارديرات "من صنع الإعلانات"، الوطن، 16 أغسطس 2020.

<https://www.elwatan.com/edition/actualite/les-milliardaires-made-in-pub-06-08-2020>

⁹ فيليب توريل "عبد المجيد تبون، رئيس متلاحم مع شعبه"، Afrique Asie، 25 أغسطس 2020.

<https://www.afrique-asie.fr/abdelmadjid-tebboune-un-president-en-communion-avec-son-peuple/>

¹⁰ بن سعادة، "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري"، ص 71.

¹¹ المرجع نفسه، ص. 72-73.

¹² باسكال إيرولت وجان بيير بات، Françafrique: العمليات السرية وشؤون الدولة، (باريس: تالاندير، 2018).

¹³ انظر عرضه على موقع CIGPA، ريشار لايفيار، <http://cigpa.org/lequipe/comite-de-redaction> "الدفاع" هي مجلة معهد الدراسات العليا التابعة للدفاع الوطني (IHEDN)، تأسست في

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

أكتوبر 1936، وهي مؤسسة إدارية عامة فرنسية مختصة في مجال الخبرة والتحسيس في شؤون الدفاع، تحت إشراف المباشرة لرئيس الوزراء.

https://fr.wikipedia.org/wiki/Richard_Lab%C3%A9v%C3%A9re#D%C3%A9partement_de_la_revue_D%C3%A9fense_de_l'IHEDN_en_2011.

¹⁴ سكارليت حداد، "ريشارد لافيغار والعقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة"، Afrique-Asie، 1 أبريل 2014.

<http://www.afrique-asie.fr/richard-labeviere-et-la-nouvelle-doctrine-militaire-americaine/>

¹⁵ انظر الفصل السادس من هذا الكتاب: عقلية المؤامرة في التحقيق المضاد بقلم موسى بن محمد. انظر أيضًا بروفایل إيريك دينيسي <https://cf2r.org/equipe/denece-eric/>

¹⁶ تقرير أفريقيا، تحرير دانييل بن يحمّد، www.theafricareport.com

¹⁷ مونغو بيتي، "بشير بن يحمّد أو متعطش Jeune Afrique للدولار"

<https://www.musabyimana.net/20151209-bechir-ben-yahmed-ou-lavide-a-dollars-de-jeune-afrique/>

¹⁸ محمد آيت أعراب، مونغو بيتي: كاتب ملتزم (باريس، دار Karthala 2013) ص. 185-187.

¹⁹ الخلط بين الافتتاحية والمنشورات الدعائية، Le Monde، 9 يوليو 2012.

https://www.lemonde.fr/idees/article/2012/07/09/de-la-confusion-entre-redaction-et-publicite_1730705_3232.html

²⁰ تنفيذ مصادر بأن الوكالة الوطنية للإعلانات والتوزيع ANEP أنفقت أكثر من 16 مليار سنتيم، الوطن، 5 يوليو 2012.

<https://www.elwatan.com/archives/actualites/lanep-aurait-depense-plus-de-16-milliards-de-centimes-05-07-2012>

²¹ مجموعة أكسفورد للأعمال.

<https://oxfordbusinessgroup.com/interview/making-progress-president-abdelaziz-bouteflika-promoting-economic-growth-and-encouraging-investment>

²² تقرير مجموعة أكسفورد للأعمال حول الجزائر: آفاق واعدة.

<http://www.elmoudjahid.com/fr/actualites/119295>

²³ الرئيس بوتفليقة إلى مجموعة أكسفورد للأعمال OBG: "رتبنا اقتصادنا".

<http://www.elmoudjahid.com/fr/actualites/132967>

²⁴ التقرير الجديد لمجموعة أكسفورد للأعمال حول الاقتصاد الجزائري: المؤشرات مطمئنة، المجاهد، 11 ديسمبر 2012.

<http://www.elmoudjahid.com/fr/actualites/35849>

²⁵ الرئيس عبد العزيز بوتفليقة: مقابلة، تقرير: الجزائر 2018، OBG.

<https://oxfordbusinessgroup.com/interview/sustainable-strength-president-abdelaziz-bouteflika-how-long-term-diversification-regional>

²⁶ بيليه في الجزائر العاصمة: "انطلقت مسيرتي المهنية من الجزائر"، الجزائر، 5 مارس 2014.

<https://www.algerie-focus.com/2014/03/pele-a-alger-cest-en-algerie-que-ma-carriere-a-decolle/>

²⁷ مارادونا (الأرجنتيني): "لدى الجزائر كل الفرص للتأهل للدور الثاني"، المجاهد، 16 ديسمبر 2013.

<https://elmoudjahid.com/fr/actualites/51215>

²⁸ وزارة المجاهدين تحظر فيلم بن مهيدي، Le Matin، الجزائر، 2 سبتمبر 201.

<https://www.lematindalgerie.com/le-ministere-des-moudjahidine-interdit-le-film-sur-ben-mhidi>

²⁹ أحمد بن سعادة، "زعيم" جزائري كندي مناهض للحراك؟

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

<http://www.france-irak-actualite.com/2020/07/ahmed-Bensâada-tenor-algero-canadien-anti-hirak.html>

³⁰ الجزائر: "لائحة اتهام متطرفة ولا أساس لها" تصدر ضد خالد دراريني، مراسلون بلا حدود RSF، 9 سبتمبر 2020.

<https://rsf.org/fr/actualites/algerie-un-requisitoire-extremiste-et-infonde-ete-prononce-contre-khaled-drareni>

³¹ مالي: مجزرة في قرية يقطنها شعب فولاني، ما لا يقل عن 160 قتيلاً، RTL، 26 مارس / آذار 2019.

<https://www.rtl.fr/actu/international/mali-massacre-dans-un-village-peul-au-emploi-160-morts-7797294270>

³² مجموعة الأزمات الدولية (ICG)، وسط مالي: إنهاء التطهير العرقي، مجموعة الأزمات الدولية (ICG)، 25 مارس 2019.

<https://www.crisisgroup.org/fr/africa/sahel/mali/centre-du-mali-enrayer-le-nettoyage-ethnique>

³³ مجموعة الخمس للساحل (G5 Sahel) مؤتمر صحفي لرؤساء الدول في نهاية قمة باو، 13 يناير 2020.

<https://www.elysee.fr/emmanuel-macron/2020/01/13/sommet-de-pau-declaration-conjointe-des-chefs-detat>

³⁴ هل ستمتكن الجزائر من إحباط فخ "الثورات الملونة"؟ الرسالة الإستراتيجية الأسبوعية "رؤية أفريقيا بعيون المستقبل" عدد 6 و 13 نوفمبر 2019.

<https://www.afriquedufutur.com/lalgerie-saura-t-elle-contourner-le-piege-des-revolutions-de-couleur/>

³⁵ ماكرون يستدعي خمسة رؤساء أفارقة إلى فرنسا لتقديم "توضيحات"، بي بي سي أفريقيا، 4 ديسمبر 2019.

<https://www.bbc.com/afrique/monde-50665055>

³⁶ الفولانيون: أحد آخر شعوب البدو الرحل، Large Format، AFP.

https://interactive.afp.com/features/Les-Peuls_612/

³⁷ خطاب إيمانويل ماكرون في جامعة واغادوغو، 28 نوفمبر 201.

<https://www.elysee.fr/emmanuel-macron/2017/11/28/discours-demmanuel-macron-a-luniversite-de-ouagadougou>

³⁸ سوكاري إيكين وفيروز مانجي (محرران)، الصحة الأفريقية: الثورات الناشئة (أكسفورد، دار نشر Pambazuka 2011)

³⁹ أوليفر هان، "ماذا تبقى من فرنسا الإفريقية؟" Conflits Review، 9 أكتوبر 2020.

<https://www.revueconflits.com/france-afrique-analyse-diplomatie-francafrique-olivier-hanne/>

⁴⁰ كامبرون هيوم، البعثة إلى الجزائر: الدبلوماسية عن طريق المشاركة، (نيويورك: ليكسينغتون بوكس، 2006)، الفصول. 4 و 5 و 6 و 7.

⁴¹ حسين مالطي، التاريخ السري للنفط الجزائري، ص. 305-323.

⁴² يوسف بجاوي وآخرون (محررون)، تحقيق في المجازر الجزائرية (جنيف: دار الهقار، 1999).

⁴³ مالطي، أفراح وأحزان النفط الجزائري، Algeria Watch، 10 نوفمبر 2011.

<https://algeria-watch.org/?p=65713>

⁴⁴ هيوم، بعثة إلى الجزائر العاصمة، ص 195-197.

⁴⁵ عبد العزيز بوتفليقة، صديق في الجزائر، Washington Times، 25 نوفمبر 2002.

<https://www.washingtontimes.com/news/2002/nov/25/20021125-102241-4358r/>

⁴⁶ المرجع نفسه.

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

⁴⁷ المرجع نفسه.

⁴⁸ المرجع نفسه.

⁴⁹ على سبيل المثال بريقيات ويكيليكس، 09 الجزائر العاصمة 1077، سفارة الجزائر إلى وزارة الخارجية بواشنطن، "بوتغليقة إلى قائد أفريكام الجنرال ويليام وارد: نريد شراكة إستراتيجية"، 6 ديسمبر 2009.

<http://www.wikileaks.ch/cable/2009/12/09ALGIERS1077.html>

برقية 09 الجزائر العاصمة 1162 " الإذن بالتحليق في الأجواء لبعثات أفريكوم EP-3: الرد الجزائري الأولي " 30 ديسمبر 2009.

<http://www.wikileaks.ch/cable/2009/12/09ALGIERS1162.html>

⁵⁰ تقرير إلى اللجنة الفرعية حول الأمن القومي والشؤون الخارجية، لجنة الرقابة والإصلاح الحكومي، مجلس النواب: إدارة الدفاع "الإجراءات اللازمة لمعالجة انشغالات أصحاب المصلحة، وتحسين التعاون بين الوكالات، وتحديد التكاليف الكاملة المرتبطة بالقيادة الأمريكية في إفريقيا، واشنطن العاصمة: مكتب مساءلة الحكومة الأمريكية، 26 فبراير 2009.

⁵¹ أندرو وارن، وكيل رسمي أو جاسوس سري: خبايا وكالات الاستخبارات الأمريكية، صحيفة الوطن، 7 فبراير 2009.

<https://algeria-watch.org/?p=44464>

⁵² إريك دينسي، القوات الخاصة وفرق التدخل الجزائرية لمكافحة الإرهاب، نشرة التوثيق رقم 5، باريس، المركز الفرنسي للأبحاث الخاصة بالاستخبارات، 18 يناير 2013.

https://cf2r.org/documentation/forces-speciales-et-groupes-d-intervention-antiterroristes-algeriens/#_ftn5

⁵³ المرجع نفسه، ملاحظة 5.

⁵⁴ حسين مالطي، النفط الجزائري، البيع بأبخس الأثمان، Algeria Watch، 14 أكتوبر 2019.

<https://algeria-watch.org/?p=72689>

- ⁵⁵ عمر بندرة: أثر الحكم العسكري على الاقتصاد في الجزائر، جنيف، تلفزيون رشاد، 27 سبتمبر 2019.
<https://youtu.be/G9C5OO84n4s>
- ⁵⁶ زيارة وزير الدفاع الأمريكي النادرة للجزائر تشير إلى تهديدات منطقة الساحل، وكالة رويترز، 1 أكتوبر 2020.
<https://www.reuters.com/article/us-usa-algeria-esper-idUSKBN26M78I>
- ⁵⁷ بيان صحفي مشترك حول الحوار الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والجزائر.
<https://mr.usembassy.gov/fr/communique-de-presse-commun-sur-le-dialogue-strategique-etats-unis-algerie/>
- ⁵⁸ رضى بوتفليقة لضغط هيلاري كلينتون أسفر عن تقديم 2.5 مليار دولار لشركة جنرال إلكتريك، -Algeria Focus، 11 يونيو 2014.
<https://www.algerie-focus.com/2014/06/bouteflika-a-cede-au-lobbying-de-hilary-clinton-pour-offrir-25-milliards-de-dollars-a-general-electric/>
- علا قات هيلاري كلينتون المعقدة بعالم الشركات، Wall Street Journal، 19 فبراير 2015.
<https://www.wsj.com/articles/hillary-clintons-complex-corporate-ties-1424403002>
- ⁵⁹ هيلاري كلينتون، الخيارات الصعبة: مذكرات، (نيويورك: سايمون اند شوستر، 2014).
- ⁶⁰ ديفيد كامرون، للتسجيل، (لندن: هاربر، 2019).
- ⁶¹ ما الذي يمكن أن تعلمه الجزائر عن التعامل مع أزمة اقتصادية، واشنطن تايمز، 11 مايو 2020.
<https://www.washingtontimes.com/news/2020/may/11/what-algeria-can-teach-about-coping-with-an-econom/>
- ⁶² مقال في الواشنطن تايمز: هل جددت الجزائر عقدها لتوظيف جهات ضاغطة؟ Maghreb Emergent، 21 مايو 2020.

الرعاية الغربية ضد الإرادة الشعبية والمصالح الوطنية الجزائرية

<https://maghrebemergent.info/larticle-de-washington-times-lalgerie-a-t-elle-reconduit-son-contrat-de-lobbying/>

الجزائر، ديفيد كين معين لخدمة (الجزائر): أكتوبر 2018، أجرة 2018: 60 ألف دولار.

<https://lobbying.al-monitor.com/pulse/algeria>

⁶³ وزارة العدل الأمريكية، المستندات - المسجل رقم 6608 لحساب الجزائر، 12 ديسمبر 2019، حكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية، رقم التسجيل 6608، كين ديفيد A. d/b/a كين للاستشارات.

https://efile.fara.gov/ords/f?p=181:200:0::NO:RP,200:P200_REG_NUMBER,P200_DOC_TYPE,P200_COUNTRY:6608,Exhibit+AB,ALGERIA

⁶⁴ الرئيس كيركان (كيفر ساذرلاند) يعلن الحرب على الجزائر، ABC، الناجي المعين الموسم الأول، الحلقة 4.

<https://youtu.be/dEpVzWMuywc>

⁶⁵ تذكّر الصحراء الجزائرية في الموسم الرابع من مسلسل "لا كاسا دي بابيل" (فيديو)، DIA، 4 أبريل 2020.

<http://dia-algerie.com/le-sahara-algerien-evoque-dans-la-4e-saison-de-la-serie-la-casa-de-papel-video/>

⁶⁶ مشهد الانقلاب، سلسلة السيدة الوزيرة، <https://youtu.be/DJAJ6DYnXPQ>

مسلسل أمريكي يعرض وقائع انقلاب عسكري في الجزائر (فيديو)، DIA، سبتمبر 2017.

<http://dia-algerie.com/serie-americaine-met-scene-coup-detat-militaire-algerie-video/>

⁶⁷ إنجيلا راتلديج، "الناجي المعين: كال بن حول كيف أن العمل مع أوباما يساعد برنامجه الجديد"، TV insider، 27 سبتمبر 2016.

<https://www.tvinsider.com/98783/designated-survivor-kal-penn-on-how-working-with-obama-helps-his-new-show/>

⁶⁸ إيهود باراك يلتقي الرئيس الجزائري في جنازة الملك، نيويورك تايمز، 24 سبتمبر 1999.

<https://www.nytimes.com/1999/09/24/world/leader-tries-to-brighten-algeria-s-image.html>

⁶⁹ زيارة صحفيين وجامعيين جزائريين إلى إسرائيل، موقع Algeria Watch، 13 ديسمبر 2009.

<https://algeria-watch.org/?p=66953>

⁷⁰ أويحيى يقدم اعتذار الجزائر للسعودية، TSA، 20 ديسمبر 2017.

<https://www.tsa-algerie.com/ouyahia-presente-les-excuses-de-lalgerie-a-larabie-saoudite/>

⁷¹ وزير الخارجية الجزائري الجديد يزور موسكو، موقع سبوتنيك نيوز، 15 مارس / آذار 2019.

<https://fr.sputniknews.com/international/201903151040367999-ministre-algerien-affaires-etrangeres-visite-moscou/>

⁷² العمارة في ألمانيا للدفاع عن النظام المتداعي في أعقاب تصريحات شهاب الصديق، TSA، 20 مارس 2019.

<https://www.tsa-algerie.com/lamamra-en-allemande-pour-defendre-un-pouvoir-fragilise-par-les-declarations-de-chihab-seddik/>

حسين مالطي، اليد الخارجية في نجدة النظام، Algeria Watch، 22 مارس 2019.

<https://algeria-watch.org/?p=71624>

⁷³ مساهمة من مولود حمروش لصحيفة الوطن: "النظام الجزائري معاد للوطنية"، الوطن، 4 سبتمبر 2019.

<https://www.elwatan.com/a-la-une/une-contribution-de-mouloud-hamrouche-a-el-watan-le-systeme-algerien-est-antinational-04-09-2019>

⁷⁴ عمر بندرة وآخرون، الحراك في الجزائر: اختراع الانتفاضة (باريس: دار النشر La، 2020)، ص 233-248.

تشبيك أيديولوجي وسياسي

موسى بن محمد

168.....	1. مقدمة
169.....	2. تفصيل في سيرته الذاتية يستحق الاخذ في الاعتبار
170.....	3. الفضاء التأمري الكندي
172.....	4. المركز الفرنسي لأبحاث الاستخبارات
178.....	5. المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية
180.....	1.5. مؤسس مركز CIGPA
187.....	2.5. فريق CIGPA
188.....	3.5. أنشطة CIGPA
194.....	6. النفوذ والتمويل الإماراتيين
195.....	1.6. محمد دحلان
199.....	2.6. الشبكة العالمية للحقوق والتنمية
205.....	3.6. شبكة IIPJHR-SIHR "لحقوق الإنسان"
209.....	7. دار النشر اييك (APIC)
210.....	خاتمة

"لم آت مسلحًا بالحقائق الحاسمة؛ ضميري لا تعبره ومضات أساسية، ومع ذلك، وبكل
اطمئنان وراحة بال، أعتقد أنه أمرٌ جيدٌ أن تُقال بعض الأشياء، وهذه الأشياء،
سأقولها، ولن أصرخ بها، لأن الصراخ قد خرج منذ وقت طويل من حياتي." (فرانتز
فانون. بشرة سوداء، أقنعة بيضاء)

1. مقدمة

أردنا أن نفهم أسباب اندفاع أحمد بن سعادة إلى مهاجمة حراك 22 فبراير 2019
ودفاعه عن النظام العسكري في الجزائر، وأردنا أيضًا أن نفهم سرّ إقدام الصحافيين
ماجد نعمة وريشار لايفيار (Richard Labévière)، على كتابة تصدير وخاتمة
لكتيبه الأخير¹، في محاولة منها للدفع بالمؤلف إلى مصاف الكتاب المرموقين وإحاطته
بهالة أكاديمية مبالغ فيها. وأردنا أيضًا فهم السبب وراء حملة الترويج الواسعة التي استفاد
منها الكتيب، والسخاء الكبير الذي ناله على المواقع الإخبارية التي يديرها رينيه نابا
(René Naba). وأخيرًا، أردنا أن نفهم الأسباب التي دفعت دار النشر أليك
(APIC)، إلى المخاطرة بسمعتها بموافقتها على نشر مثل هذا العمل الفكري الأبتري.

يوضح الجزء الأول من هذا الكتاب هشاشة أطروحة أحمد بن سعادة، على مستوى
الوقائع والمنهجية وضعف الحجج. فيبدو أنّ الأكاديمي الجزائري المقيم في كندا لم يكلف
نفسه عناء التحقق الصارم في عمله للتأكد من تماسك نظريته بشأن ما أسماه "الربيع"
الأمريكي. السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، عند محاولة فهم سبب هذا الخرق الصارخ
للنهج العلمي الواجب التقيد به هو بطبيعة الحال ما هي مكونات التحيز المعياري
المسبب لهذا التيه من طرف الكاتب.

للإجابة على هذه الأسئلة، نقترح رسم خريطة توضيحية، تسلط الضوء على بعض
الأجزاء المشكّلة للمحيط الأيديولوجي والسياسي لبن سعادة، من أجل الاقتراب وفهم

تشبيك أيديولوجي وسياسي

طبيعة التأثير الذي قد يكون ترك بصماته على أعماله المناهضة للحراك. وفي هذه الورقة، سننقّب في صلاته وعلاقات الصحافيين، ماجد نعمة وريشار لايفيار، اللذين كتبنا تصدير كتيبه الأخير وخاتمته.

بعد تسليط الضوء على تفصيل مهم في السيرة الذاتية لبن سعادة، قد ترك بصمته الواضحة، سنلقي نظرة ولو وجيزة، في طبيعة أنشطته داخل الفضاء التأمري الكندي، ثم نركز بعد ذلك على ارتباطه بالمركز الفرنسي للأبحاث الاستخبارات (CF2R) وكذلك المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية (CIGPA)، ثم نستعرض الروابط بين هذين المركزين ودوائر النفوذ الإماراتية. وأخيرًا، نستكشف الشبكة التي تنتهي إليها "دار النشر APIC" التي نشرت الكتيب.

2. تفصيل في سيرته الذاتية يستحق الملاحظة

كما هو موضح في السيرة الذاتية المنشورة على الموقع الشخصي للمؤلف، كان بالإمكان أن تكون حياة أحمد بن سعادة صورة ماثلة لمسار العديد من الشباب الجزائريين الخريجين: مسار حياة طبيعية هادئة،² لكن شاءت الأقدار أن تنفجر العاصفة عندما اغتيل عدد من أقاربه العزيزين على قلبه، خلال العشرية الدامية في الجزائر.³ وعن هذه المأساة يتحدث المؤلف بنفسه عن "سيل جرف في طريقه كل شيء: المشاريع والخطط والأحلام".

نجد هنا صدمة وأول إشارة أيديولوجية مميزة تستحق الوقوف عندها. من المعروف أنّ الحداد بعد موتٍ عنيف لأحد الأقارب عملية بطيئة ومعقدة للغاية تنطوي على الشعور بالظلم والعمل غير المكتمل وغضب يبحث عن متنفس. على أي حال، يجوز اعتبار أن العداء الذي يصبغ كتابات بن سعادة عن "الإسلاموية" يجد سبب بلورته جزئيًا في هذه الجروح الغائرة.

لكن لا ننس أن السيل العرم الذي يتحدث عنه بن سعادة تسبب أيضًا في جرف مئات الآلاف من السجناء السياسيين، وعدد مقارب من ضحايا التعذيب، وعشرات الآلاف من ضحايا الاختفاء القسري (المختطفين) وضحايا المجازر. لكن ما يلاحظ هو أن الإنتاج الفكري لبن سعادة يتعمى عن ذلك تمامًا ولا يذكره أبدًا، مثلما لم ينبس بن سعادة ببنت شفة عن طبيعة النظام العسكري وفضائعه وعن إرهاب الدولة. هذه الفترة المأساوية من التاريخ الجزائري تثير العديد من الأسئلة التي لم يقدم النظام الجزائري أجوبة لها أبدًا، أما بن سعادة، المثقف المهتم بمصير الجزائر، فيظل صامتًا متجاهلاً ضرورة عملية البحث عن الحقيقة والعدالة التي يمكنها أن تساعد على فك عقد الألسنة والذكريات حول ما حدث بالفعل بعد الانقلاب، الحقيقة والعدالة اللتين من شأنهما أن تساهما في المصالحة الحقيقية.

إنّ هذا الميل أو التحيز الأيديولوجي يجسد بوضوح التقارب الأيديولوجي الذي يتقاسمه بن سعادة مع الشخصين الذين كتبنا تصدير كتيبه وخاتمته، ريشار لايفيار، وماجد نعمة أو حتى مع حداد المازري، رئيسه لاحقًا والراعي الفكري لبن سعادة داخل مركز سيقا (CIGPA) (انظر القسم 5).

3. الفضاء التأمري الكندي

الحقد الذي يكتنه بن سعادة للإمبريالية الأمريكية و"حلفائها الإسلاميين" قاده إلى أحضان شبكات أنصار النظرية التأمريّة الكندية. فهو ينشط بشكل كبير على موقع "mondialisation.ca" حيث نشر أكثر من مائة مقال بين عامي 2011 و2020. ويُعتبر هذا الموقع النسخة الفرنسية من موقع "globalresearch.ca" الذي أسسه ميشيل شوسودوفسكي (Michel Chossudovsky) المثير للجدل. وتصنف قائمة ميليسا زيمدارس (Melissa Zimdars) الشهيرة هذا الموقع على أنه مهوس بالعقلية التأمريّة.⁴ وقد تمّ فضح النسخة الإنجليزية من الموقع، عن طريق دراسة أخرى، كشفت عملية تضليل تنشر على الانترنت معلومات زائفة لمكافحة عمليات التلقيح.⁵ وقد

خلصت أداة ديكوديكس (Decodex) التي وضعتها صحيفة لوموند (Le Monde) الفرنسية على الإنترنت إلى حكم مماثل، حيث نقرأ من جملة ما كتبه عن الموقع الكندي: هذا الموقع ينشر قدرًا كبيرًا من المعلومات الخاطئة و/أو المقالات المضلّة، فلا بد من توخي الحذر واليقظة ومقارنة ما ينشره مع مصادر أخرى أكثر موثوقية، والعودة ما أمكن إلى المصدر الأصلي للمعلومات.⁶

أما تقرير "newsguardtech.com" عن موقع "mondialisation.ca" بتاريخ أبريل 2020، فهو أكثر إثارة للقلق، إذ يشير باللون الأحمر إلى العبارة الآتية: "كن يقظًا: هذا الموقع ينتهك بشكل خطير المبادئ الأساسية للمصداقية والشفافية".⁷ ويتهّم التقرير الموقع بالترويج للدعاية الموالية لروسيا:

الموقع باللغة الفرنسية لمركز الأبحاث حول العولمة، الذي نشر نظريات المؤامرة والدعاية المؤيدة لروسيا، بما في ذلك معلومات خاطئة حول جائحة كوفيد-19.⁸

ويذكر أيضا صلاته بالحكومة الروسية:

ينشر الموقع بشكل أساسي مقالات وتحليلات عن الأخبار الدولية، لاسيما المقالات التي يتم نقلها عن مواقع أخرى، مثل الموقع الفرنسي Observateur Continental والموقع الإيطالي Il Manifesto والموقع الفرنسي RT.com المملوك للحكومة الروسية.⁹

بناءً على ما سبق، يجوز الاستخلاص بأن أحمد بن سعادة قد كُن نفسه في "مدرسة جيّدة" مختصة في النظريات التأميرية، مثله مثل ماجد نعمة وريشار لايفيار ورينيه نابا، الذين يُعتبرون من كبار المؤيدين لبن سعادة، وكلهم مساهمون مثابرون إلى حد ما فيما ينشره الموقع الكندي.

لكن يظل سؤال الدافع قائمًا. كيف يمكن تفسير مشاركة هؤلاء الأشخاص في دوائر نظرية المؤامرة؟ دعونا نعمّق البحث.

4. المركز الفرنسي للأبحاث حول الاستخبارات

أحمد بن سعادة عضو في فريق البحث بالمركز الفرنسي للأبحاث حول الاستخبارات (CF2R)،¹⁰ غير أنّ موقع المركز لا يقدم أيّ توضيح عن طبيعة ومحتوى "أبحاثه".

يعرّف CF2R نفسه على موقعه الإلكتروني بأنه "مؤسسة فكرية مستقلة [...] متخصصة في دراسة الاستخبارات والأمن الدولي".¹¹ ويشير القسم نفسه من الموقع، إلى ثلاثة أهداف يعمل CF2R على تحقيقها، منها "المساهمة في تقديم الخبرة لفائدة الأطراف المعنية بالسياسات العامة (صناع القرار، والإدارة، والبرلمانيون، ووسائل الإعلام، وغيرها)".¹²

تأسس مركز CF2R في عام 2000، ويرأسه إريك دينيسيه (Eric Denécé) القادم من أوساط الدفاع والاستخبارات،¹³ بصفته ضابط سابق ومحلل في مديرية التقييم والتوثيق الاستراتيجي بالأمانة العامة للدفاع الوطني (SGDN)، ويشترك إريك دينيسيه في إدارة فريق أبحاث CF2R، رفقة دانيال مارتن (Daniel Martin)، المقوّض الفخري للشرطة الوطنية التي أنشأت وأدارت قسم نظم المعلومات في مديرية مراقبة التراب الوطني (DST).

يتألف CF2R من عدة لجان، من بينها لجنة استراتيجية¹⁴ مشكّلة من العديد من كبار الضباط السابقين في الجيش الفرنسي وكبار الأطر السابقين لجهاز المخابرات:¹⁵

— كلود ريفيل (Claude Revel): المندوبة بين الوزارية السابقة للاستخبارات الاقتصادية (D2IE).

— إيف بونيه (Yves Bonnet): المدير السابق لمديرية مراقبة التراب الوطني (DST).

— المحافظ آلان شويت (Alain Chouet): الرئيس السابق لجهاز المخابرات الأمنية (SRS) في المديرية العامة للأمن الخارجي (DGSE).

تشبيك أيديولوجي وسياسي

— الأدميرال (2S) جاك دي سينس (Jacques de Seynes): المدير السابق للاستخبارات والشؤون الدولية في هيئة الأركان البحرية (EMM/OPS/REN).

— العميد في سلاح الجو باسكال ليغاي (Pascal Legai): القائد السابق لمركز التدريب والتفسير المشترك للتصوير (CF3I) التابع للاستخبارات العسكرية (DRM) (2004-2006)، المدير السابق لمركز الاتحاد الأوروبي للأقمار الصناعية (تورينغون، إسبانيا)، كبير مستشاري مدير وكالة الفضاء الأوروبية (ASE).

— بيار لالوش (Pierre Lellouche): وزير سابق (الشؤون الأوروبية، التجارة الخارجية)، عضو سابق في البرلمان، مستشار عن العاصمة باريس.

— الفريق في سلاح الجو (S2) ميشيل ماسون (Michel Masson): المدير السابق للاستخبارات العسكرية (DRM).

— الفريق في القوات الجوية (CR) فرانسوا ميرمييه (François Mermet): المدير السابق للمديرية العامة للأمن الخارجي (DGSE) ورئيس ودادية قدامى الأجهزة الخاصة للدفاع الوطني (AASSDN).

— جاك ميار (Jacques Myard): برلماني سابق وعضو في اللجنة المعنية بالاستخبارات (DPR) وعضو في لجنة التدقيق في صناديق الأموال الخاصة (CVFS).

بالإضافة إلى ذلك، يستفيد CF2R من المشورة الفنية لعملاء المخابرات ذوي الخبرة، مثل البلجيكي باتريك لوروا (Patrick Leroy)، مفوض الشعبة الفخرية للمديرية العامة للمخابرات والأمن (SGRS)، والعقيد الإسرائيلي جاك نيريا (Jacques Neriah)، كبير المحللين السابق لـ المخابرات العسكرية (AMAN)، والعقيد الروسي إيغور نيكولايفيتش بريلين (Igor Nicolaevich Prelin)، أحد قدامى أعضاء المخابرات السوفيتية الذي قضى كل حياته المهنية (1962-1991) في جهاز الكي. جي. بي.

ينتج CF2R نشاطه التحليلي في عدة أشكال، منها المذكرات الإخبارية، والمذكرات الإنذارية حول الأحداث الدولية، ونصوص يُعدها خبراء دوليون، فرنسيون وأجانب،

حول مسائل الاستخبارات والأمن الدولي، وتقارير بحثية معمّقة حول هذه الموضوعات، ونشرات التوثيق المدققة ومحددة الأهداف، حول النزاعات أو مساح العمليات، أو أجهزة الاستخبارات أو الأمن، أو الجماعات الإرهابية أو الإجرامية، أو المنظمات التخريبية أو عمليات الاستخبارات والنفوذ. كما يُنتج المركز أيضًا مذكرات بحثية حول ممارسات الاستخبارات أو استخدامها السياسي، وحول سياسات أمن الدول، ومذكرات تخص العمليات النفسية في مجال التحليل العمليّ للدعاية والدعاية المضادة، ومذكرات الاستخبارات والتكنولوجيا والأسلحة، وكذلك نصائح وتوجيهات استخباراتية إلكترونية حول استخدام الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي في مجال الاستخبارات.

يوفر CF2R أيضًا دورات تدريبية في مجال الاستعلامات، ويضطلع كذلك بدور بوابة التوجيه المهني في قطاع الاستخبارات، في خدمة الدولة الفرنسية أو التجمعات المحلية والمؤسسات الفرنسية. يتولى CF2R كذلك تقديم المشورة والدراسة والتدريب في مجال المخاطر الخاصة (الجيوسياسية، والإرهابية، والمضادة للمنافسة، والإجرامية، والطائفية، والاحتجاجية).

يرؤج مدير CF2R، إريك دينيسيه، لنفس الدعاية التي ينشرها بن سعادة ويدافع عنها بخصوص الانتفاضات العربية. وقد صرّح في 2011 أن "الثورات العربية ما هي إلا انقلابات عسكرية مقنعة".¹⁶ وباعتباره لا يؤمن "بعفوية هذه 'الثورات' التي كانت تُخَصّر منذ عدة سنوات"، عن طريق منظمات أمريكية مثل "فريدوم هاوس أو المعهد الجمهوري الدولي أو كافاس"، فهذه الثورات العربية ما هي على حد قوله سوى "تجديد للطبقات الحاكمة، التي نظمت بموافقة واشنطن، انقلابات 'ناعمة' مستفيدة من موجة الاحتجاجات الشعبية التي وظفوها بمكر ودكاء"،¹⁷ وكان في 2012 قد وصفها بـ"ثورات مغفلين حقيقية"، ناتجة عن صفقة بين واشنطن والإسلاميين، يستولي بمقتضاها الطرف الأول على "النفط"، ويظفر الثاني بـ"الشريعة"،¹⁸ وفي 2015،

تشبيك أيديولوجي وسياسي

صرّح أن هذه "الثورات العنيفة" ذات "العنفية المزيفة إلى حد كبير" تندرج ضمن الاستراتيجية المعدّة ما وراء الأطلسي، لتنصيب الإخوان المسلمين في السلطة في كافة دول الشرق الأوسط،¹⁹ ولا يزال يواصل نشر هذه الخرافة الإسلامية-الأطلسية إلى يومنا هذا.²⁰

إريك دنيسيه ديمقراطي في فرنسا لكنه استئصالي عندما يتعلق الأمر بالمسلمين. فقد أعرب في مقابلة أجراها معه مؤخرًا موقع *Algérie Patriotique*، الذي يديره نجل الجنرال خالد نزار، المقيم في إسبانيا بعد فراره وملاحقته قضائيا في الجزائر، عن رضاه عن عمليات الانقلاب والقمع الذي تمارسه بعض الأنظمة العربية لمنع "الإسلاميين" من الحكم، وقال في المقابلة:

من الواضح جدا أنّ أكثر الإسلاميين راديكالية [...] سعوا على الدوام إلى الاستيلاء على السلطة [...]. ولحسن الحظ، لم تسقط الجزائر، ولا سوريا ولا مصر التي بفضل المشير السيسي، استطاعت أن تطردهم من السلطة، لكنهم يحكمون في تركيا وفي دول الخليج [...].²¹

يعمل المركزان CF2R و CIGPA (انظر القسم التالي) معًا لخدمة مصالح فرنسا، ويترجم تعاونهما على سبيل المثال، من خلال الشراكة في تنظيم المؤتمرات (انظر قائمة مؤتمرات CIGPA أدناه)، أو من خلال الأنشطة الخاصة بمركز CF2R بمشاركة أعضاء CIGPA (حداد المازري، ريشار لايفيار وماجد نعمة)، ونجد من بين هذه الأنشطة، ندوتي 18 يناير 2017²² و 5 نوفمبر 2017²³ حيث تحدث ريشار لايفيار وماجد نعمة في بعض الجلسات، إلى جانب العديد من الشخصيات العامة من المخابرات الفرنسية مثل آلان شوي (Alain Chouet)، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الأمنية SRS في مديرية DGSE،²⁴ أو برنار سكوارسيني (Bernard Squarcini)، المدير السابق للمديرية العامة للأمن الداخلي (DCRI).²⁵ تجدر الإشارة إلى أنّ أحمد بن سعادة له قدمٌ في كلا المؤسستين.

خُصَّص المنبر الحر (La Tribune Libre) لمركز CF2R، عدد 89 الصادر في مايو 2020، لمساهمة كتبها أحمد بن سعادة تحت عنوان "المنظمة غير الحكومية: من الليبرالية الجديدة إلى 'تغيير النظام'". وساهم أحمد بن سعادة في منشور أصدره CF2R بعنوان "الوجه الخفي للثورات العربية"،²⁶ وهو عبارة عن كتاب جماعي بمساهمة عدة مؤلفين ومحللين، من بينهم حداد المازري، وماجد نعمة، وريشار لايفيار، وآلان شوي، وإيف بونيه (المدير السابق لمديرية مراقبة التراب الوطني، DST).

بن سعادة ليس الجزائري الوحيد الذي يعمل لصالح CF2R. ففي 17 سبتمبر 2011، نظمت سعيدة بن حبيلس، رئيسة حركة MFASFR،^أ لقاءً حول "التهديد الإرهابي في ظل الأوضاع السائدة في ليبيا".²⁷ وقد نشط الاجتماع إريك دينيسييه وإيف بونيه وماجد نعمة. وفي يناير 2013، نظمت بن حبيلس في الجزائر العاصمة، باسم MFASFR و CIRET-AVT، يومًا دراسيًا حول موضوع "الثورات العربية: أسطورة أم حقيقة؟".²⁸ وتزامن ذلك اليوم الدراسي مع صدور كتاب "الوجه الخفي للثورات العربية" المذكور أعلاه. ثم انتقل نفس الفريق، المكوّن من إريك دينيسييه، وإيف بوني، وريشار لايفيار، وماجد نعمة، لنشر نفس الدعاية. وقد شارك زير عروس أيضًا في اليوم الدراسي.

يعتني CF2R بالتعاونيه الجزائريين. ففي العدد 88 من Tribune Libre الصادر عن CF2R في مايو 2020، بعنوان "دعم لسعيدة بن حبيلس"،^ب دافع إريك دينيسي عنها، ضد الانتقادات الموجهة إليها بسبب قربها المشبوه من CF2R، ولاسيما مشاركتها

^أ الحركة الجزائرية للتضامن مع الأسرة القروية.

^ب سعيدة بن حبيلس وزيرة جزائرية للتضامن سابقًا، وعضو سابق في مجلس الأمة والرئيسة الحالية لللها لالأمر الجزائري. اشتهرت في تسعينيات القرن الماضي بموقفها المساند للاقتلابيين والاستتصاليين. وفي عام 2009، شاركت في تأسيس المركز الدولي للبحوث والدراسات حول الإرهاب ومساعدة ضحايا الإرهاب (CIRET-AVT) الذي يقع مقره الرئيسي في 11 شارع جولييت لامير، 75017 باريس، ciret-avt.org، والذي يرأسه إيف بونيه، المدير السابق لمراقبة التراب الوطني (DST) والداعم الثمين للاقتلابيين الجزائريين.

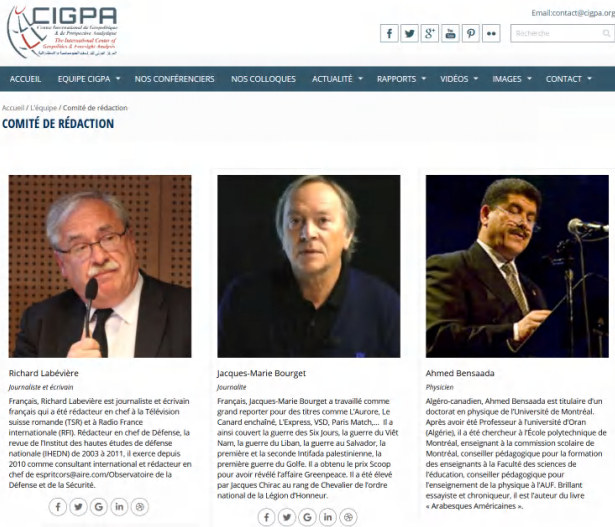
في بعثات المراقبة في ليبيا في أبريل 2011، وفي سوريا في ديسمبر 2011، التي نظمها هذا المركز. وكانت هذه البعثات خلصت إلى أنّ "الثورة الليبية" ليست ديمقراطية ولا عفوية"²⁹ وأنّ ما كان يحدث في سوريا هو في الواقع عملية "لبنة (نسبة إلى لبنان) مفبركة"³⁰، وهي أطروحات متناغمة مع أطروحات بن سعادة. وفي رسالته الداعمة لها، أشار دينيسي إلى أنّ بن حيلس قد شاركت بصفتها "ممثلة للمجتمع المدني [...] حائزة على جائزة الأمم المتحدة لعام 2001"، غير أنّ ديباجة تقارير بعثات المراقبة تشير إلى أنّ المتعاونة الجزائرية شاركت بشكل أساسي بصفتها "وزيرة التضامن السابقة، وعضو مجلس الأمة سابقاً، والعضو المؤسس لمركز -CIRET-AVT"³¹.

إلى جانب المنابر الحرة (tribunes libres) لإريك دينيسيه وأحمد بن سعادة المذكورة أعلاه، فقد نشر مركز CF2R العديد من التقارير البحثية ونشرات التوثيق والمذكرات الإخبارية المتعلقة بالجزائر، خاصة عن الجيش الجزائري وأجهزة المخابرات وحول الإرهاب، بأقلام الصحفي الجزائري منير عبي، والاختصاصية الجزائرية في علم الاجتماع لورانس-عايدة عمور، والباحث التونسي مهدي تاجي، والباحث المغربي عبد الرحمن مكايوي، والضابط السامي السابق في المخابرات الخارجية الفرنسية، آلان روديه (Alain Rodier)، وهؤلاء الثلاثة، مثلهم مثل أحمد بن سعادة، أعضاء في فريق أبحاث CF2R.

موسى بن محمد



<https://cf2r.org/equipe/bensaada-ahmed#/>



<https://cigpa.org/lequipe/comite-de-redaction/>

5. المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشراف التحليلي

نجد الثلاثي المشكل من أحمد بن سعادة وماجد نعمة وريشار لايفييار ضمن هيئة تحرير المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشراف التحليلي (CIGPA).³² إلى

تشبيك أيديولوجي وسياسي

جانب ذلك، يضطلع بن سعادة بصفة ممثل مركز CIGPA في مونتريال، ويقدمه رئيس المركز على النحو الآتي:

يتفاعل مركز CIGPA مع مثليه في خمسة عشر عاصمة، وأطلقنا على ذلك اسم مكاتب الاتصال، وأذكر من بينهم أحمد بن سعادة، الشخصية الشهيرة، في مونتريال، وكذلك أندريا كورفو في روما.³³

تأسس مركز CIGPA³⁴ في 2 أكتوبر 2016 من قبل حداد المازري،³⁵ الذي يتولى منصب الرئيس-المدير.³⁶ وتتخذ هذه المنظمة مقرًا لها في شارع فوش المرموق، في الدائرة السادسة عشر بمدينة باريس. ويقدم المركز نفسه، على موقعه الإلكتروني، على أنه "مؤسسة فكرية شاملة ومقارنة ومتعددة التخصصات" تتبنى "أهدافًا علمية وعملياتية واستراتيجية وسياسية". وبالإضافة إلى استكشاف "وضوح الرهانات الجيوسياسية الرئيسية" و"فهم أفضل للعلاقات الدولية"، حدّد مركز CIGPA هدفًا لنفسه، يتمثل في التصدي "للإرهابيين الإسلاميين والدول التي تدعمهم باعتبارهم العدو الرئيسي"، معتبرًا أنّ "الحرب ضد هذه الآفة ليست أمنية أو عسكرية فقط، بل هي أيضًا حرب أفكار وقيم".

ولتحقيق أهدافه، يعتمد هذا المركز على التمويل من "أعضائه والجهات المانحة السخية". ونظرًا لانعدام الشفافية حيال ذلك، يظل الغموض والدهشة يلفان عملية تمويل هذه المنظمة التي لا تجد صعوبة في تحمل تكاليف خدمات العديد من الشخصيات المتميزة، داخل هيئات المركز: مجلس الإدارة واللجنة السياسية ولجنة الرعاية. لكن رغم الغموض الذي يكتنف عملية التمويل، من المعروف أنّ مركز CIGPA يحظى برعاية جزئية من محمد دحلان، "وكيل" حكومة الإمارات العربية المتحدة، من خلال مكتب الدراسات "أبحاث".³⁷ تبدو هيئة التحرير، التي يشارك فيها أحمد بن سعادة وماجد نعمة وريشار لايفيار، متواضعة للغاية بالمقارنة مع "العيار الثقيل" الذي يميّز أعضاء اللجان الأخرى.

إنّ إجراء تحقيق معمّق عن هذا المركز يتطلب تحليلاً منهجياً يشمل جميع أنشطته وإصداراته، وبما أنّ مثل هذا العمل المدقّق غير ممكن، نظراً لضيق الوقت والمواعيد المحدّدة لنا للنشر، سنكتفي بتقديم لمحة موجزة عن مؤسس CIGPA وفريقه ومجموعة مختارة من المواقف والأنشطة التي تبدو ذات صلة، لفهم الأرضية الأيديولوجية والسياسية الكامنة وراء خطاب بن سعادة.

1.5. مؤسس مركز CIGPA

مؤسس ورئيس ومدير CIGPA حداد المازري من أصل تونسي حاصل على شهادة في الفلسفة، مهتمّ بالديانات وخاصة الإسلام والمسيحية. في عام 1989، ناقش أطروحة للحصول على درجة الماجستير في الفلسفة الأخلاقية والسياسية من جامعة باريس الرابعة (السوربون) حول "الأيديولوجية الشيوعية والإسلاموية: تحليل وآفاق"، سعى إلى البرهنة من خلالها على ما يعتبره "نقاط الالتقاء بين الشمولية الحمراء (الشيوعية) والخضراء (الثقراطية الإسلامية)".³⁸ وفي عام 1997، ناقش أطروحة لنيل الدكتوراه، دائماً في جامعة السوربون، حول موضوع "إشكالية العلاقة بين السلطة الروحية والقوة الزمنية في الإسلام والمسيحية"، وتجدر الإشارة أنه "المثقف المسلم الوحيد في فرنسا الذي تم تأهيله في 2007 من قِبل المجلس الوطني للجامعات محاضراً في اللاهوت الكاثوليكي".³⁹

بدأ حداد المازري مشواره الصحفي في الثمانينات، ضمن طاقم الصحافة الرسمية لحزب الدستوري الاشتراكي وفي الإذاعة والتلفزيون التونسي، وعلى مرّ السنين، أصبح كاتب عمود في العديد من وسائل الإعلام الناطقة بالفرنسية. وعلى الصعيد السياسي، صرّح حداد المازري خلال ندوة نظمها مركز CIGPA في 29 فبراير 2020 قائلاً "أنا رجعي عنيد لا أعرف التراجع، أي أنا بورقيبي (نسبة إلى الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة) حتى النخاع"⁴⁰ وهكذا، بعد فترة وجيزة من استيلاء زين العابدين بن علي على السلطة في 1987، نأى بنفسه عن الرئيس الجديد، وأصبح ينتقد نظامه

تشبيك أيديولوجي وسياسي

الأحادي، وتكريس عبادة الشخصية والانحراف الاستبدادي.⁴¹ لكن بعد عشر سنوات قضاهما في المنفى بفرنسا، انقلب حداد المازري، بعد أن استوعبه نظام بن علي، فعاد إلى تونس في 2000 حيث التقى بالرئيس التونسي، وأصبح مدافعًا متحمسًا عن نظامه "مبررًا هذا الدعم باختياره نهج الإصلاح الليبرالي والتدرج الديمقراطي ورفضه للبدائل الثورية التي لن تفيد، حسب قوله، سوى العناصر الأكثر رجعية، ولاسيما الأصوليين".⁴² وفي مقال نُشر في صحيفة لوموند الفرنسية في 6 فبراير 2001 بعنوان "تونس لا تعيش كابوسًا"، صرّح حداد المازري بالآتي:

ولأن الشعب التونسي، حكمًا ومحكومين على حدٍ سواء، ناضج تمامًا، فإنه حتمًا جاهز للديمقراطية، لكنه ليس محصنًا بما فيه الكفاية ضد هذا الفيروس القاتل: التعصب الديني. [...] ولديّ كل ما يدعو للاعتقاد أنه في عام 2004، وربما حتى قبل ذلك، ستكون الديمقراطية كشكل من أشكال الحكم، حقيقة ملموسة في تونس. وإذا كنت مخطئًا، أفضل أن أظل مخطئًا إلى جانب بن علي (وبوتفليقة) على أن أكون على صواب مع الغنوشي (ونظيره عباسي مدني).⁴³

"وبصفته مكلف بمهمة أكاديمية لدى رئاسة الجمهورية"،⁴⁴ تفيد بعض المصادر بأن حداد المازري "استفاد من سخاء بن علي، وما يؤكد ذلك، أنه كان يتقاضى من القنصلية 3600 يورو كل شهر، وكان يتلقى المبلغ نقدًا".⁴⁵ وفي عام 2009، عيّنه بن علي سفيرًا لتونس لدى اليونسكو، لكنه، في 14 يناير 2011 استقال⁴⁶ من منصب السفير "قبل بضع ساعات من مغادرة الرئيس بن علي البلاد".⁴⁷

بالفعل، وحتى عشية استقالته كمسفير، ظل حداد المازري يدافع عن نظام بن علي، ووصف التونسيين الذين انتفضوا بعد إضرام محمد البوعزيزي النار في نفسه، بـ"القطعان". وقال في برنامج⁴⁸ جان جاك بوردان "Bourdin Direct" الذي تم بثه في 13 يناير 2011 على قناة BFM TV:

الشعب سيذهب للعمل. إنه قلق من هذه الحشود المنتشرة كالسيل. إن هذه الحشود المتعصبة تقوم بعمليات حرق وتدمير وتخريب للممتلكات العامة والخاصة. وإذا تركناهم يواصلون هجمهم على هذا النحو، وإذا استمر الإعلام في الإشادة بهذه الفوضوية المنتشرة في تونس، سنرى قريباً هذه الجحافل تعتدي على الناس في بيوتهم، وتغتصبهم وتسرقهم وتذبحهم.⁴⁹

لم يخف حداد المازري يوماً دعمه للرئيس بن علي. ففي 17 نوفمبر 2012، أعلن في ردِّ له على نوفل الإبراهيمي الميلي، تم نشره على موقع أحمد بن سعادة، الآتي:

لا أشعر بأيّ ندم، بعد قضاء اثني عشر عاماً طويلة من المنفى، لانضمامي إلى هذا النظام [بن علي] خوفاً من تأثير الإسلاموية ومقتلاً لها. لستُ نادماً ولو لحظة واحدة على ما قدمته من خدمات لآخر دولة استبدادية، لكنها دولة ذات سيادة وروح وطنية. أنا لست أحد أركان النظام السابقين، لكنني مواطن من الشعب القديم. لقد حرّر الأمريكيون وخدامهم القطريون الأندال التونسيين من استقلالهم، فهنيئاً لمواطني، وكُم هي حسرة أسلافي اللامعين، حنبل والحبيب بورقيبة فريد زمنه.⁵⁰

وفي نفس الرد، قدّم مازري نفسه على أنه "أحد المثقفين العرب القلائل الذين دافعوا عن بلد المليون شهيد، عندما كان البعض يردد "مَن قتل مَن في الجزائر"⁵¹ (حول غموض مجازر التسعينات وهوية مرتكبيها).

وفي 20 سبتمبر 2020 كتب على صفحته على الفيسبوك:

لقد مرّ عام على وفاة الرئيس بن علي وهي فرصة بالنسبة إلي لأذكر بعض الحقائق التاريخية عن "ثورة" الحثالة والمرترقة والبرجوازيين والأشرار، ولأكرر عميق تقديري لرجل الدولة هذا الذي كرّس حياته لخدمة بلده حصرياً من خلال الحفاظ على سيادته، من شدة غيخته عليه. لا أشعر بأيّ أسف على أيّ كنت طيلة عقد كامل (1989-1999) أحد أشد خصومه والمنفيين السياسيين، عندما كنا عدداً قليلاً من المعارضين للانحراف الاستبدادي في تونس وعبادة الشخصية، ولا أشعر بأيّ أسف أو أدنى ندم لكوني لاحقاً (2000-2011) كنت أحد أكثر المدافعين المتحمسين

تشبيك أيديولوجي وسياسي

لنظام بن علي، ثم سفيراً لدى اليونسكو. [...] بمجرد أن أصبحت المعارضة الإسلامية-اليسارية دمية وخادمة لقوى أجنبية معينة، كنت فخوراً جداً بالمساهمة في تدميرها والانضمام إلى فريق الوطنيين والإصلاحيين الملتفين حول الرئيس بن علي.⁵²

ثم يضيف بمرارة معترفاً بفشل المشروع الذي بدأه مع بن علي لتدمير المعارضة "الإسلامية-اليسارية" فيقول:

في يناير 2011، انتصر مرتزقة قطر والولايات المتحدة في آخر المطاف. وهذا الانقلاب الإسلامي-الأطلسي، الذي أشعله المتعاونون الشبان الذين ذاع صيتهم على شبكة الويب، لم ينجح إلا بسبب دور اثنين من كبار الحونة، وهما جنرالان مجرمان: رشيد عمار وعلي السرياتي. الكلمات الأخيرة: قرطاج دُمرت، إنجاز بورقية الذي خلّده بن علي تحطّم، وسيدفع أبناء وطني ثمن جحودهم، وعدم نضجهم، وخداعهم وخيانتهم إزاء وطنهم و"إخوانهم" الليبيين والسوريين واليمنيين على حد سواء.⁵³

في سبتمبر 2011، نشر حداد المازري "الوجه الخفي للثورة التونسية. الإسلامية والغرب، تحالف يحفه خطر كبير"،⁵⁴ عبارة عن كتيب يشرح فيه أطروحته التأميرية، ويزعم أن الثورة التونسية، مثلها مثل الانتفاضات الأخرى لـ"الربيع العربي"، هي في الواقع نتيجة "الإسلاموية-الأطلسية" التي تجسدها الولايات المتحدة وتركيا وقطر وجماعة الإخوان المسلمون.

وفي مقال بعنوان "ربيع عربي أم شتاء إسلاموي؟"، المنشور في صحيفة Quotidien d'Oran بتاريخ 5 أكتوبر 2011، يربط حداد المازري بروز "الربيع العربي" بـ"مشروع الشرق الأوسط الكبير العزيز على قلب المحافظين الجدد، والذي تم تناوله وتنقيحه وتصحيحه من طرف 'صديق' المسلمين براك حسين أوباما".⁵⁵ ويعتبر براك أوباما "صقراً بأجنحة حمامة" ويشبّه هيلاري كلينتون بـ"سنونو الربيع العربي".⁵⁶ وفي إشارته إلى خطاب براك أوباما في القاهرة في 4 يونيو 2009، قال إنه "يشبه بشكل غريب مواعظ طارق رمضان الإعلامية".⁵⁷

وجه حداد المازري أيضًا هجومًا لاذعًا لتركيا ورئيسها رجب طيب أردوغان، تركيا التي يعتبرها "الوجه النموذجي الجديد للأمية الإسلامية البراغمية، التي عمدها قساوسة أمريكيون في مسجد تركي!"⁵⁸ على حد وصفه. وهو بذلك يتبنى سياسة غربية فرنسية بشكل خاص، معادية عداء صريحًا لتركيا. وفي ختام ندوة تحت عنوان "الإنجراف الأردوغاني الإسلاموي والعثماني الجديد، كيف أصبح الحليف الغربي تهديدًا عالميًا؟" نظمه مركز CIGPA في 29 فبراير 2020 بدار الكيمياء بباريس، حذر المازري قائلًا:

إن ما يحدث أمرٌ خطير للغاية، وإذا استمر استخدام اللغة الدبلوماسية - وهنا أشير إلى القوى الغربية - مع هذا الهجوم العثماني الجديد غير المسبوق من قبل السيد أردوغان، أعتقد جازمًا أن هناك خطر فعلي بأن تتأثر العديد من البلدان الأخرى التي يعتقد البعض أنها محصنة؛ لا أحد في مأمن، وأنا لا أتحدث فقط وحصريًا عن النظام التركي، أنا أتحدث عن هذا النظام باعتباره قوة دافعة للأمية الإسلامية، فلا بد إذن من مخاطبته بلغة أخرى، أي اللغة التي يفهمها. لا توجد لغة سياسية ممكنة، هنا أقتبس وأكرر الشعار الذي يتبناه مركز CIGPA: لا توجد سياسة ممكنة دون تحديد الصديق والعدو. هناك صديق وهناك عدو، فعندما لا نحدد من هو الصديق ومن هو العدو، لم نعد في المجال السياسي، بل ندخل دائرة العاطفة، نحن في بحر المشاعر، نحن في مجال النفاق، نحن في إطار المذهب التجاري، لم نعد في عالم السياسة.⁵⁹

ليس مفاجئًا إذن أن نجد حداد المازري، مديرًا مشاركًا لمعهد ديدالوس للدراسات الجيوسياسية (Daedalos Institute of Geopolitics)، الذي أسسه مجلس وزراء قبرص في مايو 2006. في مؤتمر دولي حول "البحر الأبيض المتوسط والآفاق الأوروبية المتوسطة الجديدة"، الذي نظمه هذا المعهد في نيقوسيا في 9 أكتوبر 2008، أعلن وزير الخارجية القبرصي ماركوس كيريانو (Markos Kyprianou) أن:

تشبيك أيديولوجي وسياسي

معهد ديدالوس للدراسات الجيوسياسية، الذي تأسس في عام 2006، يسعى إلى تحقيق جملة من المهام، منها توفير تحليل ومشورة مستقلة ونزيهة بشأن قضايا السياسة الخارجية الهامة.⁶⁰

يشير حداد المازري أيضًا إلى قطر، التي أطلق عليها اسم "قطرائيل"، ويصفها بعميل الشر، وينتقد بشدة من يسميها بـ "الإمارة البدوية في قطر" في تدخلاته العلنية التي ينظمها مركز CIGPA برعاية إمارة أبو ظبي، التي لا تقل بالمناسبة بداوة عن قطر.⁶¹ وخلال كلمته في ختام مؤتمر "الربيع العربي بعد خمس سنوات: التقييم الأمني والاقتصادي والجيوسياسي. كيف نواجه خطر الإرهاب العالمي؟" الذي نظمه مركز CIGPA في جامعة السوربون في 7 مايو 2016 بالشراكة مع مركز "أبحاث" الإماراتي الذي يترأسه محمد دحلان ومجلة Afrique-Asie، صرّح المؤسس-الرئيس-المدير لمركز CIGPA:

لقد سبّبت دولة قطر الكثير من الضرر. لقد أضرت بأفريقيا وأضرت بالمغرب العربي. لقد أضرت بأوروبا. لن أقول المزيد عن قطر. أعتقد، للأسف، أن سيرتي الذاتية التي كانت ممتازة في الماضي؛ قبل الربيع العربي كانت رائعة حقًا، لكن اليوم، إذا تقرت اسمي على لوحة الحاسوب، ستجده سيرتي الذاتية مرتبطة طوال الوقت بقطر والإخوان المسلمين، الذين أسميهم بالمناسبة بالفاشيين-الإسلاميين.⁶²

إذا وضعنا غروره جانبًا، فإنّ ما يتحسّر عليه المازري هو نهاية حياته المهنية في مجال عمالته لنظام بن علي، لقاء أجرة مجزية. ويبدو أنّ هذا الخبر في تغيير الولاءات، قد نسي الأوقات التي كان يتدخل فيها⁶³ في برامج قناة الجزيرة القطرية وكان يلتقي مرارًا بقبادات الإخوان المسلمين أمثال راشد الغنوشي.⁶⁴ لكنه اليوم، أصبح مهوس بهدف رئيسي آخر، يوجه إليه جام سخطه وحقنه، ألا وهو جماعة الإخوان المسلمين. كتب حداد المازري في النسخة الفرنسية من صحيفة هافينغتون بوست (Huffington Post) في 20 مارس 2015:

إن "الربيع العربي" هو الذي فتح صندوق باندورا الذي خرج منه برابرة داعش، وجبهة النصرة، وأنصار الشريعة، وبوكو حرام، وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، والموجاو (Mujao)، وأنصار الدين... وكلها أسماء متعددة تستقي جميعها من منبع الإسلام الأصولي وحاضنة الإخوان المسلمين.⁶⁵

في 29 فبراير 2020، أعلن خلال مؤتمر CIGPA أنه "من العبث أن تكون تونس اليوم في أيدي الفاشيين الإسلاميين، أي الإخوان المسلمين".⁶⁶ ثم يضيف معرباً عن مدى إحباطه، بعد عقد من انطلاقه "ثورة الياسمين"، ورغبته في الانتقام باستخدام الرعب ضد من يسميهم "الفاشيين-الإسلاميين":

ما زلت في حالة حُداد على تونس. لم أتخلص بعد من مشاعر الحزن منذ عام 2011، وهذا ما يساعدني على مواصلة المقاومة. أعتقد أنني سأعيش طويلاً بما يكفي لأشهد عهد التطهير - لن أصف عملية التطهير هذه بأنها باستعمال منظم "الكارشر" (Kärcher) كما قالها رئيس لامع، وهو محقق بالمناسبة - لكن التطهير بوسائل أخرى أكثر فظاعة من منظم "الكارشر".⁶⁷

إن مواقف حداد المازري الأيديولوجية تجعله أقرب إلى اليمين الفرنسي المتطرّف وإلى الدوائر المعادية للإسلام في فرنسا. وهو أحد المساهمين⁶⁸ في الموقع الفرنسي Atlantico "المصنف عموماً على أقصى اليمين".⁶⁹ في 19 يناير 2015، أجرت معه هذه الصحيفة مقابلة نشرتها بعنوان "هل قال محمد أن كل شيء تمّ غفرانه؟ محمد مكة ربما، لكن محمد المدينة المنورة، ليس مؤكداً...".⁷⁰ وفي 15 نوفمبر 2016، حضر حداد المازري المؤتمر الرئاسي الرابع لمارين لوبان (Marine Le Pen) المخصّص لموضوع ضواحي المدن الفرنسية.⁷¹ افتتحت مارين لوبان حديثها بتقديم شكرها على حضور المازري. وفي هذا الحدث، سمح الضيف لنفسه بتقيل يدها.⁷² وقد أثارت الزيارة والحركة التي قام بها، انتقادات لاذعة، قرّر المعني الردّ عليها بشراسة موجّهاً جام غضبه الانتقائي على "الإسلاميين" وغيرهم من "محافل فايسبوك" والمشاركين للمنشورات

تشبيك أيديولوجي وسياسي

التي انتقدته.⁷³ لا شك أنّ مسلمي فرنسا، ضحايا إسلاموفوبيا اليمين المتطرّف الفرنسي، قد استمتعوا بـ"ذوق" تصريح حداد المازري عند تصريحه:

بالنسبة للضواحي الفرنسية، لم أشعر يومًا أنني أقرب إلى نيكولا ساركوزي مثل اليوم الذي تجرّأ فيه على ذكر "الحثالة" التي وعد بـ "بالتخلص منها عن طريق التنظيف بالكراشر"، لكنه لم يف بوعده، على عكس فلاديمير بوتين الذي وعد بمطاردة حثالة الإرهابيين الإسلاميين "إلى غاية المرحاض".⁷⁴

إنّ العناق والإطراء الذي أضفاه هذا الناشر للكرهية مدفوع الأجر، على أحمد بن سعادة، خلال منحه لقب أول كاتب عربي يفكك أسطورة "الربيع العربي"، يبدو وكأنه قبلة جوداس الخائن. يقول حداد المازري:

المؤلف العربي الأول أو المؤلف باختصار، ليس أنا ولكن السيد أحمد بن سعادة في كتابه "أرايسك أمريكي، دور الولايات المتحدة في ثورات الشارع العربي" (منشورات Michel Brûlé، أبريل 2011). هذا الفيزيائي الجزائري البارز المقيم في كندا، له الفضل الكبير في تحليل "الربيع العربي" مجرّدًا من الرومانسية الثورية التي أحاطت به. وحتى وإن لم يكن هذا الكتاب إنتاج سياسي أو جيوسياسي بالمعنى المتعارف عليه – فقد اكتفى المؤلف، بصفته رجل علم، بإجراء تحقيق عقلائي في العلاقات القائمة بين نشطاء الإنترنت العرب وبعض المنظمات غير الحكومية الأمريكية – فقد كان بالنسبة لي مفيدًا جدًا.⁷⁵

2.5. فريق CIGPA

يدير مركز CIGPA الثلاثي حداد المازري (المؤسس-الرئيس-المدير)، أندريا كورفو (Andrea Corvo)، الممثل السابق لإيطاليا لدى الاتحاد الأوروبي (نائب المدير) وميشيل ريمبو (Michel Raimbaud)، سفير فرنسا السابق (نائب المدير). يتألف

المركز من لجنة رعاية تضم أسماء مرموقة: رؤساء سابقون ورؤساء وزراء ووزراء، من بينهم وزير الدفاع الفرنسي السابق شارل ميون (Charles Millon)، ولجنة سياسية،^ب تضم شخصيات معروفة، منها على وجه الخصوص رضا قريرة، وزير الدفاع الوطني التونسي الأسبق (14 يناير 2010 - 27 يناير 2011) وإيفراقوراس مايروماتيس (Evagoras Mavrommatis)، رئيس الجالية القبرصية الأوروبية، بالإضافة إلى لجنة علمية تضم أكاديميين، وسفير فرنسي سابق، ميشال ريمبو، ووزير خارجية قبرصي سابق، ميشالس أتااليديس (Michális Attalídis)، وإدارة تحرير، تضم في صفوفها أحمد بن سعادة وريشار لايفار وماجد نعمة.

3.5. أنشطة CIGPA

تقتصر أنشطة CIGPA على تنظيم الندوات. إذا تفحصنا ما ينتجه المركز في مجال البحث، نجد أن التقرير الوحيد الذي نشره في 11 مايو 2016 (17 صفحة، أكثر من نصفها عبارة عن مجموعة مختارة من المقالات المنشورة على موقع Atlantico)، كان بعنوان "رأي CIGPA في الانتخابات الأمريكية"، ويقتصر على نقل أطروحات المؤسس-الرئيس-المدير حداد المازري. ويتبنّى هذا التقرير موقفًا لا لبس فيه من الثورات العربية، جاء فيه "نعلم جميعًا اليوم أن 'الربيع العربي' الشهير لم يكن سوى

^أ ماريو سواريز (Mario Suarez)، رئيس البرتغال السابق؛ عبده ضيوف (Abdou Diouf) رئيس السنغال الأسبق؛ علي ولد محمد فال (Ely Ould Mohamed Vall) الرئيس السابق لموريتانيا؛ سيد أحمد غزالي رئيس الوزراء الجزائري الأسبق؛ حامد القروي رئيس وزراء تونس الأسبق؛ شارل ميون (Charles Millon)، وزير الدفاع السابق، فرنسا؛ فرانسوا تيريه (François Terré)، رجل قانون وأكاديمي؛ الطاهر بلخوجة، وزير الداخلية السابق، تونس؛ فيتوريو كراكسي (Vittorio Craxi)، وزير الدولة السابق للشؤون الخارجية، إيطاليا.

^ب رضا قريرة، وزير الدفاع الوطني التونسي الأسبق (14 يناير 2010 - 27 يناير 2011)؛ سيلفان ندوتينجاي (Sylvain Ndoutingai)، وزير سابق لجمهورية أفريقيا الوسطى؛ فيتوريو كراكسي، وزير الدولة الإيطالي السابق للشؤون الخارجية؛ حداد المازري، فيلسوف وسفير سابق؛ كريستيان مالار (Christian Malard)، صحفي مسؤول القسم الخارجي في قناة فرنسا3؛ إيفاقوراس مافروماتيس (Evagoras Mavrommatis)، رئيس الجالية القبرصية الأوروبية؛ لاولي آدا (Laoualy Ada)، المستشار الرئيسي لرئيس وزراء النيجر؛ علي عبد الرحمن حقار، الأمين العام السابق لرئاسة جمهورية تشاد.

تشبيك أيديولوجي وسياسي

'شتاء إسلامي-أطلسي'، ونقتبس هذا التعبير عن رئيسنا حداد المازري⁷⁶. في هذا التقرير، يُتهم باراك أوباما بـ"مسيانية ديمقراطية" ويبرام اتفاقية مع جماعة الإخوان المسلمين، وفي ختام التقرير نقراً: "حتى وإن اعترض منتقدوه، فبإمكان المرشح للرئاسة دونالد ترامب أن يفتح آفاق واعدة، والنجاح حيث فشل باراك حسين أوباما. وهذا هو سبب أمنية CIGPA في فوزه على المرشح الديمقراطي"⁷⁷.

إذا استثنينا هذا التقرير الداخلي، فإن جميع المساهمات المنشورة على موقع CIGPA هي من عمل أطراف أخرى⁷⁸ ولا سيما من السياسيين الفرنسيين، وكلها تتطرق لمواضيع مرتبطة بالمشهد السياسي والأمني الفرنسي، خاصة بشأن الإسلام والتطرف والإرهاب في فرنسا. نجد على هذا الموقع على سبيل المثال، "خطة العمل ضد التطرف والإرهاب" التي قدّمها رئيس الوزراء مانويل فالس (Manuel Valls) أمام الجمعية الوطنية الفرنسية في 9 مايو 2016.⁷⁹ ونجد أيضاً ضمن المراجع المنشورة تقرير مالك بوتيج "التطرف والجهادوية في الأحياء الشعبية"،⁸⁰ وتقرير اللجنة البرلمانية برئاسة جورج فينيش (Georges Fenech) "تحقيق عن مكافحة الإرهاب"⁸¹ أو تقرير معهد مونتين (Institut Montaigne) حول بناء إسلام فرنسي.⁸²

أحد التقارير التي نشرها مركز CIGPA هو تقرير جان جلافاني (Jean Glavany)، العضو في لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية، حول الثورات العربية، يعود تاريخه إلى عام 2013.⁸³ ويرسم هذا التقرير صورة للثورات في تونس ومصر وليبيا، بطريقة براغماتية مستخلصاً الدروس الناجمة عن تسرع فرنسا في تعاملها مع الثورة التونسية، قبل أن يقترح على فرنسا وأوروبا ضرورة اتخاذ إجراءات:

ومع ذلك لا ينبغي أن نخدع أنفسنا: هناك أيضاً تيارات قوية معادية بشكل واضح، بل تتعارض مع القيم العالمية التي نتمنى نجاحها بشكل مشروع. [...] لذلك ليس من مصلحتنا أن يقتصر موقفنا على التعليق على التحولات الجارية في العالم العربي، بل يجب أن نسأل أنفسنا باستمرار ما الذي يمكن أن تفعله فرنسا لمراقبة هذه التطورات.⁸⁴

يعرض الجدول الآتي بعض الندوات التي نظمها CIGPA منذ نشأته في عام 2016.

أبرز المتدخلين	التاريخ/ الشركاء/ العنوان
• سيد أحمد غزالي • ماجد نعمة • ريشار لابيفيار • محمد دحلان • برنار غودار (فرنسا)، مسؤول كبير سابق في الاستخبارات العامة، ومتخصص في الشبكات الإسلامية وعضو CIGPA	• 7 مايو 2016 • الثريا للاستشارات والبحوث - أبحاث (أبو ظبي) • مجلة Afrique Asie • "الربيع العربي بعد خمس سنوات: التقييم الأمني والاقتصادي والجيوسياسي. كيف نتعامل مع خطر الإرهاب العالمي؟"
• فرانسوا كومبانيولا (فرنسا)، مكلف سابق في مشروع بوزارة الدفاع ورجل قانون وباحث مشارك في معهد IPSE • شارل ميون (فرنسا) وزير الدفاع الأسبق. • برنار غودار (فرنسا)، مسؤول كبير سابق في الاستخبارات العامة، ومتخصص في الشبكات الإسلامية وعضو في CIGPA • ميشيل ريمبو (فرنسا)، سفير فرنسا، وأستاذ في مركز الدراسات الدبلوماسية والاستراتيجية (CEDS) وعضو CIGPA. • ماجد نعمة (منشط الجلسة)	• 15 أكتوبر 2016 • معهد الاستشراف والأمن في أوروبا (IPSE) • "تركيا - الغرب - العالم العربي: تداعيات السياسة التركية على التحولات الجيوسياسية والتحديات الاستراتيجية الرئيسية المعاصرة الكبرى"
• سيد أحمد غزالي • كلود غيان (فرنسا)، الأمين العام السابق لرئاسة الجمهورية ووزير الداخلية الأسبق. • روزين غوجي (الولايات المتحدة الأمريكية)، مؤسسة لجنة "دونالد ترامب -	• 25 مارس 2017 • معهد الديمقراطية والتعاون (IDC) • Arabies.com • Insead.edu • "إمكانية حدوث تقارب روسي أمريكي"

تشبيك أيديولوجي وسياسي

فرنسا" ومقربة من الرئيس دونالد ترامب.	وعواقبه السياسية والجيوسياسية على أوروبا والعالم العربي"
• مليكا سوريل، ممثلة فرانسوا فيلون، الجمهوريون. • كريستين بير، ممثلة السيد جاك شميناد. • فلوريان فيليبوت، ممثل مارين لوبان عن الجبهة الوطنية. • باسكال شرقي المتحدث باسم بينوا هامون. • دجورجي كوزمانوفيتش، المتحدث باسم جان لوك ميلينشون. • جان بيير مينار المتحدث باسم إيمانويل ماكرون.	• 14 أبريل 2017 • اتحاد الجمهوريين المسلمين في فرنسا (CMRF) • "مستقبل الإسلام في فرنسا سؤال طرح على 11 مرشحا للرئاسة"
• رولان دوماس (فرنسا) وزير الخارجية الأسبق. • إيف بونيه (فرنسا)، المحافظ السابق والمدير السابق لمديرية مراقبة التراب الوطني (DST). • إريك دنيسيه (فرنسا)، متخصص في الاستخبارات والإرهاب والاستخبارات الاقتصادية، مؤسس ومدير CF2R. • نوفل الإبراهيمي المليي، عالم سياسي فرنسي جزائري، دكتوراه في العلوم السياسية، مدرس في معهد العلوم السياسية بباريس.	• 26 يونيو 2017 • المركز الفرنسي لأبحاث المخابرات (CF2R) • الثريا للاستشارات والبحوث -أبحاث (أبو ظبي) • "استثمارات قطر في فرنسا معادلة بعدة مجاهيل"
• عمرو موسى (مصر)، الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية ووزير الخارجية المصري	• 29 مارس 2018 • "التحديات الاستراتيجية الكبرى"

الأسبق. • هنري غينو (فرنسا)، المستشار الرئيسي السابق للرئيس نيكولا ساركوزي • هوبير فيدرين (فرنسا)، وزير الخارجية الأسبق	للتحالف الفرنسي المصري: الخطر الإرهابي، المطلب الديمقراطي، الشراكة الاقتصادية".
• جان فريديريك بواسون، رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي. • هنري غينو، المستشار الرئيسي السابق للرئيس نيكولا ساركوزي. • كلود غواسجن، وزير سابق في حكومة جوييه	• 22 يونيو 2019 • "عودة الجهاديين إلى أوروبا، ما العمل؟
• جان برنار بيناتيل (فرنسا)، فريق في الجيش الفرنسي، (S2) والقائد السابق لفوج المشاة 42 سيربا (SIRPA). • آلان روديه (فرنسا)، ضابط مخبرات فرنسي كبير سابق ومدير الأبحاث في مركز أبحاث الاستخبارات الفرنسية (CF2R). • بيير لالوش (فرنسا)، الرئيس السابق للجمعية البرلمانية لحلف الناتو ووزير الدولة السابق للشؤون الأوروبية إبان رئاسة نيكولا ساركوزي.	• 29 فبراير 2020 • "الإنجراف الأردوغاني الإسلامي وكيف أصبح الحليف الغربي والعثماني الجديد: كيف أصبح الحليف الغربي تهديدًا عالميًا؟"

عندما ننظر عن قرب إلى الموضوعات المتناولة في هذه الندوات، نلاحظ أنها تعكس مواقف مؤسس-رئيس-مدير CIGPA، حداد المازري، وتعبّر إلى حد كبير عن مدى حنقه على "الربيع العربي" وعدائه تجاه تركيا وقطر. وقد نُظمت البعض من هذه الندوات بالشراكة مع هيئات ومؤسسات قريبة من CIGPA مثل مجلة Afrique

تشبيك أيديولوجي وسياسي

Asie، التي يديرها ماجد نعمة، والمركز الفرنسي لأبحاث الاستخبارات (CF2R) الذي يديره إريك دينيسيه، واتحاد الجمهوريين المسلمين في فرنسا (CMRF) برئاسة حداد مازري، والثريا للاستشارات والبحوث (أبحاث)، التي يشرف عليها محمد دحلان.

من الملفت للاهتمام أن نلاحظ مدى انطباق أعمال CIGPA ضمن شبكة النفوذ السياسي الخارجي لدولة الإمارات العربية المتحدة. في مقال بصحيفة لوموند الفرنسية، بعنوان "من غزة إلى أبو ظبي، صعود محمد دحلان المثير للجدل"، بتاريخ 6 أكتوبر 2017، يعتبر الصحفي بنيامين بارث (Benjamin Barthe)، الذي وصف محمد دحلان بأنه "وكيل نفوذ دولي"، أن "زيارة سريعة لموقع International Company Profile، الذي يعتبر وكالة تقييم مخاطر الائتمان، يكشف أن مركز "أبحاث" هو في الحقيقة فرع للملكية الإماراتية القابضة، التابعة لآل نهيان...". ويضيف الصحفي:

بعد إدراكه أنّ المعركة ضد الإسلام السياسي تدور رحاها أيضًا على مستوى الأفكار، استثمر دحلان بكثافة في الصناعة الأوروبية للمؤتمرات والمؤسسات الفكرية. ومن خلال مكتب الدراسة "أبحاث" الذي يديره - اسمه الكامل الثريا للاستشارات والبحوث - وهو كما رأينا واجهة مفبركة للنظام الإماراتي، يقوم دحلان برعاية وتمويل منصات مختلفة للحوار، من بينها موقع ForMENA في بروكسل، ومنتدى الخليج المتوسطي (Mediterranean Gulf Forum) في روما، والمركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية في باريس، الذي يديره التونسي حداد المازري، أحد العملاء المتحمسين سابقًا لنظام بن علي. وكلها هياكل ترحّب بسخاء بكلّ حانق على "الربيع العربي" ومستعدّ لقطر، لكنها تصمّ آذانها وتمتنع بشكل شبه كلي عن أيّ انتقاد للإمارات العربية المتحدة...⁸⁵

الملفت للنظر أن جلّ المتدخلين والمحاضرين في مؤتمرات CIGPA هم سياسيون فرنسيون ومسؤولون في المخابرات الفرنسية. ويشكّل تناسق مواضيع هذه المؤتمرات مع

الأهداف المعلنة للمركز، نقطة سيتناولها بالتفصيل المقال التالي في هذا الكتاب "CIGPA"، مؤسسة فكرية متناسقة مع السياسة الخارجية الفرنسية". كل المؤشرات تبعث على الاعتقاد بأن CIGPA هي نقطة التقاء الكراهية التي يكنها حداد المازري للتوجهات الإسلامية ولقطر وتركيا مع الأهداف الاستراتيجية الرسمية لفرنسا القلقة من صحوة الشعوب المغاربية والعربية والأفريقية والتي تحشى تنامي النفوذ التركي، مما يعرض للخطر الوضع الراهن القائم على نظام عالمي يحده الغرب إلى حد كبير، ويهدد، وفقًا لباريس، نفوذ فرنسا ومصالحها في المنطقة. ويندرج توظيف حداد المازري و CIGPA ضمن الحرب الدعائية لإجهاد موجة الاحتجاجات الشعبية ونهوض شعوب شمال أفريقيا والشرق الأوسط، وإبقائهم في وضع الخضوع.

6. النفوذ والتمويل الإماراتيين

التدقيق في الجماعات الإماراتية وشبكات النفوذ التابعة لها أمر يفرض نفسه بالنظر إلى القرب الكبير المعلن والمتبني بصراحة من قبل بعض الزملاء المقربين من بن سعادة من هذه الأوساط. ناقشنا أعلاه (القسم 5.3) الشراكة القائمة بين CIGPA ومركز "أبحاث" الإماراتي التابع لدحلان، وسيكتشف القارئ أيضًا حضور منظمات أخرى مشبوهة نظمت أنشطة عامة شارك فيها ريشار لاييفيار وإريك دينيسيه وغيرهم ممن سنترككم تكتشفونهم.

ومن الأمانة الأخلاقية أن نوضح، قبل المضي قدمًا، بأننا لم نكتشف صلة مباشرة بين بن سعادة وشبكات النفوذ الإماراتية هذه. ونشير أيضًا أن القصد في هذا الفصل ليس إدانة بن سعادة بناء على روابطه بمنظمات أو أشخاص مشبوهين. هدفنا هنا هو تسليط الضوء على فضاء آخر من الثورات المضادة، ينشط في إطاره بحماسة المتعاونون المقربون من بن سعادة، داخل CIGPA و CF2R. وهذه الإطلالة تسلط بدورها الضوء على جزء آخر من محيطه الأيديولوجي والسياسي.

1.6. محمد دحلان

من هو هذا الشخص الذي نجده في كل مكان والذي يصفه الصحفي بنيامين بارث بأنه "وكيل نفوذ دولي"؟

أدار محمد دحلان مؤتمر CIGPA الخاص بالثورات العربية. وتُظهره إحدى الصور التذكارية إلى جانب حداد المازري، في حالة استرخاء، ملتصقين ببعضهما وابتسامة عريضة مرتسمة على وجهيهما. وكان مركز CIGPA قد نظم فعاليتين بالشراكة مع مركز أبحاث⁸⁶ للدراسات الذي يرأسه دحلان. يخيم ظل دحلان أيضًا على مؤتمر جنيف الفخم الذي نظّمته الشبكة العالمية للحقوق والتنمية (GNRD)، ويعتبر إلى جانب ذلك أحد رجال الأعمال الذين يمولون هذه المنظمة غير الحكومية.⁸⁷

لم تفاجئنا رؤية هذا الشخص داخل كواليس CIGPA و GNRD بصفته راعيًا لهما، ومن المعروف أيضًا أنه عميل نشط ضمن المنظومة المناهضة لصحوة الشعوب في شمال أفريقيا والشرق الأوسط:

أخطبوط المؤامرات.. عراب الانقلابات.. مبعوث ابن زايد لمكافحة ثورات الشعوب العربية.. صديق الجزائرلات ويد "إسرائيل" الطولى للتلاعب بالمقاومة.. مسميات وكُنّى عُرف بها محمد دحلان، القيادي المنفصول من حركة "فتح" الفلسطينية، الذي بات منذ 2011 سرطانيًا ينخر في عظم وجسد المجتمع العربي. لم يجد أبناء زايد شخصًا كدحلان لتنفيذ أجندتهم الإقليمية، فتاريخ الرجل وباعه الطويل في التجسس والتآمر والخيانة، سواء على بني شعبه أو بني أمته، هو جواز سفره المعتمد لتحويله إلى قبلة يقصدها العابثون في مقدّرات الشعوب، الطامعون في القفز على أمن واستقرار المجتمعات.⁸⁸ (اقتباس)

من هو إذن هذا الرجل الذي يجمع في شخصه كل هذه النعوت المخزية؟ دعونا نعود إلى الأصل.

ينحدر دحلان من مخيم خان يونس للاجئين في جنوب غزة. بدأ صعوده داخل حركة فتح عام 1994 عندما تولى قيادة جهاز الأمن الوقائي، وهو جهاز استخبارات وأمن قوي - مكون من 20000 عنصر - تم إنشاؤه بموجب اتفاقيات أوسلو ومولته الولايات المتحدة.⁸⁹ وأصبح الرجل القوي في قطاع غزة لدرجة أن سكان القطاع أطلقوا عليها اسم "دحلانستان".⁹⁰

جاء سقوطه المروع نتيجة خلاف نشب بينه وبين محمود عباس رئيس حركة فتح الذي اتهمه بعرقلة إعادة إعمار غزة، قبل أن يطرده المجلس الثوري لحركة فتح في يونيو 2011 بعد اتهامات بالفساد والاختلاس.⁹¹ وتبع ذلك حملات تشهير وقذف متبادلة بين الجانبين كشفت عن تورط دحلان المحتمل في عملية اغتيال الرئيس الفلسطيني الأسبق ياسر عرفات⁹² وعدد من رموز المقاومة الفلسطينية:

دحلان متورط في اغتيال عدد من كبار القادة الفلسطينيين، من بينهم صلاح شحادة، أحد كوادر البارزة في حماس الذي اغتيل في عام 2020 [...] بالإضافة إلى كوادر فتح آخرين من بينهم هشام مكي ومحمد أبو شعبان وأسعد الصفاوي و خليل الزين ونعيم أبو سيف وخالد محمود شهداء.

ويروي (محمود) عباس هذه الشهادة "في المحاولة الأولى لاغتيال صلاح شحادة جاء دحلان وقال: صلاح شحادة سينتهي خلال دقائق.. وبعد دقائق سمع انفجار ضخم، فذهب دحلان للخارج وقال بالحرف الواحد: ابن الد... نقد (ترك) البيت قبل لحظة واحدة".⁹³ (اقتباس)

توفر دولة الإمارات العربية المتحدة لدحلان منفيًا ذهبيًا حيث أصبح "مستشارًا حميمًا" أو حتى "أخًا" لمحمد بن زايد.⁹⁴ وبفضل ما حظي به من دعم مالي وإعلامي من رئيس الدولة الإماراتية، انتقل دحلان إلى مرحلة الهجوم المضاد للثورات. ويعمل الرجل على محورين أساسيين: (1) تصفية القضية الفلسطينية و (2) إحماض الصحوات

تشبيك أيديولوجي وسياسي

الشعبية لتجنّب أيّ عدوى قد تؤدّي إلى انهيار عروش الأنظمة البتروملكية في المنطقة.

لم يعد موقف دولة الإمارات من القضية الفلسطينية سرّاً. فقد قامت الدولة بتطبيع علاقاتها مع الكيان الصهيوني في تجاهل تامّ لحقوق الشعب الفلسطيني، بالمشاركة المحتملة لدحلان في تنظيم هذه الاتفاقيات.⁹⁵ وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التطبيع جاء في أعقاب الضجة الكبيرة التي أحدثتها "صفقة القرن" للرئيس ترامب والنظامين المصري والسعودي، "الصفقة" التي تتمثل في تصفية القضية الفلسطينية بشكل نهائي.

وكانت التحركات الإماراتية قد بدأت قبل وقت طويل من إعلان الصفقة. فقد بذلت أبو ظبي جهوداً حثيثة لاستعادة السيطرة على قطاع غزة من أيدي حماس عن طريق توظيف العلاقات التي يملكها دحلان في المنطقة. وأفادت معلومات مسرّبة عن مساعدات مالية كبيرة سيجلبها دحلان إلى غزة لصالح الأجهزة الأمنية وأهالي ضحايا الاعتداءات الإسرائيلية:

في تلك الأثناء، كشف باردويل (Bardawil) لموقع Middle East Eye أنه بالإضافة إلى دعمه لقوات الأمن التابعة للسلطة الفلسطينية التي أقيمت هذا الأسبوع، تعهّد دحلان بدعم المتضرّرين من حرب هذا الصيف.

قال باردويل أنّ دحلان عرض تقديم 5000 دولار لكل أسرة فقدت أحد أفرادها، و10 آلاف دولار لكل أسرة فقدت منزلها، و1500 دولار لكل إصابة خطيرة، و700 دولار لكل فرد إصابته متوسطة. وصرّح أحد المتعاونين مع دحلان لوسائل إعلام محلية بأنّ الأموال ستأتي من الإمارات عبر دحلان لتوزّع على العائلات.⁹⁶ (مترجم عن الإنجليزية)

كان الهدف من هذه المناورة هو تهميش نفوذ "إسلامي" حماس في غزة وكسب تعاطف ضحايا الحصار المفروض على القطاع وضحايا الحروب المتتالية.⁹⁷

عمل دحلان أيضًا على محاربة صحوة الشعوب في الدول العربية، لإجهاض التطورات الديمقراطية لهذه الشعوب، ولتفادي وصول حتي لهذه العدوى إلى الأنظمة البتروملكية في الشرق الأوسط. أما دوره في قمع الثورة الليبية من قبل نظام القذافي، كفيل يجعله محل تحقيق من قبل المحكمة الجنائية الدولية "لتورطه المزعوم مع سيف الإسلام القذافي"،⁹⁷ حيث يُشتبه في تقديم دحلان المساعدة لنجل القذافي في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. ومن المعروف أن سيف الإسلام القذافي مطلوب لـ:

مسؤوليته الجنائية المزعومة في ارتكاب عمليات قتل واضطهاد للمدنيين، باعتبارها جرائم ضد الإنسانية، بدءًا من 15 فبراير 2011 في جميع أنحاء ليبيا.⁹⁸

وأيضًا بسبب:

تصميمه وتنسيقه لخطة تهدف إلى ردع وقمع الاحتجاجات المدنية ضد نظام القذافي بكل الوسائل.⁹⁹

دحلان مستهدف أيضًا من تحقيق من طرف السلطة الفلسطينية حول "دوره المزعوم في نقل الأسلحة الإسرائيلية إلى حكومة القذافي".¹⁰⁰

ورغم الاتهامات الموجهة إليه بارتكاب هذه الجرائم، والتحقيقات التي تستهدفه، وحتى بعد سقوط نظام القذافي، يواصل دحلان العمل ضد التطورات الشعبية للشعب الليبي من خلال دعم ميليشيات حفتر ماديًا وعسكريًا.¹⁰¹

¹ وهذا يناقض أطروحة أحمد بن سعادة وحداد المازري. لماذا تهدف إدارة ترامب إلى وضع الإسلاميين على رأس دول ذات استراتيجية عالية مثل مصر وليبيا وسوريا وتونس أو حتى الجزائر، في حين أنها تبذل الكثير من الجهد وتحشد الكثير من الدول "لطرده" الإسلاميين من قطاع صغير مساحته 365 كيلومتر مربع؟

هذه النظرة الخاطفة للأنشطة التخريبية التي قام بها دحلان، لا تغطي بتاتاً كافة مناوراته في تونس ومصر والسودان وفلسطين وسوريا واليمن، لكنها مع ذلك تساعد على كشف مدى حماسه في تأجيج الفتن والتحريض، وتنوع الأساليب المختلفة التي يستخدمها، التي تتراوح بين القوة الناعمة (مركز Abhath وتمويل GNRD) والقوة الخشنة (التدخل في النزاعات المسلحة والاستثمار في صناعة الأسلحة في صربيا).¹⁰²

2.6. الشبكة العالمية للحقوق والتنمية

على غرار ريشار لايفيار وماجد نعمة، بذل رينيه نبا الكثير من الجهود لنشر أطروحة المؤامرة لبن سعادة عبر مواقعه الإخبارية، وهو بطبيعة الحال يشارك هذه الكوكبة خطاب التهجم الشرس على المنظمات غير الحكومية، ووصمها بأدوات التأثير والتوجيه، خدمةً للمصالح الأمريكية. ومثل هذا الموقف يثير حقاً الاستغراب عندما نراه يصعد في خطابه لحساب شبكة GNRD،¹⁰³ الممولة جزئياً من محمد دحلان، بما يوحي، ربما من وجهة نظره، أنّ هناك منظمات غير حكومية جيّدة وأخرى سيئة. هذه الازدواجية من طرفه في العلاقات مع المنظمات غير الحكومية لفتت انتباهنا ودفعتنا إلى الاهتمام بقضية هذه المنظمة.

شبكة GNRD منظمة غير حكومية نرويجية أسسها لؤي ديب، مواطن فلسطيني مقيم في النرويج. وقامت هذه المنظمة غير الحكومية خلال فترة رئاسته، من بين أنشطة أخرى، بتنظيم مؤتمرين (أحدهما حول البحرين والآخر حول الإرهاب)، وشاركت في مراقبة الانتخابات في جنوب السودان (2011)، والأردن (2013)، والجزائر (الانتخابات الرئاسية 2014)، وفي مصر (الانتخابات الرئاسية 2014)، وفي تونس (البرلمانية، نهاية 2014).

ولم تنس شبكة GNRD أيضاً "الجميل" الذي تلقتة من رعاتها، فأبانت عن كرمها، حيث أعلن موقع "The National" الإخباري الإماراتي في 18 أكتوبر 2013 أنّ:

دولة الإمارات العربية المتحدة تحتل المرتبة 14 في العالم من حيث احترام حقوق الإنسان في تصنيف الشبكة العالمية للحقوق والتنمية (GNRD) [...] متقدمة على العديد من الدول الغربية، بما في ذلك الولايات المتحدة.¹⁰⁴

تبدو هذه المرتبة سريرية إذا علمنا، على سبيل المثال، أنه في عام 2013، صنّفت فريدوم هاوس (Freedom House) دولة الإمارات العربية المتحدة من بين آخر 30 دولة تعاني من نقص خطير في مجال الحرية من بين 195 دولة تمت دراستها،¹⁰⁵ في حين صنف معهد كاتو (Cato) الإمارات العربية المتحدة، وفقاً لمؤشر الحرية البشرية المعتمد لديهم، في المرتبة 117 من أصل 152 في عام 2015.¹⁰⁶

وتجدر الإشارة إلى أنّ المحاكم والصحافة النرويجية وُجّهت إلى ديب تهمة تبويض أموال مصدرها الإمارات العربية المتحدة. ونشر صحيو جريدة Aftendbladet تحقيقاً بعنوان "المنظمة الغامضة" يهتمون فيه لؤي ديب:

أراد لؤي محمد ديب على ما يبدو أن يناضل من أجل السلام ومن أجل عالم أفضل، فأنشأ منظمة غير حكومية خاصة به، ثم منظمة أخرى، تلتها منظمة ثالثة، وبعد فترة وجيزة أصبح هذا الرجل المنحدر من مجتمع نرويجي صغير، عبارة لوحده عن شبكة حقيقية من المنظمات الدولية والجامعات المشبوهة. وقد تمّ تحويل الملايين من اليورو، من رعاة غامضين مقيمين في الإمارات، إلى الحسابات التي يسيطر عليها لؤي ديب الذي شيد على ما يبدو إمبراطورية للعمل الإنساني، وأصبح في الوقت ذاته شخصاً ثرياً¹⁰⁷ (مترجم عن الإنجليزية)

ويُحصى صاحب المقال عدة منظمات مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بـ"رجل المشاريع الإنسانية" الغامض، ونجد ضمن القائمة، بالإضافة إلى شبكة GNRD:

1. المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان – SIHR (جنيف - سويسرا)
2. المعهد الدولي للسلام والعدالة وحقوق الإنسان – IIPJHR (جنيف - سويسرا)
3. التحالف الدولي ضد مجرمي الحرب – ICAWC (صولا - النرويج)

تشبيك أيديولوجي وسياسي

4. المركز الأوروبي للحقوق والعدالة – ECRJ (صولا - النرويج)
 5. الجامعة الاسكندنافية (صولا - النرويج)
 6. أكاديمية الدراسات العالمية (غزة)
 7. الرابطة الأوروبية لاعتماد المدارس الخاصة – EAPSA (فيجو - النرويج)
 8. ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان (القاهرة - مصر)
 9. المجلس الدولي لدعم المحاكمة العادلة وحقوق الإنسان (جنيف - سويسرا)
 10. وكالة حقوق الإنسان – ADH (جنيف - سويسرا)
 11. مؤسسة معارج للسلام والتنمية (الخرطوم - السودان)
- نفس الصحفيين تتبعوا مسار التدفقات النقدية في مقال آخر، وكتبوا بهذا الشأن:

تظهر أسماء الشقيقتين [صفوح وعبد الوهاب مقيد، ملاحظة المحرر] المولودين في سوريا، والمقيمين في الإمارات العربية المتحدة، في قوائم معظم الشركات التي حوّلت أكثر من 15.5 مليون يورو إلى حسابات مصرفية يسيطر عليها لؤي ديب في النرويج.

وعندما اتهمت أوكوكريم (Økokrim) [الوحدة المركزية لمكافحة الجريمة الاقتصادية والبيئية في النرويج، ملاحظة المحرر] في مايو 2018 ديب بارتكابه جرائم أصحاب الياقات البيضاء، والتزوير والاتجار بالبشر، قرّر المدعي العام تركيز الاتهامات على الجرائم المرتكبة في النرويج. ثم قرّرت الشرطة وقف التحقيق في قضية الرعاة الغامضين في الإمارات العربية المتحدة، نظرًا لعدم تعاون أبو ظبي واستجابتها لطلبات المساعدة للتحقيق التي قدّمتها لهم أوكوكريم.¹⁰⁸ (مترجم من الإنجليزية)

وقبل الحكم عليه من قبل المحاكم النرويجية:

أدانت محكمة مقاطعة ستافنجر (Stavanger) لؤي ديب بجرائم مالية خطيرة والتزوير والاتجار بالبشر. وحُكم على رئيس GNRD السابق بالسجن أربع سنوات ونصف. [...] وحُكم على ديب أيضًا بسداد ما يزيد قليلاً عن عشرة ملايين كرونة،

وكان قد اختلس هذه الأموال من المنظمة الحقوقية التي كان يديرها من أجل تمويل ألعاب القمار عبر الإنترنت. [...] كما شرعت الدولة في مصادرة عدد من القطع الذهبية التي تم العثور عليها في منزل ديب الكائن في بلدية صولا.¹⁰⁹ (ترجمة)

تميزت تقارير الصحافة النرويجية عن ممارسات لؤي ديب وحول الشبكة العالمية للحقوق والتنمية (GNRD) بالتمحيص الدقيق. ويثبت هذه التقارير أنّ المبالغ المذكورة هائلة، وقد تمّ تحويل أكثر من 15.5 مليون يورو من الإمارات العربية المتحدة إلى حسابات المنظمات التي يسيطر عليها شخص واحد. وهذا المبلغ يتعلق فقط بما تنشره الصحافة ودولة واحدة، وهو بذلك لا يمثل سوى رأس الجبل الجليدي من مجموع الأموال التي تُحوّل إلى منظمات ديب المتعدّدة. وللمرء أن يتساءل عما إذا كان تكتل المنظمات التي يسيطر عليها ديب ليس في الواقع سوى جزء صغير من شبكة نفوذ إماراتية واسعة داخل أوروبا.¹

نظمت الشبكة العالمية للحقوق والتنمية في 16 و 17 فبراير 2015 مؤتمرا دوليا¹¹⁰ في فندق "الرئيس ويلسون" المهيّب الواقع على ضفاف بحيرة ليمان في جنيف. وكان موضوع المؤتمر يدور حول التحدّيات والفرص في تحقيق التوازن بين مكافحة الإرهاب وحماية حقوق الإنسان.¹¹¹ وتمّ الإعلان عن مشاركة رينيه نابا وريشار لايفيار وإيريك دينيسيه، كضيف "مهمين" (VIP) ومتحدثين في المؤتمر.

يروي الصحفي بريان ويتاكر (Brian Whitaker) في صحيفة الغارديان (The Guardian)، الذي حقّق في قضية GNRD وأعدّ ملفاً بعنوان "فضيحة GNRD"،¹¹² ما حدث في كواليس هذا المؤتمر، في مقالة ملفتة للنظر تحت عنوان "وليمة في جنيف... الخطة الغربية للشبكة العالمية للحقوق والتنمية لمكافحة الإرهاب".

¹ يحصي سجل الشفافية التابع للاتحاد الأوروبي لعام 2014 تمثيلات الشبكة العالمية للحقوق والتنمية (GNRD) في البلدان التالية: النمسا، بلجيكا، فرنسا، إسبانيا، بريطانيا العظمى، البرازيل، كندا، مصر، الأردن، لبنان، مولدوفا، الترونج، السودان، سويسرا، تونس، الإمارات العربية المتحدة، زامبيا.

تشبيك أيديولوجي وسياسي

يقع فندق الرئيس ويلسون من فئة خمس نجوم على ضفاف بحيرة جنيف، ويتمتع بإطلالة "استثنائية" على جبل مون بلان (Mont Blanc)، ويحتوي على ثلاثة مطاعم تقدّم "أشهى الأطباق التي لا تضاهى". وتتراوح أسعار الغرف في فندق ويلسون بين 250 جنيه إسترليني إلى 52 ألف جنيه إسترليني لليلة الواحدة في جناح رويال بنتهاوس.¹¹³ (مترجم من الإنجليزية)

ثمّ يذكر الصحفي تكاليف المتحدثين التي تدفعها شبكة GNRD:

إذا احتسبنا جميع النفقات... كانت العضوة البريطانية في البرلمان الأوروبي جولي وارد (Julie Ward) واحدة من المدعوين للمشاركة في طاولة مستديرة. لقد دفعت لها GNRD ثمن تذكرة درجة رجال الأعمال بمبلغ 525 جنيهًا إسترلينيًا من مانشستر إلى جنيف عبر بروكسل ووفرت لها الإقامة لمدة ليلتين في فندق ويلسون.

إذا افترضنا أن المدعوين الأربعين المسجلين كـ "ضيوف ومتحدثين من كبار الشخصيات VIP" قد تلقوا معاملة مماثلة، فإنّ تكلفة حضورهم جميعًا في المؤتمر ستتجاوز بالتأكيد 50000 جنيه إسترليني. وهذا بالطبع دون احتساب التكلفة المعتبرة لاستئجار القاعات ومرافق فندق ويلسون "الشهيرة" والتكاليف الإدارية والتنظيمية الخاصة بشبكة GNRD.¹¹⁴ (مترجم من الإنجليزية)

ويدعم الصحفي مقاله بالتصريح الذي أدلت به النائبة الأوروبية جولي وارد في تعاملها بشفافية عند إبلاغ مؤسستها.¹¹⁵

وفي جزء آخر من نفس المقالة، يشارك براين ويتاكر قُراءه ما يعتبره المحفّز وراء تنظيم مثل هذا الحدث الذي تطلّب، وفقًا للصحفي، مدة عامين من التحضير.¹¹⁶ ويؤكد أنّ:

الاقتراح الرئيسي المطروح من قبل مشروع GNRD تمثّل في إنشاء مجلس دولي لمكافحة الإرهاب تتلخّص مهمته إجمالاً وأساسًا في تحديد من هم الأفراد والمنظمات التي يجب تصنيفها على أنها "إرهابية"، ويتمخّص عنه تجميع قائمة سوداء عالمية تُراجع وتُحدّث سنويًا ويُحتفظ بها.¹¹⁷ (مترجم عن الإنجليزية)

ثم يضيف الصحفي:

المشكلة الرئيسية تكمن في عدم وجود إجماع بشأن تعريف "الإرهاب"، لكن مسودة اتفاقية GNRD تلتفّ على هذه الإشكالية من خلال تجنّب تقديم أيّ تعريف. يبدو أن تصنيف "إرهابي"، بحسب مشروع الشبكة العالمية للحقوق والتنمية، لا يعتمد على معايير محددة، بل يقوم على تصويت أعضاء المجلس الدولي لمكافحة الإرهاب. وبالتالي من السهل أن نرى كيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى مفاوضات بين الدول الأعضاء لمعرفة من يجب أن يُدرج في قائمة الأشخاص أو المنظمات الإرهابية، ملاحظة المحرر: وليس مستبعداً أن يتحوّل هذا المجلس إلى نوع من الـFIFA لمكافحة الإرهاب.¹¹⁸ (مترجم عن الإنجليزية)

كان الرهان المعلق على هذا المؤتمر، وفقاً لهذا التحليل، هو ممارسة الضغط وحشد الدعم من أجل اعتماد مشروع GNRD الذي كان سيمهد الطريق ويفتح الأبواب أمام جميع أنواع التجاوزات في مجال مكافحة الإرهاب. فوفق هذا المشروع، يُعتبر "إرهابياً" أيّ شخص أو منظمة تُصنفها كذلك أغلبية أصوات المجلس الدولي لمكافحة الإرهاب، وبالتالي، أيّ جهة تملك القدرة على التأثير في تصويت هذا المجلس بوسعها أن توظف آليات الأمم المتحدة لإلحاق ضرر جسيم بأيّ خصم لها.

تشير قائمة المشاركين في هذا المؤتمر إلى وجود كثيف لأجهزة المخابرات،¹¹⁹ وقد مثّل الطرف الجزائري المشارك في هذا المؤتمر محمد برقوق "الخبير في الإرهاب"، فضلاً عن مشاركة كلّ من إريك دنيسي وريشار لايفيار ورينيه نابا في هذا المؤتمر الفخم "لمكافحة الإرهاب".

¹ الاتحاد الدولي لكرة القدم.

3.6. شبكة SIHR - IIPJHR "لحقوق الإنسان"

بعد الاتهامات الثقيلة التي وجهتها المحاكم النرويجية ضد شبكة GNRD، انتقض رينيه نابا، عن طريق نشره ليس مقالة واحدة¹²⁰ أو مقالتين¹²¹ بل ثلاث¹²² مقالات للدفاع عن المنظمة غير الحكومية وعن لؤي ديب. وبدا ردّ فعل الصحفي مبالغًا فيه وينطوي على مخاطر جمة. وهنا يُطرح سؤال، لماذا يغامر رينيه نابا بالدفاع عن شخص متورط في قضايا مشبوهة؟ هل هناك صلة بين الرجلين؟

يقدم قسم "من نحن" على موقع "renenaba.com" للتعريف بأهدافه وأعضائه وأنشطته، سيرة ذاتية لرينيه نابا، مشيرًا إلى المهمتين الآتيتين:

عضو في المجموعة الاستشارية للمعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان (SIHR) الذي يتخذ من جنيف مقرًا له، وعضو جمعية الصداقة الأوروبية-العربية، ومنذ عام 2014، يتولّى صفة مستشار في المعهد الدولي للعدالة والسلام وحقوق الإنسان (IIPJHR) ومقرّه في جنيف.¹²³

ويشير السجل التجاري لمقاطعة جنيف إلى أن IIPJHR (جمعية مسجلة برقم CH-7-660.0.503.010) قد تمّ حلّها في 20 يناير 2020 من قبل أعضاء لجنة الإدارة التابعة لها.¹²⁴ وتتشكل هذه اللجنة، من بين أعضاء آخرين، من الرئيسة نورة ديب (النرويج) والأمين العام لؤي محمد ديب (النرويج). ويُشير نفس السجل إلى جميع التعديلات التي أدخلت على النظام الأساسي للمنظمة. ويمكننا ملاحظة أنّ اثنين من المواطنين الإماراتيين (شمسة ماجد خلفان قريبان ويوسف علي أحمد بن زايد الفلاسي) قد شاركا في لجنة المعهد كرئيس ونائب رئيس على التوالي لمدة 14 يومًا (من 11 مايو 2016 إلى 25 مايو 2016). ولا نعرف الأسباب من وراء إطلاقتها الخاطفة.

وسُجِّل أيضًا شخصٌ يحمل اسم فوروتان باغا أمير (Forotan Bagha Amir)، كعضو في لجنة إدارة المعهد أثناء المراجعة الرابعة للنظام الأساسي (بتاريخ 1 يوليو 2013) قبل شطبه من القائمة في المراجعة السابعة (بتاريخ 13 مارس 2014). هذا

الشخص هو أيضًا عضو في لجنة منظمة SIHR، التي يشارك فيها ربنه نابا بصفته عضوًا في مجموعتها الاستشارية.

ويُخبرنا موقع "easymonitoring.ch" أنَّ حلَّ معهد IIPJHR تمَّ بسبب "متابعة قضائية تتعلق بديون مستحقة".¹²⁵ ويكشف التقرير عدم سداد ستة أشهر من الإيجار بتكلفة إجمالية تقدر بـ 30900 فرنك سويسري.¹²⁶

وكان من الغريب أيضًا أن نكتشف تلك الصلة الوثيقة بين المعهد الدولي للعدالة وحقوق الإنسان IIPJHR واليمين الفرنسي المتطرّف. فقد أفادت الصحافة السويسرية عن وقوع اضطرابات في "بيت الجمعيات" في جنيف لمنع انعقاد مؤتمر حول سوريا ينظمه المعهد.¹²⁷ وذكرت المنشورات التي تمَّ توزيعها بالمناسبة، مشاركة منظمين اثنين آخرين هما "تجمع السوريين في سويسرا" (جمعية قرية من نظام بشار الأسد) وجمعية "المساواة والمصالحة" المقرّبة من اليمين المتطرّف الفرنسي.¹²⁸

أما المنظمة الأخرى فهي SIHR المسجّلة في السجل التجاري لمقاطعة جنيف تحت الرقم الفيدرالي CH-660.0.503.010-7،¹²⁹ ويرأسها هيثم منّاع، الذي حظي بإطراء مميّز في مقالة أشاد به فيها ربنه نابا، على موقع "مدنيّة".¹³⁰ نجد العلاقة بين هيثم منّاع ولؤي ديب ومنظمتها SIHR و GNRD موضحة بشكل أحسن من قبل الصحفي براين ويتاكر:

في سويسرا، صرّح المدّعي العام لمقاطعة جنيف أنه "اتخذ إجراءات جنائية" تشمل GNRD ومنظمة أخرى، SIHR، أسّسها ديب ومنّاع. وبحسب المدّعي العام، فإنّ ديب ومنّاع "معنيان بهذه الإجراءات".¹³¹ (مترجم من الإنجليزية)

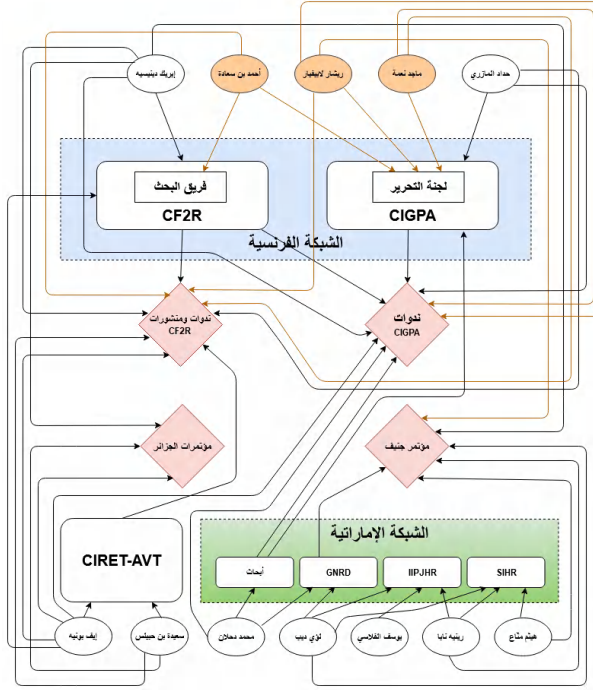
وفي نفس المقالة، يخبرنا الصحفي أن المنظمين (SIHR و GNRD) تشتركان في نفس العنوان في جنيف وأنّ منّاع قد شارك في العديد من الفعاليات التي نظمها

تشبيك أيديولوجي وسياسي

GNRD بما في ذلك مؤتمر جنيف (تمت دعوة مَنّاع لهذا المؤتمر كضيف من كبار الشخصيات VIP ومحاضر).

وفي مقال آخر، يبين الصحفي بريان ويتاكر، علاقة أخرى بين SIHR ورينيه نابا:

يمكن الاطلاع على مقال نابا الذي يدافع فيه عن GNRD على موقعه الشخصي (En Point De Mire) renenaba.com، وأيضًا على موقع libnanews.com حيث يوصف نابا بـ "الشريك"، وعلى موقع madaniya.info الذي يتولى فيه نابا منصب "المدير". وتشير ملاحظة مُدرجة على موقع madaniya.info إلى أنه يتلقى "دعمًا مؤسسيًا" من SIHR.¹³²



الشبكة الفرنسية الإماراتية

CF2R: المركز الفرنسي للأبحاث حول الاستخبارات

CIGPA: المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافي التحليلي

CIRET-AVT: المركز الدولي للبحوث والدراسات حول الإرهاب ومساعدة ضحايا الإرهاب

GNRD: الشبكة العالمية للحقوق والتنمية

IIPJHR: المعهد الدولي للعدالة والسلام وحقوق الإنسان

SIHR: المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان

7. دار النشر ابيك (APIC)

يقع على عاتق أيّ دار نشر، من باب الأمانة الفكرية، الالتزام بمراجعة أيّ كتاب قبل نشره وواجب فحص استنتاجاته. ونظرًا لهشاشة ما تضمّنه كتيب بن سعادة، أردنا أن نفهم الأسباب التي دفعت إصدارات أبيك (APIC)، لنشر "كتاب استقصائي" مدعوم بأدلة ضحلة ومثير للجدل سياسيًا.

طبيعة ردّ فعل دار أبيك على إعلان البروفيسور لهواري عدّي، الذي كان هدفًا للكثير من القذف في الكتيب، عن نيته تقديم شكوى بالتشهير "بمجرد أن تتضح الظروف السياسية في البلاد"،¹³³ تحمل دلالة واضحة. فلم تجد أبيك لتردّ على السيد عدّي طريقة أفضل من الإمعان في أسلوب المراوغة الذميمة، واستخدام ضد لهواري عدّي مغالطة الذنب بالارتباط بـ "الإرهابي" ومن ثمّ المنبوذ مراد دهيّنة،¹³⁴ وبناءً عليه، يُلاحظ أنّ الناشر والمؤلف ينهلان من نفس سجلّ المغالطات، للتهرب من المناقشات الرصينة الموضوعية.¹³⁵

تنتمي أبيك إلى "شبكة الناطقين بالفرنسية" التابعة لـ "التحالف الدولي للناشرين المستقلين"،¹³⁶ الذي يحظى بدعم من عدة مراكز نفوذ فرنسية وفرنكوفونية، منها الوكالة الفرنسية للتنمية (AFD) والمركز الوطني للكتاب (CNL) والمجلس الإقليمي في منطقة إيل دو فرانس (Ile-de-France) الفرنسية ومؤسسة فرنسا والمعهد الفرنسي والمنظمة الدولية للفرنكوفونية.¹³⁷

نجد على الموقع الرسمي للوكالة الفرنسية للتنمية روابط مباشرة توجّه المتصفح نحو مواقع ثلاث وزارات فرنسية: وزارة الشؤون الخارجية وأوروبا، ووزارة الاقتصاد والمالية، ووزارة ما وراء البحر.¹³⁸ وفي قسم التعريف "من هي الوكالة الفرنسية للتنمية؟" على الموقع، نقرأ الآتي: "الوكالة الفرنسية للتنمية هي المؤسسة العمومية التي تنفذ سياسة فرنسا في مجال التنمية والتضامن الدوليين".¹³⁹ أما المركز الوطني للكتاب، فهو مؤسسة إدارية عامة تابعة لوزارة الثقافة الفرنسية، تقدّم عدة أنواع من المساعدة، بعضها

لنناشرين، ويمثل أحد أهداف المركز في "المشاركة في الدفاع عن اللغة والثقافة الفرنسية وترويجها"¹⁴⁰.

يبدو أنّ لا بن سعادة ولا دار النشر أبيك يرون وجه المفارقة بل وسخرية المشهد، في نشر كتاب ينتقد المنظمات غير الحكومية الجزائرية بسبب تمويلها من وكالات حكومية أمريكية، في وقت تتلقى دار أبيك نفسها تمويلًا من وكالة حكومية فرنسية. ربما لأنها يعتقدان أنّ الجزائر لا زالت مقاطعة فرنسية، بما يبرر ذلك التمويل، أو يعتمدان منطق "افعل ما أقوله (بشأن التمويل الأجنبي)، ولا تفعل ما أفعله"؟ على أية حال، فإنّ إدانة الإمبريالية الأمريكية وغض الطرف عن نظيرتها الفرنسية، كفيل لوحده بتسليط الضوء على تحيّز أيديولوجي إضافي، يُلقي بثقله على مسار بن سعادة.

خاتمة

كانت نقطة الانطلاق في هذا التحقيق، محاولة فهم الأسباب التي دفعت أحمد بن سعادة لانتقاد الحراك ونزع الشرعية عنه، وفي الوقت نفسه فهم سبب دفاعه عن النظام العسكرية الجزائري. وأردنا أيضًا معرفة دوافع نعمة ولايفيار وراء التزكية الفكرية التي منحها للكتاب، واكتناه المنطق وراء نشر الكتيب من قبل دار أبيك.

نعتقد أننا قدّمنا بعض الإجابات المهمّة على هذه الأسئلة. لكن نظرًا للمسافة التي قد تفصل في بعض الأحيان، بين بصمات شخص ما على شبكة الانترنت وواقعه الفعلي، فإننا لا ندّعي أننا حقّقنا أكثر ممّا طمحنا إليه. تمثّلت مقاربتنا بشكل أساسي في رسم بعض الخطوط العريضة للبيئة الأيديولوجية والسياسية لبن سعادة، وأيضًا استكشاف علاقاته وعلاقات نعمة ولايفيار.

بعد الإشارة إلى أحد التفاصيل الهامة في سيرته الذاتية، المتعلقة بحداده الناتج عن "الحرب القذرة" الجزائرية وبعد التعليق على أنشطته داخل الفضاء التأمري الكندي، قمنا بفحص الصلة العضوية الأولى الذي تربط بن سعادة بالمركز الفرنسي للأبحاث حول

تشبيك أيديولوجي وسياسي

الاستخبارات، بصفته عضواً في "فريق بحث" هذا المركز الذي يديره إريك دينيسي، وهو نفس الهيئة شبه الاستخباراتية التي تعاونت معها سعيدة بن حيلس لعدة سنوات، وفي هذا المجال كشفنا عن بعض أوجه التعاون بين أحمد بن سعادة وبين حيلس داخل مركز CF2R.

بن سعادة ونعمة ولايفيار أعضاء في "هيئة تحرير" مركز CIGPA، المؤسسة الفكرية التي يرأسها التونسي حداد المازري، المعروف بشراصة محاربه للثورات العربية. وينشر مركز CIGPA، المعروف بعلاقاته الوثيقة مع كبار مسؤولي المخابرات الفرنسية والأجنبية، بكل قوة وإصرار، أيديولوجية "الإسلام-الأطلسي" التي تتناغم بشكل مطلق مع نظرية المؤامرة التي يتبناها بن سعادة ضد الربيع العربي والحراك الجزائري. وفي فرنسا، يروج هذا المركز لسياسة أمنية يمينية متشددة على حساب المواطنين المسلمين المعارضين أصلاً لسياسات التمييز. وتهدف العديد من الأعمال والمؤتمرات التي ينظمها هذا المركز البحثي إلى تقويض النفوذ القطري والتركي في الشرق الأوسط.

هذه الأهداف تجسّد تقاطعاً بين توجهات CIGPA بقيادة حداد المازري والأهداف الاستراتيجية لفرنسا الرسمية التي تخشى نهضة الشعوب المغاربية والعربية والأفريقية وتنامي النفوذ التركي، مما قد يعرض للخطر، وفقاً لباريس، الوضع الراهن القائم على نظام عالمي يحدده الغرب إلى حد كبير، ويقوّض نفوذ فرنسا ومصالحها في المنطقة. ويتعزّز توجه CIGPA وأنشطته بفضل قربه من مركز "أبحاث" للدراسات الإماراتي التابع لمحمد دحلان الذي يرمي جزئياً CIGPA. يعتبر دحلان، الملقب بـ"ببول" نظراً لسوء سمعته، رجل الظل للأمير البترودولار محمد بن زايد، عزّاب الثورات المضادة في العالم العربي والعدو للدود لقطر وتركيا.¹⁴¹

بحثت بقية المقال في بعض جوانب التأثير الإماراتي، ليس في بن سعادة مباشرة، إذ لا يبدو هناك رابط مباشر في هذا الاتجاه، ولكن على بعض المتعاونين المقربين منه،

ودائماً بهدف تسليط الضوء على الجوانب غير المستكشفة للحاضنة الأيديولوجية والسياسية التي يتوقع فيها بن سعادة.

وبعد ملخص موجز عن دحلان، درس المقال إحدى المنظمات غير الحكومية، وهي GNRD، التي تُستخدم كواسطة من قبل الإماراتين للترويج لأجندتهم المضادة للثورة على حساب شعوب المنطقة. وتم إعداد تقرير حول الممارسات السياسية المافيوية المنتهجة من قبل هذه المنظمة وذكر انحرافات رئيسها التي لا تقلّ إجراماً. ولتبيان ذلك، تمّ التدقيق في إحدى أنشطة هذه المنظمة غير الحكومية، ونخص بالذكر تنظيمها مؤتمراً دولياً في جنيف لمكافحة الإرهاب، شارك فيه لايفيار ونعمة ودينيسيه. وكان الغرض غير المعلن من هذا المؤتمر الفخم، حسب أحد المحللين، هو التفكير في كيفية تسخير آليات الأمم المتحدة لخدمة المصالح الخاصة للدول المؤثرة.

يبين القسم الأخير من هذا المقال أنّ دار النشر الجزائرية أبيك (APIC)، التي نشرت كتيب بن سعادة، تتلقى تمويلاً من وكالات حكومية فرنسية. ربما بن سعادة، الذي ينتقد المنظمات غير الحكومية الجزائرية التي تمولها وكالات حكومية أمريكية ويتعاضد عن تمويل ناشر كتابه من قبل الوكالات الحكومية الفرنسية، يقرّ معنا أنّ "السخرية تُعدّ أكثر أنواع الأساليب شيوعاً في تظهر الأقدار".

على أيّ حال، هذه المفارقة الساخرة توضح بشكل تامّ تحيزاً أيديولوجياً آخرًا يتخلل مقارباته. وهذه المفارقة تعكس صورة النظام العسكري القائم على الرداءة، الذي يدافع عنه بن سعادة، نظام يدين اليد الأجنبية في كل وقت وكل مناسبة، بينما يكاد ينهار لولا هذه اليد الأجنبية التي تشكل العكاز الذي يتكى عليه.

¹ أحمد بن سعادة "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" دار نشر APIC، الجزائر العاصمة، 2020.

² أحمد بن سعادة: مسار حياة، Ahmedbensaada.com، 17 فبراير 2010.

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=177:cheminement-de-vie&catid=37:societe&Itemid=75

³ المصدر نفسه.

⁴ ميليسا زيمدارس. مصادر "الأخبار" الكاذبة والمضللة والمغرية والساخرة، كلية جنوب تكساس، 2016.

https://docs.google.com/document/d/10eA5-mCZLSS4MQY5QGb5ewC3VAL6pLkT53V_81ZyitM/preview

⁵ أنا كاتا. صندوق باندورا ما بعد الحداثة: معلومات مضللة لمكافحة التطعيم على الإنترنت. 30 ديسمبر 2009.

<https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/20045099/>

⁶ صحيفة Le Monde، أداة Décodex.

<https://www.lemonde.fr/verification/source/mondialisation-ca/?xtor=AL-33281008>

⁷ News Guard Tech. Mondialisation.ca، أبريل 2020.

https://www.newsguardtech.com/wp-content/uploads/2020/04/Mondialisation.ca_FrenchVersion.pdf

⁸ المرجع نفسه.

⁹ المرجع نفسه.

¹⁰ <https://cf2r.org/equipe/bensaada-ahmed#/>

¹¹ قسم "عرض CF2R" على الموقع الرسمي لـ CF2R.

<https://cf2r.org/le-cf2r/presentation-cf2r/>

¹² المرجع نفسه.

¹³ قسم "فريق البحث إريك دينيسيه" على موقع CF2R الإلكتروني.

<https://cf2r.org/equipe/denece-eric/>

¹⁴ قسم "الحوكة CF2R" على موقع CF2R.

¹⁵ المرجع نفسه. قسم اللجنة الاستراتيجية – التشكيلة.

¹⁶ فاليري سيغوند، "الثورات العربية ما هي إلا انقلابات عسكرية مقنعة"، La Tribune، 1 يونيو 2011.

<https://www.latribune.fr/actualites/economie/international/20110601trib000626151/les-revolutions-arabes-ne-sont-que-des-coups-d-etat-militaires-masques.html>

¹⁷ المرجع نفسه.

¹⁸ إريك دينيسيه، "الوهم الكبير للثورات" العربية، Afrique Asie، 27 نوفمبر 2012.

<https://www.afrique-asie.fr/la-grande-illusion-des-revolutions-arabes/>

¹⁹ إريك دينيسيه، "من أوكرانيا إلى الربيع العربي: ثورات غير مجدية وتدخلات فوضوية"، Atlantico، 21 أكتوبر 2015.

<https://www.atlantico.fr/decryptage/2398116/d-ukraine-en-printemps-arabes-revolutions-inutiles-et-interventions-chaotiques-eric-denece>

²⁰ إريك دينيسيه، فرنسا في خطر: أين الاستخبارات؟ Thinkerview، 11 سبتمبر 2019 (الدقيقة 8:21).

<https://www.youtube.com/watch?v=mx5QlspmmE8>

تشبيك أيديولوجي وسياسي

²¹ حوار محسن عبد المؤمن مع إريك دينيسيه. رشاد، دعم من CIA و DGSE للجماعات المسلحة الإسلامية: ما كشف عنه إريك دينيسيه. Algeriepatriotique.com، 24 يوليو 2020.

<https://www.algeriepatriotique.com/2020/07/24/rachad-soutien-de-la-cia-et-de-la-dgse-aux-gia-les-revelations-deric-denece/>

²² مؤتمر CF2R. جنود الإرهاب الذي ضرب فرنسا: التهديد العالمي للفكر الوهابي. 18 من كانون الثاني 2017.

<https://www.cf2r.org/wp-content/uploads/2017/05/Programme-colloque-wahhabisme.pdf>

²³ مؤتمر CF2R بالتعاون مع روكسانا كريستيا ورينشار لايفيغار وأندريس دافيل فالديفيرو (ESCE). مكافحة تمويل الإرهاب: تحديات جديدة. 5 ديسمبر 2017.

https://www.cf2r.org/wp-content/uploads/2017/11/CR_Colloque_5-de%CC%81cembre.pdf

²⁴ قسم البرنامج. نفس المرجع.

²⁵ نفس المرجع.

²⁶ CF2R تحت إشراف إريك دينيسيه. الوجه الخفي للثورات العربية، طبعات 2012 ellipses، ISBN 9782729878757.

²⁷ Algeria360. التهديد الإرهابي في ظل الأوضاع في ليبيا، محل نقاش في باريس: الرأي العام الدولي معني بالأمير. Algeria360.com، 18 سبتمبر 2011.

<https://www.algerie360.com/la-menace-terroriste-a-la-lumiere-de-la-situation-en-libye-en-debat-a-alger-lopinion-internationale-interpellee/>

²⁸ "من الربيع العربي إلى الشتاء الإسلامي"، El Watan، 9 يناير 2013؛ "اختراق الإسلاميين، الهيمنة الأمريكية، زعزعة استقرار البلدان، الوجه الخفي للربيع العربي، Algeria 360، 9 يناير 2013.

²⁹ <https://meteopolitique.com/Fiches/guerre/Libye/559/Libye-un-avenir-incertain.pdf>

³⁰ https://cf2r.org/wp-content/uploads/2012/02/CF2R-CIRET-AVT_THE_L.pdf
<https://cf2r.org/recherche/syrie-une-libanisation-fabriquee-2-2/>

³¹ بن حبيلس سعيدة، ليزين آن ماري ودينيسيه إيريك ولايفيار ريشار. المرجع السابق.

³² Cigpa.org قسم "الفريق / هيئة التحرير".

<https://cigpa.org/lequipe/comite-de-redaction/>

³³ <https://cigpa.org/mezri-haddad-printemps-arabe-bilan-securitaire-economique-geopolitique/>

³⁴ https://www.journal-officiel.gouv.fr/associations/detail-annonce/associations_b/20160042/1248

³⁵ <https://cigpa.org/identite/>

³⁶ <https://cigpa.org/a-propos-de-cigpa/administration/>

³⁷ بنجامين بارث، "من غزة إلى أبو ظبي، صعود محمد دحلان المثير للجدل"، Le Monde، 6 أكتوبر 2017.

³⁸ https://fr.wikipedia.org/wiki/Mezri_Haddad

³⁹ <https://www.atlantico.fr/fiche/mezri-haddad-1957360>

⁴⁰ اختتام الندوة من حداد المازري رئيس CIGPA "الإنجراف الأردوغاني الإسلاموي والعثماني الجديد، كيف أصبح الحليف الغربي تهديدًا عالميًا؟" ندوة نظمها المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشرافية، السبت 29 فبراير 2020 في دار الكيمياء بباريس.

تشبيك أيديولوجي وسياسي

<https://cigpa.org/mezri-haddad-synthese-et-cloture-du-colloque-cigpa-sur-la-derive-panislamiste-et-neo-ottomane-derdogan-video/>

⁴¹ https://fr.wikipedia.org/wiki/Mezri_Haddad

⁴² https://fr.wikipedia.org/wiki/Mezri_Haddad

⁴³ تونس لا تعيش كابوسا. حداد المازري. Le Monde، 6 فبراير 2001. دار الكيمياء، باريس.

⁴⁴ https://fr.wikipedia.org/wiki/Mezri_Haddad

⁴⁵ حداد المازري "فيلسوف" المثلث الخانع. Pierrot LeFou. تونس فوكاس، 29 يونيو 2019.

<https://www.tunisiefocus.com/politique/mezri-haddad-le-philosophe-lecheur-de-culs-211338/>

⁴⁶ <https://www.dailymotion.com/video/xgkd9k>

⁴⁷ https://fr.wikipedia.org/wiki/Mezri_Haddad

⁴⁸ مقابلة أجراها جان جاك بوردين مع حداد المازري على قناة BFMTV، 13 يناير 2011.

https://www.youtube.com/watch?v=LOPT_mYd54k

⁴⁹ حداد المازري. هذه الجحافل من المتعصبين سوف تغتصب الناس قريباً في بيوتهم. BFMTV.com، 13 يناير 2011.

https://www.bfmtv.com/politique/ces-hordes-fanatisees-vont-bientot-violer-les-gens-chez-eux_AN-201101130029.html

⁵⁰ https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=207:mezri-haddad-repond-a-naoufel-brahimi-el-mili-&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119%20Mezri%20Haddad%20r%C3%A9pond%20%C3%A0%20Naoufel%20Brahimi%20El-Mili

⁵¹ https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=207:mezri-haddad-repond-a-naoufel-brahimi-el-mili-&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119%20Mezri%20Haddad%20r%C3%A9pond%20%C3%A0%20Naoufel%20Brahimi%20El-Mili

⁵² <https://www.facebook.com/mezri.haddad/posts/3298303416927722>

⁵³ <https://www.facebook.com/mezri.haddad/posts/3298303416927722>

⁵⁴ حداد المازري. الوجه الخفي للثورة التونسية: الإسلاموية والغرب، تحالف شديد الخطورة. Apopsix، باريس (2011).

⁵⁵ الربيع العربي أم الشتاء الإسلامي؟ حداد المازري. Le Quotidien d'Oran، 5 أكتوبر 2011.

http://www.lequotidien-oran.com/?archive_date=2011-10-05&news=5158356

⁵⁶ الربيع العربي أم الشتاء الإسلامي؟ المازري حداد. Le Quotidien d'Oran، 5 أكتوبر 2011.

http://www.lequotidien-oran.com/?archive_date=2011-10-05&news=5158356

⁵⁷ الوجه الخفي لما يسمى بثورة الياسمين. حداد المازري. Outre-Terre 2011/3 (رقم 29)، الصفحات من 211 إلى 232.

<https://www.cairn.info/revue-outre-terre1-2011-3-page-211.htm>

⁵⁸ الربيع العربي أم الشتاء الإسلامي؟ حداد المازري. Le Quotidien d'Oran، 5 أكتوبر 2011.

http://www.lequotidien-oran.com/?archive_date=2011-10-05&news=5158356

⁵⁹ <https://cigpa.org/mezri-haddad-synthese-et-cloture-du-colloque-cigpa-sur-la-derive-panislamiste-et-neo-ottomane-derdogan-video/>

⁶⁰ <http://www.mfa.gov.cy/mfa/mfa2016.nsf/All/5669E860BB065B5CC2257FAA0030DD26?OpenDocument>

تشبيك أيديولوجي وسياسي

⁶¹ انظر المراجع 37 و62.

⁶² <https://cigpa.org/mezri-haddad-printemps-arabe-bilan-securitaire-economique-geopolitique/>

⁶³ محاكمة القادة. برنامج "الاتجاه المعاكس" فيصل القاسم، الجزيرة، 3 يوليو 2001.

<https://www.aljazeera.net/programs/opposite-direction/2004/6/4/%D9%85%D9%84%D8%A7%D8%AD%D9%82%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D8%A7%D9%85>

⁶⁴ حداد المازري "فيلسوف" المتعلق الخنوع. Pierrot LeFou. تونس فوكس، 29 يونيو 2019.

<https://www.tunisiefocus.com/politique/mezri-haddad-le-philosophe-lecheur-de-culs-211338/>

⁶⁵ الإرهاب الإسلامي، هذا ابن الزاني من "الربيع العربي". حداد المازري. Huffington Post، 20 مارس 2015.

https://www.huffingtonpost.fr/mezri-haddad/terrorisme-printemps-arabe-islam-radical_b_6910412.html

⁶⁶ <https://cigpa.org/mezri-haddad-synthese-et-cloture-du-colloque-cigpa-sur-la-derive-panislamiste-et-neo-ottomane-derdogan-video/>

⁶⁷ <https://cigpa.org/mezri-haddad-synthese-et-cloture-du-colloque-cigpa-sur-la-derive-panislamiste-et-neo-ottomane-derdogan-video/>

⁶⁸ <https://www.atlantico.fr/fiche/mezri-haddad-1957360>

⁶⁹ <https://fr.wikipedia.org/wiki/Atlantico>

⁷⁰ هل قال محمد "كل شيء قد تم غفرانه"؟ محمد مكة ربما، لكن محمد المدينة المنورة، ليس مؤكداً... "مقابلة مع حداد المازري. Atlantico، 19 يناير 2015.

<https://www.atlantico.fr/decryptage/1957361/mahomet-aurait-il-dit-tout-est-pardonne-celui-de-la-mecque-peut-etre-mais-celui-de-medine-moins-sur-mezri-haddad>

⁷¹ "حداد المازري يحضر المؤتمر الرئاسي الرابع للجبهة الوطنية"، smosaiquefm.net، 17 نوفمبر 2016.

<https://www.mosaiquefm.net/fr/actualites-internationales/51271/mezri-haddad-assiste-a-la-4eme-convention-presidentielle-du-fn>

⁷² سيف السوداني. ظهور حداد المازري "الجهوي". Le Courrier de l'Atlas، 23 نوفمبر 2016.

<https://www.lecourrierdelatlas.com/france-le-coming-out-frontiste-de-mezri-haddad-6732/>

⁷³ حداد المازري. "فليكروني، المهم أن يخشوني!"، Espace Manager، 23 نوفمبر 2016.

<https://www.espacemanager.com/mezri-haddad-quils-me-haissent-pourvu-quils-me-craignent.html>

⁷⁴ المصدر نفسه.

⁷⁵ https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=207:mezri-haddad-repond-a-naoufel-brahimi-el-mili-&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119%20Mezri%20Haddad%20r%C3%A9pond%20%C3%A0%20Naoufel%20Brahimi%20El-Mili

⁷⁶ ما تعتقده CIGPA حول الانتخابات الأمريكية. CIGPA، 11 مايو 2016.

<https://cigpa.org/cigpa-pense-elections-americaines/>

⁷⁷ ما تعتقده CIGPA حول الانتخابات الأمريكية. CIGPA، 11 مايو 2016.

<http://cigpa.org/wp-content/uploads/2017/02/Elections-am%C3%A9ricaines-CIGPA-mai-2016.pdf>

تشبيك أيديولوجي وسياسي

⁷⁸ <https://cigpa.org/category/rapports/rapports-externes/>

⁷⁹ خطاب رئيس الوزراء مانويل فالس، خطة العمل ضد التطرف والإرهاب، 9 مايو 2016.

<https://www.cigpa.org/wp-content/uploads/2016/05/Plan-daction-Manuel-Valls-2.pdf>

⁸⁰ مالك بوتيج، عضو مجلس النواب عن مقاطعة إيسون، جيل راديكالي، يونيو 2015. تقرير البعثة البرلمانية لدى وزارة الداخلية، بقرار من رئيس الوزراء في 26 فبراير 2015.

<http://cigpa.org/wp-content/uploads/2016/05/G%C3%A9n%C3%A9ration-radical.Malek-Boutih.pdf>

⁸¹ لجنة التحقيق برئاسة جورج فينيش، التحقيق في الوسائل التي تستخدمها الدولة لمكافحة الإرهاب منذ 7 يناير 2015، مسجلة برئاسة الجمعية الوطنية في 5 يوليو 2016.

<http://www.assemblee-nationale.fr/14/pdf/rap-enq/r3922-t1.pdf>

⁸² حكيم القروي. الإسلام الفرنسي ممكن. معهد مونتين، سبتمبر 2016.

https://www.institutmontaigne.org/ressources/pdfs/publications/institut_montaigne_-_un_islam_francais_est_possible.pdf

⁸³ لجنة الشؤون الخارجية برئاسة جاك ميارد. تقرير إعلامي في ختام أعمال البعثة الإعلامية المنشأة بتاريخ 14 نوفمبر 2012 بشأن الثورات العربية، مسجلة برئاسة الجمعية الوطنية بتاريخ 20 نوفمبر 2013.

<http://cigpa.org/wp-content/uploads/2016/05/Rapport-Glavany-R%C3%A9v-arabes.pdf>

⁸⁴ المصدر نفسه.

⁸⁵ https://www.lemonde.fr/international/article/2017/10/06/de-gaza-a-abou-dhabi-l-ascension-de-l-intrigant-mohammed-dahlan_5197098_3210.html

⁸⁶ بنيامين بارث. مرجع سابق.

⁸⁷ ريشار لايفيار. مرجع سابق.

<https://www.afrique-asie.fr/terrorisme-colloque-barbouzard-a-geneve/>

⁸⁸ نون بوست. محمد دحلان. مرتزق بن زايد وأخطبوط مؤامراته في الشرق الأوسط (بالعربية). نون بوست، 9 يوليو 2020.

<http://www.noonpost.com/content/37604>

⁸⁹ محمد عمر. العودة إلى دحلانستان ؟ Middle East Eye، 13 فبراير 2015.

<https://www.middleeasteye.net/fr/node/10487>

⁹⁰ المرجع نفسه.

⁹¹ المرجع نفسه.

⁹² المرجع نفسه.

⁹³ نون بوست. مرجع سابق.

⁹⁴ بنيامين بارث. مرجع سابق.

⁹⁵ تييري أويرلي. محمد دحلان، فلسطيني في ظل الصفقة الإسرائيلية الإماراتية. 18 Le Figaro أغسطس 2020.

<https://www.lefigaro.fr/international/mohammed-dahlan-un-palestiniendans-l-ombre-de-l-accord-israel-emirats-20200818>

⁹⁶ محمد عمر. مرجع سابق.

⁹⁷ ديفيد هيرست. كان محمد دحلان محل تحقيق من طرف المحكمة الجنائية الدولية بسبب صلاته بسيف الإسلام. Middle East Eye، 14 أكتوبر 2017.

<https://www.middleeasteye.net/fr/reportages/exclusif-mohammed-dahlan-fait-lobjet-dune-enquete-de-la-cpi-pour-ses-liens-avec-saif-al>

تشبيك أيديولوجي وسياسي

⁹⁸ المرجع نفسه.

⁹⁹ المرجع نفسه.

¹⁰⁰ المرجع نفسه.

¹⁰¹ جيمي ميريل ومحمد عايش. ليبيا: الإمارات تنتهك الحظر الذي تفرضه الأمم المتحدة، بتزويد حفتر بالأسلحة. Middle East Eye، 12 يونيو 2017.

<https://www.middleeasteye.net/fr/reportages/libye-les-emirats-arabes-unis-enfreignent-lembargo-de-lonu-en-fournissant-des-armes>

¹⁰² ميلينكو نيدلسكوفسكي، منفي محمد دحلان في البلقان، فولتير نت، 1 فبراير 2019؛ أتونيل رها، "صربيا: من المستفيد من مبيعات الأسلحة؟"، Osservatorio Balcani e Caucaso Transeuropa، 28 أكتوبر 2019؛ روري دوناغلي. الصفقات الغامضة للإمارات العربية المتحدة في صربية. Middle East Eye، 1 أغسطس 2018.

<https://www.middleeasteye.net/fr/reportages/les-transactions-obscur-es-des-emirats-arabes-unis-en-serbie>

¹⁰³ رينيه نابا. فيفا-قطر، GNRD، بديل للمؤجحين الغربيين؟ (3/2). Madaniya.info، 6 سبتمبر 2016.

<https://www.madaniya.info/2016/09/06/fifa-qatar-gnrd-alternative-aux-prescripteurs-occidentaux-2-3/>

¹⁰⁴ الإمارات العربية المتحدة تتصدر قائمة الشرق الأوسط في مؤشر حقوق الإنسان العالمي.

<https://www.thenational.ae/uae/uae-takes-top-spot-in-middle-east-in-global-human-rights-index-1.344619>

¹⁰⁵ https://freedomhouse.org/sites/default/files/2020-02/Freedom_in_the_World_2013_complete_book.pdf

¹⁰⁶ <https://www.cato.org/sites/cato.org/files/human-freedom-index-files/human-freedom-index-2015.pdf>

¹⁰⁷ هانز بيتر آس، أريلد أولسون، جارلي آسلاند. المنظمة الغامضة. Aftenbladet، 13 ديسمبر 2018.
<https://www.aftenbladet.no/magasin/i/On537E/the-mysterious-organisation>

¹⁰⁸ هانز بيتر آس، أريلد أولسون، جارلي آسلاند. GNRD: من أين أتت الأموال؟ Aftenbladet، 18 ديسمبر 2018.

<https://www.aftenbladet.no/magasin/i/ka939j/GNRD-Where-did-the-money-come-from>

¹⁰⁹ هانز بيتر آس. (رئيس منظمة حقوقية محكوم عليه بالسجن). Aftenbladet، 17 أكتوبر، 2018.
<https://www.aftenbladet.no/lokalt/i/A2yrEx/menneskerettighetstopp-dmt-til-fengsel>

¹¹⁰ GNRD، الموازنة بين مكافحة الإرهاب وحماية حقوق الإنسان: التحديات والفرص، المؤتمر الدولي، جنيف، 16-17 فبراير 2015.

¹¹¹ المرجع نفسه.

¹¹² بريان ويتاكر. فضيحة شبكة GNRD، Al-bab.com 16 يناير 2016.

<https://al-bab.com/blog/2016/01/gnrd-scandal>

¹¹³ بريان ويتاكر. ولية في جنيف ... وخطة GNRD الغريبة لمحاربة الإرهاب، Al-bab.com 15 يونيو 2015.

¹¹⁴ المرجع نفسه.

¹¹⁵ جولي وارد. تصريح أحد الأعضاء بعد استجابته لدعوة حضور حدث نظمته جهات خارجية، مارس 2015.

https://www.europarl.europa.eu/ep-dat/124963_15-02-2015.pdf

تشبيك أيديولوجي وسياسي

¹¹⁶ بريان ويتاكر. مرجع سابق.

¹¹⁷ المرجع نفسه.

¹¹⁸ المرجع نفسه.

¹¹⁹ <https://www.cf2r.org/wp-content/uploads/2015/01/programme-gnrd-conference-hr-ct.pdf>

¹²⁰ رينيه نابا، فيفا-قطر، حذار من منظمة غير حكومية رائدة، GNRD (1/3). Madaniya.info، 1 سبتمبر 2016

<https://www.madaniya.info/2016/09/01/fifa-qatar-haro-sur-une-ong-phare-le-gnrd-1-3/>

¹²¹ رينيه نابا، فيفا-قطر: GNRD، بديل عن الموجهين الغربيين؟ (3/2). مرجع سابق.

¹²² رينيه نابا، فيفا-قطر النرويج، GNRD: خاتمة (3/3). Madaniya.info، 11 سبتمبر 2016.

<https://www.madaniya.info/2016/09/11/fifa-qatar-norvege-gnrd-epilogue-3-3/>

¹²³ قسم "حول / رينيه نابا" على موقع www.renenaba.com.

<https://www.renenaba.com/a-propos/>

¹²⁴ السجل التجاري لمقاطعة جنيف. المعهد الدولي للسلام والعدالة وحقوق الإنسان - IIPJDH، في طور التصفية، 27 يوليو 2010.

<https://ge.ch/hrcintapp/externalCompanyReport.action?companyOfsUid=CHE-115.547.609&lang=FR>

Institut international pour la paix, la justice et les droits de l'Homme – IIPJDH, en liquidation. Easymonitoring.ch, 27 juillet 2020.

¹²⁵ المعهد الدولي للسلام والعدالة وحقوق الإنسان تحت التصفية. Easymonitoring.ch، 27 يوليو 2020.

<https://www.easymonitoring.ch/fr/registre-du-commerce/institut-international-pour-la-peace-la-justice-et-les-droits-de-l-homme-iipjdh-976291>

¹²⁶ المرجع نفسه. عنوان "أمر الدفع".

¹²⁷ فيليب باخ. توغل اليمين المتطرف في دار الجمعيات ؟ Le Courrier ، 1 مارس 2013.

<https://lecourrier.ch/2013/03/01/entrisme-dextreme-droite-a-la-maison-des-associations/>

¹²⁸ المرجع نفسه.

¹²⁹ السجل التجاري لمقاطعة جنيف. المعهد الاسكندنافي لحقوق الإنسان / مؤسسة هيثم مناع ، IDE / 27. 369.151.389 CHE يوليو 2020.

<http://ge.ch/hrcintapp/externalCompanyReport.action?companyOfrcId13=CH-660-2938016-3&ofrcLanguage=1>

¹³⁰ رينيه نابا. هيثم مناع، رئيس المعارضة السورية الديمقراطية العلمانية. Madaniya.info، 13 ديسمبر 2015.

<https://www.madaniya.info/2015/12/13/haytham-manna-president-de-l-opposition-democratique-laique-syrienne/>

¹³¹ بريان ويتاكر. الشرطة تعلن بأن دولة الإمارات العربية لا تتعاون مع التحقيق في غسل الأموال. Al-bab.com، 13 مايو 2018.

<https://al-bab.com/blog/2018/05/police-say-uae-not-cooperating-money-laundering-investigation>

¹³² بريان ويتاكر. جماعة حقوقية مفلسة و "موسوعة إرهاب". Al-bab.com، 17 سبتمبر 2016.

تشبيك أيديولوجي وسياسي

<https://al-bab.com/blog/2016/09/bankrupt-rights-group-and-encyclopedia-terrorism>

¹³³ سليم قديل (مقابلة). لهواري عدي: سأقدم شكوى ضد المؤلف ودار النشر. Reporters.dz، 22 يونيو 2020.

<https://www.reporters.dz/entretien-lahouari-addi-je-deposerais-plainte-contre-lauteur-et-la-maison-dedition/>

¹³⁴ الصفحة الرسمية لإصدارات APIC على Facebook "دار نشر Apic"، منشور على Facebook:

<https://www.facebook.com/apiceditions/posts/2486081448279144>

¹³⁵ http://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=515:2020-06-06-14-48-26&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119 ;

مراد دهينة يرد على أحمد بن سعادة، 27 يونيو 2020. <https://rachad.org/fr/?p=1712>.

¹³⁶ على موقع alliance-editeurs.org تحت قسم "المحررين / الشبكات اللغوية / الشبكة الناطقة بالفرنسية / APIC" - <https://www.alliance-editeurs.org/apic,1419>

¹³⁷ على موقع alliance-editeurs.org تحت قسم "الشركاء"

<https://www.alliance-editeurs.org/-Les-Partenaires->

¹³⁸ موقع AFD الرسمي (afd.fr)، أسفل الصفحة.

¹³⁹ موقع AFD الرسمي، قسم "الأسئلة الشائعة" <https://www.afd.fr/fr/foire-aux-questions>

¹⁴⁰ <https://centrenationaldulivre.fr/le-cnle-en-bref>

¹⁴¹ ميركا فيلينوفسكا وميلينكو نيدلكوفسكي، "محمد دحلان يتبول ولي العهد"، جيوبوليتيكا، 7 فبراير 2019.

<https://www.geopolitica.ru/en/article/mohammed-dahlan-crown-princes-pit-bull>

موسیٰ بن محمد

"سيقبا": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

صدوقية بن عكنون

-
1. مقدمة 229
 2. الأهداف: خبرة "عالمية حازمة وموضوعية تامة" 231
 3. الأنشطة: أبحاث جد قليلة، والكثير من المحاضرات 232
 4. الأساليب والمواقف: فريق سياسي أكثر منه أكاديمي، إدانة للربيع العربي 234
 - 4.1 عن تركيا ورجب طيب أردوغان 234
 - 4.2 مصر وترامب والربيع العربي 238
 5. خاتمة: مركز تفكير في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية 240
-

1. مقدمة

أحمد بن سعادة عضو في هيئة تحرير المركز الدولي للدراسات الجيوسياسية والاستشراف التحليلي (CIGPA)، وممثل له في مونتريال¹. هذا المركز عبارة عن مؤسسة فكرية مقرها في باريس، تقدّم نفسها على أنها "مستقلة بشكل تام"،

و"مستقلة عن الدول، وعن مجموعات الضغط والأحزاب السياسية والمؤسسات المالية". وأسّس مركز CIGPA حداد المازري الذي يتولّى أيضاً منصب رئيس ومدير المركز.^أ

يعتمد بن سعادة أطروحة ترى في الحراك مجرّد حركة تتحكّم فيها بشكل من الأشكال أطراف أجنبية عن بعد، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، عن طريق شخصيات سياسية موالية (من بينها لهواري عدّي وكريم طابو ومصطفى بوشاشي وزبيدة عسول) ومنظمات جزائرية منها "راج" و"رشاد"، التي تشكّل وفق هذه الأطروحة جزءاً من "شبكة الوكلاء" التي تستخدمها الولايات المتحدة للسيطرة على الحراك وتوظيفها لزعزعة استقرار الجزائر.

تسعى مختلف المساهمات المتضمنة في هذا العمل الجماعي إلى دراسة أسس المواقف التي يدافع عنها السيد بن سعادة، من أجل تقييم محتواها الحقيقي ومدى جدارتها. أما في هذا المقال، فستتّم ما قدمته المقالات الأخرى، من خلال تسليط الضوء على بعض الميول السياسية والأيدولوجية لبن سعادة، ونحاول تحقيق ذلك عن طريق تحليل مركز سيقبا (CIGPA) الذي هو عضو فيه، ونلقي نظرة تسلّط الضوء على أنشطة المركز ومواقفه للتأكد ما إذا كانت الأهداف المعلنة تتوافق مع الأهداف المتبعة بالفعل.

ولهذا الغرض، سنبدأ بتقديم عرض للمركز البحثي وأهدافه وأنشطته، وبناءً عليه، سنقدّم ملخصاً لمواقفه المعروضة والطريقة التي تعالج بها الموضوعات المختارة. وأخيراً، سنعرض حصيلة عملية التدقيق في كل هذه البيانات.

^أ سفير تونس السابق لدى اليونسكو. خصص له قسم في المقال السابق بعنوان "التشابك الأيديولوجي والسياسي" في هذا الكتاب.

"سيثبا": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

تعتمد طريقتنا في البحث فقط في منشورات CIGPA، لنمكّن القارئ من تشكيل فكرة بنفسه وتقييم ذاتي للمحتوى الحقيقي لأنشطة هذا المركز، بناءً على البيانات الواقعية المتوفرة والقابلة للتحقق منها من قبل الجميع.

2. الأهداف: خبرة "شاملة العالمية وتامة الموضوعية"

تمتثل الأهداف المعلنة لـ CIGPA في تيسير فهم أفضل للعلاقات الدولية، مع القيام في الوقت نفسه باستهداف من يعتبرهم "الأعداء الرئيسيين"، أي الإرهابيين الإسلاميين و"الدول التي تدعمهم". وبخصوص هؤلاء "الأعداء الرئيسيين"، يوضح CIGPA أنّ الكفاح الذي يخوضه ضدهم لا يقتصر على قضايا عسكرية أو أمنية حصريًا، لكنه يستند أيضًا إلى الاختلاف العميق في منظومة القيم. ويدّعي CIGPA أنه ينتمي لعالم التنوير وأنه متشبث بقيم الإنسانية وحقوق الإنسان، ويضيف المركز في موقعه للتعريف بنفسه أنه يرغب في وضع معرفته في خدمة "الحقيقة والتسامح والسلام في العالم".

يصرّح مركز CIGPA أنه يتوفر على عدّة مكاتب في جميع أنحاء العالم ولديه العديد من الخبراء من مشارب مختلفة، وهو بذلك يسعى إلى الترويج لنفسه صورة المؤسسة الفكرية التي لا يمكن اتهامها بالزعة العرقية، وأنه يدعو إلى "حوار حقيقي بين الأديان" والالتزام في ممارساته بتوجّه أخلاقي. خلاصة القول، يبدو المركز واثقًا من نفسه عندما يصرّح بأنّ "توجّهه الكوني وتنوع مشاريعه يحوّلانه القدرة على تقديم الخبرة والتحليل الموضوعي التام والعالمي الراسخ، على عكس الرؤى القائمة على المركزية الغربية أو المركزية الثقافية أو المركزية العربية وكذلك عكس التوجّهات التي تركز على المصالح الخاصة لدول أو جماعات ضغط معينة".

الخبرة والأخلاق والموضوعية الكاملة، هذه إذن هي الصفات التي ينبغي توقّعها من أنشطة CIGPA وفق تصريحاته. لكن ما الذي أنتجته هذه الأهداف الطموحة على

أرض الواقع؟ لمعرفة ذلك، سنقوم بفحص موجز لجميع أنشطة المركز، ثم نعرض الأساليب المستخدمة من قبل هذا المركز والمواقف التي يدافع عنها.

3. الأنشطة: القليل من الأبحاث والكثير من المحاضرات

يعرض موقع CIGPA الأعمال التي أنجزها ضمن أقسام "مؤتمراتنا" و"الأخبار" و"CIGPA في الصحافة" و"التقارير".

إلى جانب نشر مقتطفات فيديو عن المؤتمرات التي ينظمها CIGPA، ينقل قسم "الأخبار" مقالات أو تقارير صحفية يكتبها أعضاء "منتظمون" أو محاضرون "عرضيون" في CIGPA. إن ما يلفت نظر القارئ هو أن جميع المقالات تقريباً مخصصة لتركيا والرئيس أردوغان، منها على سبيل المثال "التهديد العثماني الجديد في البحر الأبيض المتوسط: شهية السلطان أردوغان الجديد للسلطة" بتاريخ 26 فبراير 2020 في مجلة "Valeurs Actuelles" و"إلى أين تتجه تركيا في عهد أردوغان؟" (Le Figaro، 30 أكتوبر 2016)، وخصّص أيضاً أحد المقالات للعلاقات الفرنسية المصرية "دعونا لا نكون الأغبياء الذين يخدمون مصالح الإسلاميين" (عمود منشور في Figarovox، 8 أبريل 2018).

جميع "التقارير" باستثناء واحد، هي في الواقع روابط تتوجه متصفح الموقع نحو أشغال برلمانية أنتجها سياسيون فرنسيون ليسوا أعضاء في CIGPA، لكن يبدو واضحاً أنها تنال إعجاب وتركيز المركز بحيث يعتبرها جديرة بالاهتمام والنشر، نجد من ضمنها تقريراً من معهد مونتيني (Institut Montaigne) تحت عنوان "إسلام فرنسي ممكن"، وآخر بقلم مانويل فالس (Manuel Valls) "خطة عمل ضد التطرف والإرهاب"، وثالث من مالك بوتيج "الجيل الراديكالي"، ورابع من جان فلاني (Jean Glavany) "الثورات العربية"، وآخر من جاك أتالي (Jacques Attali) "الفرانكوفونية والفرانكفيلية: محركات النمو المستديم". فيما يتعلق بالتقارير، يلاحظ أن

"سيقبها": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

الإنتاج الأصلي الوحيد لـ CIGPA هو عمل مخصص لـ "وجهة نظر CIGPA حول الانتخابات الأمريكية".¹ وسنعود إلى ذلك لاحقاً.

إنّ نظرة خاطفة تبين لنا أننا إذا استثنينا هذا التقرير اليتيم، فإنّ نشاط CIGPA الخاص به ومن إنتاجه ينحصر كلياً في تنظيم الندوات. نذكر من جملة المواضيع التي نُوقِشت في هذه الندوات: "تركيا - الغرب - العالم العربي" (2016)، "إمكانية التقارب الروسي الأمريكي وتداعياته السياسية والجيوستراتيجية على أوروبا والعالم العربي" (2017)، "خمس سنوات بعد الربيع العربي" (2016)، "استثمارات قطر في فرنسا، معادلة بالعديد من المجاهيل" (2017)، "التحديات الاستراتيجية الكبرى للتحالف الفرنسي المصري" (2018)، "المرشحون الأحد عشر للانتخابات الرئاسية في مواجهة مسألة الإسلام" (2017)، "عودة الجهاديين إلى أوروبا، ما العمل؟" (2019)، "الإنجراف الأردوغاني الإسلامي والعثماني الجديد" (2020).

لن يعثر الباحث على تقارير بحثية مفصلة وكاملة لدى مركز CIGPA، وعليه أن يكتفي بالمؤتمرات والندوات. من المتعارف عليه في عالم البحث الجامعي، أنّ الهدف من المؤتمرات هو تقديم نتائج البحث التي توصّلت إليها فرق العمل وليس الاستعاضة عن تلك الأعمال ونتائجها بالمؤتمرات وحلّ محلّها. وبالتالي، يمكننا القول أنّ مركز CIGPA لا يقوم سوى بعرض مواقف أصحاب المصلحة، دون تقديم عمل بحثي من إنتاجه، ومن ثمّ يبدو المركز في صورة مجموعة محاضرين أكثر منه مختبراً للأفكار. دعونا مع ذلك نقنصر على المؤتمرات والمقالات النادرة المعروضة من قبل المركز، ونرى هل تستوفي حقاً معايير الخبرة "شاملة العالمية وتامة الموضوعية"...

¹ يتعلّق الأمر بالانتخابات التي شهدت مواجهة بين دونالد ترامب وهيلاري كلينتون وفاز فيها ترامب.

4. الأساليب والمواقف: فريق سياسي أكثر منه أكاديمي وإدانة للربيع العربي

من بين مجمل الأعمال التي تمّ إحصاؤها، سواء كانت مقالات أو تقارير أو مؤتمرات، بما في ذلك الأعمال التي تنقل ببساطة ما تنتجه مصادر خارجية عن CIGPA، نلاحظ تركيزاً هائلاً على موضوع "الإرهاب الإسلامي" وعلى دولة على وجه الخصوص وهي تركيا أردوغان، حيث حُصص لها مؤتمران، بالإضافة إلى ستة من مجموع المقالات السبعة التي تناولها المركز. في ضوء هذا التركيز اللافت للنظر على هذه الدولة تحديداً، نسلط الضوء بتفصيل أكبر على الطريقة التي يُعالج بها CIGPA موضوع "تركيا".

1.4. عن تركيا ورجب طيب أردوغان

أقلّ ما يمكن قوله هو أنّ CIGPA لا يكتفٍ مثقال ذرة من ودّ للرئيس التركي، فمُنذ المؤتمر الأوّل الذي نظّمه CIPGA في عام 2016 اتهم أردوغان برعاية طموحات "إمبراطورية وعثمانية جديدة".² ونظرة عابرة لعناوين محاضرات هذا المؤتمر كفيلة بتبسيط الضوء على طبيعة التحليل المعتمد من قبل المتدخلين إزاء سياسة أردوغان: "تركيا الإخوان المسلمين هي بالفعل عثمانية جديدة"، "طموحات الخلافة الجديدة لرجب طيب أردوغان"، "كيف تحوّلت تركيا من الجمهورية العلمانية إلى الجمهورية الإسلامية؟"، "تركيا في الشرق الأوسط أو فن اللعب على كل الجبهات". يُلاحظ عبر كافة هذه المحاضرات، أنّ تركيا متّهمة صراحةً بإقامة "علاقات غامضة مع داعش" والاستفادة مع هذا التنظيم بفضل "تقاطع موضوعي للمصالح، أصبح واضحاً بشكل لا يمكن إخفاؤه". وعلى النقيض من ذلك، ترسم أعمال المؤتمر صورة عن روسيا باعتبارها "القوة الوحيدة التي تقاتل بجدية ودون تمييز بين داعش والقاعدة والنصرة وغيرهم من المتمردين 'المعتدلين' في سوريا".

في مؤتمره الثاني المخصّص لتركيا،³ المنعقد في فبراير 2020، مجرّد عنوان الفعالية كافٍ لا يترك أيّ مجال للشكّ في هذا الاتجاه: "الإنجراف الأردوغاني الإسلاموي والعثماني

"سيفها": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

الجديد: قبرص، أرمينيا، اليونان، ليبيا، سوريا، العراق، مصر، تونس، البلقان، أوروبا... كيف أصبح الحليف الغربي تهديدًا عالميًا؟".

لقد تمّ الفصل في الأمر ولا مجال للنقاش، إذ يعتبر CIGPA أنّ تركيا أردوغان تمثل تهديدًا عالميًا برداء "الأمية الإسلامية"، ويلوّح بشبح "عودة" الإمبراطورية العثمانية. يعود موضوع الفعالية ليكرّر ما تناوله المؤتمر الذي تمّ تنظيمه في 2016 ثمّ يزعم أنه منذ ذلك الحين، كل التطوّرات والأحداث التي جرت قد عزّزت ما حذر منه CIGPA، وأثبتت أنّ المركز أصاب في تشخيصه للمعضلة، عندما شخّص "الطموحات الأممية الإسلامية والوحدوية القومية" التي يتعيّن على "العالم الحر" مواجهتها. وهكذا حُدّد هدف المؤتمر بوضوح: تحذير الدول المعنية، العربية والغربية على السواء، بضرورة استباق الوضع وتحضير الردود على "المخاطر متعدّدة الأبعاد" التي تُسبّبها تركيا. ومن نافلة القول أنّ مواضيع تدخلات المؤتمر تندرج ضمن نفس الاتجاه وتندد بـ "الدور الحاسم لتركيا في التدمير المبرمج لسوريا" و "استراتيجية التخويف" التي تنتهجها تركيا ("كيف استطاع أردوغان السيطرة على الإسلام في أوروبا؟") وحتى بالنسبة لموضوع حالة "تونس، بلد متحكّم فيه بالقوة الناعمة العثمانية". وضمن فعاليات الحدث،⁴ تُضاف إلى تركيا تهمة أخرى وهي "التحريض على حرب أهلية في مصر من خلال دعم الإخوان المسلمين".

ليس الغرض من هذه المقالة انتقاد مواقف CIGPA من حيث الجوهر، لكن لا يمكننا المرور دون أن نسجل أنّ هذا المركز البحثي يستخدم على ما يبدو نبرة ومفردات تتمّ عن تحيّز بيّن: "الخلافة الجديدة" في تركيا تشكّل "تهديدًا عالميًا" ضد "العالم الحر"، وقد دمّرت سوريا ومصر، وتهدّد أوروبا. وكلها عناصر لغوية لا تمتّ بصلةً بدقّة وصرامة البحث الأكاديمي. هل يمكن لتنظيم الندوات المذكورة أن يدحض انطباعنا هذا؟ دعونا نتابع.

صدوقية بن عكنون

نحصى ضمن الحضور في ندوة 2016 من جملة المتحدثين الخمسة عشر، دون احتساب المنشطين للندوات، أربعة متحدثين عرب، قبرصي واحد، أما باقي الفريق فيتشكل حصرياً من متحدثين فرنسيين. ويلاحظ أنّ المتحدثين هم إمّا صحفيون أو من العالم الأكاديمي، وأحياناً يجمعون بين عدة أوصاف في الوقت نفسه، لكن العديد منهم منخرط أيضاً في عالم السياسة، على غرار حسن عصفور، وزير سابق في السلطة الفلسطينية، فرانسوا كومبانيولا (François Compagnola)، مكلف سابقاً بمهمة لدى وزير الدفاع الفرنسي وعضو في "معهد الاستشراف والأمن في أوروبا" (IPSE)، ميشيل ريمبو (Michel Raimbaud)، سفير فرنسا، زهرة منصور، "مسؤولة سياسية سابقة في وزارة شؤون المرأة" (ليبيا في عهد القذافي). نذكر أيضاً ضمن القائمة بيرنارد غودارد (Bernard Godard)، مسؤول كبير سابق في المخابرات العامة، بالإضافة بطبيعة الحال إلى ميشاليس أتاليديس (Michális Attalidis)، السفير والرئيس السابق للبعثة القبرصية لدى المجتمع الأوروبي ووزير الخارجية القبرصي السابق.

شارك في مؤتمر 2020 أيضاً خمسة عشر متحدثاً، أربعة من العالم العربي، وواحد قبرصي وآخر يوناني، أما باقي المتحدثين فهم فرنسيون. وهنا كذلك ينتمي بعض المتحدثين للأوساط الأكاديمية أو الإعلامية، لكن هذه المرة نجد أنّ ما لا يقل عن ثمانية أعضاء في فريق المؤتمر منخرطون في العمل السياسي، منهم أحمد عبد الله عبود، المستشار السياسي للمارشال حفتر (ليبيا)؛ فاليري بواي (Valérie Boyer)، نائبة عن الجمهوريين، دون أن ننسى الحضور الملحوظ لجيورجوس ليليكاس (Giórgos Lillíkas)، سياسي قبرصي ووزير خارجية جمهورية قبرص سابقاً، أو بانوس كامينوس (Panos Kammenos)، سياسي يوناني ووزير سابق للدفاع الوطني ورئيس الحركة السياسية اليونانية المستقلة.

"سيفها": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

خلاصة القول، لم يتم التعامل مع موضوع "تركيا" بتحيز واضح فحسب بل يُضاف إلى ذلك أنّ حتى فريق الخبراء المدعويين مؤلف بشكل مريب: أولاً، نلاحظ في كل مرة أن معظم المتحدثين فرنسيون وهو ما يبدو حساس ومثير للجدل، عندما يصدر مثل هذا الانتقاء عن جملة تدعي أنها ملتزمة بمنهجية عالمية. ثانياً، ما لا يقل عن نصف (أو حتى الأغلبية) من المتحدثين ينتمون إلى العالم السياسي: نواب (فرنسيون)، ومسؤولون تنفيذيون سابقون في الاستعلامات العامة، ووزراء سابقون (فرنسيون)... بل نجد حتى أعضاء سابقين في أنظمة أطاح بها الربيع العربي (مثل زهرة منصور الليبية)، وكذلك سياسيون يونانيون وقبارصة... والغريب فوق ذلك أننا لا نجد ولا سياسي تركي واحد، وإذا علمنا حدة الصراع الناشب بين تركيا واليونان وقبرص، فلا يمكن للمنظمين ادعاء الموضوعية بجدية، من خلال تنظيم مؤتمرات موجهة إلى هذا الحد.

ما يزيد الأمر غرابة، أنه بالإضافة إلى حضور وزراء خارجية قبارصة سابقين في مؤتمرات CIGPA، نلاحظ أنّ الروابط القوية لهذا المركز ومؤسسه، حداد المازري، تنعكس في تركيبة هيئات CIGPA، حيث نجد إيفاغوراس مايروماتيس (Evagoras Mavrommatis)، رئيس المجتمع القبرصي في أوروبا، عضو في اللجنة السياسية للمركز وميشاليس أتاليديس (Michális Attalídis)، وزير الخارجية القبرصي السابق، عضو في لجنته العلمية، ومن الجانب الآخر، يتولّى حداد المازري منصب المدير المشارك لمعهد ديدالوس للدراسات الجيوسياسية، الذي تأسس في مايو 2006 في نيقوسيا من قبل مجلس الوزراء القبرصي والذي وصف وزير الخارجية القبرصي ماركوس كيريانوو مهمته على النحو الآتي:

يضطلع معهد ديدالوس للدراسات الجيوسياسية، الذي تأسس في عام 2006، من بين مهام أخرى، بتوفير تحليل ومشورة مستقلة ونزيهة بشأن قضايا السياسة الخارجية الهامة.⁵

4.2 مصر وترامب والربيع العربي

هل موضوع تركيا هو الوحيد الذي يحظى بمثل هذه "المعاملة التفضيلية" من طرف CIGPA؟ للتأكد من ذلك، أردنا أن نمنح هذه المؤسسة الفكرية "فرصة" إضافية لتبرهن عن "الموضوعية الكاملة" التي تعرف نفسها بها، وندرس الطريقة التي يتم التعامل بها مع الموضوعات الأخرى. ومن شأن هذه المقاربة أن تمكننا أيضًا من دعم فحوصنا للموقف الأيديولوجي لـ CIGPA.

تضمن مؤتمر 2018 المخصص لمصر⁶ الذي تطرق لموضوع "التحديات الإستراتيجية الكبرى للتحالف الفرنسي المصري" عددًا كبيرًا من الشخصيات المنخرطة في العالم السياسي (ثمانية من بين المتحدثين الاثني عشر!)، نذكر من بينهم هنري غينو (Henri Guaino) المستشار السابق للرئيس ساركوزي، وهيوبر فيدرين (Hubert Védrine)، وإيرفيه دو شاريت (Hervé de Charette)، وزيراً خارجية فرنسا سابقين، بالإضافة إلى عدد من الأعضاء السابقين في حكومة الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك...

كان الهدف من المؤتمر هو التفكير في العلاقات التي يتعين توثيقها بين فرنسا ومصر، مع وضع جانبًا "عظات الضحية" من جانب البعض و"النزعات الاستبدادية من الطرف الآخر". أما فيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية لعام 2018، أفتصفها بتدخلات المؤتمر على النحو الآتي:

بالنسبة للبعض، تعيش مصر في ظل "دكتاتورية عسكرية" والانتخابات ليست سوى "خدعة"، أما من وجهة نظر البعض الآخر، فإن هذه الانتخابات، حتى وإن كانت ناقصة، فإنها تشكل خطوة حاسمة في إطار "مسار ديمقراطي"، تتميز بوضع هش، كونه رهينة ثلاثة قيود رئيسية.

⁶ أسفرت الانتخابات المصرية 2018 دون مفاجأة، عن إعادة انتخاب الرئيس السيسي. تأتي هذه الانتخابات في أعقاب انتخابات 2014، التي تلت انقلاب 2013 ضد الرئيس مرسي، الذي اشخب بعد الإطاحة بنظام حسني مبارك.

"سيفها": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

الملفت للنظر أنّ مقاطع معيّنة ممّا جاء في المؤتمر، ينقلها حداد المازري حرفيًا في المقالة التي نشرها في *Figarovox* "دعونا لا نكون الأغبياء الذين يخدمون دون وعي منهم الإسلاميين"،⁷ مع فارق واحد، أنّ هذه المقاطع معزّزة هذه المرة بالتعليقات التي لا تترك أيّ مجال للشك في موقف كاتب المقالة:

بالنسبة للبعض، مثل جماعة الإخوان المسلمين والمتعاطفين معهم من اليسار الإسلامي في فرنسا، تعيش مصر في ظل "دكتاتورية عسكرية" تقمع الحريات الفردية وتسجن المعارضين. وبالتالي فإن الانتخابات الرئاسية ليست سوى "مهزلة" ومن ثمّ يجب مقاطعتها. وهذا الخطاب تكرّره "آيات الله" الدفاع المزعوم عن حقوق الإنسان الأرثوذكسي، الذين فقدوا الكثير من بريقهم منذ "الربيع العربي" المقدس، الذي يمكننا أن نرى اليوم تراكم آثاره، سواء في الدول العربية المدّمرة، مثل تونس وليبيا وسوريا واليمن، أو في الدول الأوروبية، بالنظر إلى ما نجم عنه من موجات الهجرة وانتشار الإسلاموية الإجرامية، التي ضربت للتو في إقليم لود (Département de l'Aude).

أما الآخرون، الذين "يؤمنون" بالانتخابات الرئاسية المصرية، فيؤصّفون في المقالة بأنهم "على وجه الخصوص مراقبون ومتخصّصون على دراية واسعة بالواقع الاجتماعي والسياسي والجيوستراتيجي والاقتصادي والأمني لهذا البلد".

في بقية عموده، يشيد حداد المازري بـ "مقاومة" إيمانويل ماكرون لـ "ضغوط وُعَاطِ الأخلاق" مثل منظمات حقوق الإنسان. بالنسبة للسيد حداد، فإنّ الحكومة المصرية تسعى إلى تحقيق "توازن عادل بين الأمن والحرية". وكان أمام انتخابات 2014 التي أعقبت انقلاب السيسي⁸ وانتخابات 2018 التي أسفرت عن إعادة انتخابه، نفس التحدي: الاختيار "بين الأمن والسلم الأهلي والتقدّم الاقتصادي والاجتماعي من جهة، أو الحكم الإسلامي الإرهابي للإخوان المسلمين من ناحية أخرى".

مثلاً هو الأمر بالنسبة للمؤتمر حول تركيا، فإنّ الندوة المخصّصة لمصر جرت هي كذلك بطريقة لا يُستشفّ منها أيّ موضوعية. ففي عمود حداد المازري، الذي تُدكّر

بالمناسبة أنه مؤسس-رئيس-مدير CIGPA، يبدو التوجّه الذي أراد مركز الأبحاث فرضه على المؤتمر واضحاً وضوحاً تاماً: دعم إيمانويل ماكرون في سياسته لتوثيق الصلة بنظام المارشال السيسي، تجاهل وازدراء الشكاوى الواردة من منظمات حقوق الإنسان، وكل ذلك تمّ، مرة أخرى، باستخدام عناصر لغوية تدلّ على الافتقار الصارخ للزمة الأكاديمية وصرامة البحث. وليس ثمة أيّ وجه للاستغراب في انتقاء بعناية فائقة أعضاء لجنة الخبراء التي استدعيت لحضور المؤتمر: ثمانية متحدثين لا يملكون أيّ خبرة تبرّر حضورهم، باستثناء مشاركتهم السابقة أو الحالية في السياسة، إلى جانب أغلبية من المتحدثين الفرنسيين، ومن بين الضيوف المصريين نسجل أغلبية... من أعضاء سابقين أو سفراء في عهد حسني مبارك.

إذا أردنا التخلّص من أيّ شك حول توجّه وأساليب مركز CIGPA، يكفي أن نقرأ تقرير مايو 2016 المخصّص للانتخابات الأمريكية،⁹ حيث يُعلن CIGPA "مُتّيه بشدة" فوز دونالد ترامب، من أجل إحداث قطيعة مع سياسة أوباما الذي دمر عن طريق "قوته الناعمة" عدة دول عربية، بسبب دعمه للربيع العربي "الذي لم يكن في الواقع سوى 'شتاء إسلامي-أطلسي'..."

5. خاتمة: مركز تفكير في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

في ضوء حملة بن سعادة المتواصلة دون كلل أو ملل في اتهامه الحراك بأنه خاضع للنفوذ الأمريكي، أردنا استكمال هذا العمل الجماعي بتحليل "مؤسسي"، يقوم على فحص بعض أنشطة أحمد بن سعادة. وتحقيقاً لهذا الغرض، ركّزنا على مركز CIGPA، الذي ينتمي إليه أحمد بن سعادة، بصفته عضواً في هيئة التحرير وممثلاً عنه في مونتريال.

يقدم CIGPA نفسه على أنه مؤسسة فكرية أخلاقية، يلتزم الموضوعية والاستقلالية، لكن بعد فحص البيانات الواقعية التي جمعناها حول CIGPA، يمكننا تقديم الملاحظات الآتية:

1. مركز CIGPA ليس هيئة منتجة للأفكار: ينظر عالم البحث الأكاديمي بشكل عام إلى مراكز الأبحاث من مسافة بعيدة. وكون مراكز الأبحاث منظمات خاصة، يُلَفَّ مجال تمويلها أحيانًا الكثير من الغموض، مما قد يؤثر على نتائج أبحاثها، ومع ذلك، يمكن اعتبار مثل هذه الهيئات البحثية جدرة بالاهتمام والثقة العلمية طالما واصلت في بذل الجهود لنشر أبحاث جادة. في حين يقتصر مركز CIGPA بشكل أساسي على تنظيم المؤتمرات، مع زعمه في الوقت نفسه أنه ملتزم التزامًا تامًا بالموضوعية وهو ادعاء لا تجرؤ عليه أفضل مراكز الأبحاث الجامعية.

2. مركز CIGPA ليس موضوعي: لم يكن الغرض هنا إصدار حكم قيمي أو حتى التدقيق في جوهر المواقف التي يدافع عنها CIGPA، وإنما فحص الوقائع فحسب. لكن الملاحظ أنَّ المؤتمرات التي ينظمها CIGPA ليست متعدّدة الثقافات، لأنَّ معظم المتحدثين هم من الفرنسيين، وليست "أكاديمية"، لأنها حتى وإن حضرها أحيانًا بعض الخبراء، وهم بالفعل أساتذة جامعيون أو باحثون، لكنها تقتصر بالأساس على دعوة الصحفيين مع تركيزها في المقام الأول على دعوة السياسيين الحاليين أو السابقين. فعند تنظيمها لمؤتمر لدراسة حالة تركيا، وجّه CIGPA الذي يرأسه المدير المشارك للمعهد ديدالوس القبرصي للدراسات الجيوسياسية الدعوة إلى السياسيين الفرنسيين والقبارة واليونانيين ولم يدع أي شخصية تركية. والشيء مثله بالنسبة للندوة الخاصة بدراسة الروابط بين فرنسا ونظام السيسى الذي انتخب بعد الانقلاب على مرسي (في أول انتخابات مصرية حرة بعد الربيع العربي)، إذ يلاحظ توجيه CIGPA الدعوة إلى سياسيين فرنسيين وسياسيين مصريين... شارك معظمهم في نظام حسني مبارك المخلوع.

3. يعمل مركز CIGPA وفق منظومة أخلاقية انتقائية: رغم تصريحاته المعلنة عن دفاعه عن حقوق الإنسان، لم يتردّد هذا المركز الفكري في التهوين من حجم الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي ارتكبتها الأنظمة الاستبدادية مثل نظام السيسى في

مصر، وأحيانا نفيا بحجة ضرورة محاربة "الشتاء الإسلامي-الأطلسي" الذي تسبّب فيه الربيع العربي، الذي يمثّله CIGPA مَقَّتا بِلَتًا. ومثلما رأينا آفًا، فعلى أساس هذه الأخلاقيات المتقلّبة والانتقائية، يتمّ إدانة استبداد أردوغان، بل وتقديم تركيا في صورة تهديد أممي إسلامي، في حين يُشجّع ماكرون على غض الطرف عن استبداد نظام السيسي.

يمكننا القول باختصار أنّ مركز CIGPA مؤسسة فكرية منتجة للبيانات أكثر منها إنتاجا للأفكار، ناهيك عن الأبحاث العلمية. هذه البيانات المنقولة في شكل مؤتمرات وندوات، تجمع "الخبراء" الذين ينتمون في أغلب الأحيان إلى العالم السياسي الفرنسي: سفراء سابقون، ووزراء سابقون، ومسؤولون سابقون في أجهزة الاستخبارات العامة، ونواب...

من حيث التنوع، لا نجد في الواقع سوى محاضرين تبدو "خلفية" غالبيتهم على النقيض من المزايم التي تدّعي تشكيل فريق ثري ومتنوع، بحيث نجد على سبيل المثال أنّه في موضوع مناقشة الروابط مع نظام السيسي، تُوجّه الدعوة إلى بعض الأكاديميين بالفعل، لكن الجزء الأكبر من المدعّوين يتشكّل بالأساس من السياسيين الفرنسيين، وكذلك بعض الفاعلين السياسيين السابقين الذين كانت لهم مناصب سامية في نظام مبارك، دون أن نعتز على أيّ معارض أو ناشط سياسي مستقل، ولمناقشة موضوع تركيا، تُوجّه الدعوة هنا أيضًا إلى إطار سابق في الاستخبارات العامة، وإلى سياسيين فرنسيين، وسياسيين قبارصة ويونانيين، وبالطبع، ولا أثر لأيّ ممثل يحمل رؤية للموضوع تكون قريبة من النظام في تركيا.

يتّضح في نهاية المطاف أنّ الموضوعات التي تمت معالجتها والمواقف التي اتخذت خلال تلك الفعاليات، تتفق بشكل غريب مع السياسة الخارجية لفرنسا، منها وصف تركيا بأنها تشكّل تهديدًا، والتركيز الأمني البحت في مجال محاربة الإسلاموية، وإجماع على ضرورة التحالف بين فرنسا ونظام السيسي... ولم يكلف CIGPA نفسه حتى

"سيفبا": مركز في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية

عناء إخفاء ذلك، بحيث نرى أنّ فريق خبرائه يتشكّل في كلّ مرة، من شخصيات فرنسية مسيّسة للغاية.

بالنظر إلى الروابط الوثيقة بين أحمد بن سعادة وهذا المركز البحثي، فإنه لأمر مدهش، أن نرى ذلك السيل من الانتقادات التي يوجهها إلى الحراك بشكل عام وإلى حركة رشاد بشكل خاص، وتساءل هل يُعقل أن تتهم حركة شعبية أو منظمة بأنها أداة في يد الأمريكيين، وفي الوقت نفسه يتطابق "توجسنا" من الحركات الاحتجاجية ضد الديكتاتوريات العربية تطابقاً كلياً مع مؤسسة فكرية ذات توجه أيديولوجي وسياسي في خدمة السياسة الخارجية الفرنسية؟

الإحالات

¹ <https://cigpa.org/lequipe/comite-de-redaction/>

<https://cigpa.org/mezri-haddad-printemps-arabe-bilan-securitaire-economique-geopolitique/>

² <https://cigpa.org/events/colloque-de-cigpa-15-octobre-turquie-occident-monde-arabe/>

³ <https://cigpa.org/events/colloque-cigpa-29-fevrier-2020-la-derive-panislamiste-et-neo-ottomane-derdogan/>

⁴ <https://cigpa.org/wp-content/uploads/2020/02/COLLOQUE-Turquie-2020-f.pdf>

⁵ <http://www.mfa.gov.cy/mfa/mfa2016.nsf/All/5669E860BB065B5CC2257FAA0030DD26?OpenDocument>

⁶ <https://cigpa.org/events/grands-defis-strategiques-de-lalliance-franco-egyptienne/>

⁷ <https://cigpa.org/relations-franco-egyptiennes-ne-soyons-idiots-utiles-islamistes/>

⁸ أدانت منظمة هيومن رايتس ووتش (HRW) هذه المناسبة المجزرة المنظمة سلفاً:

<https://www.hrw.org/report/2014/08/12/all-according-plan/raba-massacre-and-mass-killings-protesters-egypt>

⁹ <http://cigpa.org/wp-content/uploads/2017/02/Elections-américaines-CIGPA-mai-2016.pdf>

صناعة اليد الخارجية: مثقّف في خدمة الحراك المضاد

مخلوف لერიوي

1. السياق	245
2. المقدمة	250
3. حملة الدعم والترويج	251
4. انطلاق الحملة الترويجية	253
5. التمديد	256
6. الأثر	258

1. السياق

نظرة عابرة للتغطية الإعلامية التي حظي بها كتيب أحمد بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"¹ كفيّلة بإظهار أنّ الأمر يتعلّق في الواقع بحملة دعائية منسّقة ومُعَدّة مسبقاً بشكل محبوك، وتدخل في إطار التلميع ومحاولة إضفاء غطاء "أكاديمي" على أطروحة "اليد الخارجية" العزيزة على مخابر النظام العسكري

مخلوف لعريوي

الجزائري وتوابعه المختلفة، وتضخيم هذا الشبح الذي يُستخدم كلما أبدى الشعب رغبته وعزيمته في التغيير الفعلي، وفق ما أشار إليه كمال لخضر شاوش في مقالته 'الجزائر ونظرية' اليد الخارجية"، حيث يرسم التسلسل التاريخي لاستخدام شبح "اليد الأجنبية" منذ الاستقلال،

يدرك النظام الجزائري، مثله مثل جميع الديكتاتوريات العسكرية، أن المواطن أكثر ميلاً إلى تركيز نظريته على شبح العدو الخارجي أكثر من تركيزه على الوحوش الموجودة داخل صفوفه والتي تقترب جرائمها مطمئنة البال في ظل جوّ يضمن لها الإفلات التام من العقاب. ولهذا السبب، كلّ ما على النظام فعله للتشبث بالحكم هو اللعب على وتر الروح الوطنية لدى المواطن الجزائري المسكون بحساسية مفرطة إزاء أي شيء أجنبي.²

وهكذا، كان من الطبيعي أن تلقح القيادة العسكرية الجزائرية، منذ بداية الحراك، بشبح "اليد الخارجية"، فأتت زيارته للناحية العسكرية الخامسة، في 30 أبريل 2019، أعرب الرجل القوي في السلطة آنذاك، الفريق أحمد قايد صلاح، نائب وزير الدفاع الوطني، وقائد أركان الجيش الوطني الشعبي، بعد أسابيع قليلة من بدء الحراك في 22 فبراير 2019 عن أسفه، محذراً من:

ظهور محاولات من جانب بعض الأطراف الخارجية، انطلاقاً من سوابقها التاريخية الحاقدة على بلادنا، ودفعها أفراداً معينين إلى مقدمة المشهد الحالي وفرضهم كممثلين للشعب، لقيادة المرحلة الانتقالية، من أجل تنفيذ مخططاتهم الهادفة إلى زعزعة استقرار البلاد وزرع بذور الفتنة بين أبناء الشعب، من خلال شعارات مندسة وغير واقعية، تهدف إلى دفع البلاد نحو فراغ دستوري وتدمير مؤسسات الدولة [...] [و] تعريض للخطر كل ما تحقق منذ الاستقلال حتى الآن، من مكتسبات وإنجازات تظلّ محلّ فخر الأجيال.³

هذه الحملة الدعائية المروّجة لكتيب أحمد بن سعادة، والتي تولّت تنسيقها بشكل خاص وسائل الإعلام والهيئات الصحفية الرسمية، تمت في سياق سياسي وإعلامي مُغلق تماما في الجزائر، حيث يسيطر النظام العسكري على كل شيء، من قنوات التلفزيون والإذاعات العامة و"الخاصة" والصحف والعديد من مواقع الإنترنت. وقد لاحظ الجميع قمة تجاهل الإعلام الجزائري الخاضع للأوامر لمسيرات الحراك في أوج زخمها، عندما كان الملايين من المواطنين يجوبون الشوارع للتعبير عن رغبتهم في تغيير حقيقي للنظام السياسي، بل قامت هذا المنابر الإعلامية في كثير من الأحيان بتضليل المشاهدين من خلال بث مقاطع مصوّرة من بعض المسيرات مصحوبة بتعليقات كاذبة ملفقة، تزعم تمجيد النظام، المعروف عنه عدم استعداده المطلق للانتقادات وعدم تحمّل من يخالفه الرأي والوجهة، ولا يسمح إلا بالأصوات المتناغمة معه والمتسقة مع حقيقته الرسمية، في ظل مناخ تسوده الرقابة الذاتية على أوسع نطاق، مع حجب مُمنهج للأصوات المعارضة وقمعها.

ومنذ القدم يتحكم النظام في وسائل الإعلام من خلال سياسته المألوفة، بأسلوب "العصا والجزرة" العتيق، ويضمن بذلك ولاءها بفضل صفحات الإعلانات التي يمنحها بسخاء لكل من دخل في الصف، خاصة الصحف التي تُدرك أن بقاءها مرهون بتلك المنح التي توفرها لهم وكالة الإشهار الحكومية، ومن جهة ثانية، يسلّط هذا النظام وسائله القمعية ضدّ كل من تحدّثه نفسه بالاستقلال والتحرّر من وصايته، مثلاً يبيّنه التصعيد الملحوظ في هذه الحملات منذ تعيين عمار بلحيمر وزيراً للاتصال.

وليس مستغرباً أن يكون الوزير قد تلقّى أوامر واضحة بتشديد الرقابة الإعلامية، من مركز النظام الفعلي الذي يملك السلطة الحقيقية، أي من أجهزة الاستخبارات في

"مركز بلعروسي"^أ أو "مركز عبلة" في بن عكنون^ب. إلى جانب السيطرة المباشرة والفعّالة من قبل هذه المراكز على كتائب الصحفيين والعاملين في المجال السمعي البصري التي تحولت بمرور الوقت وحاسّة زائدة، إلى "كوماندوس إعلامي"⁴ حقيقي، يستخدم النظام العسكري "ذراع القضاء" لإجهاض وإخماد كل محاولة للتخلّص من سيطرته.

ومن أجل مزيد من التضيق وكم أنفاس وسائل الإعلام، مرّر وزير العدل غير الشرعي بلقاسم زغماتي في 22 أبريل 2020، قانوناً للتصويت عليه، أمام برلمان غير شرعي هو أيضاً، في إطار إصلاح قانون العقوبات، وهو قانون قمعي مكبل للحريات،⁵ "يتعارض مع تطلعات الشعب الجزائري ورغبته في بناء دولة ديمقراطية"⁶ وفق تصريح سعيد صالح، نائب رئيس الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان.

هذه الترسّانة القضائية التي تهدف إلى فرض عقوبات صارمة على وسائل الإعلام والصحفيين الذين ينشرون معلومات من شأنها "تهديد النظام العام والأمن [...] وأمن الدولة والوحدة الوطنية"، أو على الوسائل التي تستفيد من التمويل الأجنبي (يلاحظ استعمال مصطلحات غامضة، تسمح للمدعين العامين والقضاة بتفسيرها حسب هواهم)، تذكّرنا بالمرسوم الوزاري المتعلّق بمعالجة الأخبار،⁷ الصادر في 7 يونيو 1994، والمصنّف أصلاً لإضفاء غطاء قانوني على حملات القمع في التسعينيات، والذي يوعز قسمه السابع إلى الصحفيين، بتضخيم وقائع "التواطؤ مع الدول الأجنبية":

7 °) إبراز التواطؤ مع الأطراف الخارجية؛

^أ مركز الاتصال والنشر التابع لأجهزة المخابرات الجزائرية، تحت قيادة العقيد طاهري زير الملقب بالحاج الزير والعقيد فوزي والعقيد بوزيدي الملقب عبقة، المتحكّم في مجموعة وسائل الإعلام الوطني ومنسق سياسة التلاعب والدعاية والتضليل الإعلامي للنظام العسكري.

^ب يتعلق الأمر بـ "مركز عنتر"، اسم الكتلة التي تأوي مركز العمليات الرئيسي لأجهزة المخابرات الجزائرية، وأعاد الجزائريون تسميته بهكنا بـ "مركز عبلة". لقد اكتسب هذا المركز سمعة جد سيئة ودموية، لكونه موقع يُعذب فيه الأبرياء، إلى حدّ الموت في الكثير من الأحيان.

صناعة اليد الخارجية

- الدعم المالي واللوجستي وما إلى ذلك، من إيران والسودان...
- تدريب الأفغان؛
- الدعوات المرفوعة لمقاطعة الجزائر والإضرار بمصالحها الاقتصادية الحيوية؛
- الاتصالات مع قوى أجنبية للتفاوض معها حول دعمها، مقابل وعود أو تعهدات لخدمة مصالح هذه القوى في الجزائر؛
- الصفقات السرية مع أعداء الجزائر، وما إلى ذلك...

إن الاتجاهات التحريرية لبعض وسائل الإعلام تعطي انطباعًا واضحًا بأنّ تعميمًا مماثلًا يجري العمل به حاليًا، وقد استُبدلت فقط أطرافه، ليحلّ هذه المرة محلّ إيران والسودان، دول مثل قطر وتركيا والإخوان المسلمين!

وهكذا، اتّسع نطاق القمع الشرس ضد وسائل الإعلام المتمردة (من اعتقالات، ومضايقات قضائية وأمنية، وإغلاق)، ليطل في الأشهر الأخيرة العديد من الصحفيين المشهورين والمعترف بمهنتهم واستقلاليتهم، مثل مصطفى بن جمعة، وعادل عزب الشيخ، وبلقاسم جير، وخالد درارني، وعبد الكريم زغيليش، وعبد السميع عبد الحّي وآخرين، وكذلك تعرّضت مواقع إخبارية موثوقة مثل "Maghreb Emergent" و "Radio M" و "Interlignes"، لعمليات الخنق وإخضاعها للحجب مثل مواقع أخرى، بما في ذلك موقع حركة رشاد. وقد انتقد المدافعون عن حقوق الإنسان في الجزائر بلهجة شديدة ما تتعرّض له هذه المنابر الإعلامية الحرّة من قمع، مثلما انتقدته المنظمات الدولية للدفاع عن الصحفيين وحرية الصحافة، على غرار "مراسلون بلا حدود"،⁸ التي صنّفت الجزائر من حيث حرية الصحافة، في عام 2020، في المرتبة 146 من أصل 180 في الترتيب العالمي.⁹

تحاول هذه المقالة تبين كيف وظّف النظام الجزائري أحمد بن سعادة وكتيبه لاختلاق "خبير" في العلوم السياسية وصناعة منه "بطلًا" وطنيًا يقف متصديًا لأعداء الجزائر، وسنعرض بالتفصيل، حملة الدعاية التي تمّ تنسيقها حول كتيبه المؤامراتي، المرّين بطبقات من الطلاء الأكاديمي الزائف، والمروّج للدعاية المناهضة للحراك.

2. التقديم

أحمد بن سعادة معروف لدى قراء الصحافة الجزائرية منذ 2011، خاصة من خلال التقارير المنشورة حول كتيبه السابق "الأرابيسك الأمريكي"¹⁰ في 21 أبريل 2019، نظمت علياء بخاري مقابلة¹¹ معه على صحيفة الجمهورية حول الحراك والتدخل الأجنبي، وفي نهاية 2019 تولت قنوات الاتصال الحكومي الرسمية ووسائل إعلامها، مهمة الترويج له على نطاق واسع.

الملفت للنظر، أنه قبل أيام قليلة من الانتخابات الرئاسية التي فرضها الجيش، وفي وقت كان غالبية الجزائريين والجزائريات يهتفون خلال مسيرات الحراك، ويرفعون أصواتهم رفضاً لهذه الانتخابات، فضّلت "الإذاعة الجزائرية" أن تدير ظهرها للشارع وتنقل بدل ذلك في 1 ديسمبر 2019، صوت أحمد بن سعادة، الذي صرح جازماً بأنه من غير الممكن ألا تكون الجزائر مستهدفة بمؤامرات أجنبية.¹²

من جهتها نشرت صحيفة "Le Courrier d'Algérie" في 2 ديسمبر 2019 مقابلة مع أنيا نايت شعلال، تصريحاً لأحمد بن سعادة يعلن فيه أنّ الحراك "يطرح مشاكل خطيرة للديمقراطية"¹³ ثم تلتحق بالركب صحيفة "الجزائر اليوم" لتردّد قوله، يوم 5 ديسمبر 2019، بأنّ هناك مؤشّرات تدلّ على أنّ الحراك يتمّ استغلاله لخدمة أجندات خارجية.¹⁴ ودائماً في 5 ديسمبر 2019 يُصرّح أحمد بن سعادة للصحفي محمد بوطرار من جريدة "الوسط" بأنّ "الولايات المتحدة دعمت مادياً منظمة غير حكومية لحقوق الإنسان وجعلتها وقوداً لإشعال فتيل الحراك في الجزائر".¹⁵

في 2 يناير 2020، نشر حسين نفاح مقابلة مطوّلة¹⁶ مع أحمد بن سعادة، على أعمدة "L'Expression" للإشارة إلى التمويل الأمريكي للمنظمات غير الحكومية الجزائرية، وذكر بشكل عام في هذا اللقاء الصحفي محتوى كتاب "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" خمسة أشهر قبل نشره، فكانت بحق سابقة فريدة من نوعها في مجال "السبق الصحفي"!

أيام قليلة قبل إطلاق كتيبه، قدّمت وكالة الأنباء الجزائرية، باللغة الفرنسية،¹⁷ في 27 مايو 2020، أحمد بن سعادة، ككاديمي، وفي 28 مايو 2020، قدمته وزارة الاتصال الجزائرية، باللغة العربية،¹⁸ كمحلل سياسي، "يرافع من أجل التأطير القانوني للتمويل الأجنبي للمنظمات غير الحكومية في الجزائر".

وفي 3 يونيو 2020، نشر حسين نفّاح مقالاً على أعمدة "L'Expression" بعنوان "البروفيسور أحمد بن سعادة يعزّي الخابر التي تستغل المنظمات غير الحكومية: خبايا مجموعات مشبوهة مبهمة".¹⁹ وهذه سابقة ثانية في عالم "السبق الصحفي"!

3. حملة الدعم والترويج

كما أشار إليه عبد الغني عيشون في جريدة الوطن، فإنّ الحراك أصبح هدفاً لهجات متزامنة وأنّ "نشر هذا الكتيب [لبن سعادة] يتزامن مع مداخلتين، جرت قبل أيام قليلة، دائماً على صفحات وسائل الإعلام العامة، يسير كلاهما في نفس الاتجاه".²⁰ وأضاف الصحفي:

من الواضح أن تعدّد مثل هذه التدخلات، التي تشير إلى اليد الخارجية - وهو خطاب عزيز على السلطة القائمة، يتمّ النفخ فيه ونشره في كلّ مرة يواجه النظام تحدياً كبيراً - في فترة وجيزة، بما يدفع الجميع، وخاصة الفاعلين والمتظاهرين في الحراك، إلى طرح تساؤلات.²¹

يتعلّق الأمر بمداخلات محمد بوحيمدي ومحمد لخضر معقال، التي جرت في وقت متزامن تقريباً قبل أيام قليلة من نشر كتيب أحمد بن سعادة، لدعمه وتوسيع القاعدة "الأكاديمية" المساندة لأطروحاته.

محمد لخضر معقال أستاذ في علم الاجتماع ساهم في تلميع أطروحة بن سعادة قبل أيام قليلة من صدور كتاب هذا الأخير، من خلال إحداثه "سبقة صحفية" يوم 25 مايو

2020 على قناة التلفزيون الوطني "قناة الجزائر" قال فيها: "انطلق الحراك بعد اجتماع انعقد في باريس. [...] في [لقاء] برعاية قناة المغاربية".²²

أما محمد بوحيمدي، الأستاذ في مادة الفلسفة، فقد تدخل يومًا واحدًا بعد ذلك، في مقابلة مع وكالة الأنباء الجزائرية في 26 مايو 2020، ليصرّح بأنّ "الحراك الأصلي لم يعد موجودًا"،²³ وأنّ حراكًا جديدًا مزيقًا قد حلّ محله، ويجيل هذا التحول إلى تاريخ 29 أبريل 2019، ويقول أنه كتب يوم ذاك مقالًا على مدونته²⁴ يحمل نفس أطروحات أحمد بن سعادة. وفي اليوم ذاته، في 26 مايو 2020، نشرت "الإذاعة الجزائرية"²⁵ ويومية "المجاهد"²⁶ في وقت واحد مقالًا يتحدث فيه محمد بوحيمدي عن "تحول" الحراك ويؤكد أنّ "المنظمات غير الحكومية الدولية تحاول توجيه الحراك لإحداث حالة من الفوضى في الجزائر".

محمد بوحيمدي، الذي يبدو أنه من المفتونين بالجنرال خالد نزار،²⁷ سبق له أن روج²⁸ في 2018 لكتيب آخر لأحمد بن سعادة بعنوان "الأرابيسك الأمريكي: دور الولايات المتحدة في ثورات الشارع العربي" الصادر في 2011، المنشور الذي كان بمثابة مقدمة لكتيبه الأخير المخصّص للجزائر. وقد أعرب محمد بوحيمدي²⁹ في مدونته، عن دعمه لوزير الاتصال عمار بلحيمر، في مواجهة ما نشره علي بن سعد من معلومات تكشف دور المتعاقدين الذي اضطلع به عمار بلحيمر لدى جهاز المخابرات العسكرية الفرنسية،³⁰ تمامًا كما فعله بحماسة أحمد بن سعادة دعمًا للوزير، في مقال نُشر مؤخرًا على مدونته.³¹

تجدر الإشارة إلى أنه في 26 مايو 2020، سبق لليندا عبّو أن نشرت على موقع "Maghreb Emergent" تعليقًا حول تصريحات المتحدثين وأشارت إلى "هجمات أساتذة جزائريين في وسائل الإعلام العمومية ضد الحراك مع تلويحها بنظرية المؤامرة".³²

من الواضح أنّ ما صرّح به ونشره هذان الأكاديميان ليس أكثر من ترديد لأطروحة النظام العسكري التي عبّر عنها قبل أسابيع قليلة، في 16 مارس 2020، المتحدث باسمه، وزير الاتصال عمار بلحيمر، في مقابلة أجراها مع وكالة الأنباء الجزائرية يحذّر فيها

من "الأهداف المعادية للوطن من قبل منشطى 'الحراك الجدد'" ³³ بعد أسابيع قليلة، في 23 أبريل 2020، وصف عمار بلحير المؤسسة الأمريكية "الصندوق الوطني للديمقراطية" (NED) بأنها "حصان طروادة بامتياز للثورات الملوثة في العالم والمغرب العربي والعالم العربي في الخط الأمامي"، ³⁴ في تناغم مع أطروحة أحمد بن سعادة، ووصف أيضًا منظمة "مراسلون بلا حدود" غير الحكومية، التي سجلت في تقاريرها تدهور حرية الصحافة في الجزائر بأنها "جزء من ماكينة التعبير عن القوة الناعمة الفرنسية عبر العالم". ³⁵

4. انطلاقة الحملة الترويجية

انطلقت الحملة الدعائية حول الكتيب في أوائل يونيو 2020، على مدار أسبوع حافل بالمنشورات، وتم إطلاق الحملة بالتزامن في كندا، حيث يعيش المؤلف، من قبل موقع "Mondialisation.ca" ³⁶ (4 يونيو) و "Les 7 du Québec" ³⁷ (روبرت بيبو، 5 يونيو)، وفي الجزائر عن طريق "الجزائر 54" ³⁸ (مهدي المسعودي، 4 يونيو)، "AlhayatAlarabiya" ³⁹ (نسرین أحمد الزواوي، 5 يونيو)، "Algeriakhbar" ⁴⁰ (5 يونيو)، "Maghreb Facts" ⁴¹ (5 يونيو)، "Le Courrier d'Algérie" ⁴² (6 يونيو)، "Le Chiffre d'Affaires" ⁴³ (7 يونيو).

لكن أهم ترويج للكتيب كان يومي، 6 و7 يونيو، عن طريق وكالة الأنباء الوطنية الرسمية جدًا "وكالة الأنباء الجزائرية" بالعربية ⁴⁴ والفرنسية، ⁴⁵ التي أصبحت في نظر الجزائريين أداة الدعاية الصاخبة والرديئة، في الوقت نفسه، والذراع الإعلامي الرسمي للثورة المضادة بامتياز إلى حد أنها سميت "وكالة الذباب الجزائرية" على شبكات التواصل الاجتماعي. وساهمت من جهاتها القناة الثالثة للإذاعة الجزائرية باللغة

¹ عقب التضليل الإعلامي بخصوص مسيرة المواطنين الجزائريين ووقفهم يوم الأحد 23 أغسطس 2020 في ساحة الأمم المتحدة في جنيف التي دعوا فيها إلى إطلاق سراح المعتقلين السياسيين في الجزائر. ففي الفاتح من سبتمبر 2020 نشرت وكالة الأنباء الجزائرية مقالًا عن هذه الفعالية، موسومًا بصورة كبيرة لقاعة اجتماعات بقصر الأمم بجنيف مصحوبًا برمز الأمم المتحدة تحت عنوان

الفرنسية⁴⁶ (تقرير باللغتين الفرنسية⁴⁷ والعربية⁴⁸)، في الترويج للكتيب من خلال برنامج من تقديم الصحفي حسن أعراب الذي استقبل المؤلف رفقة سامية زنادي من دار نشر أليك، التي نشرت كتاب بن سعادة، إلى جانب الكاتب د. ر. تواتي.

تواصلت تعبئة وسائل الإعلام للترويج لكتيب أحمد بن سعادة طوال فترة الصيف: "L'Expression"⁴⁹ (حسين نفاح، 9 يونيو)، "الجزائر 54"⁵⁰ (مهدية بل، 11 يونيو)، "مجموعة نوفمبر من أجل الاشتراكية"⁵¹ (جواد رستم تواتي، 11 يونيو)، "الجزائر 54"⁵² (طارق بن علجية، 12 يونيو)، "Algérie Patriotique"⁵³ للجنرال خالد نزار (يوسف بنزات، 15 يونيو)، "L'Expression"⁵⁴ (حسين نفاح، 16 يونيو)، "Algérie Patriotique"⁵⁵ (قدور نعي، 20 يونيو)، "L'Expression"⁵⁶ (حسين نفاح، 21 يونيو)، "الجزائر 54"⁵⁷ (أحمد بن سعادة، 25 يونيو)، "الجزائر 54"⁵⁸ (أحمد بن سعادة، 30 يونيو)، "Mondialisation.ca"⁵⁹ (عبد العالي مرداسي، 1 يوليو)، "Algérie Patriotique"⁶⁰ (بوعلام سناوي، 8 يوليو)، "الجزائر 54"⁶¹ (طارق بن علجية، 9 يوليو)، "Algérie 1"⁶² (عمار جراد، 10 يوليو)، "Le Soir d'Algérie"⁶³ (حكيم لعلام، 15 أغسطس). بالإضافة إلى ذلك، شهد شهر أغسطس 2020 إطلاق حملة إعلانية جديدة حول نشر النسخة العربية من الكتيب.⁶⁴

بالإضافة إلى شبكة النشر هذه في الجزائر وكندا، استفاد أحمد بن سعادة من التغطية الإعلامية في فرنسا ولبنان تغطي القراء في المغرب العربي والعالم العربي

"مكتب المنازعات التابع للأمم المتحدة يرفض الشكاوى المرفوعة ضد السلطات الجزائرية"، يحيل إلى لقاء وهي مع إذاعة موتي كارلو الدولية لسكربتير وهي، عصام الأحمدي، في مكتب وهي للمنازعات تابع للأمم المتحدة بجنيف (<https://bit.ly/2SMKQXx>). وأصدرت المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة تكذيباً يوم 4 سبتمبر 2020 تندد فيه بـ "المعلومات المغلوطة" التي "تمت فبركتها من البداية إلى النهاية" والتي نشرتها وكالة الأنباء الجزائرية ("مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان يسلط الضوء على المعلومات الكاذبة الخاصة بالجزائر". بيان صحفي للمفوضية السامية لحقوق الإنسان، جنيف، 4 سبتمبر 2020. <https://bit.ly/3jSW7uB>).

وأفريقيا: "Afrique du Future"⁶⁵ (نوفمبر 2019)، "Afrique Asie"⁶⁶ (5 يونيو)، "Libna News"⁶⁷ (عمار جراد، 5 يونيو)، "All Africa"⁶⁸ (7 يونيو)، "Jacques Tourtaux"⁶⁹ (عمار جراد، 9 يونيو)، "Maghreb Facts"⁷⁰ (12 يونيو)، "Radio France Maghreb 2"⁷¹ (ياسمينه حماد وكريستوف فروت، 15 يونيو)، "Proche & Moyen-Orient"⁷² (Richard Labévière، 15 يونيو)، "Libna News"⁷³ (عمار جراد، 17 يونيو)، "Le Maghreb DZ"⁷⁴ (عبد الوهاب فرخي، 25 يونيو)، "Madaniya"⁷⁵ و "Libna"⁷⁶ (رينيه نبا، 1 يوليو)، "الأخبار" اللبنانية⁷⁷ متوفر أيضًا بالفرنسية⁷⁸ (لينا كنوش، 3 يوليو)، "Afrique Asie"⁷⁹ (إسلام ب، 7 يوليو)، "Jacques Tourtaux"⁸⁰ (عبد العلي مرداسي، 12 يوليو)، "Afrique Asie"⁸¹ (حكيم لعلام، 17 أغسطس)، "African Info"⁸² (20 أغسطس).

كل هذا الإنتاج الأدبي هو عبارة عن ترديد لصدى أطروحة الكتاب، بمزيد من التعليقات المنمقة وترسيخ فحوى هذه الأطروحة التي تدعي بأن الحراك هو في الواقع ثورة ملوثة حبكتها الولايات المتحدة لتنصيب الإسلاميين في السلطة، دون أن يكلف أحدهم نفسه عناء إدراج نقد هنا وآخر هناك، لإعطاء على الأقل الانطباع بتقديم مراجعة مهنية للكتاب، مع الإشارة إلى أنّ بعض وسائل الإعلام والمدونات، سبق لها أن نشرت انتقادات لأطروحات أحمد بن سعادة، في نهاية عام 2019، على غرار صحيفة "El Watan DZ"⁸³ (حميد بوحبيب، 4 ديسمبر 2019)، وخاصة بعد ظهور الكتيب، على غرار الانتقادات الواردة في "Palestine Solidarité"⁸⁴ (لهواري عدي، 7 يونيو)، و "Calameo"⁸⁵ (حمدي بعلا، 7 يونيو)، "Inter Lignes"⁸⁶ (ميليسا نايت علي، 8 يونيو)، و "El Watan"⁸⁷ (عبد الغني عيشون، 9 يونيو)، و "Algiers Herald"⁸⁸ (ياسين مغني، 10 يونيو)، و "Maghreb Spirit"⁸⁹ (سعيد جعفر، 13 يونيو) و "DZVID"⁹⁰ (ناصر جرمون، 15 يونيو)، و "Algérie Cultures"⁹¹ (سلمى معمري، 22 يونيو)، و "Mediapart"⁹² (خالد

ساطر، 25 يونيو)، و"رشاد"⁹³ (مراد دهيئة، 27 يونيو) و"France Irak Actualité"⁹⁴ (Gilles Munier، 22 يوليو)، و"Calameo"⁹⁵ (لزهاري لبتز).

أخيراً، تبنت فئة ثالثة من التقارير الإعلامية موقفاً محايداً إلى حد ما في عرضها للكتيب، منها "Maghreb Voices"⁹⁶ (3 يونيو)، "Le Quotidien d'Oran"⁹⁷ (بلقاسم أحسين جاب الله، 21 يونيو)، "Reporters.dz"⁹⁸ (سليم قودل، 22 يونيو)، "L'ExpressDZ"⁹⁹ (بوعلام ب، 23 يونيو)، "Le Courrier d'Algérie"¹⁰⁰. وقد فتحت "Reporters.dz" المجال أيضاً لكل من زبدة عسول¹⁰¹ ولهواري عدي،¹⁰² المتهمين في كتاب أحمد بن سعادة، للدفاع عن نفسيهما.

5. التمجيد

توجد العديد من التقنيات المستخدمة في مجال الدعاية. تقوم إحدى هذه التقنيات على استحضار "الخبرة"، أي الاستناد إلى "سلطة" علمية أو فكرية محترمة وتوظيفها لدعم الأطروحة التي يراد الترويج لها، وجعل الجمهور المستهدف، يتناغم مع هذه السلطة ذات الخبرة ويرى تطابقاً بين آرائها وآرائه. وإذا كان لا يمكن نفي امتلاك أحمد بن سعادة خبرة في موضوع جدّ متخصص وهو فيزياء الجوامد، إلا أنّ المؤلف بعيد كل البعد عن العلوم السياسية، بل ويفتقر إلى أساسياتها، مثلما تكشفه كتاباته. ولهذا السبب، وسداً لهذه الثغرات، تسعى حملة الدعاية المروّجة لأطروحته إلى عرضه أمام الجمهور من خلال مجموعة من الصفات البرّاقة التي تصطنع له سلطة فكرية هو أبعد ما يكون عن امتلاكها في موضوع الثورات.

وتحقيقاً لهذا المسعى شهدنا توافد استعراضي لصيغ التبجيل والتمجيد تنهمر على المؤلف، حيث يصفه صحفي "L'Expression" حسين نقّاح بأنه "باحث نادر"،¹⁰³ في حين يقدّمه جواد رستم تواتي من مجلة "Afrique Asie" على أنه "مُفكِّك لأساطير الاستعمار الجديد".¹⁰⁴ أمّا طارق بن علجية، فيشيد به ويعتبره "خبير

استراتيجي" وأنّ كتيّبه "مساهمة كبيرة".¹⁰⁵ بل يذهب إلى أبعد من ذلك في مقال آخر يقول فيه:

"هل الدكتور أحمد بن سعده هو هبة الساء التي انتظرها طويلا الجزائريون الشجعان، لتحريرهم من ديكتاتورية هذه المخابر التي تشكّلها "الجمعيات السرية الأمريكية" وقوتها الخفية، تمامًا مثلما انتظر الشعب اليهودي قدوم موسى؟ أنا شخصيًا أعتقد حقًا أنه ربح جولته الأولى من المعركة ضد المخابر الأمريكية التي يُتوقع أن تستمر".¹⁰⁶

أما يوسف بنزوات، فيصفه في "Mediapart" بأنه "مُبلّغ عن مخاطر" بدافع "حبّه لبلده" و"لا يتساهل البتة عندما يتعلّق الأمر بالسيادة الوطنية"،¹⁰⁷ وكأنّ المخبرين عن المخالفات والمخاطر أصبحت مهمتهم إدانة الشعوب المضطهدة التي تنتفض ضد الأنظمة القمعية، وليس التبليغ وإدانة الأنظمة المنحرفة الفاسدة. نفس يوسف بنزوات الذي كتب في 13 مارس 2019، أي بعد ثلاثة أسابيع من انطلاق الحراك، بأنه "خطة لتدمير الجزائر، تنفّذ انطلاقًا من المغرب"¹⁰⁸، وهي "خطة" من نسيج خياله دبجها بأسلوب روماني محبّك، بتفاصيل مذهلة، قبل أن يتحوّل بقدرة قادر، إلى "حراكي"،¹⁰⁹ ثم يعود من جديد إلى أصله، من خلال التنديد على منصة "Algérie Patriotique"، في 25 يونيو 2020، بعملية "أوتبرة" الحراك (نسبة إلى حركة أوتبور Otpor الصربية).¹¹⁰

لكن الذي حطّم الرقم القياسي من حيث إغراق أحمد بن سعادة في سيل من المواصفات المبجّلة، فهو بلا منازع صديقه عبد العلي مرداسي الذي سبق له أن ساهم مع بن سعادة في مقالة مشتركة،¹¹¹ ويقدمه على أنه

فيزيائي، خريج جامعة مونترال (كندا)، مدرّس بارز في العلوم الفيزيائية، بن سعادة هو ناقد لاذع ومقاتل شرس دفاعًا عن آرائه، يثير الأفكار المرتبطة بمسيرة العالم، ونظرًا لمشاركتي العديد من معاركه الجزائرية، خاصة في المجال الثقافي، يمكنني أن

أشهد على استقامته الفكرية ودقة تساؤلاته. إن هذا الشخص، الباحث، الممرّر للأفكار، متواضع بشكل يفرض الاحترام والتقدير، ولا يفرض أبدًا أجوبة محددة.¹¹²

لكن مع ذلك يبدي عبد العلي مرداسي عن أسفه نظرًا لما أثاره "عمل بن سعادة من قلق لدى البعض، بل إنه يخضع للرقابة في العديد من وسائل الإعلام الخاصة".¹¹³ وحتى المؤلف نفسه الذي يُدرج كتيبه "في إطار الأعمال البحثية"¹¹⁴ قد اشتكى من كون وسائل الإعلام لا تغطي كتابه بشكل جيّد،¹¹⁵ وتضايق كثيرًا حتى من النزر القليل من الانتقادات¹¹⁶ التي وُجّهت لكتيبه بعد أن أفلتت من رقابة المنظومة الإعلامية المغلقة. ولا مجال هنا للمقارنة بين التغطية الإعلامية المكثفة التي حظي بها هذا الكتيب التأمري، والتغطية شبه المنعدمة في الجزائر للعمل الجماعي "الحراك في الجزائر: اختراع انتفاضة"،¹¹⁷ والتعظيم المطلق عن هذا العمل رغم كونه إنجازًا ثريًا من حيث التوثيق والتحليل، وهذا الانتقاء الفاضح في التغطية الإعلامية يعطي انطباعًا واضحًا، بأن هذه الحملة لها دوافع سياسية وأن أحمد بن سعادة يسبح قليلًا في بحر جنون العظمة.

6. الأثر

مما لا شك فيه أن كتيب أحمد بن سعادة وكلّ الصخب الإعلامي الذي رافق صدوره منذ يونيو الماضي ليس سوى مناورة لإضفاء "نكهة أكاديمية" على الوصفة القديمة لشبح "اليد الخارجية"، المستخدمة منذ استقلال البلاد، لتجريم أي محاولة لتحرير المجتمع من قبضة النظام وهيئته المطبقة. ولا شك أن هذا الكتيب سيُتّبع المغفلين الأبديين الدائرين في فلك النظام العسكري، أمّا بالنسبة لبقية المواطنين، أي الغالبية العظمى، فإنّ هذا الكتيب سرعان ما أصبح من الماضي وأدرج في صفحات تاريخ خيانة المثقفين. وإذا كان لهذا النوع من الممارسات فرص النجاح في الماضي لتسيط عزائم المواطنين وثنيهم عن التعبئة من أجل التغيير، فهو اليوم محكوم عليه بالفشل، لأنّ الحراكين الذين يُعدّون بالملايين قد اكتسبوا وعيًا سياسيًا ثاقبًا خلال الأشهر الثمانية عشر الأخيرة من

صناعة اليد الخارجية

التعبئة، ولم يعد من الممكن مخادعتهم بأطروحات تأمرية تسفّه ذكاءهم السياسي الجماعي وتحرمهم من استقلالية العمل. في الواقع، مثل هذه الأطروحات لا تخدم سوى الأجندة السياسية لنظام استبدادي وفاسد، نظام متعفن محلّ احتقار المواطنين ومقتهم الشديدي، ويريدون تفكيكه سلميًا لتحلّ محله دولة القانون، دولة ذات سيادة، ديمقراطية، يسودها الحكم الراشد.

الإحالات

¹ APIC، الجزائر العاصمة، يونيو 2020.

² الجزائر ونظرية "اليد الخارجية"، كمال لخضر شاووش، ENDERI، 31 يناير 2020.

<https://www.enderi.fr/L-Algerie-et-la-theorie-de-%E2%80%89La-main-etrangere%E2%80%89a600.html>

³ https://www.mdn.dz/site_em_anp/sommaire/archives/2019/avril-fr.php

⁴ كوموندوس الإعلام في الجزائر، لطيف، تحقيق في المجازر بالجزائر، يوسف بجاوي، عباس عروة، ومزيان آيت العربي، مقدمة لنعم شومسكي ولورد إريك أبقري، الهوقار (1999).

<http://hoggar.org/1999/08/15/the-media-commandos-in-algeria/>

⁵ الجزائر: عندما تشن السلطات هجائتها على الإعلام بدلا من محاربة الجائحة، مراسلون بلا حدود، 22 مايو 2020

<https://rsf.org/fr/actualites/algerie-quand-les-autorites-sacharnent-sur-les-medias-au-lieu-de-lutter-contre-la-pandemie>

⁶ الجزائر "تجريم" التضليل الإعلامي ضد النظام العام والدولة، وكالة الأنباء الفرنسية، 22 أبريل 2020.

<https://www.mediapart.fr/journal/fil-dactualites/220420/alger-criminalise-la-desinformation-contre-l-ordre-public-et-l-etat?onglet=full>

مخلوف لعريوي

⁷ قرار وزاري خاص بمعالجة المعلومات. وزارة الداخلية والسلطات المحلية ووزارة الثقافة والاتصال، 7 يونيو 1994.

<https://algeria-watch.org/?p=55412>

⁸ مراسلون بلا حدود تستنكر التدهور الصارخ لحرية الصحافة في الجزائر، مراسلون بلا حدود RSF، 18 يونيو 2020.

<https://rsf.org/fr/actualites/rsf-denonce-une-degradation-flagrante-de-la-liberte-de-la-presse-en-algerie>

⁹ <https://rsf.org/fr/classement>

¹⁰ كندا: منشور عن دور الولايات المتحدة في الربيع العربي. سمير بن. 20 El Watan أبريل 2011.

<https://www.elwatan.com/archives/actualites/canada-parution-dun-essai-sur-le-role-des-etat-unis-dans-le-printemps-arabe-20-04-2011>

واشنطن تحاول التستر على تدخلها النشط، ما هو الدور الذي قامت به الولايات المتحدة في الثورات العربية؟ يوسف بن دادة. La Tribune 26 أبريل 2011

<https://en.calameo.com/read/00036684618a76737762e>

الدكتور بن سعادة يعرض "آرابيسك الأمريكية" بوهان: الثورات العربية بالمفهوم الأمريكي. خ نافع. جريدة المساء، 9 مارس 2012.

<https://www.djazairss.com/elmassa/57853>

¹¹ الأستاذ الجامعي والكاتب أحمد بن سعادة في حوار خاص لـ "الجمهورية: "سندخل التاريخ إذا بقيت انتفاضة الجزائريين سلمية ودون تدخل أياد أجنبية". حاورته: عالية بوخاري. الجمهورية، 21 أبريل 2019.

<https://www.eldjournhouria.dz/art.php?Art=61785>

¹² الباحث الجامعي أحمد بن سعادة: من غير الممكن ألا تكون الجزائر مستهدفة. الإذاعة الجزائرية، 1 ديسمبر 2019.

<https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20191201/185841.html>

صناعة اليد الخارجية

¹³ أحمد بن سعادة، أستاذ وباحث جامعي: "الحراك إيجابي، ويطرح أسئلة جادة للديمقراطية..."

<https://lecourrier-dalgerie.com/ahmed-bensaada-enseignant-et-chercheur-universitaire-le-hirak-est-positif-il-pose-des-problemes-serieux-de-democratie/>

¹⁴ أحمد بن سعادة: هناك مؤشرات على استغلال الحراك لخدمة أجندات خارجية. جريدة الجزائر، 5 ديسمبر 2019.

<https://bit.ly/3b8RMzZ/>

¹⁵ أحمد بن سعادة: أمريكا دعمت منظمة حقوق الإنسان ماديا وجعلتها وقودا لإشعال فتيل الحراك بالجزائر. محمد بوتارار. الوسط، 5 ديسمبر 2019.

<https://bit.ly/31PymwF>

¹⁶ "الأمريكيون مولوا منظمات غير حكومية جزائرية" حوار، حسين نقاح، L'Expression، 2 يناير 2020

<https://www.lexpressiondz.com/nationale/les-americains-ont-finance-des-ong-algeriennes-325600>

¹⁷ الجامعي أحمد بن سعادة يرافع من أجل تأطير قانوني لتمويل المنظمات غير الحكومية. APS، 27 مايو 2020.

<http://www.aps.dz/algerie/105463-l-universitaire-ahmed-bensaada-plaide-pour-un-encadrement-juridique-du-financement-des-ong>

¹⁸ المحلل السياسي أحمد بن سعادة يرافع من أجل التأطير القانوني للتمويل الخارجي للمنظمات غير الحكومية. وزارة الاتصال، 28 ماي 2020.

<http://www.ministerecommunication.gov.dz/ar/node/9084>

¹⁹ البروفيسور أحمد بن سعادة يكشف خبايا الدكاكين التي توظف المنظمات غير الحكومية: خبايا المجموعات المجهولة. حسين نقاح. L'Expression، 3 يونيو 2020.

<https://www.lexpressiondz.com/nationale/les-dessous-d-une-nebuleuse-331030>

مخلوف لعريوي

²⁰ عبد الغني عيشون، نفس المصدر.

²¹ نفس المصدر.

²² <https://www.youtube.com/watch?v=YnxAyn7CKkE&feature=youtu.be>

²³ مقابلة مع الأستاذ محمد بوحميدي، مع وكالة الأنباء الجزائرية. APS، 26 مايو 2020.

<http://www.aps.dz/algerie/105431-entretien-de-mohamed-bouhamidi-a-l-aps>

²⁴ الجزائر نزار وسعيد بوتفليقة، Crisis Group, le Financial Times ومتحدثة الجمعة. محمد بوحميدي.
²⁹ أبريل 2019.

<http://bouhamidimohamed.over-blog.com/l>

²⁵ محمد بوحميدي: منظمات دولية غير حكومية تحاول توجيه الحراك ليؤدي إلى حالة من الفوضى في الجزائر.
الإذاعة الجزائرية. 26 مايو 2020.

<https://www.radioalgerie.dz/news/fr/article/20200526/194026.html>

²⁶ محمد بوحميدي، أستاذ الفلسفة: "منظمات دولية غير الحكومية تحاول توجيه الحراك لإحداث الفوضى".
المجاهد، 26 مايو 2020.

<http://www.elmoudjahid.com/fr/actualites/153905>

²⁷ محمد بوحميدي نفس المصدر.

<http://bouhamidimohamed.over-blog.com/l>

²⁸ "أرابيسك الأمريكية"، أحمد بن سعادة، محمد بوحميدي، 13 يونيو 2018

<http://bouhamidimohamed.over-blog.com/2018/06/arabesque-americaine-ahmed-bensaada.html>

²⁹ بشأن قضية عمار بلخير: "هذيان علي بن سعد مزينة ببطاطس مأك كين". بقلم يزيد بن هنات. محمد بوحميدي، 18 أغسطس، 2020.

صناعة اليد الخارجية

<http://bouhamidimohamed.over-blog.com/2020/08/sur-le-cas-amar-belhimer-les-salades-d-ali-bensaad-agremente-de-frites-mc-cain-par-yazid-ben-hounet-laboratoire-d-anthropologie-s>

³⁰ خالد درارني، عمار بلحيمر، فرنسا وييتزا ماك كين علي بن سعد، 16 أغسطس 2020.

<https://www.facebook.com/ali.bensaad.58>

تذاكر الطائرة والمراسلات مع وزارة الدفاع الفرنسية: عمار بلحيمر في مواجهة ماضيه. ميليسا نايت علي. 16 أغسطس 2020.

<https://www.inter-lignes.com/billets-davion-et-notes-au-ministere-francais-de-la-defense-amar-belhimer-rattrape-par-son-passe/>

³¹ الحراك: مسارات الخطابة الملتوية، أحمد بن سعادة. 8 سبتمبر 2020.

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=532:2020-09-09-03-46-09&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119

³² على خلفية المؤامرة، أساتذة جزائريون يهاجمون الحراك في وسائل الإعلام العامة. ليندا عبو، Maghreb Emergent، 26 مايو 2020.

<https://maghrebemergent.info/sur-fond-de-complotisme-des-professeurs-algeriens-sattaquent-au-hirak-sur-les-medias-publics/>

³³ بلحيمر يتطرق إلى الأخبار الوطنية الأخيرة والأهداف المعادية للوطن من طرف قادة "الحراك الجديد". APS، 16 مارس 2020.

<http://www.aps.dz/algerie/103097-belhimer-s-exprime-sur-la-recente-actualite-nationale-et-les-visees-antinacionales-des-animateurs-du-neo-hirak>

³⁴ الوزير يؤكد بأن "الدولة" تدعم حرية الصحافة "بقوة": بلحيمر يرد على "مراسلون بلا حدود". عبد الغني عيشون. El Watan، 25 أبريل 2020.

<https://www.elwatan.com/edition/actualite/le-ministre-a-affirme-que-letat-soutient-puissamment-la-liberte-de-la-presse-belhimer-repond-a-rsf-25-04-2020>

³⁵ نفس المصدر.

³⁶ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" Mondialisation.ca، 4 يونيو 2020.

<https://www.mondialisation.ca/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien/5646277>

³⁷ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" Robert Bibeau, Les 7 du Quebec، 5 يونيو 2020

<https://les7duquebec.net/archives/255537>

³⁸ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" محمد مسعودي، 54 Algérie، 40 يونيو 2020.

<https://algerie54.com/2020/06/04/hirak-ong/>

³⁹ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" إصدارات الكاتب أحمد بن سعادة. نسرين أحمد زواوي، الحياة العربية، 5 يونيو 2020.

<https://bit.ly/3b6Of1q>

⁴⁰ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، كتاب استقصائي، أحمد بن سعادة، Algeriakhbar، 5 يونيو 2020.

<https://www.algeriakhbar.com/2020/06/05/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-un-livre-enquete-signa-bensaada-videos/>

⁴¹ "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، كتاب استقصائي، أحمد بن سعادة، Maghreb Facts، 5 يونيو 2020.

صناعة اليد الخارجية

<https://maghrebfacts.com/2020/06/05/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-un-livre-enquete-signé-a-bensaada/>

⁴² منشور "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، أحمد بن سعادة، Le Courrier d'Algérie، 6 يونيو 2020.

<https://lecourrier-dalgerie.com/publication-qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-dahmed-bensaada/>

⁴³ أحمد بن سعادة "أهاجم فقط من يقود الحراك في اتجاه تريده أجندة خارجية"، Le Chiffre d'Affaires، 7 يونيو 2020.

<https://www.lechiffredaffaires.com/je-nattaque-que-ceux-qui-menent-le-hirak-dans-un-sens-qui-est-voulu-par-un-agenda-etranger/>

⁴⁴ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" كتاب استقصائي من توقيع أحمد بن سعادة. وكالة الأنباء الجزائرية، 7 يونيو 2020.

<http://www.aps.dz/ar/culture/87998-2020-06-07-18-53-16>

⁴⁵ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، كتاب استقصائي، أحمد بن سعادة، APS، 7 يونيو 2020.

<http://www.aps.dz/culture/105902-qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-un-livre-enquete-signé-a-bensaada>

⁴⁶ <https://www.youtube.com/watch?v=1xm-oKsAcp4&feature=share>

⁴⁷ أحمد بن سعادة "أهاجم فقط من يقود الحراك في اتجاه تريده أجندة خارجية". قناة الثالثة للإذاعة الجزائرية، 6 يونيو 2020.

<https://www.radioalgerie.dz/news/fr/article/20200606/194492.html>

مخلوف لعريوي

48 "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" .. كتاب استقصائي من توقيع أحمد بن سعادة. الإذاعة الجزائرية، 7 يونيو 2020.

<https://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20200607/194539.html>

49 "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" .. كتاب استقصائي من توقيع أحمد بن سعادة، رحلة في دهاليز مجموعات مجهولة، حسين نقاح، L'Expression، 9 يونيو 2020.

<https://www.lexpressiondz.com/nationale/un-voyage-dans-les-dedales-d-une-nebuleuse-331178>

50 قرأت كتاب بن سعادة، هل ما زال مسموح الحديث؟ ممدية بل، 54 Algérie، 11 يونيو 2020.

<https://algerie54.com/2020/06/11/hirak-medias-2/>

51 درس في الأخلاقيات أم... في الجدل؟ جواد رستم تواتي، مجموعة نوفمبر من أجل الاشتراكية، 11 يونيو 2020.

<https://collectifnovembrepourlesocialisme.family.blog/2020/06/11/lecon-dethique-ou-deristique-djawad-rostom-touati/>

52 أحسنت، دكتور أحمد بن سعادة، طارق بن علفية، 54 Algérie، 12 يونيو 2020.

<https://algerie54.com/2020/06/12/ong-hirak/>

53 "المتآمر" بن سعادة لا يعرف المزاح عندما يتعلق الأمر بالسيادة الوطنية. يوسف بنزات. 54 Algérie Patriotique، 15 يونيو 2020.

<https://www.algeriepatriotique.com/2020/06/15/le-complotiste-ahmed-bensaada-ne-badine-pas-avec-la-souverainete-nationale/>

54 جاء ردهم على كتاب بن سعادة الاستقصائي، بجملة من الافتراء والقدح: عملاء الدكاكين الأجنبية في حالة ذعر، حسين نقاح، L'Expression، 16 يونيو 2020.

صناعة اليد الخارجية

<https://www.lexpressiondz.com/nationale/les-valets-des-officines-etranangeres-aux-abois-331456>

⁵⁵ "من هم من أجل الديمقراطية؟" قدور نعيي، Algérie Patriotique، 20 يونيو 2020.

<https://www.algeriepatiotique.com/2020/06/20/qui-est-pour-la-democratie/>

⁵⁶ الدكتور أحمد بن سعداء في "L'Expression" "هناك طبقة تقود هذا الحراك". حسين نفاع، L'Expression، 21 يونيو 2020.

<https://www.lexpressiondz.com/nationale/il-y-a-une-caste-qui-dirige-ce-hirak-331644>

⁵⁷ لهواري عدي و NED والآخرين، أحمد بن سعادة. 54 Algérie، 25 يونيو 2020.

https://algerie54.com/2020/06/25/hirak-medias-7/?fbclid=IwAR0DjdHeyl4Qrg5nmEtwOs-aH-agWK2Xy09-POArI5OwUhTzlSX_WG6N0-I

⁵⁸ الحراك و NED والمنظمات غير الحكومية الجزائرية. أحمد بن سعادة. 54 Algérie، 30 يونيو 2020.

<https://algerie54.com/2020/06/30/hirak-ong-7/?fbclid=IwAR23iTN086Kz9wO2RSrUiRMN6rdTyYIAw5E6JD5kpQ8dfpfHOf1gXkn-Eow>

⁵⁹ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟". الكتاب الاستقصائي حول الحقيقة، لأحمد بن سعادة. عبدالعالي مرداسي، Mondialisation.ca، 1 يوليو 2020.

<https://www.mondialisation.ca/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-lenquete-verite-dahmed-bensaada/5647084>

⁶⁰ "هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري، من مخترعي الديكتاتورية الديمقراطية. بوعلام سناوي. Algérie Patriotique، 8 يوليو 2020.

<https://www.algeriepatriotique.com/2020/07/08/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-inventeurs-de-la-dictature-democratique/>

⁶¹ هل أحبط أحمد بن سعادة مؤامرة الدكاكين الأمريكية؟ طارق بنعلجية. 54 Algérie، 9 يوليو 2020

<https://algerie54.com/2020/07/09/hirak-medias-11/>

⁶² السيد زبيدة عسول و "احتفاظها بحق التقدم بشكوى" عمار جراد، 1 Algérie، 10 يوليو 2020.

<https://www.algerie1.com/face-b/mme-zoubida-assoul-et-sa-reserve-de-droit-de-porter-plainte>

⁶³ نعم! نعم! يمكن للذئاب أن تفترس بعضها البعض! حكيم لعلام Le Soir d'Algérie، 15 أغسطس 2020.

<https://www.lesoirdalgerie.com/pousse-avec-eux/si-si-les-loups-peuvent-se-devorer-entre-eux-46613>

⁶⁴ <https://en.calameo.com/books/00036684644c845f7e5d1>

⁶⁵ L'Algérie saura-t-elle déjouer le piège des « révolutions de couleur » ? Afrique du Future, novembre 2019.

⁶⁶ صدر مؤخرا "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، احمد بن سعادة، Afrique Asie، 5 يونيو 2020

<https://www.afrique-asie.fr/vient-de-paraitre-qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-dahmed-bensaada/>

⁶⁷ الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، كمال شويشة، مواطنة، عسول ضد أحمد بن سعادة، و "الثورات الملونة"! عمار جراد، Libna News، 5 يونيو 2020.

<https://libnanews.com/la-laddh-et-k-chouicha-mouwatana-et-assoul-versus-a-bensaada-et-les-revolutions-colorees-par-amar-djerrad/>

⁶⁸ Algérie : « Qui sont ces ténors autoproclamés du Hirak algérien ? » - Un livre-enquête signé A. Bensaada, All Africa, 7 juin 2020.

⁶⁹ الكتاب الاستقصائي الموقع من أحمد بن سعادة. يقضي على دهينة وح. بعلي، أنصار "الخلافة والربيع العربي" عمار جراد. Jacques Tourtaux، 9 يونيو 2020.

<https://www.jacques-tourtaux.com/blog/algerie/amar-djerrad-m-dhina-et-h-baali-des-agents-khilafistes-et-printanistes-aneantis-par-le-livre-enquete-de-a-bensaada.html>

⁷⁰ Emission sur le livre d'Ahmed Bensaada « Qui sont ces ténors autoproclamés du Hirak » avec l'auteur, Samia Zennadi (APIC Editions) et Djawad R. Touati hôtes de Hacene Arab radio chaîne 3. Maghreb Facts, 12 juin 2020.

⁷¹ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" .. برنامج LGF حول كتاب أحمد بن سعادة، من تنشيط الصحفيين، ياسمينه حماد وكريستوف فروت، 2 Radio France Maghreb، 15 يونيو 2020
<https://www.youtube.com/watch?v=9KI5RCehn8E&feature=youtu.be>

⁷² ارفعوا أيديكم عن الجزائر! Proche & Moyen-Orient، 15 يونيو 2020.
<https://prochetmoyen-orient.ch/ne-touchez-pas-a-lalgerie/>

⁷³ Nos « bobos-arrivistes » de la république ! Amar Djerrad. Libna News, 17 juin 2020.

⁷⁴ المحلل السياسي أحمد بن سعاد. Le Maghreb DZ. تحديث: 25 يونيو 2020.
http://www.lemaghreb.dz.com/?page=detail_actualite&rubrique=Nation&id=99950

⁷⁵ الجزائر- الحراك "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" .. آخر كتاب استقصائي لأحمد بن سعادة، René Naba. Madaniya، 1 يوليو 2020

<https://www.madaniya.info/2020/07/01/qui-sont-les-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien/>

⁷⁶ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"، ReneNaba. Libna News, 1 يوليو 2020.

<https://libnanews.com/qui-sont-les-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien/>

⁷⁷ أحمد بن سعادة: الكاتب والباحث الجزائري. جريدة الأخبار، المقابلة لينا كنوش الجمعة 3 يوليو 2020.

<https://al-akhbar.com/Morocco/290946>

⁷⁸ مقابلة مع أحمد بن سعادة. لينا كنوش. جريدة الأخبار (لبنان)، 4 يوليو 2020.

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=524:journal-al-akhbar-entretien-complet-avec-ahmed-bensaada&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119

⁷⁹ قضية بن سعادة أو الفكر الأحادي، إسلام ب، 7. Afrique Asie. يوليو 2020

<https://www.afrique-asie.fr/laffaire-bensaada-ou-la-pensee-unique-du-hirak/>

⁸⁰ الحراك واليد الخارجية وحقائق مظلمة، عبدعلي مرداسي. جاك تورنو، 12 يوليو 2020.

<https://www.jacques-tourtaux.com/blog/algerie/abdellali-merdaci-le-hirak-la-main-de-l-etranger-et-ses-verites-des-tenebres.html>

⁸¹ قادة الحراك الجزائري: نعم! نعم! يمكن للذئاب أن تفترس بعضها البعض! حكيم لعلام Le Soir d'Algérie، 15 أغسطس 2020.

<https://www.afrique-asie.fr/tenors-du-hirak-algerien-si-si-les-loups-peuvent-se-devorer-entre-eux/?fbclid=IwAR2EfKaWfd6h7WgogIob9ZaOXfhgllca0uRwkSa121LHhO9OxxouK4i1zGo>

⁸² Contribution d'Ahmed Bensaada – Gilles Munier : de l'extrême-droite au Hirak. African Info, 20 août 2020.

صناعة اليد الخارجية

⁸³ حميد بوحبيب - متقف آخر للطعن في الحراك: أحمد بن سعادة. حميد بوحبيب. الوطن الجزائري، 4 ديسمبر 2019.

<http://www.elwatan.dz.com/algerie/26740.html>

⁸⁴ الذباب في غارة على الحراك. لهواري عدي، Palestine Solidarité، 7 يونيو 2020.

https://www.palestine-solidarite.org/analyses.lahouari_addi.070620.htm

⁸⁵ هل أحمد بن سعادة ممول من طرف المخابرات الفرنسية؟ حمدي بعلا، Calameo، 7 يونيو 2020.

<https://fr.calameo.com/read/000366846d508e48d1efb>

⁸⁶ يكتفون هجماتهم: النظام، الصحافة ومتقفو "الأجهزة" يتحدثون ضد الحراك. ميليسا نايت علي. Inter Lignes، 8 يونيو 2020.

<https://www.inter-lignes.com/ils-multiplient-leurs-attaques-le-pouvoir-la-presse-et-les-intellectuels-des-services-se-liguent-contre-le-hirak/>

⁸⁷ الحراك مستهدف بهجمات متزامنة. عبد الغني عيشون. El Watan 9 يونيو 2020.

<https://www.elwatan.com/edition/actualite/le-hirak-cible-dattaques-simultanees-09-06-2020>

⁸⁸ عندما تهاجم الطغمة الحاكمة الحراك. ياسين مغني. Algiers Herald، 10 يونيو 2020.

<https://www.algiersherald.com/quand-la-junte-sen-prend-au-hirak/>

⁸⁹ على اليسار عامة وعلى اليسار "المدخلي" بشكل خاص. سعيد جعفر. Maghreb Spirit، 13 يونيو 2020.

<https://maghreb-spirit.blogspot.com/2020/06/sur-la-gauche-en-general-et-sur-la.html?m=1>

⁹⁰ خطأ في الأسلوب، يؤس الفكر الجامعي لدى أحمد بن سعاد. ناصر جرمون. DZVID، 15 يونيو 2020.

<https://www.dzvid.com/2020/06/15/erreur-de-methode-misere-de-la-pensee-universitaire-chez-ahmed-bensaada/>

⁹¹ أحمد بن سعادة لا يعرف عما يتحدث عنه ” (لهواري عدي ، عالم اجتماع). سلمى معمري. Algérie Cultures، 22 يونيو 2020.

<https://algeriecultures.com/actualite-culturelle/ahmed-bensaada-ne-sait-pas-de-quoi-il-parle-lahouari-addi-sociologue/>

⁹² همسرة النقاش حول الحراك: بشأن ” اكتشافات ” أحمد بن سعادة . خالد سطور. Mediapart، 25 يونيو 2020.

<https://blogs.mediapart.fr/khaled-satour/blog/250620/l-hysterisation-du-debat-sur-le-hirak-propos-des-revelations-dahmed-bensaada>

⁹³ رد على أحمد بن سعادة، مراد دهينة، رشاد، 27 يوليو 2020

<https://rachad.org/fr/?p=1712>

⁹⁴ طعنة في ظهر الحراك؟ جيل مونييه. France Irak Actualité، 22 يوليو 2020.

<http://www.france-irak-actualite.com/2020/07/un-coup-de-poignard-dans-le-dos-du-hirak.html>

⁹⁵ أحمد بن سعاد، المثقف، حصن لمنيع، للأنظمة ” العربية ” الاستبدادية. الزهري لبتز، Calameo ، مستند غير مؤرخ.

<https://fr.calameo.com/read/000366846aa6c93b6d332>

⁹⁶ كتاب جديد يُسائل ”قادة” الحراك الشعبي في الجزائر. أصوات مغربية، 3 يونيو 2020.

<https://bit.ly/31RDfW0>

⁹⁷ عالم... في وتيرة ”الحراك”. بلقاسم أحسن جاب الله. Le Quotidien d'Oran، 21 يونيو 2010

http://www.lequotidien-oran.com/index.php?news=5290907&archive_date=2020-06-21

⁹⁸ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" لأحمد بن سعادة، وقائع الجدل في الأفق، سليم قديل. Reporters.dz، 22 يونيو 2020.

<https://www.reporters.dz/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-de-ahmed-bensaada-chronique-dune-polemique-annoncee/>

⁹⁹ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" أحمد بن سعادة يواصل إثارة الجدل، بوعلام ب. L'ExpressDZ، 23 يونيو 2020.

<https://www.express-dz.com/2020/06/23/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-ahmed-bensaada-continue-a-faire-des-vagues/>

¹⁰⁰ منشور "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" أحمد بن سعادة، Le Courrier d'Algérie، غير مؤرخ

<https://lecourrier-dalgerie.com/publication-qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-algerien-dahmed-bensaada/>

¹⁰¹ زبيدة السول: "لا يحق لأحد أن يقيس وطنية الجزائريين". سليم قديل. Reporters.dz، 8 يوليو 2020.

<https://www.reporters.dz/zoubida-assoul-nul-na-le-droit-de-mesurer-le-patriotisme-des-algeriens/>

¹⁰² لهواري عدي: "سأقدم بشكوى ضد المؤلف ودار النشر". سليم قديل. Reporters.dz، 22 يونيو 2020.

<https://www.reporters.dz/entretien-lahouari-addi-je-deposerais-plainte-contre-lauteur-et-la-maison-dedition/>

¹⁰³ حسين نافخ، نفس المصدر.

¹⁰⁴ أحمد بن سعادة، مفكك الأساطير الاستعمارية الجديدة. جواد رستم توائي. Afrique Asie، 20 يونيو 2016.

<http://www.afrique-asie.fr/ahmed-bensaada-un-deconstructeurs-de-mythes-neo-coloniaux/>

¹⁰⁵ طارق بن علجية، 12 يونيو 2020، نفس المصدر.

¹⁰⁶ طارق بن علجية، 9 يوليو 2020، نفس المصدر.

¹⁰⁷ "المتآمر" بن سعادة لا يعرف الهزل عندما يتعلق الأمر بالسيادة الوطنية. يوسف بنزات. Mediapart، 15 يونيو 2020.

<https://blogs.mediapart.fr/y-benzatat/blog/150620/le-complotiste-bensaada-ne-badine-pas-avec-la-souverainete-nationale>

¹⁰⁸ خطة لتدمير الجزائر دخلت حيز التنفيذ انطلاقا من المغرب. يوسف بنزات. Algérie Patriotique، 13 مارس 2019.

<https://www.algeriepatriotique.com/2019/03/13/un-plan-de-destruction-de-lalgerie-est-entre-en-action-a-partir-du-maroc/>

¹⁰⁹ ارحل جنرال، إنك تعرض البلد للخطر! يوسف بنزات. Algérie Patriotique، 3 أغسطس / آب 2019.

<https://www.algeriepatriotique.com/2019/08/03/partez-mon-general-vous-mettez-le-pays-en-danger/>

العريف و40 مليون متمرّد. يوسف بنزات. Algérie Patriotique، 29 أكتوبر 2019.

<https://www.algeriepatriotique.com/2019/10/29/une-contribution-de-youcef-benzatat-le-caporal-et-les-40-millions-de-mutins/>

صناعة اليد الخارجية

¹¹⁰ الحراك والاستعمار الجديد: اللعن والشتن، نوع النقاش الوحيد. يوسف بنزوات. Algérie Patriotique ، 25 يونيو 2020.

<https://www.algeriepatriotique.com/2020/06/25/hirak-et-neocolonialisme-lanatheme-et-linvective-comme-unique-debat/>

¹¹¹ "كامو يحترق" « Camus brûlant » والجدل الجزائري: الرد على بنيامين ستورا. عبد العلي مرداسي وأحمد بن سعادة. Palestine Solidarité، 1 ديسمبر 2013

http://www.palestine-solidarite.org/analyses.abdellali_merdaci-ahmed_bensaada.011213.htm

¹¹² "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" الكتاب الاستقصائي أحمد بن سعادة، عبد العالي مرداسين، Mondialisation.ca، 1 يوليو 2020

<https://www.mondialisation.ca/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-lenquete-verite-dahmed-bensaada/5647084>

¹¹³ "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" الكتاب الاستقصائي أحمد بن سعادة، عبد العالي مرداسين، Mondialisation.ca، 1 يوليو 2020

<https://www.mondialisation.ca/qui-sont-ces-tenors-autoproclames-du-hirak-lenquete-verite-dahmed-bensaada/5647084>

¹¹⁴ مقابلة مع أحمد بن سعادة. لينا كنوش. جريدة الأخبار (لبنان)، 4 يوليو 2020.

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=524;journal-al-akhbar-entretien-complet-avec-ahmed-bensaada&catid=46;qprintemps-arabeq&Itemid=119

¹¹⁵ مقابلة مع أحمد بن سعادة. لينا كنوش. نفس المصدر.

¹¹⁶ حرية التعبير في الزمن المبارك للحراك أحمد بن سعادة. 15 يونيو 2020.

https://www.ahmedbensaada.com/index.php?option=com_content&view=article&id=516:2020-06-16-03-01-22&catid=46:qprintemps-arabeq&Itemid=119

¹¹⁷ عمر بن دره، فرانسوا جيزه، رفيق لبجاوي وسليمة ملاح، الحراك في الجزائر. اختراع انتفاضة، La Fabrique Éditions ، باريس 2020.

<https://journals.openedition.org/lectures/42756>

القذف في ظل الحماية الشخصية

سفيان تلمساني

-
1. جريمة القذف 277
2. تصريحات أحمد بن سعادة التشهيرية 279
3. ضمان الإفلات من العقاب 280
-

1. جريمة القذف

لقد نص المشرع الجزائري على قمع المساس بشرف أو اعتبار الأشخاص، من خلال معاقبة جريمة القذف المنصوص عليها في المادة 296 من قانون العقوبات.¹ جاء في نص المادة:

يُعَدُّ قَذْفًا كل ادعاء بواقعة من شأنها المساس بشرف واعتبار الأشخاص أو الهيئة المدعى عليها به، أو إسنادها إليهم أو إلى تلك الهيئة. ويعاقب على نشر هذا الادعاء أو ذلك الإسناد مباشرة أو بطريق إعادة النشر، حتى ولو تم ذلك على وجه التشكيك أو إذا قصد به شخص أو هيئة دون ذكر الاسم، ولكن كان من الممكن تحديدها من عبارات الحديث أو الصياح أو التهديد أو الكتابة أو المنشورات أو اللافتات أو الإعلانات موضوع الجريمة.

وهو في الواقع نقلٌ حرفي للمادة 29 من قانون حرية الصحافة الفرنسي² التي تنص على:

بعد قذفًا كل ادعاء بواقعة من شأنها المساس بشرف واعتبار الأشخاص أو الهيئة المدعى عليها به، أو إسنادها إليهم أو إلى تلك الهيئة. ويعاقب على نشر هذا الادعاء أو ذلك الإسناد مباشرة أو بطريق إعادة النشر، حتى ولو تمّ ذلك على وجه التشكيك أو إذا قصد به شخص أو هيئة دون ذكر الاسم، ولكن كان من الممكن تحديدها من عبارات الحديث أو الصباح أو التهديد أو الكتابة أو المنشورات أو اللافتات أو الإعلانات موضوع الجريمة.

وفي كند، تنص المادة 298 من القانون الجنائي³ على الآتي:

(1) يعدّ القذف التشهيري أي مواد منشورة دون مبرر أو عذر مشروع، من شأنها أن تلحق الضرر بسمعة شخص ما من خلال تعريضه للكراهية أو الازدراء أو السخرية أو بهدف إهانة الشخص الذي تمّ نشر المادة ضده.

(2) يمكن التعبير عن القذف التشهيري بشكل مباشر أو عن طريق التلميح أو السخرية: (أ) إما بكلمات مميزة منشورة بوضوح على أي مادة؛ (ب) أو عن طريق شيء آخر يدلّ على القذف التشهيري بغير استعمال الكلمات.

بالإضافة إلى ذلك، تنص المادة 300 من القانون الجنائي الكندي على ما يلي:

أي شخص ينشر قذفًا تشهيريًا يعرف أنه كاذب يكون مذنبًا بارتكاب: (أ) جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة لا تزيد عن خمس سنوات؛ (ب) جريمة يعاقب عليها بعد إعلان الإدانة، خلال إجراء موجز.

وبالتالي، يتّضح أنّ نصوص القوانين لا تجرّم نشر التصريحات التشهيرية فحسب، ولكن تجرّم أيضًا "إعادة نشر" الادعاء التشهيري (القانونان الجزائري والفرنسي) أو نشر التصريح التشهيري الذي يعرف صاحبه أنه كاذب (القانون الكندي).

2. تصريحات أحمد بن سعادة الشهيرة

فيما يتعلق بكتاب أحمد بن سعادة، المواطن الجزائري-الكندي المقيم في كندا، تحت عنوان "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"،⁴ ليس ثمة أدنى شك في أنّ الغرض الأساسي وراء نشر هذا الكتيب، هو تشويه سمعة ممثلي الحراك الذين يحاول الكاتب زرع الشكوك حولهم وتلطيخ سمعتهم.

وليس مفاجئاً أن نجد من بين الأهداف التي جعلها الكاتب محور معركته، حركة رشاد تحديداً، التي أصبحت هدفاً مباشراً ورائجاً لشتى الأطراف وبمختلف توجهاتها، بل وحتى المتناقضة منها، مع تقديمها على أنها حركة أنشأتها "بقايا الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، وهي عبارة، توحى بشكل مضاعف، حسب اعتقاد بن سعادة، إلى صفة شائنة راسخة في وعي الجزائريين، ويضيف بأنّ هذه الحركة، وفق رؤيته، تحاول مخادعة الجزائريين، لتجعلهم يعتقدون بأنها أصبحت سلمية، بحسابات سياسية ليس إلا، ليربط بعد ذلك بعض "شخصياتها الرمزية"، مع ذكرهم بالاسم، بالجرائم البشعة التي ارتكبتها الميليشيات الإسلامية في التسعينيات.

إذن الرسالة التي يحاول إيصالها جدّ واضحة، وهي أنّ حركة رشاد مجرد غطاء سياسي جديد للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج، بتمويل من حكومة أجنبية، وأنها بعيدة كل البعد عن أيّ صفة سلمية، بما أنّ أعضاءها مرتبطون بالجرائم البشعة في التسعينيات.

أما منظمة الكرامة لحقوق الإنسان، فهي ليست في منظور الكاتب أكثر من منظمة غير حكومية تتاجر بالدفاع عن حقوق الإنسان، ويصفها بصفة تهكمية، مشيراً إلى أنّ هذه المنظمة التي يربطها بحركة رشاد لا تقوم بأيّ عمل فعلي ملموس، وليست سوى أداة لخدمة قضية ما وتحديدًا الدفاع عن كريم طابو فقط، بما أنها لا تهتم بمعتقلي الحراك الآخرين.

وبطبعة الحال، فالكرامة مثلها مثل رشاد التي يدعي أنها ترتبط بها ارتباطًا وثيقًا، ممولة برأس مال أجنبي، قطري على وجه الخصوص، بما يخدم أجندة هذه الجهات المانحة ضد مصالح الجزائر.

بالإضافة إلى هاتين المنطمتين، وجّه أحمد بن سعادة هجومه ضد عدة شخصيات مؤيدة للحراك، من بينهم المحاميان مصطفى بوشاشي وزبيدة عسول، وعالم الاجتماع لهواري عدّي، والناشط السياسي كريم طابو، متهمًا إياهم بالعمالة للأميركيين الذين يمولونهم بسخاء على حدّ زعمه، ومن ثمّ نعتهم ضمنياً بأنهم خونة للوطن. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عند صدور الكتيّب مطلع يونيو 2020، كان كريم طابو، الذي نال نصيباً كبيراً من التهم في كتاب بن سعادة، يقبع في سجون النظام العسكري منذ عدة أشهر (اعتقل في 11 سبتمبر 2019).

ليس ثمة أدنى شك في أنّ الادعاءات التي ذكرها أحمد بن سعادة في كتابه تحتوي على جميع العناصر القانونية المكوّنة لجريمة القذف كما حدّتها المادة 296 من قانون العقوبات الجزائري والمادة 29 من قانون حرية الصحافة الفرنسية، أي المساس بشرف واعتبار الأشخاص، وإسناد إليهم وقائع دقيقة، ونية التشهير بهم وكذلك احتوائها على الطابع العام، ووفق المادة 298 من القانون الجنائي الكندي، أي نشر تصريحات من شأنها أن تضرّ بسمعة شخص ما من خلال تعريضه للكراهية والازدراء.

3. ضمان الإفلات من العقاب

يلاحظ أنّ أحمد بن سعادة الذي يعيش في الغرب، وهو أمرٌ له أهميته، لا يملك جرأة أفكاره، لاسيما عند مهاجمته حركة رشاد، من خلال توثيقه الحذر، والتستر خلف اقتباساته من موقع "Maghreb Intelligence" الذي أنشأته ومولته أجهزة المخابرات المغربية، وهو يجهل على الأرجح أنّ استنساخ أو اقتباس تصريحات تشهيرية يشكّل في حدّ ذاته تشهيراً جديداً يعرّض صاحبه للمتابعة القضائية.

القذف في ظل الحماية الشخصية

لكن هذا المؤلف، بالغ الشجاعة على ما يبدو، لا شك أنه مطمئن الجانب لأنه يعلم أنه محمي من قبل النظام الجزائري، إن لم يكن يعمل بإيعازه وتشجيعه، طالما أنّ عمله يتمحور حول تشويه سمعة المعارضين الذين يحظون بمصداقية وثقة مواطنيهم، ويعلم أنه حتى في حالة تقديم شكوى ضده، ستضمن العدالة الجزائرية الخاضعة لأوامر السلطة حمايته وإفلاته من العقاب.

وبهذا الخصوص، فور نشر الكتيب صرّح اثنان على الأقل من المستهدفين بمحملته التشهيرية، لهواري عدي وزبيدة عسول لعدة وسائل إعلام بأنهما يعترضان مقاضاة أحمد بن سعادة.

وقد صرّح لهواري عدي لموقع "Reporters.dz" على سبيل المثال بأنّ "اتهام مواطن ما، بالعمل لصالح وكالة المخابرات المركزية أمرٌ خطير، خاصة بالنظر إلى تاريخ وكالة المخابرات المركزية ودورها كأداة للإمبريالية الأمريكية"،⁵ لكن على الرغم من نيته مقاضاة أحمد بن سعادة وناشره بتهمة القذف، يُدرك لهواري عدي مع ذلك أنّ مثل هذا الإجراء من غير المرجح أن يسفر عن أي شيء ملموس في الظروف الحالية التي تمرّ بها الجزائر، في ظل نظام سياسي تسيطر فيه السلطة التنفيذية، التي تروّج لكتيب أحمد بن سعادة،⁶ على جهاز القضاء الذي يطلق عليه المواطنون الجزائريون اسم "عدالة الهاتف". لهذا السبب يقول السيد عدي "حالما تتضح الظروف السياسية في بلادنا، سأقدم شكوى ضد المؤلف وضد دار النشر".⁷

شعورًا منه بالثقة التامة في مناخ يضمن الإفلات من العقاب السائد في الجزائر، ردّ ناشر أحمد بن سعادة، دار أبيك، في نفس اليوم على تصريح لهواري عدي ببيانٍ ساخر متهمًا على صفحته على فيسبوك، مضيًا طبقة أخرى على ما ذكره مؤلف الكتيب من التشهير، في محاولة منه لـ "تجريم" لهواري عدي، من خلال ربطه بحركة رشاد وبمراد دهبينة الذي منحه شهادة الإرهاب. وجاء في البيان:

يمكن لشخص ما أن يخبر هيئة تحرير موقع *Reporters* أنّ الصورة التي اختاروها لنشر تهديد لهواري عدّي بتقديم شكوى "ضد المؤلف ودار النشر" عقب صدور كتاب "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" قد تمّ التقاطها خلال لقاء نظّمته حركة رشاد حيث تحدث عدّي في موضوع "كيف يعاد تشكيل دور الجيش في الجزائر؟" وكان يشاركه المنصة مضيفه الإرهابي مراد دهينة!!!⁸

واعتبر الناشر أنّ إعلان أيّ شخص نيته الدفاع عن نفسه ضد ما يُعتبر تشهيراً، يرقى إلى مستوى "الإرهاب الفكري":

أخيراً يمكن لأيّ شخص أن يبلغ جميع بائعي الورق ومرزقة القلم وشبكة الانترنت، أنّ الإرهاب الفكري لم يسكننا أبداً وأنهم يخطؤون في الحقة الزمنية التي نعيشها اليوم... على الأقلّ ذلك ما نأمل.⁹

أما زبيدة عسول، فشعوراً منها بأنه تمّ مسها في شرفها بغير وجه حق، فقد صرّحت لموقع "Reporters.dz":

أعتقد أنه لا يحق لأيّ شخص قياس وطنية الجزائريين، ولهذا السبب احتفظ لنفسي بالحق في اتخاذ إجراءات قانونية ضد المؤلف ودار النشر التي طبعت الكتاب.¹⁰

هذه المرة ليس الناشر وإنما أصدقاء أحمد بن سعادة، وخاصة مهدية بال¹¹ وجواد رستم تواتي¹² وعمار جراد،¹³ هم الذين تولّوا مهمة الردّ على زبيدة عسول.

اعتبرت مهدية بال أنّ انتقاد كتيّب أحمد بن سعادة يرقى لـ "هستيريا جماعية"، أمّا بالنسبة لجواد رستم تواتي، فكلّ من تجرأ على انتقاد الكتيّب ينتهي إلى "دوائر المستعمرين الجدد"، ووصف "المقاضاة بتهمة القذف" التي أعلن عنها لهواري عدّي وزبيدة عسول بأنها مجرد "هراء" واتهم هذه الشخصيات العلمانية بأنها "رفاق الدرب لحركة رشاد" المتهمة من طرفه بأنها إسلامية، ومؤخداً هذه الشخصيات بتوقيع "سانت

القذف في ظل الحماية الشخصية

إجيديو جديد" في بداية الحراك مع فاعلين سياسيين آخرين من مشارب مختلفة، بمن فيهم إسلاميين. وهنا نشهد من جديد عملية التجريم عن طريق الارتباط.

من جهته، لم يتوان عمار جراد عن تذكير زبيدة عسول بأنها قبلت دعوة قناة "المغربية" التي يعتبرها "الناطقة باسم إسلامي رشاد". من جديد نشهد التجريم بالارتباط بهيئة يلصق بها لقب "إسلامي". بالنسبة لعمار جراد يبدو أنّ زبيدة عسول "مرتبكة للغاية بسبب الكتاب ومتخبطة في رددوها!" مضيّقاً بأنّها تكشف عن "ردود أفعال متشنجة تُفقد التبحّر وتُجَمِّد المنطق"، وتجهل أنّ "الغضب غالباً ما يكون انعكاساً للخوف، وهو غير مبرّر في هذه الحالة!" ثمّ لا يتردّد في نصحتها بما يجب أن تفعله:

يبدو لنا، من باب الودّ، أنه من الأفضل لها أن تهدأ، وتتنحى جانباً لتجعل الناس ينسونها أيضاً! يكون ذلك أكثر حكمة وعقلانية! يُقال إنّ "التصرف بغضب بمثابة ركب العواصف"¹⁴.

من أجل ثني ضحاياه وردعهم عن أيّ محاولة لمقاضاته بتهمة التشهير، يرّد أحمد بن سعادة، بمساعدة ناشر كتابه و"رفاقه" الصحفيين ومباركة النظام العسكري الذي يستخدمه لسحق الحراك، إستراتيجية جدّ بسيطة: تجريم خصومه إلى درجة شلّ حركتهم، من خلال ربطهم بحركة رشاد وقناة "المغربية" الموصوفتين بالإسلامية أو حتى بالإرهابية، ومن ثمّ تشويه سمعة ضحايا التشهير، وضرب مصداقيتهم، من خلال اتهامهم بـ"الهستيريين" و"المستعمرين الجدد"، و"المخادعين" و"المرتبكين" و"المصايين بنوبة غضب" و"فاقدي البصر"، الذين أولى لهم أن يتواروا عن الأنظار ويجعلوا الناس "ينسونهم"، إذا لم يريدوا المخاطرة بأن تصيبهم الصاعقة.

¹ <https://www.joradp.dz/trv/apenal.pdf>

²

<https://www.legifrance.gouv.fr/affichTexte.do?cidTexte=LEGITEXT000006070722>

³ <https://laws-lois.justice.gc.ca/fra/lois/c-46/page-66.html>

⁴ APIC، الجزائر العاصمة، يونيو 2020

⁵ لهواري عدي: "سأقدم شكوى ضد المؤلف ودار النشر" في حوار أجراه مع سالم كوديل. Reporters.dz. 22 يونيو 2020.

<https://www.reporters.dz/entretien-lahouari-addi-je-deposerais-plainte-contre-lauteur-et-la-maison-dedition/>

⁶ انظر فصل "صناعة اليد الأجنبية"، مخلوف لعريوي، في هذا الكتاب.

⁷ نفس المصدر

⁸ <https://www.facebook.com/apiceditions/posts/2486081448279144>

⁹ نفس المصدر

¹⁰ زبيدة عسول "أعتقد أنه لا يحق لأي شخص قياس وطنية الجزائريين" سليم كوديل، Reporters.dz، 8 جويلية، 2020

<https://www.reporters.dz/zoubida-assoul-nul-na-le-droit-de-mesurer-le-patriotisme-des-algeriens/>

¹¹ قرأت كتاب أحمد بن سعادة، هل نستطيع الحديث؟ مهدية بل.

<https://algerie54.com/2020/06/11/hirak-medias-2/>

¹² درس في الأخلاقيات أو...الجدل؟ جواد رستم تواتي، تجمع نوفمبر للاشتراك، 11 يونيو 2020

القذف في ظل الحماية الشخصية

<https://collectifnovembrepourlesocialisme.family.blog/2020/06/11/lecon-dethique-ou-deristique-djawad-rostom-touati/>

¹³ السيدة زبيدة عسول و "تحتفظ بحقتها في تقديم شكوى". عمار جراد. الجزائر 1، 10 يوليو 2020

<https://www.algerie1.com/face-b/mme-zoubida-assoul-et-sa-reserve-de-droit-de-porter-plainte>

¹⁴ نفس المصدر

سفیان تلمسانی

سأرفع شكوى ضد المؤلف ودار النشر

الهوري عدي

مقابلة¹ أجراها سليم كوديل على موقع "Reporters.dz" بتاريخ 22 يونيو 2020

بعد الإشارة إليه في كتاب أحمد بن سعادة وتعرّضه لبعض التهم، يردّ الأستاذ في علم الاجتماع، لهواري عدي، بالتفصيل على "التصريحات" الواردة في الكتاب.

Reporters: كتاب من تأليف أحمد بن سعادة بعنوان "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" صدر مؤخرًا، عن دار النشر APIC، يشكك فيه المؤلف، من ضمن مجموعة من الأمور، في بعض مواقفك من الحراك. هل قرأت الكتاب؟

لهواري عدي: لم أقرأ الكتاب لأنه غير متوقّر في الخارج، لكني قرأت مقاطع كبيرة منه حيث وُجّهت إليّ تهم إلى جانب آخرين. لقد اندهشت من استخدام عبارة "نصبوا أنفسهم قادة للحراك". المؤلف يستخدم هذه العبارة لأنه يجهل أساسيات العلوم السياسية. في أيّ حركة احتجاجية شعبية، يبرز عادة قادة على أساس خطابهم الذي يكون بمثابة عرض سياسي. وإذا توافق هذا العرض مع التوجّهات السياسية ومطالب فئات من الشعب، يصبح أصحاب هذه العروض شخصيات شعبية يلتفتّ حولهم الناس. فئات واسعة من الجزائريين، ليس كلهم بالطبع، رأّت تطابق بين ما تطمح إليه وبين العرض السياسي الذي يطرحه كريم طابو ومصطفى بوشاشي وزبيدة عسول ومحسن بلعباس وقدرور شويشة وفضيل بومالة وآخرون. لم ينصبوا أنفسهم، ولم يمنعوا أيّ شخص من التحدّث إلى المواطنين. خطابهم متماسك ويتوافق مع التطلّع إلى الانتقال

الديمقراطي، وهو ما أكسبهم دعم العديد من الحراكين. قد لا يتفق المرء معهم في هذا الموقف أو ذاك، لكن لا يمكن إنكار أنّ طابو يحظى بشعبية على الصعيد الوطني، وهو سبب وجوده الآن في السجن. إنّ مهاجمة بوشاشي وعسول وطابو... معناه مهاجمة خطابهم الذي يركّز على المطالبة بالتحوّل الديمقراطي. أحمد بن سعادة يظهر بوضوح أنه معادٍ للحراك وأنه يدعم النظام. لماذا يفعل ذلك؟ لا أعرف. في ما يخصني، فإنّ تحليلاتي التي تُنشر في الصحافة الوطنية وعلى صفحتي على الفيسبوك تلقى صدى إيجابياً من بعض الحراكين، وأنا لا أفرضاها على أيّ كان، ولا أنصّب نفسي "منظرًا الحراك". أشارك مع غيري من الزملاء الأكاديميين في النقاش حول الحركة الاحتجاجية، مثل ناصر جابي ولويزة إدريس آيت حمدوش وحسني قيتوني وغيرهم.

في هذا الكتيب، ينتقد المؤلف كتاباتك، وبالتحديد العمود الذي نشر على موقع "lematindalgerie.com"، في 14 مارس 2019، أي بعد ثلاثة أسابيع من انطلاق الحراك. لقد اقترحت ثلاثة أسماء، زبيدة عسول ومصطفى بوشاشي وكريم طابو، لتشكيل "رئاسة جماعية" تتولى تسيير "الشؤون اليومية للدولة" والتحضير للانتخابات الرئاسية والتشريعية "في غضون 6 إلى 10 أشهر". بالنسبة للمؤلف، فإنّ اختيارك لهؤلاء الأشخاص بعينهم "ليس مجرد صدفة أو اقتراح عابر"، ويتساءل ما إذا يوجد "تحالف كامن داخل الحراك لاقتراح قائمة بعينها". ما هو ردّك على ذلك؟

النص الذي تشير إليه نُشر في الواقع على موقع TSA في مارس 2019 بعد استقالة بوتفليقة تحت ضغط الشارع. وكنت قد اقترحت آنذاك أن يقوم الرئيس بالنيابة، بدعم من مؤسسة الجيش، بتعيين هيئة جماعية لقيادة المرحلة الانتقالية التي كان يطالب بها الحراك، فاقترحت أسماء من بين الشخصيات التي يرجح قبولهم من طرف غالبية المواطنين، أي زبيدة عسول ومصطفى بوشاشي وكريم طابو. فعلت ذلك بصفتي مواطناً عادياً ولديّ الحق التام في القيام بذلك لأنني لا أشغل أيّ وظيفة رسمية في الدولة. ولم استخر سلطة الدولة لأقدم اقتراحاً شخصياً، وكان من الممكن أن يطرح أشخاص آخرون أسماء أخرى للتوصل إلى توافق وإجماع في الرأي. لا يمكن جوهر الموضوع في الأساء، وإنما في الفترة الانتقالية التي يقودها أشخاص يحضون بقبول غالبية الشعب.

سأرفع شكوى ضد الكاتب ودار النشر

يلمح أحمد بن سعادة إلى أنك تتعمد عدم ذكر في "سيرتك الذاتية المؤسسية" تعاونك مع "المنتدى الدولي لمجمع أبحاث الدراسات الديمقراطية" التابع لـ NED (الصندوق الوطني للديمقراطية)، وهي منظمة، تقدم على أنها الواجهة المدنية لوكالة المخابرات المركزية CIA. بماذا تجيب؟

لم يقرأ أحمد بن سعادة سيرتي الذاتية أبدًا ولا يعرف ما الذي يتحدث عنه. إنه لا يعرف كيف تعمل المؤسسات البحثية والأكاديمية في الغرب. وهو ليس أكاديميًا وليس أستاذًا جامعيًا، يدرس الفيزياء لطلاب الثانويات في كندا. من حقّه أن يكتب الكتيبات، لكن لا يحقّ له تشويه سمعة الناس والافتراء عليهم. إذا كانت لديه معلومات ملموسة عن تورّط من يتهمهم، يتعيّن عليه تسليمها إلى سفارة الدولة التي يقيم فيها حتى تتمكن الأجهزة الأمنية (التي لديها الوسائل والموظفين المدربين لهذا الغرض) من التحقيق في هذه المعلومات لحماية البلاد من التدخل الأجنبي. إنّ اتهام مواطن بالعمالة لصالح وكالة المخابرات المركزية أمرٌ خطير، في ضوء ما نعرفه عن تاريخ هذه الوكالة ودورها كأداة للإمبريالية الأمريكية. وحالما تتضح الظروف السياسية في بلدنا، سأقدم شكوى ضد المؤلف وضد دار النشر.

لكن ماذا عن ورود اسمك في وثيقة المنتدى؟

كان الصندوق الوطني للديمقراطية NED يريد تنظيم لقاء لمناقشة الأفكار وقد أنشأ هذا المنتدى أيضًا مجلة أكاديمية Journal of Democracy، يمكن مطالعة مقالاتها عبر الإنترنت، ونشرت ثلاث مقالات في هذه المجلة وهي قابلة للبحث على الإنترنت، ولا علاقة لها بأيدولوجية اليمين الأمريكي. أقام NED أيضًا منتدى جمع الأكاديميين من مختلف الاتجاهات، وتمّ الاتصال بي بالنظر إلى عملي الأكاديمي، رفقة أسماء مرموقة مثل ليزا أندرسون (أستاذة في جامعة كولومبيا، معروفة بأعمالها على العالم العربي)، وعبدو فيلاي-أنصاري، مدير مؤسسة آغا خان في لندن، وعبد الله أحمد النعيم، أستاذ القانون الدولي بجامعة إيموري، وتلميذ المصلح المسلم محمود طه، وسعد الدين إبراهيم مدير مركز أبحاث ابن خلدون بالقاهرة، وغيرهم. ولا تعني المشاركة في هذا المنتدى أنّ الأعضاء المشاركين يتفقون مع نظرية نهاية التاريخ أو صراع الحضارات.

بشأن هذا الموضوع، يتعين العودة إلى منشورات المؤلفين أنفسهم. ومجرد حضوري مؤتمرًا شارك فيه هنتنغتون أو فوكوياما لا يعني أنني أشارك توجهاتهم الأيديولوجية. من ناحية أخرى، تمت دعوتي عدة مرات من قبل الجامعات كأستاذ (جامعة برينستون، جامعة يوتا، جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس UCLA، جامعة جورج تاون...). هذه الدعوات تمثل فرصة بالنسبة لي لتأليف الكتب. وكان وجودي في جامعة برينستون في عام 1992 هو الذي أتاح لي تأليف كتاب "الجزائر والديمقراطية" الذي نشرته دار La Découverte في باريس عام 1994. وكان أيضًا حضوري في معهد الدراسات المتقدمة المرموق في برينستون، فرصة لكتابة "اثنان من علماء الأنثروبولوجيا في المغرب العربي: كليفورد غيرتز وإرنست جيلتر" الذي سينشر باللغة العربية هذا الشهر في مركز الدوحة. وألفت كتابي "القومية العربية الراديكالية والإسلام السياسي" في جامعة جورجتاون حيث كنت ضيفًا في عام 2013. وقد نشرته مطبعة جامعة جورج تاون باللغة الإنجليزية وحرصت لكي يُنشر في الجزائر من قبل دار برزخ لكي يتمكن الطلاب الجزائريون من قراءته، وهو متوفر في المكتبات في الجزائر.

في هذا الموضوع تحديدًا، ما هو رأيك في الصندوق الوطني للديمقراطية (NED)؟

إن منظمة NED هي مؤسسة فكرية (نادي للأبحاث) أنشأها ومولها الحزب الجمهوري في واشنطن في أعقاب سقوط جدار برلين. بالنسبة للأمريكيين، كانت الهزيمة الأيديولوجية للاتحاد السوفييتي تكريسًا لانتصارهم على خصومهم، وكانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم دعاة الديمقراطية في جميع أنحاء العالم في ظل السلام الأمريكي. وفي هذا السياق ظهرت نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما التي تدّعي أن البشرية بلغت مرحلتها النهائية من التطور بانتصار السوق النيولبرالية في نسختها الأمريكية. إلى جانب ذلك ادعى منظر آخر من اليمين الأمريكي، صويل هنتنغتون، أنّ الحروب الأيديولوجية قد انتهت وأنّ البشرية ستشهد من الآن فصاعدًا صراعًا بين الحضارات. وقال إنه على الولايات المتحدة، باسم الحضارة الغربية، أن تواجه الحضارة الإسلامية التي تشكل عدوًا للديمقراطية. لكنه نسي ببساطة أنّ الحليف الرئيسي للإمبريالية

سأرفع شكوى ضد الكاتب ودار النشر

الأمريكية هو المملكة العربية السعودية التي تعتمد الوهابية كأيدولوجية للدولة، أي تعتمد الصيغة الأكثر تعصباً للإسلام. أنا لا أشارك أيديولوجية قادة NED لا من قريب ولا من بعيد. بالنسبة لي، فإن الولايات المتحدة، فضلاً عن دورها الشائن في دول العالم الثالث، لا تملك الشرعية الأخلاقية التي تسمح لها بأن تكون نموذجاً للديمقراطية. إن القتل الممنهج للأمريكيين السود من قبل الشرطة ليس بالأمر الجديد. وإدراك الرأي العام بهذه القضايا البشعة تم فقط بعد شيوخ الأحداث الفاجعة عن طريق تصوير جرائم القتل هذه على الهواتف المحمولة. إلى جانب ذلك، من الناحية المؤسسية تعاني الولايات المتحدة نفسها من عجز كبير في الديمقراطية. ووفقاً للإذاعة العمومية الأمريكية NPR، تتمتع 26 ولاية تمثل نسبة 18٪ من السكان بالأغلبية في مجلس الشيوخ الذي يملك صلاحية منع أي قانون صادر عن مجلس النواب. ممثلو 18٪ من السكان يفرضون قوانينهم على 82٪ من المواطنين الأمريكيين! هذه أمريكا. إذا كان اليمين الأمريكي يريد فعلاً تعزيز الديمقراطية في العالم، عليه أولاً أن يبدأ بإصلاح نظام التمثيل الذي ينتهك المبدأ الأساسي للاقتراع العام.

دائماً فيما يتعلق بموضوع NED، يتساءل المؤلف، ما إذا لم تكن قد ساهمت "بشكل مباشر أو غير مباشر" في تدريب نشطاء الإنترنت وممولي "المنظمات غير الحكومية" التابعة للمعهد الجمهوري الدولي (IRI) والمعهد الديمقراطي الوطني (NDI)، الدائرين في فلك هذه المنظمة...

هذه اتهامات مجانية. ليس لدي أصلاً حساب Twitter ولا Instagram، ولم أفتح صفحة فيسبوك إلا في أبريل 2019 عندما رفض موقع TSA، تحت ضغط من السلطات، نشر مقالتي الأسبوعية. أنا لست من المتحمسين الكبار لشبكات التواصل الاجتماعية التي على الرغم من فائدها تنقل للأسف الكثير من الكراهية. من ناحية أخرى، لم أكن أنتمي إلى أي منظمة غير حكومية أمريكية. وفي فرنسا كنت عضواً في Algeria-Watch وهي منظمة غير حكومية لمراقبة أوضاع حقوق الإنسان في الجزائر، وفي Forsem وهو منتدى تضامن أوروبي-متوسطي أسسته رفقة الطاهر خلفون وجيلبير مينيي (Gilbert Meynier) في ليون.

أحمد بن سعادة يؤكد أن النقطة المشتركة بينك وبين زبيدة عسول ومصطفى بوشاشي هي "علاقاتكم بالولايات المتحدة" ومنظماتهما لـ "تصدير" الديمقراطية...

هذا تشهير. زبيدة عسول ومصطفى بوشاشي مناضلان ملتزمان، نالا بفضل نضالهما دعم آلاف الشباب الحراكيين، انسجما مع أطروحاتهم ومواقفهم، وهما شخصيتان محترمتان ومثيرتان للإعجاب بما يقدمانه من أجل البلد. لم أكن أعرفهما شخصيًا، التقيت بهما لأول مرة في فبراير 2020 في باريس بمقر قناة المغاربية.

يبدو مع ذلك موقف القوى الغربية من الحراك غامضًا. كيف تحلل ذلك؟

الدول الغربية غير مهتمة ما إذا كانت الجزائر ديمقراطية أم لا، ما يهمها هو ألا يكون البلد مصدرًا للهجرة الجماعية إلى أوروبا أو مصدرًا للإرهاب. سواء كان في الجزائر نظام ديمقراطي أو نظام استبدادي، فإن ما يريده الغرب هو الاستقرار واحترام قواعد السوق العالمية. لقد تعلم الغرب الدرس من ليبيا وسوريا ولا يريد تكرار التجربة من جديد مع الجزائر. إن ما يُرعب فرنسا الرسمية ويشكل لها كابوسًا هو أن تصبح الجزائر مثل ليبيا. الغربيون يتحسرون على غياب صدام حسين الذي شكل حصنًا منيعًا ضد إيران وكان يقمع الإسلاميين، ويفتقدون القذافي الذي كان حاجزًا في وجه الهجرة الأفريقية نحو دول أوروبا. بالنسبة للولايات المتحدة، نحن نشكل الأطراف في هذا العالم، وهذه الأطراف لا بد أن يعمها الاستقرار والهدوء لكي لا تتعطل أشغال ومصالح الشركات متعددة الجنسية ولا تضطرب أسواق الأسهم، في حين جاء الحراك لينشر الهلع في مصر ودول الخليج، وهذه الدول تخشى تأثير العدوى، ولن أتفاجأ إذا ما تدخلوا بطريقة ما لإخماده.

مؤلف كتاب "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟ يعود إلى موضوع علاقتك مع حركة "رشاد". ويذكر "الصدقة الحميمة التي يصعب إخفاؤها" بينك وبين أحد قادة الحركة، العربي زيتوت، المعروف بصلاته بالحركة الإسلامية. ما ردك على ذلك؟

حركة رشاد هي تيار أيديولوجي داخل المجتمع الجزائري إلى جانب تيارات أخرى. وليس من صلاحية النظام أن يملى على المواطنين ما هي أحزاب المعارضة التي يجب

سأرفع شكوى ضد الكاتب ودار النشر

الانخراط فيها والنشاط في إطارها. موقفني من الإسلامية واضح وينبع من أعمالى الأكاديمية. هذا التيار لا يمكن استئصاله بالعنف، يجب إدماجه في المؤسسات في إطار قوانين الجمهورية مع احترام حرية التعبير. إذا كانت للدولة ما تتهم به مراد دهينة أو علي بلحاج، فهناك المحاكم وليس من مهمّ واختصاص الشرطة أن تتهم الناس. تقوم الشرطة باعتقال المشتبه بهم بأمر من العدالة، والعدالة هي التي تتولّى الحكم على من يمثل أُمّاها وتصدر قرارها فيه. بشكل عام، يجب أن تكون هناك مصلحة وطنية حقيقية يلتزم بموجبها الإسلاميون باحترام قوانين التعايش، بدءًا من حرية الضمير والمساواة القانونية بين الرجل والمرأة. ولا يمكننا أن نعيش في سلام وفي إطار دولة القانون إذا لم يتم احترام هذين المبدأين وحمايتهما بموجب القانون.

من بين "انتقادات" أحمد بن سعادة، ثمة انتقاد حول تغيير رأيك في الصحفي والكاتب كمال داود. لقد قدّمته في عام 2014، على أنه "الأفضل من بيننا"، في حين أصبح في يناير الماضي بالنسبة لك بمثابة "غنيمة ما بعد الاستعمار يستعرضه اليمين الأوروبي". ما رأيك؟

إنه لأمر غريب، فهذا النقد الذي يوجّهه بن سعادة لا يقوم على أيّ حجة. لقد فقد كمال داود العديد من أنصاره عندما انتقد الحراك في مقال صادر عن أسبوعية "لوبوان" (Le Point) الفرنسية. لقد نشرت نصًا على صفحتي على الفايسبوك خطّي باهتمام واسع في وقت قياسي، وقلت فيه أنه مخطئ. ولا أرى أين هي المشكلة، اللهم إلا إذا كان لا بدّ من أن أكون متفقًا مع المؤلف حتى عندما يغيّر موقفه. أذكر أنّ كمال داود كان دائمًا ينتقد النظام وعدم تسامحه. انتقاده للحراك أثار استغراب العديد من أصدقائه القدماء.

¹ <https://www.reporters.dz/entretien-lahouari-addi-je-deposerais-plainte-contre-lauteur-et-la-maison-dedition/>

لا حقّ لأحد في قياس وطنية الجزائريين

زبيدة عسول

مقابلة¹ أجراها سليم كوديل على موقع "Reporters.dz" بتاريخ 8 يوليو 2020

بصفقتها محامية تدافع عن معتقلي الحراك ورئيسة حزب "الاتحاد من أجل التغيير والتقدم"، تتحدّث زبيدة عسول في هذه المقابلة عن قرارات المحكمة الأخيرة، وتردّ فيها لأول مرة منذ نشر كتيب بن سعادة الأخير على ما تضمّنه من إشارات تخصّها.

Reporters: ما هو ردّ فعلك بعد الإفراج قبل بضعة أيام عن عدد من المعتقلين المرتبطين بشكل مباشر أو غير مباشر بالحراك؟

زبيدة عسول: أمضينا أشهرًا طويلة كمجموعة من المحامين في المرافعة لإثبات أنّ هؤلاء وغيرهم من المعتقلين لا يستحقون أن يكونوا في السجن، في دولة تريد أن تكون حرّة وديمقراطية. ومن ثمّ فنحن سعداء من أجلهم وعائلاتهم، فقد عانى هؤلاء معاناة شديدة. لكن للأسف، لا يزال العديد من الأشخاص الآخرين محتجزين في عدة جهات من البلاد ونحن نأسف لذلك وسنواصل العمل للإفراج عنهم.

هل تعتقدين أنّ هذه بادرة تهدئة؟ وكيف تنظرين إلى الوضع السياسي في الدولة بشكل عام؟

أعتقد أنّه من السابق لأوانه ولا نملك معلومات كافية للحكم على ذلك. إذا كنّا نريد حقًا السير في طريق ناجع لحلّ الأزمة السياسية التي هزّت البلاد لفترة طويلة وأدّت إلى الثورة السلمية التي نعيشها منذ 22 فبراير 2019، هناك إجراءات تهدئة متنوّعة

وكثيرة يمكن اتخاذها. لقد اقترحنا منذ بداية هذه الثورة انتهاج حوار شامل يقودنا إلى خارطة طريق توافقية نحو عملية تأسيسية. وهذا من شأنه أن يمكّن بلدنا من إحداث قطيعة بشكل نهائي مع النظام الحالي وطريقة الحكم فيه والتقدّم تدريجيًا نحو دولة القانون والحريات، وأيضًا لتحقيق التنمية المستدامة التي يحتاجها مواطنونا، لكن نلاحظ بأسف أنّ النظام مستمر في السير بطريقة أحادية الجانب.

لنبقى في إطار المستجدات، لقد ورد اسمك في كتاب أحمد بن سعادة الأخير "من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟"...

المشاكل التي يعاني منها الجزائريون، بالإضافة إلى الأزمة السياسية وجائحة كوفيد-19 والأزمة الاجتماعية والاقتصادية، تمنعني أخلاقيًا من الدخول في جدالات حول كتاب صدر بالإيعاز، ونحن نعلم أنه تمّ الإعلان عنه في 1 ديسمبر 2019 على أمواج القناة الثالثة للإذاعة، وهذا بذاته يكشف لنا تمامًا الأهداف غير المعلنة وراء نشر هذا الكتيب الأخير، لكن احترامًا لصحيفتك عليّ توضيح الأمور.

هل قرأت الكتاب؟

لقد تحمّلت عناء قراءته بدافع الفضول الفكري. يعتقد مؤلفه وكذلك الناشر أنها أكثر كفاءة واهتمامًا بمصالح الجزائر من الأجهزة المختصة في هذا الشأن، أي أجهزة الاستخبارات ومكافحة التجسس. بالنسبة لي سبق أن كنت محلّ بحث في إطار تحقيقات الاعتماد نظرًا لتوليّ منصب قاضية التحقيق، بالإضافة إلى المناصب العليا التي توليتها في أجهزة الدولة، وأخيرًا التحقيق قبل أن تُمنح لنا الموافقة على الاتحاد من أجل التغيير والتقدّم، الحزب الذي أترأسه منذ المصادقة عليه في 2013/3/19. إذن لم أنتظر حراك 22 فبراير 2019 للتعريف بنفسي.

المؤلف يذكر تمويل المنظمة غير الحكومية "الشبكة القانونية للنساء العربيات" من قبل المنظمات الأمريكية بما في ذلك "فريدوم هاوس"، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID)، والصندوق الوطني للديمقراطية (NED) بشكل غير مباشر. بصفتك عضو مؤسس ورئيسة سابقة لهذه المنظمة غير الحكومية، ما هو ردّ فعلك؟

لا حقّ لأحد في قياس وطنية الجزائريين

في ما يتعلّق بالشبكة القانونية للنساء العربيات، وهي منظمة غير حكومية دولية جمعت 18 دولة عربية مع قاضيات ومحاميات ومدّرّسات للقانون، قمنا بإنشائها لتدريب مواطنينا على قيّم دولة القانون واستقلال العدالة في بلداننا. يقع المقرّ الرئيسي لهذه الشبكة في الأردن وقد شاركت فيها وزارة العدل الجزائرية، بما أنّ قاضيات في المحكمة العليا ومجلس الدولة والحاكم والهيئات القضائية قد استفادت من هذه الدورات التدريبية مع شريكنا، "جمعية القضاة والمحامين الأمريكيين" التي لها مكتب معتمد في الجزائر العاصمة، ونظمت هي أيضًا برنامجًا تدريبيًا كبيرًا لصالح وزارة العدل. علاوة على ذلك، لا توجد ولا وثيقة واحدة في هذا الكتاب تتحدّث عن المنظمة غير الحكومية التي ترأسها.

بالإضافة إلى المؤاخذة الموجهة إليك وإلى المحامي مصطفى بوشاشي والأستاذ في علم الاجتماع لهواري عدّي، من قبل بن سعادة ويقدمه على أنه "اتصالات بجهات أمريكية"، يشير أيضًا إلى مداخلتك العديدة على قناة المغاربية، الوسيلة الإعلامية التي يصفها بالـ "قريبة من شبكة الإسلاميين المتطرّفين للجبهة الإسلامية للإنقاذ (المنحلة)". ما جوابك على ذلك؟

أما بالنسبة لظهوري على قناة المغاربية، ونظرًا لغلق جميع وسائل الإعلام الوطنية في وجه المعارضة، فمن واجبي الاستجابة للعديد من الدعوات من وسائل الإعلام التي تعمل بموجب القانون الأجنبي مثل Berbère TV وقنوات تلفزيونية فرنسية وإنجليزية وعربية وأمريكية وكندية وغيرها.

في نهاية المطاف، هل تعتبرين نفسك من قادة الحراك؟

عنوان الكتاب مثير للريبة لأنه يتحدّث عن هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم أبطال الحراك، بينما هناك العديد من أشرطة الفيديو المسجّلة التي تشهد على هذه الكذبة الكبيرة. لم أعلن نفسي بطلاة الحراك قط. أنا ناشطة ميدانية منذ 2012 ولم أتوقّف عن معارضة نظام الحكم، بعد أن أدركت أنه يقود البلاد إلى الهاوية. بدأت في الخروج إلى الشارع رفقة نشطاء آخرين لمعارضة عهدة بوتفليقة الخامسة، بصفتي متحدثة باسم حركة "مواطنة"، بل كنتُ أعلنت، في 28 سبتمبر 2018، أنه لو أوقفوا القمع الممارس على الناس لخرجوا إلى الشوارع في الولايات الثمانية والأربعين بطريقة سلمية لرفض هذه

زبيدة عسّول

العهدة الخامسة وكذلك لرفض نظام الحكم، وللمضي قدماً نحو بناء دولة القانون والحريات.

أعتقد أنه لا يحقّ لأيّ شخص قياس وطنية الجزائريين، ولهذا السبب سأحتفظ بالحق في متابعة المؤلف ودار النشر قضائياً.

الإحالات

¹ <https://www.reporters.dz/zoubida-assoul-nul-na-le-droit-de-mesurer-le-patriotisme-des-algeriens/>

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

مقال نُشر بتاريخ 10 سبتمبر 2020 على موقع "Alkarama.org"¹

1 . المقدمة	300
2. لكن من تكون منظمة الكرامة؟	302
1.2. فلسفة الكرامة: حقوق الإنسان للدفاع عن كرامة الجميع	303
2.2. العمل من أجل حقوق الإنسان	305
3. تفكيك الأحكام المسبقة حول أخلاقية العمل المتبعة من الكرامة	307
1.3. أخلاقيات عمل المساعدة القانونية: ضمان الاستقلالية	307
2.3. رشاد والكرامة: منظمات مختلفة مستقلة عن بعضها البعض	309
4. استخدام القذف ضد المدافعين عن حقوق الإنسان	311
2.4. عن أي تمويل قطري يتحدث؟	312
2.4. أي تمويل للإرهاب؟	314
3.4. ما هي التهم الموجهة لأعضاء الكرامة؟	317
5. التهم الموجهة إلى الكرامة: دليل على فاعلية المنظمة	318
1.5. لماذا تهم الكرامة بالإرهاب؟	319
2.5. الدفاع عن الكرامة من مسؤولين على أعلى مستوى في الأمم المتحدة	321
6. أحكام مسبقة بعواقب خطيرة على احترام حقوق الإنسان	322
1.6. مخاطر الرؤية الاستعمارية الجديدة لحقوق الإنسان	323

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

- 2.6. التداعيات على حقوق الإنسان والحريات الأساسية.....324
7. محاربة الدعاية والدفاع عن حقوق الجميع.....329
- 1.7. الحفاظ على الحريات الأساسية ضد التضليل الإعلامي.....329
- 2.7. تمرين بسيط للتمييز بين المعلومات والمعلومات المضللة، يستفيد منه جميع المواطنين.....334
8. الخلاصة.....334
- الملحق.....337

"إذا لم تتوَّخَّ الحذر ستجعلك الصحف تكره المضطَّهدين وتحب الذين مضطَّهدهم".
مالكولم إكس، خطاب ألقاه في 13 ديسمبر 1964 في قاعة أودوبون في هارلم،
نيويورك.

1. مقدّمة

في كتابه بعنوان "من هم هؤلاء الذين نصّبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" يصف أحمد بن سعادة الكرامة على أنها "منظمة غير حكومية droit-de-l'hommiste تأسست في سويسرا"². إن استخدام مصطلح "droit-de-l'hommiste"³، الذي يمكن ترجمة معناه بـ "تتلبّس برداء الدفاع عن حقوق إنسان"، ليس من باب الصدفة كونه مشحونًا بدلالة سلبية تحقيرية.

ينمّ هذا المصطلح المستحدث على ما يبدو - بوعي مه أو بغير وعي - إلى العداء الواضح الذي يكتنه المؤلف للمنظمة، وهو عداء لو لم يكن يندرج ضمن خطاب خطير على حقوق الإنسان، لما لفت انتباه الكرامة أصلاً. إنّ مصطلح "تتلبّس رداء الدفاع عن حقوق الإنسان" يشير أولاً إلى وجود تحيّز واضح. إذ يُعرّف التحيّز على أنه حكمٌ أو

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

رأي مسبق تجاه مجموعة من الناس أو فئة اجتماعية معينة، ومن طبيعة الأشياء، فمجرد أن يتشكل التحيز، فإنه ينتشر خارج نطاق أي معرفة موضوعية، بل وحتى دون أي اتصال، بين صاحب التحيز والطرف المستهدف.⁴ وعلى هذا الأساس نجد أن التحيزات تستند إلى مبالغة خاطئة ومتشعبة، يمكن تعريفها بكل بساطة كما لحصها أحد المنظرين لهذا الموضوع باعتبارها "التفكير بشكل سلبي في الغير، دون سبب وجيه".⁵

وقد انتهج المؤلف هذه المقاربة تحديداً في كتيبه عندما وصف مستهدفه بـ "القادة الذين نصبوا أنفسهم" والذين يسعى جاهداً إلى شملهم في النظريات التي يبنونها ويزعم فيها أن هؤلاء الأشخاص يضمرون شراً لبلدهم، دون أن يقدم أي دليل يعزز به ما يدعيه. يستند كتيب أحمد بن سعادة إلى جملة من التحيزات ولا يقوم على أي بحث شامل ودقيق من شأنه أن يعطي القارئ صورة وفيّة قدر الإمكان للواقع – وهو أسمى هدف يتوخاه أي باحث نزيه. لم يكلف أحمد بن سعادة أبداً نفسه الاتصال بالكرامة حرصاً منه على الحياد في تناوله للموضوع، رغم أن مقدمة الكتاب تعرّف عمله على أنه "تحقيق"، بينما لا يعدو كونه لأحة اتهام حقيقية صادرة عن محاكمة غيبية وجائرة ضد أشخاص ومنظمات، لم تُمنح لهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم، بحيث تجعل المرء يتساءل عن دوافع "المحقق" أحمد بن سعادة ويحاول فكّ شفرة المقصود من كتيبه. من نافلة القول أن موقفه يندرج في سياق مناهض لمطالب الحراك من عدالة مستقلة وألوية سيادة القانون، التي من أهم مبادئها افتراض البراءة ابتداءً.

بهذه المناسبة يمنحنا مؤلف الكتيب الفرصة للرد على مغالطاته من خلال تفكيك خطابه وإبراز الخطر الذي يمثله مثل هذا الخطاب على حقوق الإنسان، ويسمح لنا أيضاً بالتوجه إلى الشعب الجزائري وشبابه للتذكير بأنّ أول حق مدني يجب تنفيذه هو حقّ شعبنا في تقرير مصيره أخيراً بعد ما يقرب من ستين عاماً من تحرير أرضه.

وتحقيقاً لهذا الغرض سنقدّم إجابتنا على أربع مراحل: يتعلّق الأمر أولاً بالإجابة على سؤال أحمد بن سعادة الذي لم يجد له جواباً بعد "من هي منظمة الكرامة؟" (الفصل 2)؛ وبعد توضيح مَنْ هي الكرامة سنشرح ما ليست هي الكرامة، أي ما يُلصق بها ظلمًا وافتراءً (الفصل 3)؛ وبعد ذلك نردّ مباشرة على الاتهامات التي وجهها المؤلّف من خلال شرح نشأة هذه الاتهامات وتفكيكها واحدة تلو الأخرى (الفصل 4). بالإضافة إلى ذلك، يبدو لنا أنه من الضروري تجاوز محيط كتاب أحمد بن سعادة لتفكيك خطابٍ أشمل، راسخ وقديم، يستخدمه الأيديولوجيون الشعبويون والأنظمة الشمولية، وهو خطاب يقوم على التشهير العلني بالمدافعين عن حقوق الإنسان (الفصل 5). وبصفتنا منظمة للدفاع عن حقوق الإنسان تجعل من أهدافها الأساسية توعية المواطنين بخصوص احترام حقوقهم وحرياتهم الأساسية، سنشرح سبب خطورة مثل هذه الخطابات المشحونة (الفصل 6) وكيفية مواجهتها من أجل حماية حقوقنا وحرياتنا الأساسية (الفصل 7). ومن الضروري أيضًا أن يفهم الحراك، كحركة شعبية، أنّ فضاله السلمي ومطالبه ليست شرعية فحسب بل تشكّل حقوقيًا يحميها الدستور والاتفاقيات التي صادقت عليها الجزائر.

2. لكن من تكون منظمة الكرامة؟

الكرامة "منظمة تتلبس برداء الدفاع عن حقوق الإنسان"؟ هذا المصطلح (droit-de-l'homme) الذي تحوّل في الخطاب المعاصر إلى مصطلح مستحدث تحقيري⁶ ابتكره آلان بيليه (Alain Pellet)، أستاذ القانون الدولي في جامعة نانثير (Nanterre) بفرنسا، دون أن يكون في نيّته في الأصل مطلقاً إعطاء معنى سلبيًا يقلّل من شأن حقوق الإنسان. كان هذا المصطلح في منظوره يُستخدم فقط لوصف "الحالة الذهنية لمناضلي حقوق الإنسان الذين أُكِّت لهم، حسب قوله، تقدير كبير مع التحذير في الوقت نفسه من الخلط بين الأنواع: بين القانون من جهة وأيديولوجية حقوق الإنسان من جهة أخرى"⁷.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

لكن اليوم أصبح هذا المصطلح يجمع لوحده كل الانتقادات - سواء المؤسّسة أو غير المؤسّسة - الموجهة إلى خطابات وحركات حقوق الإنسان. وفي الحالة هذه فإنّ أحمد بن سعادة يشير على ما يبدو إلى أنّ الكرامة تستخدم خطاب حقوق الإنسان لأغراض أخرى، وهي تهمة لم يكن مؤلف الكتاب أوّل من وجهها إلى الكرامة وليس الأخير، في ظلّ المناخ الدولي المتردي في مجال احترام المبادئ الأساسية لكرامة الإنسان، لذا يبدو لنا من الضروري الإجابة عن السؤال الذي يطرحه المؤلف دون أن يجيب عنه بنفسه "ولكن من تكون منظمة الكرامة؟"، ونؤكد من جانبنا أنّ الأمر لا يتعلّق فقط بالدفاع عن المنظمة وإنما الدفاع قبل كل شيء عن الفلسفة الكامنة وراء الدفاع عن حقوق الإنسان، أي الدفاع عن احترام كرامة كل إنسان دون تمييز من أي نوع كان.

من جهة أخرى، سنبيّن أنّ اتهامات الكاتب بشأن "تمويل الإرهاب" هي في الحقيقة وجه من أوجه الانتقام ضد المنظمة. لقد جرت العادة أن توجّه الدول الاستبدادية و/أو تلك التي تنتهك حقوق الإنسان تهمة الإرهاب إلى كل من يندّد بانتهاكاتها، بغية التشهير والتشجيع بها للتشكيك في مصداقية أي نقد مشروع لممارساتها وتسهيل عمليات قمعها.¹

1.2. فلسفة الكرامة: حقوق الإنسان للدفاع عن كرامة الجميع

وُلدت الكرامة من رجم قناعة راسخة بأنّ توثيق انتهاكات حقوق الإنسان المنتشرة والمنظمة في العالم العربي وإحالتها إلى آليات حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة من شأنه أن يحدّ من انتشار رفعتها عن طريق فضح مرتكبيها والأمين بها. إنّ اللجوء إلى

¹ بهذا الشأن، شجب الخبراء المستقلّون التابعون للأمم المتحدة مرارًا وتكرارًا ممارسات هذه الدول الممثّلة في اتهام المدافعين عن حقوق الإنسان والمحامين والصحفيين والمعارضين السياسيين وغيرهم من النشطاء السلميين ووصمهم بالإرهاب أو بالإشادة بالإرهاب.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

الآليات شبه القضائية للأمم المتحدة قد يعوّض، إلى حدّ ما، عن غياب سيادة القانون في دول المنطقة.

وفق هذه القناعة، تقوم فلسفة المنظمة على وضع القانون الدولي لحقوق الإنسان وآلياته في خدمة ضحايا الانتهاكات حتى يمكن التعريف بقضاياهم وفكّ الطوق عليهم وكسر جدار الصمت المفروض عليهم. ثم لا يجب أن ننسى أنه لا بدّ من التذكير بأنّ القانون الدولي ليس قانوناً أجنبياً: إنه جزء كامل من قانون كلّ دولة اعتمدته وتفاوضت مطوّلاً بشأنه عبر توقيعها على المعاهدات التي التزمت باحترامها. سنعود إلى هذه النقطة في الجزء الثاني للردّ على الاتهامات التي غالباً ما توجّه، سواء في الجزائر أو في أيّ مكان آخر، إلى الذين يلجؤون إلى القانون الدولي وآلياته للدفاع عن مواطنهم ضدّ الظلم.

بالنسبة لضحايا انتهاكات حقوق الإنسان من الضروري جدّاً الاستماع إليهم وأخذ في الاعتبار قضاياهم. وهذا الاعتبار والعناية بقضاياهم لها تأثير أكبر ممّا تصدر عن خبراء مستقلّين من الأمم المتحدة. وهذا يعني على أقلّ تقدير اعترافاً دولياً بوضعهم كضحايا وما يتمخّض عن ذلك من حقوق طبيعية: الاعتراف بهم كضحايا، حقّهم في التعويض وجبر الضرر، والمحاکمة الجنائية للجنة ومعاقبتهم. هذا الاعتراف لا يسهم في إعادة الاعتبار للضحية وفي كرامته فحسب بل يشكّل أيضاً شكلاً ناشئاً من مسؤولية الجناة. ومنذ إنشاء الكرامة لجأ آلاف الضحايا من الرجال والنساء والأطفال ومن مختلف الأديان والتوجهات السياسية، يطلبون المساعدة القانونية من الكرامة والاستفادة من خبرتنا في جميع دول جامعة الدول العربية وحتى خارجها. كانت الكرامة على سبيل المثال الوحيدة التي قدّمت شكاوى إلى الأمم المتحدة ضد الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا الاختفاء القسري لمواطنين عراقيين بعد غزو عام 2003.⁸

إلى جانب الشكاوى الفردية تسمح لنا فرصة مراجعات هيئات معاهدات الأمم المتحدة وكذلك المراجعات الشاملة الدورية لمجلس حقوق الإنسان تسليط الضوء على الأسباب الهيكلية للانتهاكات التي توثّقها. في غياب أيّ شرعية ديمقراطية تعتمد أنظمة

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

العالم العربي على الخوف الذي ترعب به شعوبها لضمان استقرارها وأمنها، ومن ثمّ ليس من المستغرب أن تُصدر هذه الدول قوانين تعتبر بموجبها أيّ تعبير منتقد حرّ تهجماً على استقرار الدولة وأمنها، أو حتى شكلاً من أشكال الإرهاب. وتُنقذ هذه القوانين الجائرة من قبل جهاز قمعى يلجأ إلى العنف والتعسف في ظلّ مناخ يضمن لأصحابه الإفلات التام من العقاب، ممّا يؤكّد موافقة أعلى المستويات في الدولة على هذه الانتهاكات. وبفضل حضور هذه المراجعات يمكننا تسليط الضوء على هذه القوانين والممارسات والتصدي لها ليواجه ممثلو هذه الدول المسؤولية على ما يرتكبونه من انتهاكات، على الأقلّ أمام خبراء الأمم المتحدة، الأمر الذي مكّن الخبراء القانونيون للمنظمة من إصدار عدة مئات من التقارير والمذكرات تخصّ كلّ دولة عربية، بالإضافة إلى دول أخرى بما في ذلك الولايات المتحدة.

أخيراً، لتعميم عمل المنظمة نصدر بيانات تخصّ كل من الشكاوى الفردية والمراجعات الدورية لتوعية المجتمعات المدنية المحلية بفائدة مثل هذه الإجراءات. وقد قمنا بتدريب المدافعين عن حقوق الإنسان لكي يتّكّنوا من مواصلة عملنا القائم على مبدأ عدم التمييز في هذه المنطقة من العالم التي تعاني من الانقسامات العرقية واللغوية والدينية والسياسية التي أدت إلى استقطاب حتى داخل المجتمعات المدنية. وهذه المساهمة في حدّ ذاتها تدخل في إطار هذه العملية الرامية إلى رفع مستوى الوعي. من الضروري إذن تفكيك مثل هذه الخطابات على شاكلة خطب أحمد بن سعادة التي تعرّض الحريات الأساسية للخطر عن طريق مهاجمة الذين يستخدمون حقوقهم المشروعة أو يدافعون عنها.

2.2. العمل من أجل حقوق الإنسان

إنّ خبرة الكرامة في مجال القانون الدولي لحقوق الإنسان وآليات الأمم المتحدة معترّف بها اليوم من قبل الأمم المتحدة نفسها التي لم تتردّد في دعم الكرامة في مواجهة ما تعرّض له من هجمات منذ إنشائها.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

نسجلّ بكل فخر أننا كنّا المبادرين في التحقيقين الدوليين المستقلين الوحيدين حول البلدان العربية اللذين أجرتها لجنة مناهضة التعذيب حول لبنان⁹ ومصر¹⁰. وخلص التحقيقان الدوليان إلى أنّ التعذيب يُمارس بشكل منهجي في هذين البلدين ممّا يفتح المجال أمام إمكانية اتخاذ إجراءات جنائية فردية ضد المسؤولين، بما في ذلك على أساس الاختصاص القضائي العالمي¹.

تُضاف إلى هذه التحقيقات شكاوى سرّية ضدّ عدة دول في المنطقة ترتكب أبشع الفظائع بما في ذلك الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية لقمعها المستمرّ للمعارضين السياسيين ورجال الدين والصحفيين والمحامين الذين يتعرّضون لأعمال عنف فظيعة يموت بعضهم أحيانًا تحت التعذيب والمعاملة اللاإنسانية. وكانت الكرامة أيضًا وراء العديد من التحقيقات في آثار الهجمات الأمريكية في اليمن، البلد المدمر أصلاً بسبب ما يعيشه من أزمة إنسانية غير مسبوقة. سمحت تقارير التحقيقات هذه المقدّمة إلى خبراء الأمم المتحدة المستقلين بإدانة المتسبّبين في العديد من وفيات الأبرياء جرّاء قصف الطائرات بدون طيار (درونز)¹¹ وكذلك آثارها المدمّرة على الحالة النفسية للسكان لاسيما النساء والأطفال الذين يعيشون في ظلّ خوف دائم من الضربات الجوية¹².

هذا إذن أوّل توضيح حول سؤال الكاتب "من تكون منظمة الكرامة؟". إنّها منظمة تشتغل بميزانية ووسائل محدودة لكن بفضل فرق وشبكات متطوّعة تشارك مبادئنا وتكافح ضد الظلم، حالة بحالة، شكوى بشكوى، تقريرًا بعد تقرير، حتى لو لم تبدُ آثار هذه الإجراءات على الفور وبشكل واضح، فإنها تشكّل بداية العدالة المتمثلة في رفضها أن تمنح الأقوياء امتياز الإفلات من العقاب.

¹ يمنح الاختصاص القضائي العالمي القاضي القدرة على التحقيق في الجرائم ومقاضاة مرتكبيها بغضّ النظر عن مكان ارتكابها وبغضّ النظر عن جنسية الجاني وجنسية الضحية. انظر Vandermeersch Damien "الفصل الثالث. الاختصاص القضائي العالمي"، في: أطلونيو كاسيسي، المحاكم الوطنية والجرائم الدولية. باريس، مطبعة جامعة فرنسا « Hors collection » ص 586-611.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

ما هي رؤيتنا؟ رؤية عالم عربي يمكن في كنفه للجميع المطالبة باحترام جميع حقوقهم دون الخشية على حياتهم أو حريتهم أو سلامتهم الجسدية. إنه عالم يضمن حماية فعلية لحقوق جميع الأشخاص الذين يعيشون تحت سلطة الدولة بموجب القانون وحيث يكون القادة مسؤولين أمام شعوبهم يحترمون القوانين المحلية والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان. هذا ما نتمناه لكل بلد في المنطقة وخاصة للجزائر.

3. تفكيك الأحكام المسبقة حول أخلاقيات العمل المتبعة من الكرامة

عندما يسأل صاحب الكتيّب عن سبب دفاع الكرامة عن كريم طابو¹³ دون سواه من الضحايا فإنه يجهل مبدئين أساسيين من مبادئ الدفاع القانوني وهما أنّ الضحية هي التي تتصل بالحامي وليس العكس، والسريّة في التعامل مع القضايا من جهة أخرى. ثم يدّعي الكاتب أنّ المنظمة ليس أكثر من واجهة جموعية لحركة رشاد.

إنّ سجلّ الكرامة واضحٌ وبيّن بشكل لا يرقى إليه أدنى شك أنّ الضحايا الذين تدافع عنهم المنظمة ينتمون إلى جميع الفئات ومن كل المشارب؛ ثم إنّ الدفاع عن الضحايا يفترض أولاً وقبل كل شيء احترام مبادئ معيّنة تندرج ضمن "أخلاقيات" العمل، أو "الأخلاق" القانونية.

من ناحية أخرى، إذا كانت للكرامة ورشاد شخصيات مشتركة في هياكلها فباستطاعة أيّ تحليل نزيه وموضوعي للوضع أن يظهر أنهما منظمتان مختلفتان تماماً تعملان لتحقيق أهداف مختلفة وضمن أطر مختلفة.

1.3. أخلاقيات عمل المساعدة القانونية: ضمان الاستقلالية

تعمل الكرامة كمكتب محاماة يتولّى الدفاع عن قضايا الانتهاكات على المستوى الدولي مع فارق أنّ المساعدة القانونية تُقدّم مجاناً. وبهذه الصفة، يخضع محاموها لأخلاقيات العمل القانوني. إنّ الأخلاقيات القانونية تقتضي أن يمارس المحامي المدافع عن حقوق

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

الإنسان ولايته بكرامة واستقلالية وعدم تمييز ونزاهة وعدالة. هذه المبادئ منصوص عليها في ميثاق المنظمة الذي ينظم عملها، وكان بإمكان الكاتب الاطلاع عليه للحصول على معلومات عن الكرامة ولا يكتفي بالمعلومات التي يستقيها من الصحف الأمريكية للمحافظين الجدد¹⁴ أو من الصحف الإنجليزية المختصة في نشر الإشاعات أو حتى الصحافة التابعة للدول الاستبدادية في منطقتنا ومنها الإمارات العربية المتحدة.¹⁵

من المهم أن نذكر بالأخلاقيات التي توجه عملنا. أولاً وقبل كل شيء الكرامة، أي الاحترام الذي يستحقه كل إنسان بالنظر إلى إنسانيته، هي التي توجه الطريقة التي نتعامل بها مع ضحايا الانتهاكات الذين يطلبون مساعدتنا، ومن خلال احترام قواعد السرية وموافقة الضحايا في كل ما تتخذه المنظمة من إجراءات بعد اطلاعهم عليها. وليس من قبيل المصادفة أننا اخترنا "الكرامة" اسماً لمنظمتنا. ومن صميم هذا المفهوم للكرامة ينبع مبدأ عدم تمييزنا ومعاملتنا المتساوية لجميع ضحايا الانتهاكات المعروضة علينا طالما أن هذه الانتهاكات تقع ضمن ولايتنا دون أي اعتبار آخر.

إن إتباع منهج يسمح بتقديم المساعدة لأي شخص يتصل بنا دون تمييز يشترط بالضرورة توفر الاستقلالية التي تتمسك بها الكرامة وتحرص عليها. إن الاستقلالية تعني القدرة على التصرف بحرية دون إكراه أو أمر من أي هيئة سياسية أو أيديولوجية. ومن الناحية العملية لا تخضع إستراتيجية عمل الكرامة للضغوط السياسية أو الأيديولوجية أو المالية من أي جهة كانت.

تُتخذ الاختيارات الإستراتيجية من حيث أولويات ومحاور عملنا بعد تشاور فعال ومفصل مع طاقم العمل والهيئة الاستشارية ويتم على أساس دراسة موضوعية للوقائع والإشكاليات المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان في البلدان التي نغطيها. وهذا يعني أيضاً، وقبل كل شيء، الرضا القاطع لأي تمويل يتضمن شروطاً من شأنها أن تتعارض مع قيمنا أو مصالح الضحايا، وأي أموال صادرة عن حكومات أو هيئات ترتكب

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان أو متورطة بشكل مباشر أو غير مباشر في النزاعات في المنطقة.

أخيراً، تمنحنا هذه الاستقلالية الإمكانية والمصادقية اللازمتين للتفاعل مع جميع أطراف المجتمع التي يتألف منها العالم العربي، وبذلك تفتخر الكرامة بما تحظى به من تأييد وسط كل هذه المجتمعات عبر الأطياف السياسية والطائفية المختلفة التي تقسم العالم العربي في العمق.

وبفضل هذا الاستقلالية والثقة تمكّنا من مساعدة ضحايا من مشارب وطوائف جدّ متنوعة على غرار رجال الدين الشيعة في المملكة العربية السعودية والبحرين، وشيوخ السنة في المملكة العربية السعودية، وأقليات يهودية في اليمن بعد أن أُجبروا على ترك أراضي أجدادهم، وعن مدافعين عن حقوق المرأة ولبيراليين في السعودية، ونشطاء يمينيين في عُمان، وعائلات فلسطينية في الأراضي المحتلة ولاجئين، وسوريين من كل الأطياف، ونشطاء يساريين وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين في مصر... أمّا في الجزائر فإنّ الأشخاص الذين يتصلون بنا للمساعدة القانونية هم أولئك الذين نراهم يتظاهرون سلمياً كلّ يوم جمعة ويُعتقلون تعسفياً، ومنذ بداية الحراك تولى فريقنا ملفات ما لا يقلّ عن عشرين قضية عاجلة.

2.3. رشاد والكرامة: منظمتان مختلفتان مستقلتان عن بعضهما البعض

لا بدّ من التذكير بأنّ الكرامة منظمة تأسست في سويسرا بموجب القانون السويسري، وأعضاؤها الجزائريون لا يشكّلون سوى جزءاً من الطاقم، وهي منظمة غير مرتبطة عضوياً بحركة رشاد. لكن تجدر الإشارة إلى أنّ أحد أعضاء مجلسها (عباس عروة) وعضوين من الجهاز التنفيذي (مراد دهينة ورشيد مصلي) هم أيضاً أعضاء في رشاد، وقد تمّ تأطير هذه العلاقة وفق بنود ميثاق المنظمة¹⁶ الذي يفرض على وجه الخصوص أنّ "إستراتيجية الكرامة لا تخضع للضغوط السياسية أو الأيديولوجية أو المالية"، ويُذكر في الوقت نفسه أنّ "الالتزام بحقوق الإنسان يُنظر إليه أيضاً من زاوية معيّنة

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

باعتباره التزام سياسي"، وبالتالي فإنّ ميثاق الكرامة لا يمنع إمكانية أن يكون أعضاؤها ناشطين سياسيًا كما هو الحال مع أيّ منظمة غير حكومية، لكنه يشترط بأن يحترم هذا الالتزام حدودًا واضحة، لاسيما تلك المتعلقة بالحفاظ على استقلالية وحيادية المنظمة لتتمكّن من التصرّف على النحو الأمثل لمصلحة الضحايا وقد احترم أعضاء الكرامة المنتهون إلى رشاد على الدوام هذه المبادئ.

من الواضح إذن أنه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال تحميل الكرامة مسؤولية أفعال رشاد والعكس صحيح. لكن التهجّم على الكرامة من بعض وسائل الإعلام والناشطين كان محاولة منهم لتشويه سمعة رشاد من خلال تقديم أحيانًا الكرامة على أنها "وكيل قطري" أو حتى كيان "إرهابي". وبلجوئهم إلى هذه الحديعة نفسها يأملون في عكس الأدوار وتشويه سمعة العمل القانوني المعترف به للكرامة من خلال تقديمها على أنها يبدق للـ"أهداف السياسية" لرشاد. وهذه المساهمة تهدف تحديدًا التذكير بالحقائق والبيانات التي يمكن التحقق منها حول سجل الكرامة وعملها وبالتالي تردّ على الاتهامات غير المؤسّسة الموجهة ضدها.

حتى قبل نشر كتيّب بن سعادة بفترة طويلة حاولت الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية تشويه سمعتنا إمّا بشكل مباشر أو من خلال مرتزقة الأقلام المحافظين الجدد وناشري كراهية الإسلام والصحفيين الباحثين عن "العناوين الصادمة"، خاصة في سويسرا، بنشر دعوى خرقاء تزعم أنّ ثمة منظمة إرهابية خطيرة مدرجة في سجلّ المؤسسات ولها حق ولوج مقرّات الأمم المتحدة بجنيف. أمّا فيما يخصّنا فإننا نعتبر هذه الهجمات على منظمة صغيرة مكوّنة من عدد قليل من الحقوقيين بمثابة اعتراف ضمني بتأثير عملنا على أولئك الذين يرتكبون أبشع الفظائع في الجزائر وفي أماكن أخرى في العالم العربي.

4. استخدام القذف ضد المدافعين عن حقوق الإنسان

منذ نشأتها لم تتوقف الهجمات على الكرامة وتعرضها لسيل من التهم المتنوعة التي تمزج بين السخافة والضحالة. وكلها اتهامات تعكس في الواقع مدى انزعاج وقلق قادة الأنظمة العربية القمعية المعروفة بسجلها الثقيل في مجال ارتكاب أشنع أنواع الجرائم بحق شعوبها، ويعود سبب التهم التي تتلقاها الكرامة بالأساس إلى ما يقوم به فريقها من عمل وهي أيضا اتهامات ناتجة عن هاجس حقيقي إزاء كل ما له صلة بالإسلام، وهذا حتى عندما يطالب المسلمون بمجرد حقوقهم المعترف بها عالميًا في الكرامة والحرية ويتمسكون بها. ولا بدّ أن نقرأ أيضًا هذه التهم في سياق ما بعد 11 سبتمبر والسياسة الأمريكية المدعومة من الأنظمة العربية، وفي ضوء القمع الأعمى المسلط على شعوب العديد من الدول الإسلامية التي لا تزال صورتها الأبرز تخلدها صورة العراقيين في أبو غريب المعلقين من رقابهم بعد تعريتهم إمعانًا في إهانتهم.

من المهم بالنسبة لنا أن نوضح نشأة هذه الاتهامات التي يذكرها أحمد بن سعادة باستخفاف دون أن يكلف نفسه عناء التدقيق فيها عندما يكتفي بالقول "على الرغم من الاتهامات بتمويل الإرهاب الموجهة إلى هذه المنظمة غير الحكومية" مضيفًا أنّ هذا "الموضوع لن يتمّ التعميق فيه هنا". فهو بذلك يجعل من نفسه ببساطة ناقل للاتهامات بـ"تمويل الإرهاب" دون بلورة الموضوع، وقد يعود ذلك لشعوره في قرارة نفسه أنّ هذه الاتهامات يصعب إسنادها بأدلة؟ علاوة على ذلك يضيف أنّ المنظمة ممولة برأس مال قطري، وهنا أيضًا لا يقول لنا ما هو مصدر رأس المال الذي يشير إليه. وأخيرًا يشير إلى مراد ذهينة باعتباره مديرها التنفيذي لفترة طويلة. ولهذه الأسباب مجتمعة، نرى من الضروري توضيح هذه النقاط الثلاثة تباًا.

2.4. أي تمويل قطري؟

تتمسك الكرامة بمبدأ أساسي تراه ضروريًا في تسيير عملها وهو عدم قبول مطلقًا الأموال من أي دولة في المنطقة للحفاظ على استقلالها. وبصفتها مؤسسة بموجب القانون السويسري فهي تخضع لرقابة صارمة من قبل السلطة الفيدرالية التي تتحقق من مصادر تمويلها وكيفية إنفاقها. ويتم تمويل الكرامة بشكل حصري من قبل الأفراد الملتزمين بالدفاع عن كرامة الإنسان وعن حقوق المظلومين ومن ثم فالزعم بأن الكرامة تمول من قطر هو ببساطة افتراءٌ بحت. ولتتشكل صورة في ذهن المرء على الشكل الذي تبدو عليه أي منظمة غير حكومية تمولها إحدى الدول في المنطقة، يكفي أن يقوم بزيارة إلى جنيف لرؤية المكاتب الفاخرة والسائقين الخاصين الموضوعين في خدمة هؤلاء "المدافعين عن حقوق الإنسان"، وكيفيه الاستماع إلى خطاباتهم في قاعات الأمم المتحدة تمجيدًا وإطراءً لمؤيديهم. إن عملية تمويل المنظمات غير الحكومية من قبل بعض البلدان في جنيف تهدف في المقام الأول إلى إنشاء واجهات حقوقية "مستقلة" مفبركة ينحصر دورها في إنكار انتهاكات حقوق الإنسان التي يرتكبها رعاياها. بعبارة أخرى، هذه المنظمات ليست سوى الذراع الجماعي لهذه الدول داخل أروقة الأمم المتحدة لحمايتها وفي الوقت نفسه لمهاجمة أعدائها، ومن بين هؤلاء "الأعداء" تتبوأ الكرامة مرتبة بارزة.

نجد الكثير من منظمات "GONGOS" (مصطلح مختصر، للتعبير عن "المنظمات غير الحكومية" الحكومية التي تمولها الدول) في جنيف، ولمعرفة من هي هذه المنظمات الحكومية غير الحكومة وطبيعة عملها أو مهمتها، يكفي الاطلاع على تقاريرها على موقع المفوض السامي لحقوق الإنسان، ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال تقرير "الاتحاد العربي لحقوق الإنسان" (ArabFHR) أثناء مراجعة ملف دولة الإمارات العربية المتحدة من قبل مجلس حقوق الإنسان في عام 2017، ثم مقارنة هذا النوع من التقارير مع تقارير المنظمات غير الحكومية المستقلة حقًا.¹⁷ لن نجد في تقرير "ArabFHR" سوى أوصاف المدح والتبجيل لدولة الإمارات العربية المتحدة، التي يبدو سجلها ناصعًا

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

وكأنّ هذا البلد ليس فيه شخص واحد معتقل بسبب مزاولة مهنته القانونية أو معارضته سلمياً أمراء هذا الدولة الاستبدادية. بلغ الأمر بهذه المنظمة من مجموعة GONGO إلى حدّ إنكار وجود حالات اختفاء قسري في مصر في ظلّ نظام "المشير" السيسي رغم آلاف الحالات المسجّلة لدى فريق الأمم المتحدة العامل المعني بالاختفاء القسري، ثمّ يصرح مدير هذه المنظمة بلا خجل في وجه أسر الضحايا الشباب أنّ "حالات الاختفاء القسري في مصر مجرّد أكاذيب من افتراء جماعات يقودها الإخوان المسلمون التي تستخدم آليات حقوق الإنسان سياسياً".¹⁸

نذكر مثلاً نموذجياً معبّراً آخر، "الشبكة العالمية للحقوق والتنمية" (GNRD)، الموظّفة لخدمة أجندة الإمارات العربية المتحدة والتي نشرت "فهرس لحقوق الإنسان" صنّفت فيه دون خجل دولها الراعية والأصدقاء على رأس القائمة، تتقدّم حتى على الديمقراطيات الغربية، في تعارض صارخ مع التقارير المثقلة بالانتهاكات الجسيمة الصادرة عن المنظمات غير الحكومية المستقلّة والأمم المتحدة.¹⁹

يكفي لأيّ باحث حسن النية ولوج موقع الكرامة أو القيام ببعض الأبحاث على موقع مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ليجد أن الكرامة هي المنظمة الوحيدة التي تعمل بانتظام على قضايا حقوق الإنسان الخاصة بدولة قطر. وكانت تقاريرنا الموجهة إلى اللجان والخبراء المستقلين هي الأكثر انتقاداً لهذه الدولة الخليجية مع تسجيل ملاحظاتها باستمرار غياب حماية الحريات الأساسية وانتهاكات حقوق المحتجزين وحقوق العمال المهاجرين.²⁰ هل هذا حقاً ما يتوقعه المرء من منظمة ممولة من قطر؟ لقد قدمنا تقارير وشكاوى فردية ضد كل دولة من دول المنطقة - بما في ذلك قطر - ولم نشيد أبداً بأيّ دولة خليجية على براعتها المتوهمة في مجال حقوق الإنسان. في الواقع هذا النهج النقدي والحيادي هو الذي ألب علينا هذه الأطراف وسبب لنا عدااء كل دول المنطقة ويفسر أيضاً الهجمات المستمرة على الكرامة. هل هناك هجوم أكثر مكرًا ونجاعة يوجّه إلى أي منظمة عربية اليوم من تهمة "الإرهاب"؟

2.4. أي تمويل للإرهاب؟

مواقف الكرامة كانت دائماً جدّ واضحة: يشكّل اللاعنّف مبدأً أساسياً في ميثاقها وأعربت المنظمة على الدوام عن إدانتها للإرهاب، أي رفضها لاستخدام الرعب والعنف لتحقيق أهداف سياسية. لكن ما نلاحظه في العالم العربي هو أنّ وصمة الإرهاب أصبحت السلاح المفضّل المستخدم من طرف الأنظمة الاستبدادية لقمع أيّ انتقاد يوجّه لها أو طلب سلمي للمشاركة السياسية. لذا لم يعد يتردّد كل من يريد التهجّم على العمل الذي تقوم به منذ عام 2004 في اتهام الكرامة بدعم الإرهاب.

تزامنت هذه الاتهامات التي تربطنا بالإرهاب مع صياغة "القائمة" من قبل الولايات المتحدة بناءً على طلب من حلفائها الخليجيين لإدراج أحد مؤسسي الكرامة، عبد الرحمن النعيمي الأستاذ السابق في التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة قطر والناشط في حقوق الإنسان وسجين الرأي السابق لدى منظمة العفو الدولية.²¹ وبهذا الخصوص ندعو كلّ شخص يسعى بصدق إلى فهم تاريخ الرجل ووضعه إلى قراءة قرار الفريق العامل المعني بالاحتجاز التعسفي التابع للأمم المتحدة الصادر في 2018 بشأنه.

لقد أشار الخبراء المستقلّون إلى أنه في ديسمبر 2013 أدرجت وزارة الخزانة في الولايات المتحدة الأمريكية اسم عبد الرحمن النعيمي ضمن "قائمة الأشخاص الذين يمولون ويسهلون أعمال الإرهاب" دون السماح له بالدفاع عن نفسه وتفنيد التهم الموجهة إليه. شكّل نظام "الإدراج ضمن القوائم" أحادي الجانب الذي أنشأته الولايات المتحدة بعد هجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية وتمّ تعزيزه بعد الغزو غير المشروع للعراق من قبل القوات الأمريكية آلة حقيقية ليشمل أيّ شخص مشبوه ضمن قوائمها.²² في حين يحيل المعنى الحقيقي لصفة "شخص مشبوه" عملياً إلى معارضة التدخّل الأمريكي في المنطقة أو معارضة الأنظمة الشمولية العربية. ولم تقدّم وزارة الخزانة الأمريكية أيّ دليل يدين عبد الرحمن النعيمي الذي ينفي جميع التهم الموجهة إليه وقد أبلغ رسمياً السلطات الأمريكية

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

وكذلك لجنة العقوبات التابعة لمجلس الأمن للأمم المتحدة أنه على استعداد للمثول أمام المحاكم الأمريكية لمحاكمته لكن بدون جدوى.

ومع ذلك فقد تّمتّ ملاحقته قضائياً وسُجن وحُكمت عليه محكمة في بلاده (قطر)، لكن نظراً لعدم تقديم الولايات المتحدة أيّ دليل لتأييد هذه الاتهامات أُجبرت هذه المحكمة على إصدار حكم في 30 مايو 2016 ببراءته من جميع التهم الموجهة إليه.

وفي قرارهم الصادر عام 2018 أعرب خبراء الأمم المتحدة المستقلون عن قلقهم إزاء عدم الوضوح في مسار إجراءات متابعته قضائياً في السياق العام لمكافحة الإرهاب، وخصّ الخبراء إلى أن "هذا الأمر يثير مخاوف جدية بشأن السبب الحقيقي وراء هذه القضية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالممارسات العالمية المعروفة التي تمّ تبنيها بعد 11 سبتمبر 2001".²³ إنّ ما أثاره الخبراء في هذا الملف تمّ توثيقه وتحليله من خلال الدراسات الأكاديمية للقانون الدولي ومن قبل المجتمع المدني ويتلخّص في عدم الاكتراث المطلق بالحقوق الأساسية للمتضرّرين من إجراءات مكافحة الإرهاب التي اتخذتها الولايات المتحدة وحلفاؤها في العالم في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001. وكما تؤكّده الخبرة المستقلة للأمم المتحدة المعنية بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية أثناء مكافحة الإرهاب، "لم يجر مجلس الأمن أيّ حوار مع المجتمع المدني بشأن أيّ من قراراته المتعلقة مكافحة الإرهاب [...]، لتحديد الآثار القانونية والسياسية والاجتماعية والثقافية".²⁴ بالإضافة إلى ذلك، وبحسب الخبرة الأُممية، فإنّ عدم وجود تعريف للإرهاب في قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1373 (2001)، الذي بموجبه أنشئت قوائم العقوبات الشهيرة قد "فتح الباب أمام التسجيل التعسفي أو الماكر، لاسم أيّ شخص أو مجموعة، بما في ذلك من المجتمع المدني، وهذا برعاية شرعية المجلس".²⁵

في عام 2014 استقال عبد الرحمن النعيمي من الكرامة،²⁶ استقالة تبتعتها رسالة من وزارة الخزانة الأمريكية توضح بشيء من البساطة غير البريئة أنّ الكرامة لم تكن بأيّ حال

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

من الأحوال معنية بتهم الخزانة الأمريكية الموجهة إلى النعيمي ولكن عليها مع ذلك اتخاذ المزيد من الاحتياطات في المستقبل.

لكن الضرر كان قد وقع والأمريكيون قدّموا بذلك عصا على طبق من ذهب لحلفائهم في المنطقة لضرب الكرامة وتشويه سمعتها وتنظيم حملات تضليل في الصحافة سواء كانت صحيفة "السفير اللبنانية" التي اتهمت الكرامة علناً بـ "دعم الإرهاب" و "نشر الفوضى"، أو قناة "المنار" اللبنانية التابعة لحزب الله أو من المواقع الإخبارية للحكومة السورية "RTV.gov" و "الثورة" أو "أخبار اليوم" السعودية.

بالفعل كانت الكرامة وراء التحقيق الدولي في ممارسة التعذيب في لبنان، بما في ذلك على أيدي عناصر من حزب الله، وكانت الكرامة من أهمّ مصادر توثيق حالات الاختفاء القسري وعمليات الإعدام خارج نطاق القضاء التي ارتكبتها النظام السوري.

ثمّ تبعته مجلة "كومنتري" (Commentary) الأمريكية التابعة للمحافظين الجدد والمالية لإسرائيل التي اتهمت الكرامة بأنها مسيرة من طرف "مؤل القاعدة"، في إشارة إلى عبد الرحمن النعيمي.²⁷ وفي أكتوبر 2014 كانت هذه المرة صحيفة Le Temps السويسرية التي نشرت مقالاً بعنوان "مدينة جنيف مؤلت منظمة غير حكومية متّهمة بصلات مع القاعدة"،²⁸ مقالة تناقلتها بعد ذلك وسائل الإعلام السويسرية الأخرى.

لذلك قُذرت الكرامة الردّ على صاحب المقالة، وبعد شهر واحد نشر المدير القانوني للمنظمة رشيد مصلي مقالاً يتحدّث فيه عن صعوبة الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي موضحاً أنّ كل من يجرؤ على انتقاد الأنظمة الاستبدادية أو المطالبة بمزيد من الحرية يُتهم بتهمة بالإرهاب لخلق أيّ انتقاد لمتهمي حقوق المواطنين.²⁹

وفي نوفمبر 2014 نشرت وكالة أنباء الإمارات العربية المتحدة قائمة تضمّ 85 منظمة "مصنفة بالإرهابية بموجب القانون الاتحادي رقم 7 لعام 2014 بشأن مكافحة الجرائم الإرهابية"، أعدّها الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان بهدف "توعية المجتمع بهذه المنظمات".³⁰ وهذه القائمة التي تشمل المنظمات الإرهابية المعروفة دولياً، مثل القاعدة

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

أو داعش، تضم أيضًا العديد من الجمعيات الإسلامية في أوروبا والمنظمات غير الحكومية الدولية المعترف بها مثل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (CAIR) والإغاثة الإسلامية. وكانت الكرامة أيضًا ضمن الجمعيات المدرجة في هذه القائمة. ورغم محاولتنا الاتصال بالممثلية الإماراتية في جنيف للحصول على تفسير لم نتكّن من الحصول على أي ردّ. في الحقيقة لم تفاجئنا هذه القائمة أبدًا ولم تمنعنا كذلك من مواصلة عملنا لصالح الضحايا مع آليات حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.

باستطاعة أحمد بن سعادة والصحف الجزائرية الموالية للحكومة أن تكرر هذه الاتهامات إلى ما لا نهاية وتستمرّ في ذلك في مأمن من أيّ عقاب في ظل حماية تامة بل وبتشجيع من النظام الجزائري. لكن الأمر مختلف في الدول التي يحكمها القانون وحيثما تكون العدالة مستقلة. ولذلك عندما كترت صحيفة Le Temps السويسرية فعلها في عام 2018 ونشرت في يناير 2018 مقالاً³¹ يشير إلى أنّ الكرامة تندرج ضمن "مجموعة" إسلامية تابعة لقطر، وأنها محل تحقيق من قبل الأجهزة السويسرية، قدّمتنا القضية أمام محكمة سويسرية أنصفت الكرامة وبرأتها من التهمة في مواجعتها لأحد أرقى عناوين الصحف في البلاد. وأمرت المحكمة السويسرية الصحيفة بنشر ردّ الكرامة ودفع تعويضات مالية.³² ومن شبه المؤكد أنّ النتيجة تكون نفسها بالنسبة لأيّ دعوى تشهير أخرى في حقّ الكرامة كتنا سنرفعها ضد المشهرين لو لم تكن هذه الإجراءات ستأخذ من وقتنا وتصرفنا عن مهمتنا الأساسية المتمثلة في دعم الضحايا.

3.4. ما هي التهم الموجهة لأعضاء الكرامة؟

ليس من الاستقامة والتزاهة الفكرية عدم الإشارة إلى أنه بعد اعتقال مراد ذهينة وسجنه في فرنسا بناءً على طلب من نظام الجزائر لم يُسلم في نهاية المطاف إلى السلطة في الجزائر. وقد وصف المدعي العام الفرنسي نفسه عند استلام ملفّ التسليم الجزائري بأنه "سخيف" (ubuesque)، وكانت السلطات الجزائرية التي ربما لم تقرأ ببساطة حتى المستندات المرفقة بالملفّ المرسل لم تقدّم أيّ دليل مادي يبرّر طلبها بل الأغرب من

ذلك أنها قدّمت وثيقة تثبت براءته!³³ كما رُفضت جميع طلبات التسليم الأخرى التي قدّمتها السلطات الجزائرية إلى فرنسا وسويسرا نظراً لسخافة محتواها وعدم تناسقها.

وعكس ما يتوهمه أنصار نظريات المؤامرة، فإنّ مراد دهيّنة وغيره من المعارضين الجزائريين في أوروبا لا يمتنعون بأيّ حماية من أيّ بلد باستثناء حماية سيادة القانون والعدالة المستقلّة. والأمر مثله ينطبق على رشيد مصلي الذي اعتُقل على الحدود السويسرية-الإيطالية في أغسطس 2015 بناءً على مذكرة توقيف دولية صادرة عن السلطات الجزائرية في عام 2002. وفي 16 ديسمبر 2015، رفض قاضٍ إيطالي طلب التسليم بعد ملاحظته جميع التناقضات المتضمّنة في مذكرة التوقيف الدولية. واعتبرت المحكمة أنّ التهم الموجهة إليه كانت نتيجة "اضطهاد سياسي" وأكّدت أنّ "نشاطه في مجال حقوق الإنسان لا علاقة له بالإرهاب". أخيراً في 13 مايو 2016 قرّرت لجنة مراقبة ملفات الإنترنت بعد معركة قانونية طويلة إلغاء مذكرة التوقيف الدولية هذه.³⁴

5. التهم الموجهة إلى الكرامة: دليل على فاعلية المنظمة

في مقال نشرته صحيفة Le Temps السويسرية³⁵ بتاريخ 20 نوفمبر 2014 أعرب المدير القانوني للكرامة عن مدى صعوبة الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي، ردّاً على مقال آخر، ليس الأوّل من نوعه،³⁶ نُشر في الصحافة السويسرية حول الاتهامات المتعلقة بالإرهاب التي وجهتها على وجه الخصوص دولة الإمارات العربية المتحدة إلى الكرامة. وأكّد رشيد مصلي في مقاله أمراً لا يخفى على أيّ شخص مطلع على أوضاع حقوق الإنسان وهو أنه "في العالم العربي يّتهم بالإرهاب" كلّ من ينتقد الأنظمة الاستبدادية أو يطالب بمزيد من الحريات، لكن عندما تردّد الديمقراطيات الغربية نفس النغمة يصبح الأمر مثيراً للقلق حقاً". ورغم التهم الملققة ضدها حظيت الكرامة على الدوام بدعم خبراء الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية المستقلة والمجتمع المدني الذين لا يدعمون المنظمة فحسب بل يتفهّمون أيضاً أسباب مثل هذه المضايقة الخائفة المتواصلة.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

1.5. لماذا تتهم الكرامة بالإرهاب؟

من أجل فهم لماذا لا تستند اتهامات أحمد بن سعادة إلى أي تحليل حقيقي للوضع، لا بدّ على المرء أن ينظر في أسباب هذه الاتهامات ومصدرها. وبوسع كل شخص يزور موقع الكرامة ويطلع على أعمالها أن يرى بسهولة أنها تُزجّ فعلاً أقوىاء هذا العالم وهذا من نواحٍ شتى.

إنّ إقدام الكرامة على الإدانة العلنية في مقرات الأمم المتحدة للانتهاكات المنهجة المرتكبة من قبل هذه الأطراف والتي غالباً ما ترقى إلى مرتبة الجرائم ضد الإنسانية لا يمكن في واقع الأمر إلا أن يثير استياء هذه الأنظمة التي اعتادت على المواقف غير المكترثة من طرف حلفائها الغربيين الأقوياء بل وحتى تواطؤهم بسكوتهم.

بالفعل ليس هناك "تخريب" (التهمة الموجهة عادة من الأنظمة المستبدّة ضدّ خصومها) أكبر وأخطر من التشكيك والتصدي للخطاب "الأوروبي" (المزدوج) المعتمد من قبل الدول العربية الشمولية وإدانة العنف السياسي الذي تستخدمه ضد شعوبها ثمّ تقدمه على أنه يشكل الطريقة الوحيدة - والأكثر فعالية - لفرض السلم "الاستراتيجي" في هذه المنطقة لصالح حلفائها.

إذا كان هناك اليوم شيء باستطاعته أن يجعل أيّ شخص منبوذاً "لا يمكن الدفاع عنه"، فهو تهمة الإرهاب، ولهذا السبب كان اتهام الكرامة بالإرهاب، حسب اعتقادهم، تحطيم المصادقية في عملها ومصادقية الآلاف من الإجراءات المتخذة من قبل المنظمة لصالح الضحايا والمئات من التقارير الموثقة عن أبشع التجاوزات التي ارتكبتها

^أ نغني بكلمة "أوروبية" هنا التقنيات اللغوية للدول الشمولية التي تقدّم الظلم في رداء العدالة، والاستثناء على أنه القاعدة، وفيها يتعلق بنا تقديم المدافعين السلميين عن حقوق الإنسان أو ببساطة من يطالبون بمزيد من الحقوق والحريات وأفاق لمستقل وتكافؤ الفرص على أنهم إرهابيون إسلاميون خطرون يجب "قمعهم". يوضح جورج أورويل هذه الفكرة المزدوجة بتعبيره المشهور: "وزارة السلام تعني بالحرب، ووزارة الحقيقة بالأكاذيب، ووزارة الحب بالتعذيب، ووزارة الوفرة بالمجاعة. هذه التناقضات ليست عرضية وليست نتيجة تفاق عادي، إنها تمارين متعمّدة في التفكير المزدوج. جورج أورويل، *Nineteen Eighty-Four*. لندن 1949. Secker & Warburg.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

الأنظمة العربية للسيطرة على شعوبها عن طريق نشر جو من الرعب. هذه الممارسات ترمي في الوقت نفسه إلى تهريب الضحايا وأقاربهم لثنيهم عن التواصل مع الكرامة من خلال اتهمهم بـ "خيانة بلادهم" أو حتى الاتصال بهيئة إرهابية، لكن رغم كل هذه الممارسات من السلطة تواصل عائلات الضحايا في وضع كامل ثقها في الكرامة.

إنّ اتهام الكرامة بالإرهاب معناه أيضًا محاولة منعها من الوصول إلى الأمم المتحدة ومن أخذ الكلمة للتحدّث بصراحة أثناء عمليات فحص أوضاع حقوق الإنسان في بعض البلدان. وعلى إثر طلبنا للحصول على الصفة الاستشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة (ECOSOC)، المقدّم في مايو 2015، قرّرت لجنة المنظمات غير الحكومية بالإجماع تقديم توصيتها بمنح الكرامة صفة استشارية خاصة. وجاء قرار منح الكرامة صفة استشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي نتيجة عملية طويلة أثناء المراجعة من قبل لجنة المنظمات غير الحكومية بعد محاولة الدول الصديقة أو الحليفة للأنظمة العربية بكل الوسائل تأخير إصدار القرار.³⁷ وفي 26 يوليو 2017، خلال اجتماع التنسيق والإدارة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي المكوّن من الدول والمفترض أن يوافق على جميع قرارات لجنة المنظمات غير الحكومية، قدّمت دولة الإمارات العربية المتحدة قرارًا يطلب سحب قرار الاعتماد بدعوى أنّ الكرامة لها "صلاّت واضحة بالإرهاب".³⁸ هذا القرار الذي قدّمته دولة الإمارات العربية المتحدة أيّدته... الجزائر والولايات المتحدة. ورغم ذلك لم يمنعنا ذلك، إلى يومنا هذا، من حضور الاجتماعات الخاصة بمراجعة ملفات الدول من قبل اللجان الأُمّية وحضور جميع

^أ الصفة الاستشارية لدى مجلس المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة هي صفة تُمنح للمنظمات غير الحكومية وتتيح لها المشاركة في المؤتمرات الدولية التي تنظمها الأمم المتحدة وأخذ الكلمة فيها. تدير عملية الاعتماد لجنة المنظمات غير الحكومية التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الكائن مقرها في نيويورك. وتنتهي هذه العملية بين أيدي الدول التي يمكنها أن تمنع المنظمات غير الحكومية من الحصول على الصفة الاستشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي من أجل معاقبتهم وعرقلة عملهم داخل الأمم المتحدة. انظر على سبيل المثال تقرير المقرر الخاص المعني بالحق في التجمع السلمي وحرية تكوين الجمعيات، / UN Doc. A / 69/365، 1 سبتمبر 2014، الفقرة 72 وما يليها.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

الاجتماعات الأخرى التي توجّه إلينا بشأنها الدعوة مباشرة من قبل الخبراء المستقلين دون الحاجة إلى الصفة الاستشارية.

إنّ اتهام الكرامة بالإرهاب يعني في نهاية المطاف السعي إلى إغلاق جميع أبواب التمويل أمامها اليوم، ومع ذلك، فلن نتخلّى أبداً عن مهمتنا ونضالنا.

ليست الكرامة الضحية الوحيدة لهذه الممارسة فقد كشفت دراسة أجرتها المقررة الخاصة المعنية بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية أثناء مكافحة الإرهاب،³⁹ ركزت على الشكاوى التي تلقتها ولايتها، أنّ 66٪ من هذه الشكاوى تتعلق بمجالات اتهام بالإرهاب من قبل دول، تُهمّ موجهة لأعضاء المجتمع المدني كشكل من أشكال العقاب أو الانتقام من أصحابها.⁴⁰ وينطوي هذا الوضع المثير للقلق على عواقب وخيمة على حالة المجتمع المدني والحريات الأساسية للبلد. يبقى الهدف من هذه الإجراءات هو نفسه: منع الانتقاد السلمي للأنظمة القمعية، وتكميم المجتمع المدني من خلال التهديد بوصم أيّ منتقد لهذه الدول أو الجهات بتهمة الإرهاب في عالم قد تكفي هذه التهمة لوحدها لحرمانه من أيّ إمكانية للتعبير وأي حماية قانونية.

هذه الممارسات وكل الجهود المبذولة من وسائل إعلام معبأة لهذا الغرض وحشد الصحفيين عديمي الضمير مقابل مكافآت تُظهر مع ذلك مدى القلق والرعب الذي يملك هذه الأنظمة في محاولتها ضمان بقائها.

2.5. الدفاع عن الكرامة من مسؤولين على أعلى مستوى في الأمم المتحدة

كان للكرامة الحظ والفضل في تلقي الدعم من خبراء حقوق الإنسان المستقلين التابعين للأمم المتحدة الذين يعرفون عملها وجديتها. ففي أكتوبر 2018 أشار مساعد الأمين العام للأمم المتحدة إلى الأعمال الانتقامية ضد الكرامة⁴¹ ملفتاً الانتباه إلى استخدام تهمة الإرهاب لمنع المنظمة من دخول مقرّات الأمم المتحدة. وأكّد الأمين العام المساعد الذي أعرب عن قلقه إزاء انعدام الشفافية في عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بمنح الصفة

الاستشارية للمنظمات غير الحكومية علانية أنّ "طلب حصول منظمة الكرامة على الصفة الاستشارية قد رفضه المجلس الاقتصادي والاجتماعي انتقامًا منها بسبب عملها لصالح حقوق الإنسان لدى الأمم المتحدة".⁴²

وفي يناير 2018 تولى خيران من الأمم المتحدة وهما المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير والمقرر الخاص المعني بحالة المدافعين عن حقوق الإنسان أيضًا الدفاع عن الكرامة،⁴³ وأعربا عن قلقهما إزاء رفض المجلس منحها الصفة الاستشارية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي، "وهو قرار لا يبدو أنه يستند إلى تقييم موضوعي للحقائق بل يبدو أنه يشكل إجراء انتقاميًا على عملها ومشاركتها مع آليات الأمم المتحدة في مجال حقوق الإنسان".⁴⁴

كان ذلك مجرّد تصويب خطأ وانصاف تجاه منظمة استثمرت الكثير من الوقت والجهود في الدفاع عن ضحايا انتهاكات حقوق الإنسان.

6. أحكام مسبقة لها عواقب خطيرة على احترام حقوق الإنسان

ينتمي أحمد بن سعادة، أحد أنصار "الاستقرار في ظل الظلم"، إلى الخط الذي ينكر مبدأ حقوق الإنسان غير القابلة للتصرف وللتطلّعات المشروعة للتغيير المعبر عنها من طرف مواطني العالم العربي. فهو يعتبر الشعب الجزائري قاصرًا وينفي عنه أيّ قدرة على المطالبة باحترام حقوقه غير القابلة للتصرف بطريقة مستقلة. وإذا كان مثل هذا الخطاب راسخًا ومتجذرًا في التاريخ الاستعماري وجزء من المكانة الممنوحة للمستعمر بخصوص التمتع بحقوقه الأساسية، إلا أنّ هذا الخطاب قد تطوّر اليوم واتخذ أشكالًا مأكرة مدسوسة قائمة على التضليل الإعلامي والدعاية والمضايقات القضائية ضد ضحايا الانتهاكات أنفسهم وضد من يدافع عنهم.

1.6. مخاطر الرؤية الاستعمارية الجديدة لحقوق الإنسان

لو نظرنا إلى الهجمات وحملات التشهير التي تعرّضت لها الكرامة منذ إنشائها والحملات الإعلامية المضلّة التي تمّ تنفيذها والجهات التي حركتها ونشطتها تتكشف لنا عدة ثوابت منها استخدام مصطلح "إسلاموي"، الذي ينطوي على دلالة مطاطية للغاية، مصطلح فضفاض يمكنه أن يستوعب مجموعة واسعة من الحركات والأحزاب والشخصيات بغضّ النظر عن أهدافهم وأساليبهم وسياقاتهم، وهو يحيل من حيث الاستخدام الشائع إلى "المسلم السيئ" هذا إذا لم يشير ببساطة إلى "إرهابي محتمل". إنه مصطلح يصطنع "الآخر"، الغريب، في صورة تثير القلق في النفوس وترهيبها من أجل حرمان "الإسلاموي" من شرعيته والحثّ كواجب أخلاقي على ضرورة مراقبته.

إنّ الهدف من تمييط الكرامة بشكل منهجي وتغليفها برداء الفزاعة "الإسلاموية"، هو إقصاؤها من مهامّ الدفاع عن حقوق الإنسان ومبادئ الكرامة، ليدوكلّ ما تتخذه من إجراءات في مجال حقوق الإنسان مجرد وسيلة وتكتيك لا يمكن أن يكون إلا من أجل غايات شريرة متخفية، يجتهد أتباع نظريات المؤامرة مثل أحمد بن سعادة إلى فضحها.

هذا الإقصاء يساعد على ترسيخ الرؤية العنصرية والاستعمارية البحتة لحقوق الإنسان التي لا يمكن وفق رؤيتهم أن تتولاها الشعوب المحلية التي يتوجّب "تحضيرها". وبشكل أعمّ لا يمكن للمسلمين - والمشتبه فيهم كلهم بالإسلاموية - والذين يتّسم دينهم بطبعه "بالعنف"، أن يطالبوا بالمساواة والكرامة والحرية التي اخترعها "الرجل الأبيض المستنير" وحده. هذه الرؤية ذاتها لمبادئ حقوق الإنسان والحضارة التي برّرت في الماضي استعمار الشعوب وشرعنّت الجرائم ضد الإنسانية هي التي تُستعمل اليوم لتصف أيّ دعوة صادرة عن المسلمين من أجل الحرية أمراً خطيراً.

وما يزيد من شبهة هذه الدعوات، وفق "تحليل" بن سعادة، أنّ تجسيدها يتم في مظاهرات سلمية ومنظمة ومستقلة فوق كل ذلك. ويستمرّ انتشار أنماط التفكير من

هذا النوع، المتجذرة بعمق في التاريخ الاستعماري، واختراق المجتمعات الغربية والنخب المنقطعة عن مجتمعاتها في دول المغرب العربي أو الشرق الأوسط على حدّ سواء.

لكن رواية أحمد بن سعادة لا تتوقّف عند هذا الحدّ بل تذهب أبعد من ذلك: إنّ "قادة" الحراك – الذين لم يشيروا إلى أنفسهم مطلقاً بهذه المصطلحات – لا يستطيعون أبداً، في نظره، التعبير عن مطالبهم بأنفسهم، ومن ثمّ فهم يخدمون بالضرورة أجندة تمت صياغتها ودعمها من قبل القوى الغربية، وهنا تأتي حجة العامل الخارجي: هؤلاء "القادة" لا يمثلون الشعب الجزائري لذا لا يملكون أيّ شرعية للحديث، بل أكثر من ذلك، يعتبر أنّ الدولة محقة في اتخاذ إجراءات صارمة لقمع أعداء الشعب وحمايتهم من محاولات التلاعب بهم. في الصورة التي ينسجها أحمد بن سعادة يبدو الشعب الجزائري قاصراً مجمداً في مرحلة الطفولة قابل للتلاعب به وخاضع لرغبات غيره.

2.6. التداعيات على حقوق الإنسان والحريات الأساسية

نعت طرف بصفة "أجنبية" هو مقدّمة لإقصائه، وليس من المستغرب إذن أن يشترك خطاب أحمد بن سعادة في نفس التلميحات الضمنية التي أدلى بها وزير الاتصال الحالي، عمار بلحيمر،⁴⁵ بشأن ضرورة التخلّص من الذين يلوّثون الحراك "الصافي"، التخلّص من أيّ اعتداء على أمن الدولة، ومن أيّ انتقاد لمؤسساتها. إذن لا بد من وقف هذه "الطفيليات" وسنّ قوانين قمعية جديدة لردع كلّ من تسوّّل له نفسه حذو حذوهم في المستقبل.

وحتى لو سعى أحمد بن سعادة إلى الظهور كمدافع عن الحراك، فإنّ ما يقوم به عملياً – وكذلك شركاؤه الذين قاموا بكتابة تصدير الكتاب وخاتمته – ليس أكثر من إضفاء الشرعية على القيود المفروضة على حريات نشطاء هذا الحراك، من خلال استخدام تقنيات التشهير والقذف، بما يفسح المجال أمام مزيد من المضايقات للنشطاء وتلفيق

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

الانتهاكات والملاحقة الجنائية، وهو يأمل بهذه الطريقة إسكات المجتمع المدني ووضع حدّ للحراك الذي يزعم الدفاع عنه بشدة.

أ) التهجم على الأشخاص الذين يستخدمون حقوقهم وحرّياتهم الأساسية بشكل سلمي في خطابه لعام 2018 أمام مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، أعرب مساعد الأمين العام للأمم المتحدة، أندرو جيلمور، عن قلقه إزاء اتهامات "الإرهاب" التي وجهتها بعض الحكومات ضد المنظمات غير الحكومية والمدافعين عن حقوق الإنسان والنشطاء بحجة التعاون مع جهات أجنبية أو المساس بسمعة الدولة أو أمنها، مضيفاً أن هذا التوجّه الخطير الذي انتشر عالمياً يسعى قبل كل شيء إلى تشويه سمعة المدافعين عن حقوق الإنسان والقضاء على مصداقيتهم.⁴⁶

في حين نجد أنّ أحمد بن سعادة يطرح قضية اعتقال كريم طابو دون أن يكتفي فقط بالتشكيك في نزاهة المدافعين عنه بل يشكّك أيضاً في دوافعهم، وبالتالي في شرعية هيئة الدفاع! ويدّعي بن سعادة أنّ أصواتاً كثيرة قد ارتفعت للمطالبة بالإفراج عنه، لكنه لم يقصد بذلك إلا الذين يهيمه أمرهم، في محاولة منه لتشويه سمعتهم، وبوسعنا نحن أيضاً أن نظرح عليه السؤال لماذا لم يهتم بالمدافعين الآخرين عن طابو؟

دعونا نعود قليلاً إلى ردّ الحكومة الجزائرية وما تكشف عنه من خطورة بالغة في صياغتها لائحة الاتهامات ضد كريم طابو. تؤكد الدولة الجزائرية في ردّها على الأمم المتحدة أنّ التهم الموجهة لكريم طابو تتمثل في قيامه خلال إحدى مداخلته العلنية "بإلقاء خطب تحرّض على العصيان المدني ضد مؤسسات الدولة وعلى وجه الخصوص

⁴⁶ أحمد بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟" الجزائر العاصمة، APIC، 2020، ص 63. متبنيًا نبذة ازدياء لإجراءات اتهام كريم طابو "توجيه لائحة اتهام بعد يوم من اعتقاله؟". نبغي توضيح أنّ كريم طابو لم يوضع رهن الاعتقال لدى الشرطة وأنه أوقف مباشرة على ذمة التحقيق. (انظر: رد حكومة الجمهورية الديمقراطية الشعبية الجزائرية على النداء العاجل AL DZA 3/2020 بتاريخ 14 أبريل 2020 بشأن قضية كريم طابو، 2 يونيو 2020: متاح على الإنترنت على هذا العنوان: <https://spcommreports.ohchr.org/TMResultsBase/DownloadFile?gId=35327>

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

ضد الجيش الوطني، مما أضفى على هذه الخطب صفة إجرامية مثبتة". وبحسب السلطات فقد "تهجّم السيد طابو على المؤسسة العسكرية علناً بآتهام قائد أركانها وضباط الجيش بالتورّط في قضايا فساد، وبالتالي بإثارة الشكوك داخل هذه المؤسسة". وما يلاحظ هو أنّ جميع هذه المزاعم المبرّرة لاعتقال طابو متناقضة تماماً لأنّه في تلك الفترة بالذات كان ضباط كبار في الجيش يمثلون أمام المحكمة العسكرية في البليلة بتهمة "الفساد".⁴⁷

بالإضافة إلى ذلك، في محاولتها إنكار الانتهاكات الخاصة بجرمان كريم طابو من حقه في حرية التعبير ادّعت السلطات أنّه تمّ اعتقاله فقط "لانتهاكه العقد الاجتماعي الذي يتطلّب منه احترام القوانين ومؤسّسات الجمهورية أثناء مزاولة نشاطه السياسي، كما هو مطلوب في جميع المجتمعات الديمقراطية". بعبارة أخرى، يبدو من منظور النظام الجزائري أنّ أيّ مشاركة في المجال السياسي الجزائري يجب أن تتمّ بشروطه وضمن الحدود التي يضعها النظام نفسه، وهذا يعني أنّ الدعوة إلى التغيير السلمي لمؤسّسات الدولة يجب ألاّ يكون ضمن المطالب السياسية للمواطنين. هل هذا هو المفهوم الذي يتّمناه أحمد بن سعادة ويعمل من أجله للعقد الاجتماعي والديمقراطية في الجزائر؟ فالحراك المقبول يكون من وجهة نظره إذن حراكاً لا يطالب بتغيير حقيقي لمؤسّساته وحكامه ولو بطريقة سلمية؟ هل يريد حراك شعب سلمي من دون أيّ إرادة في التغيير؟

ب) إدراج هذه الهجمات في قانون البلاد

إنّها نفس المقاربة التي أدّت في أبريل الماضي إلى اعتماد القانون رقم 20-06، دون مناقشة برلمانية أو عامة، وأدخلت في قانون العقوبات عدة أحكام شديدة التقيد للحق في حرية التعبير والممارسة الدينية وتكوين الجمعيات، في سياق مثير للقلق أصلاً، يتميّز بالاضطهاد المنهجي للناشطين.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

هذا القانون يعدّل المادة 144 من قانون العقوبات الذي يجرم انتقاد الموظفين العموميين من خلال (1) تشديد أحكام السجن المطبقة و(2) توسيع نطاقها لتشمل ازدراء الأئمة. وينطوي هذا الحظر على إشكالية أكبر لأنّ الأئمة موظفون لدى الدولة ويتلقّون تعليمات تتحكّم في خطبهم على منابر المساجد، من قبيل أمر المصلين بعدم التظاهر مع استخدام الحجج الدينية لحظر أيّ تظاهرة سلمية تعارض السلطة العمومية.⁴⁸ بالإضافة إلى ذلك، أدخل القانون فصلاً جديداً في قانون العقوبات يجرم "نشر أو الترويج لمعلومات أو أخبار من شأنها الإضرار بالنظام والأمن العام".

أخيراً، أُدخِلَت المادة 95 مكرّر في قانون العقوبات، التي تفرض قيوداً خطيرة على حرية تكوين الجمعيات وتنصّ على إنزال عقوبات تصل إلى سبع سنوات سجنًا، بينما يميّز النظام القانوني الحالي أصلاً بتقييد هذه الحريات، ليضاف له هذه المرة تجريم الحصول على الموارد مهما كان مصدرها (عام أو خاص).⁴⁹

ج) من الأحكام المسبقة إلى التضليل الإعلامي... إلى إغلاق فضاء المجتمع المدني

جميع هذه الإجراءات غير القانونية، سواء من وجهة نظر الدستور أو التزامات الدولة الجزائرية بموجب العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية يبرّرها الوزير عمار بلخير بحجّة وجود نفس المخاطر التي تثير قلق أحمد بن سعادة. وبالتالي، فإنّ ما وصفته الصحافة بأنه "تقييد للحريات" تمّ ترجمته عملياً إلى أحكام جزائية جديدة صُمّمت لإضفاء الشرعية على ممارسة القمع، تستهدف الصحفيين والمنظمات غير الحكومية بالدرجة الأولى، وكونهم متهمين بالارتباط بالخارج يُنظر إليهم على أنهم المروجون بامتياز لهذه "الثورة الملونة" التي يبدو أنها تطارد أحمد بن سعادة والحكومة الحالية.

¹ تجدر الإشارة إلى أن اللجنة أعربت من جديد في ملاحظاتها الختامية المتعلقة بالتقرير الدوري الرابع للجزائر عن قلقها بشأن المواد 144، 144 مكرّر، من قانون العقوبات التي "تواصل تجريم أو المعاقبة بالغرامات على الأنشطة المتعلقة بممارسة حرية التعبير، مثل التشهير أو ازدراء الموظفين أو مؤسسات الدولة". انظر: لجنة حقوق الإنسان، الملاحظات الختامية على التقرير الدوري الرابع للجزائر، CCPR / C / DZA / CO / 4، 17 أغسطس 2018، فقرة 43.

يرى عمار بلخير في "مراسلون بلا حدود" ومن جديد في "الصندوق الوطني للديمقراطية" نفس محرّكي الدمى الذين يسيرون هؤلاء "الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك"، وبالتالي يتحكّمون في الحراك نفسه. وبذلك يتبنّى وزير الاتصال نفس الحجج التي يستخدمها أحمد بن سعادة: بالنسبة لهما قد يكون الصندوق الوطني للديمقراطية الأمريكي "حصان طروادة بامتياز للثورات الملوّنة في العالم، والمغرب العربي والعالم العربي على خط المواجهة".⁵⁰ حجبت السلطة عددًا من الصحف للاشتباه في تلقّيها أموال أجنبية، وكان عمار بلخير قد حدّر من أنّ "التمويل الأجنبي للصحافة الوطنية، ويشمل ذلك جميع وسائل الإعلام، ممنوعٌ منعا باتًا مهما كانت طبيعته ومصدره".

خطاب أحمد بن سعادة يخدم بشكل مباشر جهود السلطات الجزائرية - على حدّ تعبير الخيرة فيونولا في أولين (Fionnuala Ní Aoláin) - لإسكات المجتمع المدني من خلال حملات التشهير التي تهدف إلى نزع الشرعية عنه وتلطيخ سمعته وسمعة الفاعلين فيه، عن طريق وصف البعض منهم، دون دليل، بأنهم "إرهابيون" والتلميح بالنسبة للآخرين بأنهم خونة أو يشكلون "تهديدًا للأمن القومي" أو "أعداء للأمة".⁵¹ هذا "التصنيف السلبي للجهات الفاعلة في المجتمع المدني يجعلها بوضوح أهدافًا لهجمات مشروعة ومن ثمّ يتررّ اعتماد تدابير تقييدية جديدة" منها اعتماد أحكام جنائية جديدة ومضاعفة عمليات الملاحقات القضائية لأشخاص ذنبهم الوحيد أنهم يمارسون حقوقهم وحرّياتهم الأساسية.

في نهاية المطاف، أصبحت حقوق الإنسان رهينة الخطاب الرسمي الذي يتّهم المدافعين عن حقوق الإنسان وغيرهم من النشطاء السياسيين بالإجرام والإرهاب والعمالة لصالح جمّات أجنبية. إنّ وصم المجتمع المدني بهذه الصفات يعتبر عاملاً حاسماً في محاولة إغلاق الفضاء الديمقراطي، المحاولة التي يشارك فيها أحمد بن سعادة.

7. محاربة الدعاية والدفاع عن حقوق الجميع

في هذه الحالة كيف يمكن مواجهة هذه الأحكام المسبقة والتصدي لما يترتب عنها من عواقب وخيمة على حقوق الإنسان وعلى مجتمعاتنا؟ الجواب الذي تقدّمه الكرامة على هذا السؤال يكمن في صميم فلسفة عملنا: مقاومة التعسف بكشف الحقيقة وتحقيق العدل والاستمرار في مواجهة الأقوياء وفي النضال من أجل الأفكار التي نحن متيقنون أنها صحيحة. من خلال تصوير الحراك على أنه نتيجة لتلاعب بعض الأفراد الذين يعملون لحساب قوى أجنبية، وبوصفه كثرة ملوّنة، ينفي أحمد بن سعادة عن كل جزائري وكل جزائرية، فطرة الإنسان التوافق إلى الحرية والكرامة الكامنتين بداخلهم. ولذلك فإن مكافحة الأحكام المسبقة والمعلومات المضلّة والدعاية المغرضة تشكل ضرورة مطلقة للحفاظ على هذه القيم.

1.7. الحفاظ على الحريات الأساسية ضد التضليل الإعلامي

دعونا نبدأ بالتذكير بحقيقة غالباً ما يغفل عنها الإنسان: المادة 1 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وهي المادة التي يقوم عليها العهد برّمته وسبب وجود الحقوق المنصوص عليها فيه، تتعلّق بحق بعينه، يحظى اليوم في الجزائر بأهمية أكثر من أيّ وقت مضى: إنه حق الشعوب في تقرير مصيرها. إذ تنص الفقرة 1 من المادة 1 على الآتي:

1. لجميع الشعوب حقّ تقرير مصيرها بنفسها. وهي بمقتضى هذا الحق حرة في تقرير مركزها السياسي وحرّة في السعي لتحقيق نمائها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.⁵²

يكتسي هذا الحق أهمية خاصة لأنّ تنفيذه مستحيل إذا لم تُحترم جميع الحقوق الأخرى المنصوص عليها في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية. إنه أساس ونتاج الحقوق المدنية والسياسية في الوقت نفسه، فضلاً عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

ومن ثمّ فهو وفق تعبير لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان "شرطٌ أساسي لضمان واحترام حقوق الإنسان الفردية بشكل فعال وكذلك لتعزيز هذه الحقوق وتقويتها".⁵³ ولهذا السبب جعلت الدول من حق الشعوب في تقرير المصير، سواء في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية أو في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁵⁴ - الذي صدّقت عليه الجزائر أيضًا -، "حكمًا ضمن القانون الوضعي، وأدرجوه كمادة أولى، منفصلاً وعلى رأس جميع الحقوق الأخرى المنصوص عليها في هذه العهود".⁵⁵

لن نقوم هنا بالتحليل مادة بعد مادة ما يعنيه كلّ ذلك، لكننا ندعو كلّ مواطن لزيارة موقع المفوضية السامية للأمم المتحدة على صفحة لجنة حقوق الإنسان وقراءة التعليقات الخاصة بكل مادة والتي توضّح بالتفصيل التزامات الدولة تجاه كل حق وكل حرية منصوص عليها في العهد.⁵⁶

ليس من المبالغة أبداً أن نكرر المرة تلو الأخرى الآتي: يندرج العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ضمن القانون الجزائري، وقد تمّ التوقيع عليه والمصادقة عليه من قبل الدولة الجزائرية. صحيح أن ذلك تمّ في سياق الانفتاح الديمقراطي القصير بعد أكتوبر 1988 لكنه يبقى مع ذلك جزءاً لا يتجزأ من القانون الوطني. ومن ثمّ فالرجوع إلى نصوصه والتذكير بها لا يعتبر "تدويلًا" لقضية داخلية ولا اعتداءً على الدستور والأمة الجزائرية بل على العكس من ذلك يحقّ للمتقاضي الجزائري الاحتجاج بمادة متضمنة في أيّ اتفاقية صدّقت عليها الجزائر أمام قاضٍ وطني وهو ملزمٌ بأخذها بعين الاعتبار.

وسف نعرض بإيجاز محتوى الحقوق التي نعتبرها الأكثر "أساسية" في تنفيذ حقّ الشعب الجزائري في تقرير مصيره.

اتخذ الحراك شكل حركة شعبية احتجاجية سلمية. علماً أنّ التظاهر السلمي، المحظور ممارسته في العاصمة بموجب مرسوم، هو مع ذلك حق وحرية يحميها العهد،

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

ويسمح هذا الحق الأساسي بالاحتجاج للأفراد بالتعبير عن أنفسهم وتحديد وضعهم السياسي بشكل جماعي.

ويحمي هذا الحق قدرة الأشخاص على ممارسة استقلاليتهم الفردية بالتضامن مع الآخرين، وبالتالي، فإن إمكانية التظاهر السلمي تشكل أساس أي نظام حكم تشاركي يقوم على الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون والتعددية، مما يسمح بتعزيز الأفكار والأهداف الطموحة في المجال العام. والحراك من خلال تعبئته الشعبية السلمية يهدف لا أكثر ولا أقل إلى السماح للجزائريين بتقرير مصيرهم المشترك، وهو حق من حقوقهم الأساسية.⁵⁷

وبالتالي فإن الدولة ملزمة بالسماح للمتظاهرين بتحديد مكان تجمعهم بحرية واحترام حقهم في تحديد الهدف من تجمعهم ومحتواه التعبيري. يُحظر على الدولة منع التجمعات السلمية أو تقييدها أو محاصرتها أو تفريقها أو تعطيلها دون مبرر قاهر، ولا يحق لها معاقبة المشاركين فيها أو المنظمين لها دون سبب مشروع. على العكس من ذلك، فالسلطات ملزمة بتسهيل التظاهرة والحفاظ على طابعها السلمي من خلال فتح الطريق العام ومنع وقوع أعمال عنف. وكقاعدة عامة، يجب اعتبار استخدام الأعلام والأزياء الرسمية والإشارات واللافتات، شكلاً مشروعاً من أشكال التعبير ولا ينبغي تقييده، كما أن عدم إخطار السلطات باجتماع قادم، عند الضرورة، لا يجعل فعل المشاركة في الاجتماع عملاً غير قانوني ولا ينبغي استخدامه في حد ذاته كأساس لتفريق الاجتماع واعتقال المشاركين فيه والمنظمين له أو لفرض عقوبات جنائية عليهم. وأخيراً قد يشكل الاحتجاز الوقائي للأفراد المستهدفين لمنعهم من المشاركة في التجمعات حرماناً تعسفياً من الحرية، وهو ما يتعارض مع الحق في التجمع السلمي،⁵⁸ وبالتالي لم تكن القيود التي فرضتها السلطات على الحراك غير مبررة فحسب، بل قد أخلت أيضاً بالتزامها القاضي بتسهيل هذه المظاهرات السلمية.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

حرية الرأي وحرية التعبير شرطان أساسيان لتنمية أيّ مجتمع حرّ وديمقراطي، لأنهما يسمحان بتبادل الآراء وإثرائها. ويجب أن تسمح حرية التعبير للأفراد بمساءلة الحكام من أجل ضمان شفافية تسيير الشؤون العامة والحكم الراشد في البلاد، وبالتالي تحميل الحكام المسؤولية والمحاسبة على طريقة تدبيرهم شؤون الدولة. وبهذه الطريقة يكون الالتزام باحترام حرية الرأي وحرية التعبير مفروضاً على أيّ دولة طرف في العهد، ويشمل ذلك جميع السلطات (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، فضلاً عن أيّ سلطة عمومية أو حكومية على أيّ مستوى كان. بعبارة أخرى، لا يمكن لأيّ مؤسسة أن تكون بمنأى عن النقد السلمي من طرف المواطنين ولا حتى المؤسسة العسكرية.⁵⁹

الجانب الآخر من حرية التعبير هو حرية الوصول إلى المعلومات. وفي هذا السياق تكون وسائل الإعلام الحرة التي لا تتعرض للرقابة أو العراقيل ضرورية بالنسبة لأيّ مجتمع، لضمان حرية الرأي وممارسة الحقوق الأخرى المنصوص عليها في العهد الدولي بما في ذلك حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ومن ثمّ يُحظر على الدولة الجزائرية تجريم ما تسميه بـ"الأخبار الكاذبة" حتى من دون تعريفها معنى هذا المصطلح.

من شأن صحافة حرة أن تسمح أيضاً بتفادي التضليل الإعلامي والدعاية المغرضة التي تُثخن الصحافة الجزائرية الرسمية تقنياتها وفنونها. وأحد الأمثلة الصارخة الدالة على هذه الضرورة المطلقة، تبينه لنا على سبيل المثال حادثة مجموعة النشطاء الجزائريين السلميين الذين نظّموا مسيرة من شامبيري في فرنسا إلى جنيف. ولدى وصولهم أمام قصر الأمم يوم الأحد 23 أغسطس 2020 للتظاهر ضد الاعتقالات التعسفية في الجزائر قدّم ممثلوهم في يوم الغد رسالة إلى مكتب مقوّم الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان، للمطالبة بتدخله لدى السلطات الجزائرية للإفراج عن معتقلي الحراك.

لكن بعد أيام قليلة من بث مقاطع فيديو للمظاهرة وعملية إيداع مثلي النشطاء لرسالتهم في قصر ويلسون، شتّت السلطات الجزائرية حملة تضليل وتشهير واسعة ضد النشطاء السلميين. بدأت هذه الحملة ببيان صحفي صادر عن وكالة الأنباء الجزائرية⁶⁰

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

وتقرير في نشرة أخبار قناة ENTV⁶¹ الرسمية يوم 1 سبتمبر 2020، متاح باللغات العربية والفرنسية⁶² والأمازيغية. وقد ادّعى هذا البيان الرسمي أنّ الشكوى تمّ رفضها في غضون 24 ساعة من قبل مكتب للأمم المتحدة، لكن تبين لاحقاً أنّ هذا المكتب لا وجود له أصلاً، واستشهد البيان بتصريحات مسؤول أممي يفترض أنه يعمل بالأمم المتحدة، اتضح أنه هو أيضاً لا وجود له. على إثر ذلك راسلت الكرامة المفوضية السامية لتنبه مؤسسة الأمم المتحدة إلى أنّ ذلك يشكل حملة تضليل وانتهاك من قبل الجزائر لالتزاماتها بموجب القانون الدولي، مذكرة بالمبدأ الذي بموجبه "يجب على السلطات عدم إصدار أو تأييد أو تشجيع أو نشر البيانات التي يعرفون أو يتعين عليهم معرفة، بشكل معقول، أنها خاطئة (معلومات مضللة) أو أنها تكشف عن تجاهل صارخ للمعلومات التي يمكن التحقق منها (الدعاية)".⁶³ يجب على هذه السلطات/الحكام أيضاً الحرص "وفقاً لالتزاماتهم القانونية الوطنية والدولية وواجباتهم العامة، التأكد من أنّ المعلومات التي ينشرونها موثوقة وجديرة بالثقة".

وفقاً لـ "الإعلان المشترك حول حرية التعبير و'الأخبار الكاذبة' والمعلومات المضللة والدعاية"، "يقع على عاتق الدول الالتزام الإيجابي بتعزيز بيئة تتيح الاتصال الحر والمستقل والمتنوع، بما في ذلك تنوع وسائل الإعلام، وهو ما يشكل وسيلة أساسية لمكافحة التضليل الإعلامي والدعاية المغرضة".⁶⁴ تعكس حملة التضليل الرسمية هذه بشكل مباشر المخاوف التي أعرب عنها مؤلفو الإعلان المشترك "من أنّ المعلومات المضللة والدعاية غالباً ما يتم تصميمها وتنفيذها بطريقة تؤدي إلى تضليل الناس وتقويض

¹ وهذا ما ورد في نشرة أخبار التلفزيون الحكومي باللغة الفرنسية: "بيان صادر عن عصام المحمدي باسم 'مكتب التقاضي بالأمم المتحدة' الذي يزعم أنه أشار إلى أن الشكوى التي قدّمها نشطاء سياسيون جزائريون ضد السلطات الجزائرية قد دُفّعت بعد 24 ساعة من تقديمها وفحصها، يضيف هذا المسؤول، أنّ الشكوى تمّ رفضها لجملة من الأسباب من بينها عدم تطابقها مع تقارير منظمة حقوق الإنسان بالجزائر، وبعض المضمين على العريضة لديهم سجل إجرائي لجميع الموقعين لم يكونوا مقيمين في الجزائر لمدة عشر سنوات، ومقدّمو العريضة لهم جنسية مزدوجة وبعضهم لا يحمل حتى الجنسية الجزائرية، وقال المحمدي إنّ رفض الشكوى يعكس ترتيب الجزائر بين الدول العربية التي تركز فيها حرية التعبير وحماية حقوق الإنسان".

حقوقهم في المعرفة وتقويض كذلك حق الأفراد في البحث وتلقي ونقل المعلومات والأفكار من جميع الأنواع، بغض النظر عن الحدود بين الدول، وهي حقوق محمية بمقتضى الضمانات الدولية للحق في حرية التعبير وحرية الرأي".⁶⁵

فور ذلك، سارع مكتب المفوضية السامية لحقوق الإنسان بنشر نفي لما نقلته وكالة الأنباء الجزائرية.⁶⁶

هذه الحادثة تظهر أنّ الوصول إلى المعلومات الموثوقة هو حق أساسي ويظل ضروريًا؛ ومن المفارقات أيضًا أن نلاحظ أنّ نشر "الأخبار الزائفة" يكون غالبًا صادرًا عن وكالات الأنباء الحكومية نفسها.

2.7. تمرين بسيط للتمييز بين الإعلام والتضليل، يستفيد منه جميع المواطنين

بما أنّ إحدى مهام الكرامة هي تنوير المجتمعات المدنية إعلاميًا بحقوقها غير القابلة للتصرف، ونظرًا لأنّ الحق في الحصول على معلومات موثوقة يشكل أحد هذه الحقوق، نقترح في الختام تمرين بسيط ومفيد يتيح التمييز بين الإعلام والتضليل. هذا التمرين الموجه إلى الشباب والطلاب الجزائريين يضع بين أيديهم مفاتيح بسيطة لقراءة سليمة للأحداث من خلال تمكينهم من ممارسة تفكيرهم النقدي في مواجهة الدعاية والتضليل، وقد أدرجنا هذا التمرين في الملحق.

8. الخلاصة

في الختام، لن نكلّ أو نملّ من تكرار بأنّ محاولة التضليل لإدماج الحركات الشعبية في منطقتنا ضمن "الثورات الملوّنة" هو إنكار الاستقلالية الفكرية والأخلاقية والسياسية للأفراد والشعوب الذين يشاركون في هذه الحركات وهو أيضًا انتقاص من شأن المطالب التي يرفعونها وازدراء لها. ومن واجبنا مواجهة عملية التشويه والتصدي للصور النمطية الاستعمارية الجديدة التي ترسم العالم العربي في صورة مصدر لانعدام الأمن وتهديد للاستقرار، وباعتباره عالم يسكنه أفراد يتعيّن التحكّم فيهم ومراقبتهم وكلها صور

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

نظمية سهّلت ترسيخ تحكّم الديكتاتوريات التي جثمت على صدر الشعوب ولم يمكن إزاحتها حتى الآن.

ألا بد أيضًا من العمل مسلّحين بقناعة راسخة بأنّ لا شيء يدوم إلى الأبد وأنّ هذه الأنظمة السياسية التي تفرض نفسها باستخدام العنف ونشر الخوف يمكن إزاحتها.

من خلال بلورة نظريات المؤامرة وتغذيتها لتشويه سمعة الحراك يتصرّف أحمد بن سعادة بنفس الطريقة التي تعاملت بها فرنسا الاستعمارية لاستبعاد المواطن الجزائري، عندما جرّده من كل استقلالية في القرار، ومحاولتها جعله قابل للتلاعب به. وكان ضروريًا من منظور المستعمر "تربية" الفرد المستعمر حتى لا يقع في فخ "محزري" الحركة الوطنية. واليوم بما أنّ المواطنين الجزائريين الذين يجوبون الشوارع يوم الجمعة غير قادرين تمامًا، وفق نظرية المؤامرة، على رؤية أنّ "الذين نصبوا أنفسهم قادة للحراك" ليسوا سوى عملاء لقوى أجنبية يحاولون "تلوين" ثورتهم، فلا بد إذن من تشويه سمعتهم وضرب مصداقيتهم والتشكيك في أيّ خطاب يدعو إلى احترام حقوقهم وحرّياتهم.

لو أُجري أيّ تحليل موضوعي للوضع سيظهر لا محالة وبجلاء أنّ واقع الحراك بعيدٌ كلّ البعد عن الرؤية الضيقة المنحازة التي يتبنّاها أحمد بن سعادة ويروج لها ويتعارض مع حجّته التي تحاول بأيّ ثمن إدخال الحركة الجزائرية عنوة داخل قالب لا يناسبها ولا يمت لها بصلة.

من جانبنا، مكنتنا 15 سنة من النشاط في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في "العالم العربي" من ملاحظة أنّ هذا الحراك هو حلقة من حلقات التغيير الهيكلي الحتمي وأنه من المستحيل تمامًا العودة بالمجتمع إلى الوضع السابق مهما كانت الوسائل المستخدمة لوقف مسار التغيير ومهما كان الدعم المقدّم للديكتاتوريين العرب.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

خلال العقد المنصرم، شهدنا نقلة نوعية حقيقية أتاحت لنا إمكانية توقع التغيير المجتمعي القادم الذي جاء بعد عملية وعي بوتيرة متسارعة وسط الجيل الجديد الذي تبنى أيضًا بإصرار قضية حقوق الإنسان.

هذا ما يحدث مباشرة في الحراك في الجزائر، من خلال التعبير عن المطالب التي يتأكد بعدها السياسي يومًا بعد يوم بشكل مطرد والتي تطوّرت في غضون سنة واحدة من مطلب إلغاء "العهد الخامس" إلى المطالبة بإقامة دولة مدنية بدلًا من الدولة العسكرية، دولة تحترم الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجميع ويسودها القانون.

تميّزت مهمتنا على الدوام بالحرص والتأكيد بأنّ حقوق الإنسان ليست بعيدة المنال وليست صعبة الحصول وأنها ليست مئة أو صدقة من أيّ طرف، بل ننظر إليها على أنها قيمة كامنة في كرامة الإنسان، الكرامة التي يتمتع بها الجميع على قدم المساواة. وهذا ما تصبو إليه كل الانتفاضات الشعبية بما في ذلك الحراك في الجزائر. أمّا المعلومات المضلّة التي تحاول تصوير المطالب المشروعة على أنها مساس بأمن الدولة – التي تتحمّل هي نفسها المسؤولية عن انعدام الأمن البشري لمواطنيها – فلا يمكن اليوم التغاضي عنها وتركها تمرّ دون انتقادها وكشف زيفها.

في وقت يمرّ فيه العالم بفترة تاريخية تتسم بتراجع المبادئ الأساسية للكرامة الإنسانية العالمية، يواصل العديد من المدافعين عن حقوق الإنسان ونشطاء السلام والمواطنين أنفسهم هذه المعركة ضدّ الظلم، رغم ما يعترضهم من شدائد ومزيد من العقوبات المستمرة، مسلّحين دومًا بعبقورية متجدّدة. وهذه الحركات هي التي ندعمها من دون أيّ أجندة أخرى باستثناء واجبنا القائم على حماية حقّ الجميع في التمتع بجميع الحقوق والحريات.

الملحق

في سنة 1994 أنشأت مكتبات كلية نورث بارك (North Park College) في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة برنامجًا للطلاب سمح لهم بالتميز بين البحث العلمي الأكاديمي الحقيقي وبين الدعاية.

جاءت مثل هذه الورشات التكوينية لمواجهة انتشار الكتب التي تبدو أكاديمية في مظهرها، أو على الأقل تدعي تقديم تحليل علمي وموضوعي لحالة ما، ليتضح لاحقًا أنها معلومات مضللة بل حتى دعاية.⁶⁷ كان الهدف من هذا التدريب هو تمكين الطلاب من استخدام مهاراتهم في التفكير النقدي "لفضح" مؤلفات الدعاية التي بإمكانها أن تثير إعجابهم للوهلة الأولى (نظرًا لمستوى تعليم المؤلف، على سبيل المثال).

كيف يمكن تجنّب الطلاب من الوقوع في فخ الكتب - أو أي وسيلة أخرى - تقدّم "أفكارًا جاهزة"، تقوم على الصور النمطية والأحكام المسبقة وتقدّم نفسها على أنها دراسات موضوعية لحالة ما؟ كيف يمكن تعليمهم التمييز بين التحليل الموضوعي للمؤلف الذي يرغب في مشاركة وجهة نظر مع غيره وبين التحليل المنحاز لدعاية يريد صاحبها فرض تحليله الخاص ليس إلا؟ كان الحل إذن في منح مفاتيح القراءة النقدية لأي عمل، لكن لم يكن الأمر خاليًا من الصعوبات بالنسبة للطلاب. ومن خلال هذا التدريب، ساعدتهم أعمال عالمة الاجتماع إيلين غام بريل (Eileen Gam-Brill) في تحديد بعض عناصر التمييز.

توضّح الباحثة أنّ هناك أولًا وقبل كلّ شيء نوعان من الأعمال غير العلمية، من جهة أعمال المؤلفين المتحيّزين الذين يؤسّسون أعمالهم على الأحكام المسبقة دون أن يدركوا بالضرورة أنها كذلك، ويحاولون إقناع القراء، فالتحيّز موجود في هذه الحالة من غير وعي منهم. فهم يستخدمون التفكير الخاطئ بهدف إنتاج قبول من دون فحص نقدي أو بالدفع نحو قبول عاطفي من خلال الإشارة إلى مخاوف جماعية يزرعونها في ذهن القارئ (في حالتنا يستخدمون عادة الخوف من "التدخل الخارجي" و"الإسلاموية"). وهناك

المتروجون للدعايات الذين يدركون تمامًا طبيعة أعمالهم ومصالحهم فيخفوها عن قصد عن قرائهم. وتكون رسائلهم مصاغة بطريقة ملتوية لجعلها مقبولة دون نقد.

أجرى عالم الأخلاق الفرنسي جاك إيلول (Jacques Ellul) أبحاثًا في العواقب الأخلاقية الناجمة عن الدعاية في العالم المعاصر، واعتبر أنّ عالمنا "يحب" الوقائع ويعتبرها الحقيقة المطلقة من حيث إنها تسمح لنا باستخلاص الأدلة الملموسة (حدث هذا في يوم كذا وكذا، إلخ). وتستخدم الدعاية "الحقائق" لكنها تُحرّفها من خلال إعطائها تفسيرات خاطئة تتعارض مع الحقيقة. فالدعاية تتلاعب بهذه الحقائق وتطوّعها ومن أجل دعم حجتها تُنشئ أنواعًا مختلفة من "الحقيقة": "نصف الحقيقة"، "الحقيقة المحدودة"، "الحقيقة خارج السياق". لهذا السبب فإننا جميعًا عرضة إلى حدّ كبير لأفاعيل الدعاية فهي تستند إلى الحقائق وبالتالي نعتقد أنها الحقيقة، في حين يقع الكذب أبعد من حيّز الحقائق لأنه يكمن في تفسيرها، في وضعها في سياق معيّن، في اختلاق الروابط والتفاعلات من لا شيء بين واقعة وأخرى، للتلميح إلى أشياء زائفة دون الحاجة إلى أساس صحيح...⁶⁸

للتمييز بين الدعاية والأعمال العلمية ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أنّ العمل الأكاديمي يميل إلى طرح ومناقشة وجهات نظر مختلفة ومتنوّعة حول موضوع ما قبل تقديم الحجج لدعم ما يعتبره وجهة النظر الأكثر ترجيحًا. أمّا الدعاية فتتّجه عكس ذلك لأنها تهدف إلى تقديم وجهة نظر واحدة باعتبارها وجهة النظر الوحيدة الصالحة حول نفس الموضوع. ولهذا السبب تمّ تعريف الدعاية على أنها "التعبير عن رأي أو فعل يقوم به أفراد أو جماعات عن قصد بهدف التأثير على آراء أو أفعال أفراد أو مجموعات أخرى لغرض محدّد واحد أو أكثر وذلك من خلال التلاعب النفسي".

أسفرت الدراسة الاجتماعية التي أُجريت مع عدد من الطلاب عن مجموعة من المؤشرات تسمح للطلاب بسهولة التمييز بين الأعمال العلمية والدعاية. ويشترط في قيم العلم والبحث عن الحقيقة توقّر التواضع الفكري وقوة العزيمة والقدرة على استخلاص

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

الدروس والوعي الذاتي والإنصاف والعدل والانساق والميل نحو الاعتدال والمعتولية. وأسفرت الدراسة عن الجدول الآتي:

الجدول 1. مؤشرات للتمييز بين الدعاية والأعمال العلمية⁶⁹

الفرق بين الدعاية والأعمال العلمية	
الأعمال العلمية	الدعاية
تبحث عن الحقيقة وتعترف بنقائصها عندما تكون غير متأكدة من واقعة ما. تضيف عنصر "التحذير".	تستعمل درجات متعدّدة من الحقيقة ("نصف الحقيقة"، "الحقيقة المحدودة"، "الحقيقة خارج السياق") والأكاذيب.
تقدّم وجهات نظر أخرى وقد تضم حتى وجهات نظر مخالفة في عرضها.	تقدّم وجهة نظرها على أنها وجهة النظر الصحيحة الوحيدة.
تحاول أن تكون عادلة وتعترف بأنها تتبني موقف أو وجهة نظر دون إخفاء الأمر.	تتعمد تضليل القارئ بتقديم وجهة نظرها على أنها الحقيقة الوحيدة.
تحلل البيانات والحقائق بعناية سواء كانت تدعم فرضيتها أو تخالفها.	تتلاعب بالجدول والخطط والإحصائيات والمستندات والحقائق لدعم فرضيتها.
تدعو إلى التفكير النقدي لحلّ المشكلة وتوفّر سبلاً متعدّدة للتفكير.	تقدّم إجابات وحلول جاهزة للمشاكل التي لا تقبل مناقضتها.
إذا نجح التحليل العلمي، فمن شأنه أن يحثّ الباحثين الآخرين لمواصلة أبحاثهم حول الموضوع المطروح وإلهام القراء على مواصلة تفكيرهم دون تصوّرات مسبقة بالتّباع مقارنة نقدية.	في حالة نجاح الدعاية، فإنها تؤدي إلى تغيير في موقف القارئ و/أو في الدافع الذي يرغب فيه صاحب الدعاية (على سبيل المثال، رفض فئة من الناس من طرف المجتمع واعتماد معتقدات معيّنة وما إلى ذلك).

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

بعبارة أخرى، العمل العلمي بمثابة محاولة صادقة لتمثيل وجهة نظر معينة، بينما الدعاية تشكل محاولة متعمدة للتضليل أو المبالغة.⁷⁰ الدعاية الناجمة هي الدعاية التي تستطيع تغيير المواقف و/ الدوافع في العمل وفق ما يريده صاحب الدعاية.

ما يلاحظ، هو أنه في المجتمعات التي تكون فيها المعلومات غير موثوقة والصحافة غير حرة، توفر الدعاية إحساسًا بالسيطرة على الفوضى وتوهم الناس بأنها تقدم حلولاً ناجعة للمشاكل. وهذه الحلول الزائفة التي يطرحها المروجون للدعاية تدمر الحس النقدي لدى كل من يتبناها، وبالتالي يطرح "التفكير الجاهز" نفسه كسبيل مريح في الأوقات المضطربة.

أخيراً، إذا كان بوسع المرء مناقشة الشخص الذي يقدم وجهة نظر مدروسة، فالأمر يتعذر مع مروج الدعاية الذي يعتبر وجهة نظره هي فقط التي تهّم، وإذا عارضته بحجج منطقية سيواجهك بنفس الحجج القائمة على التفسيرات الخاطئة، ولن يتردد في اتهامك بأنك "عدو للحقيقة"، والأخطر من ذلك سيتهمك في أوقات الأزمات السياسية بأنك "عدو للشعب"⁷¹ أو للأمة، ويعرضك لأسوأ حملات الاضطهاد إذا كان متربعا على السلطة.

الإحالات

¹ <https://www.alkarama.org/fr/articles/alkarama-pour-la-dignite-des-peuples>

² أحمد بن سعادة "من هم هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قادة للحرّك الجزائري؟"

³ " (Droits-de-l'homme) " والقانون الدولي، محاضرة ألقاها في 18 يوليو 2000 البروفيسور آلان بيليه، أستاذ القانون الدولي في جامعة باريس X نانثير، عضو لجنة القانون الدولي.

⁴ إديث سالييس وليمين، التصنيف والقوالب النمطية في علم النفس الاجتماعي، UNOD ص 365، 2006.

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

⁵ جوردون دبليو ألبورت، طبعة التحيز، Basic Books، 1979، ص. 6.

<https://www.franceculture.fr/histoire/droit-de-lhommisme-histoire-dun-neologisme-pejoratif>

⁶ Chloé Leprince، "Droit-de-l'hommisme" قصة مصطلح مستحدث بخلفية تحيرية" 10 ديسمبر 2018، Savoirs، متاح على الرابط:

<https://www.franceculture.fr/histoire/droit-de-lhommisme-histoire-dun-neologisme-pejoratif>

⁷ الأستاذ آلان بيليه، "رداء الدفاع عن حقوق الإنسان (Droits-de-l'hommisme)" والقانون الدولي، محاضرة جيلبرتو أمادو التذكارية، 18 يوليو 2000، متاحة على الإنترنت:

<http://pellet.actu.com/wp-content/uploads/2016/02/PELLET-2000-Droit-de-lhommisme-et-DI.pdf>

⁸ مجلس حقوق الإنسان، الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي، بيانات، القضايا التي تم فحصها، الملاحظات والأنشطة الأخرى التي قام بها الفريق العامل المعني بحالات الاختفاء القسري أو غير الطوعي، الجلسة 108 (8-12 فبراير 2016)، وثيقة الأمم المتحدة، A / HRC WGEID / 108/1، 15 أبريل 2016، ص 21 بخصوص أربعة شبان عراقيين اعتقلتهم القوات المسلحة الأمريكية في بغداد بين عامي 2005 و 2011 وما زالوا مفقودين حتى يومنا هذا. انظر أيضًا: الكرامة، "العراق: اختفاء ثلاثة مواطنين عراقيين اعتقلهم الجيش الأمريكي سنة 2005"، 27 يونيو 2014، على الإنترنت:

<https://www.alkarama.org/ar/articles/alraq-akhtfa-thlatht-mwatnyn-raqqyn-atqlhm-aljysh-alamryky-snt-2005>

الكرامة "العراق: اختفاء إثنين من رجال الشرطة بعد توقيفهما من قبل الجيش العراقي والأمريكي" 3 سبتمبر 2015، متوفر على الرابط:

<https://www.alkarama.org/ar/articles/alraq-akhtfa-athnyn-mn-rjal-alshrtt-bd-twqyfhma-mn-qbl-aljysh-alraqy-walamryky>

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

⁹ تقرير لجنة مناهضة التعذيب، الدورة الحادية والخمسون (28 أكتوبر - 22 نوفمبر 2013)، UN.Doc. A / 69/44.

¹⁰ تقرير لجنة مناهضة التعذيب، الوثائق الرسمية للجمعية العامة، الدورة الثانية والسبعون، الملحق رقم 44 (A / 72/44)، الفقرات 58-71.

¹¹ الكرامة: اليمن / الولايات المتحدة الأمريكية: ترخيص بالقتل، لماذا تنتهك طائرات الدرونز الأمريكية باليمن القانون الدولي، متوفر بالعربية والانجليزية على الرابط:

<https://www.alkarama.org/ar/articles/alymn-alwlayat-almthdt-alamrykyt-trkhys-balqtl-lmadha-tnthk-hrb-tayrat-aldrwnz-alamrykyt>

¹² الكرامة: تقرير جديد: سياسة القصف بطائرات الدرونز الأمريكية في اليمن تخلف أثارا نفسية خطيرة على المدنيين وتشكل سابقة خطيرة للمجتمع الدولي، 26 يوليو 2015، متوفر على الانترنت باللغة العربية والانجليزية:

<https://www.alkarama.org/ar/articles/tqryr-jdyd-syast-alqsf-btayrat-aldrwnz-alamrykyt-fy-alymn-tkhlf-athara-nfsyt-khtyrt-ly>

¹³ أحمد بن سعادة، المصدر نفسه.

¹⁴ مايكل رويين "الكرامة تعزز صلتها بالقاعدة"، مجلة The Commentary، 7 فبراير 2014، متاح على الإنترنت:

<https://www.commentarymagazine.com/michael-rubin/alkarama-doubles-down-on-al-qaeda/>

تجدر الإشارة أن مجلة كومننتاري هي مجلة شهرية تنتمي لليمن من المحافظين الجدد، أنشأتها اللجنة اليهودية الأمريكية في عام 1945 للدفاع عن أفكار المحافظين الجدد والمؤيدين لإسرائيل.

¹⁵ الإمارات تنشر قائمة بالمنظمات الإرهابية، Gulf News، 15 نوفمبر 2014، متوفرة على الانترنت:

<https://gulfnews.com/uae/government/uae-publishes-list-of-terrorist-organisations-1.1412895>

¹⁶ انظر ميثاق منظمنا على الانترنت:

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

<https://www.alkarama.org/fr/a-propos/comment-nous-travaillons>

¹⁷ للمطالعة على جميع المساهمات والمقارنة، يمكن الوصول إلى جميع المساهمات على هذه الصفحة من موقع الأمم المتحدة:

<https://www.ohchr.org/EN/HRBodies/UPR/Pages/UPRUnitedArabEmiratesStakeholdersInfoS29.aspx>

¹⁸ رئيس «ماعت للسلام»: بيان المفوضية السامية «سياسي».. وكشفنا أكنوبة الاختفاء «القسري» في مصر: Shourouq News، 20 أكتوبر 2018، متوفر على الإنترنت:

<https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=20102018&id=a99257ef-5d0a-4e8d-8b40-af51d3e2a9da>

¹⁹ Middle-East Monitor، "داخل العالم السري لمنظمات GONGOS" بالخليج، 22 سبتمبر 2014، متاح على الرابط:

<https://www.middleeastmonitor.com/20140922-inside-the-secret-world-of-gulf-gongos/>

²⁰ انظر على سبيل المثال، قطر: الدورة الثالثة للاستعراض الدوري الشامل تسلط الضوء على السجل الحقوقي للبلاد، 31 مايو 2019، متوفر بالإنجليزية:

<https://www.alkarama.org/en/articles/qatar-third-upr-cycle-sheds-light-countrys-human-rights-record>

والعربية:

<https://www.alkarama.org/ar/articles/qtr-aldwrt-althaltt-llastrad-aldwry-alshaml-tslt-aldw-ly-alsjl-alhqwqy-lblblad>

²¹ مجلس حقوق الإنسان، الفريق العامل المعني بالاحتجاز التعسفي، الآراء التي اعتمدها الفريق العامل المعني بالاحتجاز التعسفي في دورته الحادية والثلاثين (17-26 أبريل 2018)، الرأي رقم 2018/29، بشأن عبد الرحمن بن عمير راشد جبر النعيمي (قطر).

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

²² أندرو هيدسون، "ليس ذخر عظيم: نظام مكافحة الإرهاب التابع لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة: انتهاك حقوق الإنسان"، مجلة بيركلي للقانون الدولي، 2007، المجلد 25، ص. 203-227.

²³ الفريق العامل المعني بالاحتجاز التعسفي، رأي رقم 2018/29، بشأن عبد الرحمن بن عمير راشد جبر النعيمي (قطر)، مرجع سابق.

²⁴ تأثير تدابير مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف على الفضاء المدني وعلى حقوق الجهات الفاعلة في المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان، تقرير المقررة الخاصة عن تعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في إطار مكافحة الإرهاب، UN.Doc. A / HRC / 40/52، 1 مارس 2019، الفقرة 17.

²⁵ المصدر نفسه، الفقرة 20.

²⁶ انظر الكونفيدرالية السويسرية، سجل التجاري، الكرامة، متوفر على الانترنت:

<https://www.shab.ch/shabforms/servlet/Search?EID=7&DOCID=1641359>

²⁷ مايكل روبن "يجب على هيومن رايتس ووتش أن تلغي التقارير"، مجلة 3 Commentary يناير 2014، متوفر على الانترنت:

<https://www.commentarymagazine.com/michael-rubin/human-rights-watch-should-rescind-reports/>

²⁸ "المدير سابق لمنظمة غير حكومية في جنيف متهم بعلاقات مع القاعدة"، Tribune de Genève، 1 أكتوبر 2014، متوفر على الانترنت:

<https://www.tdg.ch/geneve/actu-genevoise/ancien-president-dune-ong-genevoise-accuse-liens-alqaida/story/11153159>

²⁹ رشيد مصلي "صعوبة الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي" Le Temps، 20 نوفمبر 2014، متوفر على الانترنت:

<https://www.letemps.ch/opinions/difficulte-defendre-droits-lhomme-monde-arabe>

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

³⁰ "قائمة المجموعات المصنفة كمنظمات إرهابية من قبل دولة الإمارات العربية، The National UAE. 16 نوفمبر، 2014، متوفر على الإنترنت:

<https://www.thenational.ae/uae/government/list-of-groups-designated-terrorist-organisations-by-the-uae-1.270037>

³¹ سيلفان بسون، أجهزة الاستخبارات السويسرية تستهدف إسلاميين تابعين لقطر، Le Temps، 5 يناير 2018، متوفر على الإنترنت:

<https://www.letemps.ch/suisse/services-secrets-suisses-ciblent-islamistes-proqatar>

³² الكرامة، محكمة في جنيف تدين يومية Le Temps بسبب مقالة تشهيرية ضد الكرامة، 24 ديسمبر 2018، متوفر على الإنترنت:

<https://www.alkarama.org/fr/articles/le-quotidien-le-temps-condamne-par-la-justice-genevoise-pour-un-article-diffamatoire>

³³ فرنسا لن تسلم المعارض الجزائري مراد دهيبة، صحيفة Le Monde، مع وكالة AFP، 4 يوليو 2012.

³⁴ الكرامة، محكمة الاستئناف بطورينو، تسمح لرشيد مسلي بمغادرة التراب الإيطالي، 16 سبتمبر 2015، متوفر على الإنترنت:

<https://www.alkarama.org/fr/articles/la-cour-dappel-de-turin-autorise-rachid-mesli-quitter-litalie>

³⁵ رشيد مصلي "صعوبة الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي" نفس المرجع.

³⁶ أوليفي ف، "مدينة جنيف مؤلت منظمة غير حكومية متهمة بعلاقات مع القاعدة" Le Temps، جنيف، متوفر على الإنترنت:

<https://www.letemps.ch/suisse/ville-geneve-finance-une-ong-accusee-liens-alqaida>

³⁷ انظر أيضا: ISHR "عراقيل في الوصول ومشاركة المجتمع المدني في آليات الأمم المتحدة، التخويف، التقييد والانتقام: 10 دراسات حالة" تقرير متوفر على الإنترنت:

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

https://www.ishr.ch/sites/default/files/documents/mappingreport_fr_web.pdf

³⁸ انظر: المجلس الاقتصادي والاجتماعي يرفض منح المركز الاستشاري لمنظمة غير حكومية، لها علاقات مزعومة بالإرهاب، متوفر على الانترنت:

<https://www.un.org/press/en/2017/ecosoc6867.doc.htm>

³⁹ انظر صفحتها على موقع المفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة هنا:

<https://www.ohchr.org/EN/Issues/Terrorism/Pages/SRTerrorismIndex.aspx>

⁴⁰ انظر تقرير "تأثير تدابير مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف على الفضاء المدني وعلى حقوق الجهات الفاعلة في المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان، تقرير المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في مكافحة الإرهاب" 4. UN Doc. A/HRC/40/52, 1er mars 2019, par. 4.

⁴¹ تعليقات من مساعد الأمين العام لحقوق الإنسان، أندرو جيلمور، في الحدث الجانبي للمفوضية السامية لحقوق الإنسان "التخويف والانتقام من الذين يتعاملون مع الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان: دراسة الاتجاهات والأنماط"، نيويورك، 24 أكتوبر 2018، متوفر على الانترنت:

<https://www.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=25511&LangID=E>

⁴² المرجع نفسه.

⁴³ ولايات المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير والمقرر الخاص المعني بحالة المدافعين عن حقوق الإنسان، المرجع: 4 OL OTH 29/2017 يناير 2018، متوفر على الانترنت بالانجليزية:

<https://www.ohchr.org/Documents/Issues/Opinion/Legislation/OL-OTH-29-2017.pdf>

⁴⁴ المرجع نفسه، ص 3.

⁴⁵ بلحيمر: الحراك، حركة "اخترقها تيارات سياسية معينة"، الاثنين 16 مارس 2020، وكالة الأنباء الجزائرية، متاح على الإنترنت:

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

<http://www.aps.dz/algerie/103092-belhimer-le-hirak-un-mouvement-parasite-par-certains-courants-politiques>

⁴⁶ تعليقات من مساعد الأمين العام لحقوق الإنسان، أندرو جيلمور، في الحدث الجانبي للمفوضية السامية لحقوق الإنسان "التخويف والانتقام من الذين يتعاملون مع الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان: دراسة الاتجاهات والأنماط"، نيويورك، 24 أكتوبر 2018، متوفر على الإنترنت:

<https://www.ohchr.org/EN/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=25511&LangID=E>

⁴⁷ جان بيير فيليو، "تصفية الحسابات بين الجترالات الجزائريين"، *Le Monde*، 25 أغسطس 2019، متاح على الإنترنت:

<https://www.lemonde.fr/blog/filiu/2019/08/25/reglements-de-compte-entre-les-generaux-algeriens/>

⁴⁸ عدلان مدي، "الجزائر: نظرة معمقة في يوم حشد غير مسروق ضد ترشيح بوتفليقة"، *Le Point*، 22 فبراير 2019، متاح على الإنترنت:

https://www.lepoint.fr/afrique/algerie-retour-sur-une-journee-de-mobilisation-inedite-contre-la-candidature-de-bouteflika-22-02-2019-2295605_3826.php

⁴⁹ نظر أيضًا الملاحظات الختامية للجنة حقوق الإنسان بشأن الجزائر، CCPR / C / DZA / CO / 4، 17 أغسطس 2018.

⁵⁰ فريد عليلات، الجزائر: لماذا يتم انتقاد تعديلات قانون العقوبات؟ 27 أبريل 2020، *Jeune Afrique*، متاح على الإنترنت:

<https://www.jeuneafrique.com/935520/societe/algerie-pourquoi-les-amendements-du-code-penal-sont-ils-critiques/>

⁵¹ تأثير تدابير مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف على الفضاء المدني وعلى حقوق الجهات الفاعلة في المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان، تقرير المقرر الخاص المعني بتعزيز وحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية في مكافحة الإرهاب"، مرجع نفسه، فقرة 54.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

⁵² العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة 1، متاح على الإنترنت:

<https://www.ohchr.org/fr/professionalinterest/pages/ccpr.aspx>

⁵³ لجنة حقوق الإنسان، التعليق العام رقم 12: المادة 1، الحق في تقرير المصير، متاح على الإنترنت:

https://tbinternet.ohchr.org/_layouts/15/treatybodyexternal/Download.aspx?symbolno=INT%2fCCPR%2fGEC%2f6626&Lang=en

⁵⁴ العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، متاح على الإنترنت:

<https://www.ohchr.org/fr/professionalinterest/pages/cescr.aspx>

⁵⁵ لجنة حقوق الإنسان، الملاحظة العامة رقم 12: المادة 1، الحق في تقرير المصير، مرجع سابق.

⁵⁶ يرجى زيارة صفحة لجنة حقوق الإنسان، على الرابط التالي:

<https://www.ohchr.org/FR/HRBodies/CCPR/Pages/CCPRIndex.aspx>

ثم راجع قسم "الملاحظات العامة" من أجل العثور بالتفصيل على المعنى لكل حق يحميه العهد.

⁵⁷ انظر: لجنة حقوق الإنسان، ملاحظة عامة رقم 37 (2020) بشأن الحق في التجمع السلمي (مادة 21)، الأمم المتحدة Doc CCPR / C / GC / 37، 17 سبتمبر 2020.

⁵⁸ المرجع نفسه.

⁵⁹ لجنة حقوق الإنسان، الملاحظة العامة رقم 34، المادة 19: حرية الرأي والتعبير، UN.Doc CCPR / C / GC / 34، 12 سبتمبر 2011.

⁶⁰ مكتب التقاضي التابع للأمم المتحدة يرفض الشكوى ضد السلطات الجزائرية، 1 سبتمبر 2020، متاح على الإنترنت:

<http://www.aps.dz/algerie/109221-le-bureau-des-contentieux-de-l-onu-rejette-la-plainte-introduite-contre-les-autorites-algeriennes>

⁶¹ انظر على الإنترنت: <https://bit.ly/2HgpQzd>

منظمة الكرامة: من أجل كرامة الشعوب

⁶² الأخبار باللغة الفرنسية متاحة على الإنترنت على هذا العنوان، في 5 دقائق و 23 ثانية:

<https://www.youtube.com/watch?v=IOffvI5nheo>

⁶³ إعلان مشترك بشأن حرية التعبير و"الأخبار الكاذبة"، والمعلومات المضللة والدعاية، بيان مشترك صادر عن المقرر الخاص للأمم المتحدة المعني بحرية الرأي والتعبير، وممثل منظمة للأمن والتعاون في أوروبا بشأن حرية الإعلام، والمقرر الخاص لمنظمة الدول الأمريكية (OEA) حول حرية التعبير والمقرر الخاص للجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب المعني بحرية التعبير والوصول إلى المعلومات. بتاريخ 3 مارس 2017، يشار إليه في "الإعلان المشترك"، المبدأ 2 (ج)، متاح على الإنترنت: <https://www.osce.org/fom/302796>

⁶⁴ المرجع نفسه، الإعلان المشترك، المبدأ 3 (أ).

⁶⁵ المرجع نفسه، الإعلان المشترك، الديباجة.

⁶⁶ الجزائر-الأمم المتحدة: الكرامة ترأسل المفوضية السامية بعد حملة التضليل الرسمية التي تزعم أن الأمم المتحدة رفضت شكوى ضد الجزائر، 4 سبتمبر 2020، متاح على الإنترنت:

<https://www.alkarama.org/fr/articles/algerie-onu-alkarama-saisi-le-haut-commissariat-suite-la-campagne-officielle-de>

انظر تنفيذ المفوضية السامية لحقوق الإنسان: مفوضية الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان تسلط الضوء على معلومات مضللة حول الجزائر، 4 سبتمبر 2020، متاح على الإنترنت.

<https://www.ohchr.org/FR/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=26208&LangID=F>

⁶⁷ سونيا بودي، "دراسة علمية أم دعاية: كيف يمكن لأخصائيين مساعدة الطلاب الجامعيين في معرفة الفرق؟" *The Journal of Academic Librarianship*، 1 يناير 1995، مجلد 21، رقم 1، ص. 21-25.

⁶⁸ جاك إلول، الدعايات، باريس، Economica، 1990، ص 361.

⁶⁹ سونيا بودي، "دراسة علمية أم دعاية"، مرجع سابق.

⁷⁰ جاك إلول، دعايات، مرجع سابق. ذكر، ص. 147-149.

الدائرة القانونية لمنظمة الكرامة

⁷¹ إيما غراهام هاريسون، "عدو الشعب: عبارة ترامب وأصدائها الشمولية"، The Guardian، متاح على الإنترنت:

<https://www.theguardian.com/us-news/2018/aug/03/trump-enemy-of-the-people-meaning-history>

رشاد ضمن الحراك

أمانة حركة رشاد

مقال نُشر بتاريخ 15 أغسطس 2020 على موقع "Rachad.org"¹

1. مقدمة.....	352
2. حركة رشاد.....	353
3. اللاعنف.....	353
4. الإسلام والإسلاموية.....	355
5. رشاد والجهة الإسلامية للإقناذ.....	356
6. الهوية الوطنية والقلمانية.....	357
7. التوافق الوطني والممارسة الديمقراطية.....	359
8. السيادة والبيئة الدولية.....	359
9. تمويل رشاد.....	361
10. الخلاصة.....	361

1. مقدمة

لم تحقّق الثورة السلمية (الحراك) التي بدأها الشعب الجزائري في 22 فبراير 2019 كل أهدافها بعد، لكنها فاجأت العالم أجمع بانتهاجها طريق اللاعنّف وتمسّكها المطلق بهذا النهج، وفاجأت الجميع أيضًا بسعة نطاقها ومدّتها وتنوّعها ووحدة صفوفها ووضوح مطالبها السياسية. لقد شاركت حركة رشاد، مثل العديد من منظمات المجتمع المدني وملايين المواطنين العاديين غير المنضوين إلى أيّ تنظيم أو جمعية أو حزب، في الحراك منذ بدايته. وإذا كان بوتفليقة قد أُجبر فعلاً على الاستقالة والعديد من وزرائه وأنصاره يقبعون اليوم في السجن بسبب تورّطهم في قضايا فساد مهولة، فإنّ طبيعة النظام لم تتغيّر ومطلب الحراك الأساسي "دولة مدنية، ليست عسكرية" لم يتحقّق بعد. وكلّ المؤشرات تبيّن أنّ النظام القائم يحاول منذ بضعة أشهر، مستغلاً على وجه الخصوص الوضع الحساس الذي فرضته أزمة كوفيد-19، كسر الحراك، وسعيًا منه إلى تنفيذ هذا المخطط، يستخدم كالعادة حملات القمع، من خلال تكثيف سلسلة الاعتقالات التي تطلّ النشطاء وإصدار أحكام قضائية ضدهم، فضلاً عن تشجيع - وأحياناً إطلاق - حملات الدعاية والتشهير التي تهدف إلى تشويه سمعة الحراك. ويقوم خطاب النظام أساساً على شقين: أولهما تعميق الخلافات الأيديولوجية، والثاني التلويح بالتهديد الخارجي عبر اتهام شخصيات الحراك بالعمالة لدول أجنبية. إذا كان أحمد أويحيى، رئيس الوزراء الأسبق المسجون حالياً، قد هدّد الجزائريين بـ "سُورَة" البلاد (تحويل الجزائر إلى سورية أخرى) حيث تتحوّل حسب قوله "أزهار الحراك" في نهاية المطاف إلى "أنهار من الدماء"، فإنّ النظام الحالي يستخدم نفس أسلوب التخويف الوظيفي، عن طريق اللعب من جديد بورقة إدكاء الانقسامات والتوترات التي تسبّبت في مأساة التسعينيات. وفي هذا السياق تحديداً، يمكن فهم حيثيات وأبعاد الحملة الشرسة التي انطلقت في الأشهر الأخيرة ضد حركة رشاد. إنّ الهدف من هذه الورقة هو الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بهذه الحملة.

2. حركة رشاد

رشاد حركة سياسية (ليست حزبًا) تأسست في أبريل 2007، تسعى إلى المساهمة في تغيير جذري في الجزائر، لإحداث قطيعة مع الممارسات السياسية السائدة منذ الاستقلال وتحرير الشعب الجزائري من كل وصاية. وتعمل الحركة على إرساء دولة القانون، دولة مدنية تحكمها المبادئ الديمقراطية والحكم الرشيد. إنّ الحركة مفتوحة لجميع الجزائريين والجزائريات، مع احترام اختلافاتهم، وتحظر جميع أشكال التطرف والإقصاء والتمييز وتتبنى منهج اللاعنف لإحداث التغيير؛² ويحدد ميثاق الحركة قيمها ومبادئها.³

إنّ قضايا الدولة المدنية والرقابة الديمقراطية للقوات المسلحة، وأجهزة المخابرات على وجه الخصوص، من أولويات حركة رشاد، وذلك منذ نشأتها. وسبق أن قدّمت الحركة مقترحات ملموسة لوضع حدّ لهيمنة العسكر على المؤسسات المدنية للدولة والمجتمع.⁴

تعتبر رشاد أنه يتعين على المواطنين والمواطنات، المتحررين من وصاية النظام القائم، استخدام حقهم الأساسي في حرية التجمع، لتنظيم أنفسهم والعمل من أجل التغيير الذي لا يمكن تحقيقه إلا من طرف مجتمع مدني مهيكل ومستقلّ وقويّ بحسه الوطني الأصيل.

3. اللاعنف

قبل حتى تشكيل الحركة بوقت طويل، شرع من سيقومون بتأسيسها، في عمل فكري معمّق حول الاستراتيجيات والأساليب التي يمكنها أن تُحدث التغيير في الجزائر. ومنذ الوهلة الأولى، وقع الاختيار على اللاعنف الاستراتيجي، وتبع ذلك دراسة مفصلة لجميع تجارب التغيير التي عرفتها البشرية تقريبًا. تعدّدت وتنوّعت المراجع التي تمّت دراستها بهذا الشأن، فشملت رؤى ومواقف دعاة اللاعنف وأيضاً منتقديه، سواء تعلّق الأمر باللاعنف العقائدي أو اللاعنف الإستراتيجي.⁵ وتمّت دراسة النصوص الكلاسيكية لسون تزو (Sun Zhu)، ولابويسيه (La Boétie)، وثورو

(Thoreau)، وتولستوي (Tolstoi)، إلخ، والنصوص الدينية (القرآن الكريم، الإنجيل، إلخ)، بالإضافة إلى الكتابات والتجارب الحديثة: غاندي (Gandhi)، لوثر كينغ (Luther King)، مانديلا (Mandela)، مالكوم إكس (Malcolm X)، هولمز (Holmes)، شارب (Sharp)، غالتونغ (Galtung)، جودت سعيد، آش (Ash)، دولتشي (Dolci)، كامارا (Camara)، ناجلر (Nagler)، ديلينجر (Dellinger)، أرندت (Arendt)، إلخ. وأكدت رشاد على خيار اللاعنّف منذ تأسيس الحركة في 2007، سواءً في ميثاقها أو في الآلاف من مداخلات أعضائها في وسائل الإعلام وفي كافة إصداراتها وبياناتها الصحفية. بالإضافة إلى ذلك، أنتجت الحركة سلسلة من الأفلام الوثائقية تشرح فيها الأسلوب اللاعنفي⁶ وتقدم أيضًا حجج الحركة ضد البدائل الأخرى مثل استخدام العنف أو الانقلاب أو التدخل الأجنبي أو التغيير من خلال التوغل في "مؤسسات النظام القائمة". وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ الإستراتيجية اللاعنفية التي اعتمدها رشاد اعتُبرت في البداية نهجًا طوباويًا ليس له أيّ فرصة للنجاح في العالم العربي المعتاد على الانقلابات والتمردات المسلّحة. إلّا أنّ الثورات العربية في أواخر عام 2010 أثبتت أنّ اللاعنّف ليس ممكنًا في هذه المنطقة من العالم فحسب، بل هو فعّالٌ أيضًا. لكن لا بد من الإشارة إلى أنّ الأنظمة العربية التسلّطية التي فوجئت في البداية بالثورات الشعبية اللاعنفية، واجهت الوضع من خلال حبك وشن ثورات مضادة (الانقلاب في مصر والتدخلات الخارجية والعنف المسلّح في سوريا وليبيا). وبالموازاة مع ذلك، كثّفت أبواق هذه الأنظمة من حملات التشهير سعيًا إلى تشويه سمعة النهج اللاعنفي، وتقديمه على أنه "من صنع وتوظيف القوى الغربية" الساعية إلى زعزعة استقرار الدول العربية. فبالنسبة لهذه الأبواق، المقاومة اللاعنفية "دليل" على الخضوع لمصالح الولايات المتحدة! إنّ رشاد تدحض بقوة هذه الأطروحات المنتشرة التي لا تخدم في نهاية المطاف سوى الأنظمة التي لا تعير أدنى اهتمام لمصالح شعوبها، وهي أنظمة تدور، دون أدنى شك، في فلك قوى أجنبية. وتظلّ رشاد مقتنعة أكثر من أيّ وقت مضى بأنّ النهج اللاعنفي ليس مجرّد ضرورة

تاريخية، نظرًا للتكلفة المدمرة الناجمة عن العنف السياسي في المنطقة، لكنه أيضًا الأكثر ملائمة للتغيير الجذري، ويحظى هذا النهج بدعم شعبي قوي في الجزائر، مما يضمن وحدة البلد وسيادته.

4. الإسلام والإسلاموية

يحتل الإسلام مكانة مركزية في المجتمع الجزائري وفي تاريخ الجزائر، فهو الدين الذي تنتهي إليه الغالبية العظمى من الجزائريين والجزائريات، ويعتزون بالانتماء إليه، وبالتالي فمن الطبيعي والشعري أن تعتبر رشاد الإسلام عنصرًا أساسيًا من العناصر المكونة لهوية المجتمع الجزائري. لكن هناك فرق بين هذا الطرح وما يُروّج له من انخراط مزعوم للحركة في أجندة "إسلاموية". في الواقع، غالبًا ما يتم التلويح بهذا المصطلح المرتبط بإشكاليات سياسية وأمنية مختلفة، في محاولة لتشويه سمعة جهات فاعلة مختلفة وإقصائها من الحياة السياسية والجمعية والفكرية والثقافية وحتى الرياضية. فوفق هذا المنظور، غالبًا ما يُستعمل مصطلح "الإسلاموية" كمرادف للثيوقراطية أو إنكار حقوق الإنسان أو رفض الديمقراطية أو حتى الإرهاب.

يُلاحظ أيضًا أنه في بعض الدول الغربية، تكون تهمة "الإسلاموية" أحيانًا تعبيرًا عن كراهية حقيقية للإسلام، ونوعًا من التلاعب الديني، وعمليات الخلط على غرار "المسلم هو إسلامي محتمل وبالتالي إرهابي في طور التكوين".

أما الديكتاتورون العرب، فقد اعتادوا على التلويح بالتهديد "الإسلاموي" والصاقه بكل من يهدّد أنظمتهم غير الشرعية، ويتطوعون لخدمة أسيادهم الأجانب، من خلال التسويق لأنفسهم على أنهم الحصن المنيع ضد "الإسلاموية". ومن هذا المنطلق، ترفض حركة رشاد أن توصف بأنها "إسلاموية"، أولاً لأنها تعترض من حيث المبدأ ولا تسمح لأي طرف آخر بأن يلصق بها اسمًا مثيرًا للجدل نظرًا لما يحمله من شحنة سلبية، ثم لأنّ هذا الاسم ليس له أصل في ثقافتنا الإسلامية، فالتسمية التي تتماشى مع ديننا الحنيف

أمانة حركة رشاد

هي "مسلم" وليس "إسلاموي"، وأخيرًا لأنّ ما تحيل إليه هذه التسمية المشحونة يتعارض مع رؤية رشاد.

في الواقع، إذ تؤكد رشاد على مكانة الإسلام في المجتمع الجزائري، فإنها، في الوقت نفسه، ترفض الشيوعية وتعمل من أجل احترام حقوق الإنسان وحمايتها وتحظر استخدام الإرهاب، وتعتبر من جهة أخرى، أن الدولة يجب أن تُدار من قبل سلطة مدنية منتخبة بحرية، وأنّ قوانين الدولة يجب أن يصوّت عليها من قبل ممثلي الشعب المنتخبين أيضًا بالاقتراع العام. ونذكر أنه في السياق الجزائري، وتحديدًا أثناء الحرب الأهلية في التسعينيات، بذل النظام قسارى حمده لتعميق الانقسامات بين "الديمقراطيين" و"الإسلاميين" و"الوطنيين"، عملاً بالأسلوب المعروف: فرق تسد. وتعتبر رشاد أنّ غالبية الجزائريين والجزائريات مسلمون ووطنيون وديمقراطيون في نفس الوقت، وبالتالي على الفاعلين السياسيين بمختلف مشاربهم، الارتقاء إلى مستوى هذه التوصيفات وعدم الوقوع في فخ الانقسام والإقصاء، لأنه لا يمكن لأيّ شخص أو هيئة أو تنظيم، أن يحوّل لنفسه احتكار أحد هذه المكونات.

إنّ مشروع رشاد هو امتداد لمشروع إعلان أول نوفمبر 1954، وهدفها إقامة دولة يسودها العدل والحكم الراشد، يمثّل الإسلام فيها مكوّنًا أساسيًا من مكونات المجتمع الجزائري. ومن البديهي أنّ المجتمع والدولة التي تطمح إليها الحركة تحترم حقوق جميع المواطنين والمقيمين بلا استثناء ولا تمييز، بما في ذلك غير المسلمين. إننا نرفض الدولة الشيوعية، لكننا نرفض أيضًا المزايدات التي تصبو إلى تشويه حقيقة تمسك الجزائريين وافتخارهم بالإسلام بحجة "الخطر الأصولي".

5. رشاد والجبهة الإسلامية للإنقاذ

تعتبر حركة رشاد أنّ ما حدث في 11 يناير 1992 هو انقلاب على إرادة الشعب أدخل الجزائر في حرب أهلية مروعة ستظل جراحها مفتوحة لعقود قادمة. لقد فازت

رشاد ضمن الحراك

الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهي حزب سياسي معترف به قانونًا، فوزًا عريضًا في جميع الانتخابات التي شاركت فيها، وخاصة انتخابات 26 ديسمبر 1991، التي أجمعتها القيادة العسكرية. وبصفتها حزبًا سياسيًا، من الطبيعي الاعتراض أو حتى مناهضة خياراتها وبرامجها، ومن حق كل من لا يشاركها أفكارها وتوجهاتها أن يحاربها سياسيًا. لكن لا يُقبل حظرها بشكل تعسفي أو حرمانها من انتصاراتها الانتخابية من قبل سلطة غير شرعية أو طغمة عسكرية. بعد تبين هذه النقطة، تحرص حركة رشاد على توضيح أنها لا تربطها أي صلة عضوية بالجبهة الإسلامية للإنقاذ ولا تدعي الانخراط في برنامجها. وبكل تأكيد، فإن رشاد لا تنوي أن تنوب عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ أو عن أي حزب آخر، لأن رشاد ببساطة ليست حزبًا سياسيًا معنيًا بالمشاركة في التنافس الانتخابي. وأخيرًا، تعتبر رشاد أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ مازال لديها قادة معروفون وحضور واضح في المجتمع، وبالتالي فمن حقها، كأبي تيار فكري آخر، أن تنشط سياسيًا. قد يجادل البعض ويتحجج بأن أحد الأعضاء المؤسسين لرشاد كان في السابق مسؤولًا في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ومن ثم يدّعي بأن رشاد ليست سوى "جبهة إسلامية للإنقاذ - مكررة". وهنا تجدر الإشارة إلى أن العضو المعني، مراد دهيبة، الذي انضم بالفعل إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد فترة طويلة من حظرها، احتجاجًا على انقلاب يناير 1992 وعلى الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي تلته، لم يكن قبل ذلك عضوًا في الجبهة الإسلامية للإنقاذ ولم يترشح في قوائم الحزب في أي انتخابات، كما غادر الجبهة الإسلامية للإنقاذ نهائيًا في 2004، أي قبل حتى تشكيل حركة رشاد عام 2007.

6. الهوية الوطنية والعلمانية

تؤمن رشاد بأن لكل مجموعة بشرية، صغيرة كان أم كبيرة، الحق في استخدام وتطوير ثقافتها ولغتها أو لهجتها. إن دولة القانون تحترم الشعب بكل تنوعه لأنها مؤسسة على الشرعية الشعبية. ونأمل أن نشهد اليوم الذي تدعم فيه دولتنا جميع الخصوصيات

الثقافية التي تتكوّن منها الأمة الجزائرية وتشكّل ثراءها. تستند الهوية الجزائرية، التي مُزجت عبر قرون من التاريخ، في المقام الأوّل إلى الإسلام والأمازيغية والعروبة، وقد استفادت من روافد أخرى، بدرجة أقلّ، من ديانات وثقافات وحضارات أخرى. من هذا المنطلق، تدعو رشاد إلى احترام وترقية مقومات هويتنا الوطنية، فهي ملك للمجتمع الذي يقع على عاتق جمعياته ومنظّماته ومؤسساته الحرة الأخرى، مهمة الحفاظ عليها وتمييزها خدمة للصالح العام. لكن لا ينبغي بأيّ حال من الأحوال أن تُداس مقومات الهوية أو يتمّ احتكارها من قبل السلطة السياسية القائمة، فالدولة غير مخوّلة بفرض قراءة أو نهج يتعلق بالعناصر المكوّنة لهويتنا. وهذا ما يقودنا إلى توضيح نقطة أخرى، محلّ جدل ساخن تتعلق بالعلمانية.

لا شكّ أنّه نقاش ضروري ومفيد، لكن يجب إدارته بعقلانية واعتدال وبصيرة. فمن الضروري أن تُدار شؤون المدينة من قبل سلطة مدنية منتخبة وهذا لا يتعارض في شيء مع تمسّكنا بالإسلام، لأنّه لا يوجد في الإسلام نظام رجال دين يزعمون حكم الشعب "باسم الله". إنّ رشاد تدعم وتدعو إلى بناء فضاء سياسي جامع يشمل الجميع، ولا يميّز بين مختلف مكوّنات المجتمع على أساس أيديولوجي أو عقائدي، ويحترم الأقليات، ويضمن التعاون السليم بين جميع الجزائريين من أجل بناء المجتمع وتشديد الدولة، كلّ انطلاقاً من مرجعيته. لكن ما نلاحظه هو أنّ العديد من الذين يتبنّون العلمانية في الجزائر يُسيئون إليها في واقع الأمر أكثر مما يخدمونها. ونجد نوعاً من الاعتراّب الثقافي لدى البعض، إلى درجة من التبعية جعلت "نموذجهم" الوحيد للعلمانية هو النموذج السائد حالياً في فرنسا. في حين أنّ أيّ فكر عقلاني ونقدي ومنفتح على العالم سيجد أن هذا النموذج هو في الواقع انحراف ورؤية شاذة، مدانة حتى في معظم الدول الغربية، حيث تقتصر العلمانية في هذه البلدان على حماية الدين من تعسف الدولة وضمان عدم تدخل الكنيسة في شؤون الدولة، بينما اتخذت العلمانية في فرنسا شكلاً من أشكال التطرّف المعادي للدين، وبشكل أكثر عدائية تجاه الدين الإسلامي على وجه الخصوص.

رشاد ضمن الحراك

بالنسبة لحركة رشاد، النظام السياسي الذي نصبو إليه يجب ألا يحرم المتدين أو المدافع عن لغته أو ثقافته من المشاركة في النقاش السياسي، فمثل هذا التوجّه يشكل خطأ جسيماً، لأنه من جهة يقيّد حرية المشاركة في النقاش السياسي، ومن جهة أخرى ينطوي على خطر إلحاق الأذى بجزء من المجتمع، ممّا قد يدفعه، عاجلاً أم آجلاً، إلى التمرد ردّاً على إقصائه من المجال السياسي. إنّ السماح للمواطنين والمواطنات بالتعبير عن أنفسهم بحرية، وحتى بطرح مقترحات سياسية تتماشى مع معتقداتهم الدينية أو الثقافية، أمر مشروع وضروري، وهذا ما يدافع عنه العديد من الفلاسفة المعاصرين البارزين مثل يورغن هابرماس (Jurgen Habermas).⁷

7. التوافق الوطني والممارسة الديمقراطية

اعتبرت حركة رشاد دائماً النقاش والتقارب بين القوى السياسية في الجزائر ضرورة ملّحة. وحتى قبل إنشاء الحركة، شارك بعض أعضائها منذ يناير 1992 إلى جانب نشطاء سياسيين آخرين ومدافعين عن حقوق الإنسان، من خلفيات أيديولوجية مختلفة، في شتى اللقاءات والمناسبات للتعبير عن رأيهم الرافض للانقلاب وللانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي تلتها. وكانوا حاضرين - أو دعموا - العقد الوطني لسانت إيجيديو (1995)، وشاركوا أيضاً في العديد من اجتماعات المعارضة، سواء في الجزائر⁸ أو في الخارج.⁹ إنّ رشاد تؤمن بالنقاش وقد عملت دائماً على إطلاق المبادرات والاستجابة بشكل إيجابي لكل الدعوات التي تجمع كافة الجهات الفاعلة في المجتمع المدني دون إقصاء لأي طرف، وهذا في حدّ ذاته يشكلّ مبدأً أساسياً لرشاد، متمثلاً في تشجيع التشاور والتعاون مع كافة الفاعلين السياسيين وممثلي المجتمع المدني.

8. السيادة والبيئة الدولية

تحتفظ حركة رشاد بحقها في الحديث مع جميع الفاعلين السياسيين غير الحكوميين والمنظمات غير الحكومية والمفكرين في العالم العربي والغربي أيضاً. لكن تركز الحركة

أمانة حركة رشاد

دائمًا على أن تجري هذه الاتصالات بطريقة شفافة مع احترام أهداف ومبادئ الحركة، لاسيما استقلاليتها ورفضها لأيّ تدخّل أجنبي في حاضر ومستقبل الجزائر السياسي. وبناءً عليه، فقد شارك أعضاء من رشاد في مؤتمرات ولقاءات مع نشطاء سياسيين ومن المجتمع المدني، من خلفيات أيديولوجية مختلفة (قوميين، إسلاميين، علمانيين، وغيرهم). ومن البديهي أنّ الاجتماع أو النقاش مع هذه الكيانات أو الأشخاص لا يعني بحال من الأحوال، الموافقة على جميع آرائهم أو أفعالهم. وفي هذا الصدد، إنّ الهجمات الأخيرة الموجهة ضد رشاد، التي تهمها تارة بالعمل لـ"أجندة تركية و/أو قطرية" أو بالانتماء إلى تيار "الإخوان المسلمين"، لا تستند إلى أيّ حقيقة من شأنها أن تضيي على هذه المزاعم أدنى مصداقية. فلا تقيم رشاد علاقة مع أيّ دولة كانت، وهي ترفض دائمًا وبشكل واضح ومعلن أيّ تدخّل أجنبي في البلد. ولا نذيع سرًا عندما نقول أنّ الحكومتين القطرية والتركية ثقيان أفضل العلاقات مع النظام الجزائري ولا تدعمان بأيّ شكل من الأشكال الحراك، فضلًا عن منعها بعض أعضاء رشاد من دخول بلديهما.

علاوة على ذلك، فحركة "الإخوان المسلمين" لها ممثليها الرسميين في الجزائر، وليس لرشاد أيّ صلة هيكلية بهذا التنظيم. لكن لن نقبل أبدًا أن تستخدم دكتاتوريات الخليج ومصر، التي تشنّ حربًا ضد "الإخوان المسلمين"، خاصة منذ الانقلاب على الرئيس محمد مرسي رحمه الله، أبواقها في الجزائر لتجريم كلّ اتصال بـ"الإخوان المسلمين"، لذا نكرر ونقول: ليس لرشاد أيّ علاقة عضوية بـ"الإخوان المسلمين"، لكنها ترفض رفضًا قاطعًا السماح لأيّ كان أن يفرض عليها أو يمنعها من الاجتماع أو النقاش مع هذه الجهة السياسية أو تلك.

ثمة موضوع آخر تتداوله نفس الدوائر التي تشنّ حربًا هوجاء ضد رشاد، هو دعم رشاد المزعوم لـ"عدوان الناتو على ليبيا". وهنا تجدر الإشارة أولاً إلى أنّ رشاد دأبت على إدانة التدخّل الإمبريالي لحلف شمال الأطلسي في العالم العربي، وأيضًا المشاركة المؤتقة للجيش الجزائري في مناورات وتمارين الناتو، بحضور الجيش الصهيوني. إنّ ثورة

رشاد ضمن الحراك

2011 في ليبيا هي ثورة مواطنة ضد دكتاتورية، ومن هذا المنطلق أشادت بها رشاد. وقد زار بعض أعضاء رشاد ليبيا في عام 2011 بدعوة من أصدقاء ليبيين ونشطاء في مجال حقوق الإنسان، يحظون بسمعة جيدة واحترام واسع.¹⁰ وسواء تعلّق الأمر بليبيا أو بسوريا، فقد شجعت رشاد دائماً محاورها على ترسيخ نضالاتهم في نهج اللاعنف، مع استنكارها في الوقت نفسه التدخل الأجنبي الذي كان السبب الرئيسي لانحراف الثورات اللاعنفية والدفع بالبلدين في حروب أهلية مروعة.

9. تمويل رشاد

رشاد لا تقبل التمويل من أيّ حكومة أو أشخاص غير جزائريين. وتعتمد الحركة في تمويل أنشطتها على تبرّعات ومساهمات أعضائها وتشجّعهم أيضًا على دفع زكاة أموالهم للمحتاجين (خاصة السجناء السياسيين وعائلاتهم). وبينما يندّر أقطاب النظام مبالغ طائلة من أموال الشعب وخزينة الدولة، ويصرف بعض أتباعهم ملايين اليوروهات في المملدات وتلبية الشهوات، نراهم يتجرؤون ويسمحون لأنفسهم دون حياء باتهام حركة مثل رشاد بأنها تموّل من قبل دول أجنبية، دون تقديم أيّ دليل يُثبت مزاعمهم واقتراءاتهم. إنّ الهدف من مثل هذه الشائعات واضح بطبيعة الحال، فهم يسعون إلى زرع بذور الشك في نفوس المواطنين وثنيهم عن كل مبادرة لتنظيم صفوفهم بحرية وضمان تمويل أفعالهم بأنفسهم. فبالنسبة للديكتاتوريات، هناك قاعدة جد بسيطة: كلّ من لا تموّله السلطة، ومن ثمّ، تتحكّم فيه، فهو خائن وعميل يخدم مصالح أجنبية!

10. الخلاصة

كان الهدف من هذا المقال إعادة التأكيد والتذكير بمواقف حركة رشاد، في وقت تحاول فيه القوى السياسية الحليفة الفعلية للسلطة الحالية، تقسيم الحراك. ومن ثمّ حرصنا على الرد على الاتهامات الباطلة التي لا أساس لها، بكل شفافية، وفي الوقت نفسه، رفضنا اتخاذ موقف اعتذاري. لا يخفى على أيّ متتبع لمسار الحركة، أنها تنشط

أمانة حركة رشاد

بشفافية، وأساليبها وأهدافها مشروعة وقانونية ومشرفة. ونؤكد أنّ أكثر ما يزعج الأنظمة الاستبدادية هي قوى المجتمع المدني التي تتحرّر من وصايتها وتنظّم صفوفها من أجل إحداث التغيير. ولا يساورنا أدنى شك أن هذه النقطة بالذات هي التي تفسّر تكالب النظام وتوابعه وشنّهم حرباً شرسة ضد رشاد. ويبدو جلياً أنّ النظام بات يخشى أن تلتحق هياكل منظمة وحرّة أخرى لتنضمّ إلى مسار النضال من أجل التغيير، وهو بالضبط ما تدعو إليه رشاد، أي تشجيع المواطنين والمواطنات على تنظيم أنفسهم في هياكل (جمعيات، أحزاب، نقابات، نوادٍ، وغيرها من التشكيلات) تكون حرّة وتدعم الحراك، ومن شأن ذلك أيضاً أن يقدم أفضل ردّ وصّد لأيّ محاولة من أيّ جهة كانت للاستيلاء على الحراك أو تحريف مساره. نحن على قناعة بأنّ مثل هذه الهياكل، الحرّة والمواطنة، ستكون في المستوى لإرساء أرضية مناسبة لتنظيم نقاش بينها والتوصّل إلى توافق ورسم خارطة طريق من شأنها تحقيق التغيير الذي ينشده الشعب الجزائري. من الضروري، بطبيعة الحال، مناقشة الجوانب الأيديولوجية والمشاريع الاجتماعية، لكن تظلّ الأولوية الحالية تتمثل في توحيد جميع القوى الحرّة لضمان:

— سيادة بلادنا وحق جميع مواطنها في العيش في كنفها بحرية والتمتع بحقوقهم الأساسية؛

— تكريس الاقتراع العام باعتباره الوسيلة الوحيدة لاختيار القادة والبرامج السياسية مع احترام الحريات الفردية والحقوق الأساسية؛

— الحق في العمل السياسي والنقابي والجمعوي لجميع المواطنين دون الحاجة إلى الحصول على أيّ موافقة من السلطة القائمة؛

— الحق في حرية اختيار الحكام وإقامة الضوابط والتوازنات؛

— الرقابة الديمقراطية الفعلية من قبل ممثلي الشعب على القوات المسلّحة والأجهزة الأمنية؛

رشاد ضمن الحراك

—استقلال القضاء؛

—حرية الإعلام؛

—التوزيع العادل لثروات البلاد.

الإحالات

¹ <https://rachad.org/fr/?p=1777>

² https://rachad.org/?page_id=6

³ <https://rachad.org/?p=1202>

⁴ <https://rachad.org/?p=33>

⁵ اللاعنّف العقائدي يدعو إلى انتهاج اللاعنّف من حيث المبدأ (ديني أو أخلاقي) بينما اللاعنّف الاستراتيجي يتبنّى اللاعنّف لأنّه يشكل أضمن طريق لتحقيق هدف التغيّر وهذا دون الإحالة بالضرورة إلى جانبه الأخلاقي.

⁶ https://www.youtube.com/playlist?list=PLeQmfqtiCnLCgmgK_ZmqsXL6MPRKv1IMN

⁷ <https://www.ssrc.org/publications/view/habermas-and-religion/>

⁸ <http://aljazair24.com/national/29295.html>

⁹ في عام 2000 مع لويّزة حنون وعلي يحيى عبد النور وعبد الحميد براهيمي ومحمد حربي وآخرين. وفي 2008 مع عبد الحميد مهري وصالح الدين سيدهم ولهواري عدي وأحمد بن محمد ورشيد معلّوي وآخرين. اجتماعات مختلفة في 2018-2019 مع أحزاب FFS و FIS و HMS و RCD، إلخ.

¹⁰ من بينهم فتحي تريل، المدافع عن حقوق الإنسان الذي عمل بشكل ملحوظ في قضية مذبحّة سجن بوسليم حيث أعيّد أكثر من 1000 سجين في 1996.

دفاعًا عن الحراك

تعرض الحراك الجزائري، منذ بداية الربيع الماضي، لحملة دعائية عدوانية شرسة يشنّها طيف واسع من الهيئات الإعلامية وتحركها جهات سياسية وأكاديمية مختلفة. وقد بادرت مجموعة من الأكاديميين الجزائريين إلى إعداد عمل أكاديمي للتصدّي لعتيّة من هذه الهجمات، وتمّ جمع مساهماتهم المختلفة في هذا الكتاب.

يفحص «دفاعًا عن الحراك: تفكيك نظرية المؤامرة المضادة للثورة» كتيّب بن سعادة «مَن هؤلاء الذين نصّبوا أنفسهم قادة للحراك الجزائري؟» من زوايا مختلفة. وينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء. يتألف الجزء الأول من ثلاث مقالات مخصّصة للنقد الجوهري لمحتوى المنشور. ويسلّط الجزء الثاني الضوء على بن سعادة وعلى ماجد نعمة وريشار لايفيار اللذين أعدّا تصدير وخاتمة الكتيّب على التوالي. كما يتناول الجزء الثالث من هذه المساهمة كتيّب بن سعادة من منظور إعلامي، ويقدم الجزء الرابع والأخير سرّدًا لبعض ردود الفعل التي أثارها المزاعم الدقيقة التي طرحها بن سعادة لدعم أطروحة المؤامرة التي يتبنّاها.

«كما صُفّي الاستعباد بعد آلاف السنين من المعاناة وكما صُفّي الاستعمار ولو بالثمن الرهيب الذي دفعه بلد كالجائر، فإنّ تصفية الاستبداد عملية لن يوقفها شيء أو أحد. ولا بد ليّ أن ينجلي.»

الدكتور منصف المرزوقي
الرئيس التونسي السابق

